

ظاهرة الهجرة اليافعية عبر التاريخ

الندوة العلمية الرابعة

24 سبتمبر 2019 م







الندوة العلمية الرابعة:

مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر

بالتعاون مع جمعية يافع الخيرية والتنموية



رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية بعدن: (١١٤٥) لعام ٢٠٢٠م

الطبعة الأولى: ٢٠٢٠



دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر

هاتف وواتس آب: 00201008170225

بريدٌ إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com

كلمة مدير مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر

د. محمود علي السالمي

أسعد الله صباحكم بكل خير

باسمي وباسم الزملاء أعضاء مركز عدن للدراسات التاريخية والنشر أرحب بكل الحضور ترحيبًا حارًّا، كل باسمه وصفته، واسمحوا لي أن أخص بالذكر الأخ عوض بن عوض الصلاحي الأمين العام لمحافظة لحج والأخ عبد الفتاح الصلاحي المدير العام للمديرية، والأخ علي بن علي المطري رئيس المجلس الانتقالي بالمديرية ونواب عميد كلية التربية يافع.

تأتى أهمية موضوع الهجرة اليافعية ليس فقط في بعدها التاريخي، ولا في تأثيرها على الماضي فحسب، بل وفي تأثيرها على حاضر ومستقبل يافع. فالهجرة في الوقت الحالي تكاد أن تكون أكبر الهجرات التي شهدتها مناطق يافع على مر تاريخها، كما أن تأثيرها يفوق أي تأثير للهجرات التي تمت في الزمن الماضي، وكما تعلمون ففي الوقت الذي يترتب على عملية الهجرة فوائد ومنافع وعوامل إيجابية كثيرة وأهمها التحويلات المالية الكبيرة من المهاجرين إلى أهلهم في يافع، فلا شك في أنه يترتب عليها أيضًا عوامل سلبية وأهمها إفراغ المنطقة من الطاقة الشابة القادرة على العمل والعطاء.

لن نخوض في موضوع الندوة كثيرًا فالبحوث المقدمة زاخرة بمعلومات وفيرة عن ذلك الموضوع، كما نأمل أن تكون هذه الندوة فاتحة طريق لندوات أخرى عن جوانب مختلفة من الهجرة اليافعية، فالعالم بشكل عام بات يولي أهمية كبيرة لموضوعها ومشاكلها.

وفي الختام أود أن أعبر عن خالص الشكر والتقدير لكل من كان له يد في نجاح الندوة وفي مقدمتهم جمعية يافع الخيرية ممثلة بالدكتور قاسم صالح الأصبحي الذي تابع معنا مسار الندوة منذ لحظاتها الأولى باهتمام وحرص منقطع النظير، وكذلك الشيخ الفاضل قاسم عبدالرحمن الشرفي الذي لو لا دعمه الكريم لما قمت الندوة، والشكر أيضا للسلطة المحلية ممثلة بالمدير العام عبد الفتاح الصلاحي الذي أحاطنا بالرعاية والاهتمام، والأخ علي بن علي المطري رئيس المجلس الانتقالي على كرم الضيافة وحسن الاستقبال، وعمادة الكلية التربية يافع التي سهلت لنا كل سبل نجاح الندوة في قاعة الكلية، ومؤسسة بوابة عدن للتعليم والتنمية.

كما أوجه الشكر لكل من لبى دعوتنا بالحضور وتحمل عناء الوصول إلى قاعة الندوة من المناطق البعيدة من يافع. وأتوجه بالشكر والتقدير للأساتذة معدي الأوراق البحثية الذين لولا جهودهم المثمرة وبحوثهم القيمة لما قامت الندوة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة رئيس جمعية يافع الخيرية

د. قاسم صالح الأصبحي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى صحبة أجمعين أسعدتم بالخير صباحًا.

الأخوة والأخوات كلا بصفته ومقامة الرفيع:

يسرني بالنيابة عن الهيئة الإدارية والجمعية العمومية لجمعية يافع الخيرية والتنموية أن أقف أمام هذا الجمع المهيب في الندوة العلمية الرابعة لظاهرة الهجرة اليافعية عبر التاريخ، التي يقيمها مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية، بالتعاون مع جمعية يافع الخيرية والتنموية.

إن هذه الندوة تكتسب أهمية خاصة ليس فقط في البحوث المقدمة لها بتنوع جوانبها البحثية العلمية، ولكن أهميتها في أنها تقام في أعلى صرح علمي جامعي في يافع، وهو كلية التربية مصنع الرجال وبناة المستقبل.

الأخوة الحاضرون:

إننا في جمعية يافع الخيرية ننظر إلى المشاركة والإسهام في هذه الفعالية العلمية، وكذا الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية المختلفة التي تقوم بها كواجب تجاه المنطقة وأبنائها، وقد أسهمنا في عام 2013 و 2014 في مشروع النهوض بالعملية التعليمية في كل مديريات يافع بالتعاون مع كلية التربية/ يافع ممثله بقيادتها وطلابها، من خلال تغطية كل مدارس المديريات بالمدرسين، والعمل على تأسيس عدد من المؤسسات التي تعنى بالعلم والارتقاء به بين أوساط أبناء المنطقة، كما أقيمت عدة لقاءات للتربويين في مديريات يافع، ومحاضرات علمية بتخصصات مختلفة.

وكانت الجمعية سباقة للاهتمام بالعلم والتعليم، كما أسهمت الجمعية في إقامة العديد من المخيمات الطبية لتخصصات متنوعة في مناطق يافع المختلفة، وكذا حضرموت، وكان لها دور إيجابي في علاج الآلام وتخفيفها لشريحة واسعة من المواطنين.

وتقوم الجمعية بكفالة ما يقارب 700 يتيم من مختلف مناطق يافع والجنوب عامة، بدعم سخي من أبناء يافع الخيرين.

وللجمعية مشاركة إيجابية في الأنشطة والنقاشات بأمور وقضايا متعلقة بيافع، وكذا علاقة أبناء يافع بالآخرين في مختلف المناطق.

الحضور الأعزاء:

إننا نعوِّل على مخرجات هذه الندوة أهمية كبرى؛ لما فيها من دراسة وتقييم واقع تاريخي وظروف مراحل سابقة أدَّت إلى هجرة أبناء يافع إلى إرجاء المعمورة.

ونرى أنه من منطلق الهجرة اليافعية في العصور الحديثة والتي أسس فيها أبناء يافع تجمعات سكانية كبيرة، وأرسوا قواعد اقتصادية تسهم بشكل كبير في تعزيز وجودهم في مناطق الاغتراب، وأيضًا ترفع الاقتصاد اليافعي.

فاليافعيون متواجدون في دول الخليج العربي المختلفة وأمريكا والصين وبريطانيا بأعداد كبيرة، وهذا لا ينكر تواجدهم في مناطق أخرى من العالم، وقد أسهموا بشكل مباشر في تطوير المجتمعات وتطوير أنفسهم، وتشكلت منهم الطبقات المختلفة، فمنهم العمال والأطباء والمهندسين والتجار، وأسهموا في الأنشطة الاجتماعية والسياسية لهذه المجتمعات، حتى إنهم حصلوا على مراكز قيادية.

ونجدها اليوم فرصة لحث الباحثين على مزيد من البحث والاستعراض لما يقوم به المهاجرون اليافعيون بصورة تفصيلية، وما أحدثوا من تغيير في هذه المجتمعات.

الأخوة الحضور الكرام:

يسرني أن أسجل شكري وتقديري للدعم السخي المقدم من رجل الخير والأعمال الشيخ قاسم عبدالرحمن الشرفي، الذي هو دومًا بجانبنا في دعم كل الأنشطة والفعاليات التي نقيمها، كما نقدم الشكر والتقدير لقيادة المديرية والمجلس الانتقالي بالمديرية، وقيادة كلية التربية على الدور الإيجابي الذي أدّوه لإنجاح هذه الندوة.

أتمنى لهذه الندوة النجاح والتوفيق، ونتمنى أن تكون الخطوة الأولى لندوات قادمة بالشراكة معنا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

برنامج الندوة

الجلسة الافتتاحية	الوقت
الافتتاح بآية من الذكر الحكيم كلمة مدير المركز د. محمود السالمي كلمة رئيس جمعية يافع د. قاسم الصبحي كلمة نائب محافظ لحج عوض بن عوض الصلاحي فلم تسحيلي عن يافع ومركز عدن	9 ,30 - 9,00

الجلسة الأولى من (9,30: 11,00)

م	البحث	الوقت
1	**د. محمود السالمي** الظروف الطبيعية ودورها في الهجرة اليافعية	9 ,45 - 9 ,30
2	**د. محمد بن هاوي باوزير** الهجرات اليافعية القديمة إلى حضرموت (يافع التلد	10,00- 9,45
3	**د. سالم السلفي** أثر الفتوحات الإسلامية في الهجرة اليافعية في القرن الأول الهجري	10.15 -10 ,00
4	**د. طه حسين هُديل** أثر هجرة قبائل يافع في عدن أثناء حكم الدولة الرسولية	10.30 -1 0,15
5	**د. محمد منصور بلعيد** الدور السياسي لمهاجري يافع في عصر الدولة الطاهرية وأثره في انتشاهم في العصور اللاحقة	10.45 - 10,30
6	**د. جمال الكلدي** الدور العلمي والفكري لمهاجري يافع في مدن اليمن في القرن ١٠ هجريا	11.00 - 10,45
	استراحة	11.15 - 11,00

الجلسة الثانية من (11,15: 1,00)

م	البحث	الوقت
1	**د. علي الخلاقي** هجرات اليافعيين إلى الهند	11 ,30 - 11 ,15
2	**د. سعيد بايونس** الأغنية اليافعية المهاجرة	11 ,45 - 11 ,30
3	**نادر سعد حلبوب** العوامل المعيشية والعسكرية والمخاطر في هجرة أهل يافع في القرن الثالث عشر (دراسة وثائقية)	12 ,00 - 11 ,45
4	**أحمد الرباكي** الهجرة اليافعية ودورها في في الدويلات والحاميات اليافعية الحضرمية إمارة عبدالقادر أنموذجا	12 ,15 - 12 ,00
5	**د. علي الخلاقي** شخصيات يافعية مهاجرة رائدة آل العيسائي (الشيخان عمر وعلي) والشيخ قاسم الشرفي	12 ,30 - 12 ,15
6	**د. قاسم المحبشي** الآثار السلبية والإيجابية للهجرة اليافعية/ دراسة سوسيو ثقافية	12 ,45 - 12 ,30
	مناقشة	1 ,00 - 12 ,45
	التوصيات	

دور الظروف الطبيعية في الهجرة اليافعية

د. محمود علي السالمي

مقدمة:

لا شك في أن تاريخ أي شعب أو جماعة يتأثر بدرجة كبيرة بخصوصية المكان الجغرافي لذلك الشعب أو لتلك الجماعة، فتاريخ الشعوب أو الأمم التي تمتعت مواقعها بقدر كبير من الأهمية، كان وما زال حافلًا بالأحداث، ومختلف عن تاريخ غيرها من الشعوب التي لم تحظ مواقعها بمثل تلك الأهمية. كما أن الشعوب التي وفرت طبيعتها الداخلية (الموضع) إمكانات وظروف مناسبة للنشاط البشري، لها تاريخ مميز عن غيرها من الدول والأمم التي لم يوفر موضعها مثل تلك الظروف والإمكانات.

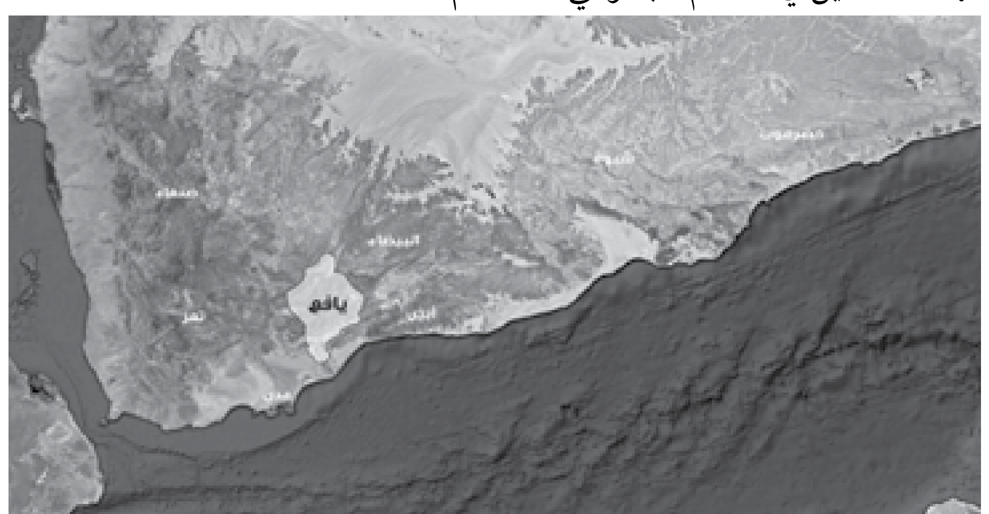
وإذا كان من البديهي على باحث التاريخ أن يتعرف على خصوصية المكان عند دراسته لتاريخ أي دولة أو إقليم، بوصفه من العوامل الأساسية التي تتدخل في إنتاج أحداثه التاريخية، فإنه من البديهي أيضًا أن يدرك الباحث أن الموقع والموضع ثابتان بذاتهما، لا يتغيران وإن تغيرت وتطورت مظاهر النشاط البشري من مرحلة إلى أخرى. فعلى الرغم من التقدم الكبير الذي أحدثه الإنسان في وسائل تعامله مع بيئته، إلا أن ذلك لا يعني في أي حال من الأحوال قدرته على التحكم بظروفها الطبيعية، فالبحر سيظل بحرًا والسهل سهلًا والجبل جبلًا إلى أن يرث الله الأرض.

الموقع الجغرافي والتضاريس:

من العوامل التي أدَّت دورًا مهمًّا في الهجرة اليافعية موقعها الجغرافي وموضعها، فيافع تمتاز بموقع جغرافي متوسط في جنوب غرب الجزيرة العربية، سمح لها أن تؤثر وتتأثر في معظم المناطق المجاورة لها، وفي الدول التي ظهرت في جنوب الجزيرة

العربية في مختلف العصور. وعلى الرغم من موقعها الممتاز والمتوسط، في جنوب غرب الجزيرة العربية إلا أن ظروفها الطبيعية الخاصة لم تساعدها على الاستفادة من مميزات ذلك الموقع، فقد شكلت تضاريسها الحادة حائلًا أمامها في تركيز سكانها في تجمعات سكانية كبيرة، أو في قيام مدن يمكن لها أن تكون مراكز لكيانات سياسة أو دولًا محلية ذات شأن، وفي الوقت نفسه فقد خدمت تلك الطبيعة الصعبة سكان المنطقة في بعض النواحي، إذ شكلت عائقًا أمام الدول التي حاولت إخضاعها لسيطرتها، كما رفعت من تكلفة تلك المحاولات.

ويافع بشكل عام ذات طبيعة جغرافية وعرة، وتقدر مساحتها وفق حدودها في نهاية عهد السلطنتين في 1967م، بحوالي 2882 كم.



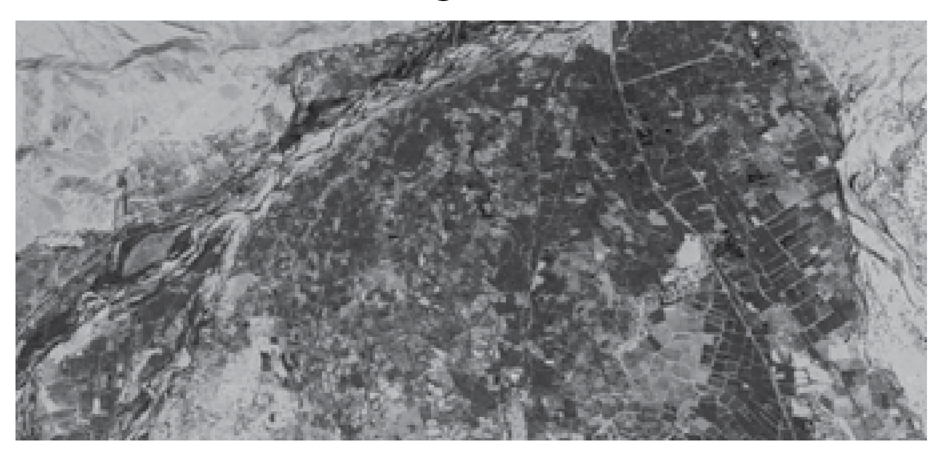
(موقع يافع في جنوب اليمن)

وينقسم سطحها بشكل عام إلى ثلاثة أقسام تضاريسية رئيسة، وكل قسم منها له ظروفه الطبيعية الخاصة به.

أولًا: المنطقة الساحلية:

وهي المنطقة التي تقع في ساحل أبين وبالتحديد التي تقع في دلتا وادي بناء، وهي منطقة سهلية ومستوية باستثناء بعض النتوءات الصخرية البركانية الصغيرة، ومساحتها

صغيرة قياسًا بالمساحة العامة ليافع، إذ تبلغ حوالي 225 كم فقط، كما أنها أقل مناطق يافع ارتفاعًا عن سطح البحر، وقربها من ساحل البحر جعلها أكثر مناطق يافع رطوبة وأكثرها ارتفاعًا في درجة الحرارة، لاسيما في الصيف، وبحكم وقوعها عند مصبِّ وادي بنا فهي تماز بخصوبة تربتها ووفرة مياهها التي تغذيها السيول الصيفية التي يجلبها الوادي من المناطق الداخلية، ولذلك فقد توافرت فيها ظروف مناسبة للزراعة والري بصورة لا يتوافر لها مثيل في مناطق يافع الأخرى.



(جزء من دلتا وادي بنا في منطقة ساحل أبين)

ثانيًا: منطقة المرتفعات الجبلية:

تشكل المرتفعات الجبلية حوالي 85 في المئة من مساحة يافع، إذ تبلغ حوالي 2362 كم، وتمتد بين منطقة الساحل التي تقع في جنوب يافع ومناطق الهضبة في شمالها.

ويتدرج ارتفاعها من الجنوب إلى الشمال، وبالتحديد من الجبال المطلّة على منطقة الساحل، فيبدأ أكبر ارتفاع لها في الجبال التي ينتهي عندها حبيل برق في شمال منطقة الساحل بحوالي 850 متر ويزداد ذلك الارتفاع كلما اتجهنا شمالًا لينتهي أكبر ارتفاع لها في جبل اليزيدي الذي يبلغ ارتفاعه 2415 متر، وبشكل عام يغلب على جبال تلك المناطق التي تشكل المساحة الأكبر من يافع الوعورة الشديدة والانحدارات الحادة، والضيق الشديد في وديانها، وفي المقابل تتميز مناطق جبالها المرتفعة بتعرضها لنسبة

من الأمطار السنوية أكثر من أي مناطق أخرى في يافع، وتمتاز كذلك باعتدال مناخها مقارنة بمنطقتي الساحل والهضبة.



(جزء من السلاسل الجبلية الكثيفة التي تغطي معظم مساحة يافع)

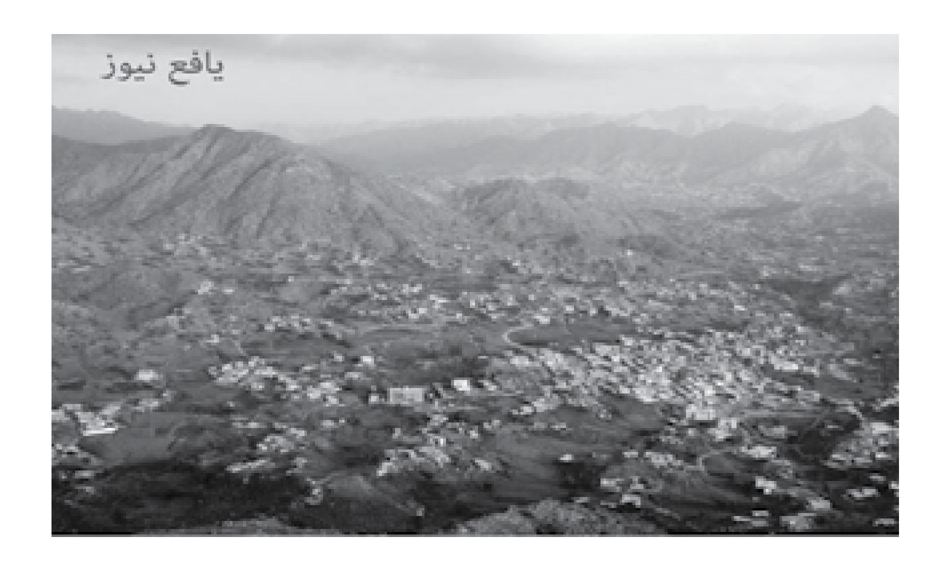
وتختط بين سلاسلها الجبلية الكثيرة العديد من الشعاب والوديان، التي شكلتها مع مرور الزمن سيول الأمطار. وأوسع وديانها تلك التي تقع في شمال تلك المرتفعات وغربها، وبالتحديد الوديان القريبة من المرتفعات الجبلية التي تشكل الحد المائي بين السيول التي تتجه غربًا وتنتهي بوادي بنا، وتلك التي تتجه شرقًا وتنتهي بوادي حسان، الذي يمر على مقربة من المنطقة التي يمر فيها وادي بنا في ساحل أبين، وأبرز تلك الوديان العريضة:

وادي رخمة: وهو عبارة عن قاع عريض تحيط به الجبال من كل الاتجاهات، باستثناء منفذ الوادي الذي يقع في جهته الشرقية، أكبر عرض له في حدود 2،5كم، وطوله في حدود 4،5كم، وتتخلله بعض المرتفعات الصغيرة التي تقسمه إلى أكثر من قسم. ويشتهر بحكم اعتدال حرارته بزراعة محصول الدخن، وبعض أنواع الذرة.



(وسط وادي رخمة)

وادي رصد: ويعد ثاني أعرض وادي في يافع، وأكبر عرض له في حدود 2 كم، وطوله في حدود 3،5كم، وهو مجاور لوادي رخمة من جهة الشمال، ويقع على الارتفاع نفسه، وأهم إنتاجه الزراعي الدخن والذرة.



(الجهة الشرقية من وادي رصد)

وادي السعدي: الذي يقع شمال غرب وادي رصد، والذي يتكون من أكثر من فرع، ولا يزيد عرض كل من فروعه عن 300متر.

أما بقية الوديان فهي وديان ضيقة لا يزيد أكبر عرض لها عن 200 متر فقط، وتختلف من حيث الطول، ومنها وديان يَهَر وسَرار وسَبَّاح وذي ناخب وحَطيب وخِيرة وحَمومة وشَعْب والصَّعيد والعَرِقَة وطِسِة وظَبة، وكثير من تلك الوديان الضيقة اشتهرت ومازالت تشتهر بزراعة البن. وفضلًا عن تلك الوديان الزراعية، هناك الكثير من الوديان التي تتخلل جبال يافع، والتي معظمها غير صالحة للزراعة، ومنها أودية سُلُّب وحَطاط اللذان يُعدَّان أطول وديان يافع، وغيرهما من الوديان التي تقع إلى الشرق والجنوب من مناطق المرتفعات الجبلية.

ثالثًا: منطقة الهضبة:

تقع على مساحة صغيرة من يافع، وهي أكبر قليلًا من المنطقة الساحلية إذ تبلغ مساحتها حوالي 395 كم، وتتكون من منطقتين متقاربتين في الارتفاع في معظم مساحاتهما المنخفضة، المنطقة الأولى هضبة الحد التي تعد امتداد لهضبة البيضاء

ولهضبة اليمن بشكل عام، وهي منطقة مستوية إلى حدود كبيرة، تخللها بعض المرتفعات الصغيرة، وارتفاعها فوق 2000 متر.

والمنطقة الأخرى هي هضبة لبعوس المفلحي، ويفصل بينها وبين هضبة الحد جبل العر الذي يرتفع كثيرًا عن مستوى ارتفاع الهضبتين، إذ يبلغ ارتفاعه حوالي 2400 متر، وكذلك أخدود وادي حطيب الذي ينخفض كثيرًا عنهما إذ يبلغ متوسط ارتفاعه حوالي 1630متر. وهضبة لبعوس المفلحي لا تتميز بالاستواء الكبير قياسًا بهضبة الحد، حيث يتخللها عدد من المرتفعات الجبلية والهضاب الصغيرة التي قسمت مساحتها إلى عدد من الأودية، وبشكل عام فهي أكثر ارتفاعًا من هضبة الحد في مواضع عدة، ويتخللها عدد من المرتفعات الداخلية أهمها: جبل أو هضبة (حَبَه) التي يبلغ ارتفاعها حوالي 2400 متر، وجبل (ثمر) الذي يبلغ ارتفاعه في حدود 2500 متر، وهو أعلى ارتفاع في يافع كلها، وجبل (حُقُب) و (جبل الشِّبر)، و(الجبل الأعلى) في المفلحي. وبشكل عام تعد مناطق الهضبة أكثر مناطق يافع ارتفاعًا وأكثرها برودة لاسيما في الشتاء، وتشتهر في زراعة الذرة صيفًا، وتندر محاصيلها في الشتاء بسبب قلة الأمطار وكذلك ارتفاع درجة البرودة والصقيع الذي يؤثر على نباتاتها.



(هضبة الحد ويحدها من الجنوب أخدود وادي حطيب ومن الغرب وادي حمرة)



(جزء من هضبة لبعوس المفلحي حيث الكثافة السكانية العالية)

الطبيعة والسكان:

اختلف توزيع السكان في يافع تبعًا للعوامل الطبيعية الخاصة بكل منطقة، فمنطقة الساحل التي تمتاز بوفرة المياه والتربة الخصبة واستواء السطح، والتي يفترض أن تشكل منطقة جذب لسكان المناطق الجبلية الوعرة، لم تستهوي الكثير من سكان المنطقة الجبلية بسبب ظروفها المناخية الخاصة، فارتفاع درجة حرارتها الكبير في الصيف وارتفاع معدل رطوبتها لم يوفر لها فرصة زراعة كل المحاصيل، كما لم يشجع ذلك المناخ الحار الكثير من سكان المناطق الجبلية ذات المناخ المعتدل على الاستقرار بها، وظلت على ذلك الحال إلى منتصف القرن الماضي، إذ حفز دخول الكهرباء والخدمات الحديثة إليها وتنظيم قنوات الري وتحديث وسائل الري وآلات الزراعة السكان على الاستقرار بها، وجعلتها من أهم مناطق الجذب السكاني في يافع كلها.

كما مثلت منطقة الهضبة في شمال يافع منذ الأزمنة القديمة إحدى مناطق الجذب السكاني في يافع، فاستواء سطحها سمح لسكانها في الحصول على مساحة مناسبة

للزراعة أكثر مما كانت تسمح به المناطق الجبلية الأخرى، ونتيجة لذلك فقد تركزت الكثافة السكانية المرتفعة، والقرى الكبيرة في يافع في إطار تلك المنطقة، وتدل آثارها ونقوشها على أنها عرفت الاستقرار البشري منذ العصور التاريخية المبكرة، غير أن صغر مساحتها، وضعف معدل أمطارها، وارتفاع برودة طقسها جعل حجم إنتاجها الزراعي لا يستطيع أن يواكب حاجة الزيادة التي كانت تتم في أعداد سكانها، ولذلك شكلت منذ القدم أيضًا أكثر مناطق يافع طردًا للسكان.

وتوزع السكان بدرجات مختلفة على المناطق الجبلية من يافع بحسب الطبيعة الخاصة بتلك الجبال، وعلى الرغم من ظروفها المناخية العامة المحفزة للاستقرار البشري، مثل: ارتفاع معدل أمطارها، واعتدال مناخها الذي يوفر بيئة مناسبة أكثر للزراعة ولتنوع المحاصيل، إلا أن وعورة وحدة تلك الجبال جعلها لا تسمح بالحصول على مساحات زراعية كبيرة، يمكن الاستفادة منها بشكل أفضل في الزراعة، وفي استيعاب أعداد كثيرة من السكان. وتضاعفت حدة صعوبات الحصول على الأرض والتربة المناسبة للزراعة في تلك المنطقة الجبلية بصورة أكبر في جهاتها الشرقية والجنوبية التي فيها انحدارات جبلية شديدة الحدة، ووديانها شديدة الضيق.

وبشكل عام فقد انحصر النشاط الزراعي والاستقرار السكاني في المنطقة الجبلية في يافع في جهاتها الشمالية والغربية، منها الوديان التي تخترق الجبال التي تقع على حواف هضبة البيضاء والمطلة على وادي سباح، مثل وادي طسة والعرقة وذي ناخب، والوديان والأخاديد التي تقع بين هضبة الحد وهضبة لبعوس وأهما وادي حطيب، وكذلك في الجبال الشمالية الغربية التي يفصل بينها وبين هضبة (لبعوس المفلحي)، وادي يهر، والجبال الغربية التي تطل من جهات الغرب والجنوب على وادي خيرة ووادي سرار، وقد استطاعت الظروف الخاصة بتلك الجبال الشمالية والغربية أن توفر عوامل مناسبة للاستقرار البشري لم توفره جبال الجهات الأخرى، فارتفاعها الكبير جعلها تحظى بمعدل أمطار أكبر مما تحظى به جبال الجهات الشرقية والجنوبية التي

يتراجع ارتفاعها كلما اتجهنا شرقًا وجنوبًا، كما أن جوانب العديد منها أقل انحدارًا، وقمم الكثير منها أكثر استواء، وهو الأمر الذي سهل للسكان الحركة في تلك الجبال وسمح لهم في بناء سلاسل طويلة من المدرجات الزراعية على جوانبها ومن إقامة المساكن والقرى على قممها وعلى العديد من نتوءاتها. وفضلًا عن ذلك فقد امتازت وديانها بمساحة أعرض من غيرها، فسهل للسكان خلق مساحات زراعية على جوانب الكثير منها.

وأهم تلك الجبال وأكبرها: جبل اليَزيدي، وجبل السَّعْدي، وجبل مُحَرَّم، وجبل مُوْفَجَه، وجبال مَشْأَلَة في غرب هضبة لبعوس. وبشكل عام تنتشر على جوانب تلك الجبال وقممها العديد من القرى والتجمعات السكانية، وكذلك المدرجات الزراعية التي تغطي معظم جوانبها، ويمكن القول: إن الإنسان في تلك المناطق الجبلية قد حاول استغلال إمكانات تلك الجبال بأقصى ما يمكن له استغلاله.



(حراثة المدرجات الزراعية في جوانب الجبال تتطلب جهد بشري شاق)

وهكذا فقد تركز الاستقرار السكاني في يافع في جزء صغير من مناطقها الجبلية وبالتحديد في شمالها وغربها، في حين ظلت معظم المناطق الجبلية الشرقية والجنوبية من يافع -التي تشكل المساحة الأعظم منها- غير مناسبة للزراعة وللاستقرار البشري الدائم؛ بسبب حدة جبالها وضيق وديانها وضعف معدل أمطارها، وظلت وما زالت مناطق خاصة بأعداد محدودة جدًا من البدو الرحل الذين يعتمدون بشكل رئيسي في معيشتهم على رعي الأغنام.





(توزيع الزراعة والسكان في يافع)

الفائض السكاني والهجرة:

الهجرة ظاهرة من الظواهر البشرية القديمة، فقد انتقل الإنسان عبر الأزمنة الماضية ومازال ينتقل من مكان إلى آخر لأسباب ودوافع عديدة، لعل أهمها الظروف الطبيعية، ومن باب التوضيح فقد ترتب على تلك الهجرات نتائج ديموغرافية واجتماعية واقتصادية ليس في يافع وحدها بل وفي معظم مناطق العالم، وخريطة التوزيع السكاني والحضاري اليوم في أي منطقة من مناطق العالم تعد نتاجًا لعوامل عدة أهمها حركات الهجرة.

والهجرة بشكل عام تعكس رغبة الإنسان في مغادرة منطقته لصعوبات معيشية كثيرة إلى منطقة أخرى يعتقد أن في إمكانه العيش فيها بصورة أفضل وأحسن مما كان عليه في منطقته، وعلى ذلك فان الدوافع للهجرة قد تكون واحدة في الغالب والعامل المشترك الأعظم بينها هو عدم الرضا عن البيئة الأصلية للمهاجرين مما يدفعهم إلى الانتقال نحو بيئات أخرى أكثر ملائمة للعيش.

وبحكم محدودية المساحات الزراعية في مناطق يافع في ظل الزيادة الطبيعية في عدد سكانها فقد ظلت أكبر مشاكلها هي تلك المشكلة القائمة بين الإنتاج الزراعي المحدود، وبين الحاجة الغذائية للأعداد المتزايدة في سكانها، ولم يكن من خيار متاح لمعالجة حاجة الأعداد الفائضة عن قدرة المنطقة غير البحث عن حلول في مناطق أخرى.

ومع أن الرغبة في تحسين المعيشة ليست وحدها من تقف وراء كل عملية هجرة من يافع، إذ إن هناك هجرات أجبرتها ظروف وحوادث اجتماعية وفكرية وحتى أخلاقية خاصة على مغادرة المنطقة، لكن تظل الهجرات التي تقف خلفها ظروف الطبيعة والمعيشة هي الأعظم، وهي في الغالب هجرات طوعية، إذ تتفاعل مع مجموعة من الدوافع ذات العلاقة بالبيئة الجغرافية، التي تسهم بشكل رئيس إما بطرد أعداد من السكان من المناطق الطبيعية القاسية، أو لجذبهم إلى المناطق الأكثر ملائمة، ولا تتوقف الهجرة عند تلك العوامل والظروف الطبيعية الثابتة، بل وتلك الظروف الطبيعية غير الثابتة، فسنين الجفاف والقحط وكذلك مواسم الجراد والآفات الزراعية العامة، أثرت في معيشة الناس في يافع ودفعت بالعديد منهم إلى مغادرتها، كما شكّلت ومازالت تشكل مشكلة مياه الشرب لاسيما في مواسم الجفاف أحد العوامل التي تدفع الناس إلى الهجرة من العديد من مناطق يافع.

ولاشك في أن الإنسان عندما يهاجر يكون مدفوعًا في ذلك بأسباب طبيعية واقتصادية وحتى اجتماعية، وتتوافر لدية في ذات الوقت درجة من المعرفة والطموح والقدرة على الهجرة. ولا شك أيضًا أن المهاجر عندما يتخذ قرار الهجرة من موطنه الأصلي ويختار

موطنًا جديدًا يكون مدفوعًا بحافز قوي وراء اتخاذ هذا القرار المصيري، وبطبيعة الحال لا تتساوى الدوافع تمامًا لدى كل من هاجروا من يافع، بل تتباين من مهاجر لآخر تباينًا كبيرًا، كما وضحنا قبل قليل، كما أن طبيعة هذه الدوافع تختلف من وقت لآخر، ومن منطقة لأخرى. والمتتبع لموضوع الهجرة اليافعية سيجد أن القرى الكبيرة مثل بني بكر والمناطق ذات الكثافة السكانية الكبيرة مثل مناطق لبعوس والمفلحي، كانت وما زالت أكثر مناطق يافع ميولًا للهجرة.

كما أن حجم الهجرة الطوعية ومداها قد تباين من وقت لآخر، فلاريب في أن الهجرة اليافعية في العصر الحديث قد أصبحت على نطاق واسع وأكثر مما كانت علية في أي زمن سابق، ولعل مرد ذلك إلى التطور الذي شهدته وسائل النقل والحركة في القرون الأخيرة، التي سهَّلت عملية السفر وساعدت على انتقال أعداد ضخمة من مهاجري يافع إلى مناطق مهاجرهم.

وتعددت أنواع الهجرات التي شهدتها يافع بفعل عواملها الطبيعية الوعرة، وظروف بيئتها الصعبة، فهناك هجرة داخل يافع نفسها وهناك هجرات إلى المناطق المجاورة، وهناك هجرات إلى المناطق والدول البعيدة.

الهجرة الداخلية: شهدت مناطق يافع بشكل عام حركة تنقل واسعة بين سكانها، لكن لعل أكثر تلك التنقلات أو الهجرات الداخلية هي تلك التي تمت من مناطق الكثافة السكانية مثل منطقة الهضبة إلى المناطق الجبلية المحيطة بها الأقل كثافة والتي مازال في إمكان ظروفها الطبيعية أن تستوعب المزيد من السكان من خلال خلق مساحات ومدرجات زراعية جديدة بوديانها أو على جوانب جبالها.

والهجرة إلى المناطق المجاورة: مثلت الهجرة إلى المناطق المجاورة ليافع واحدة من الحلول لمشكلة الفائض السكاني في يافع، وعلى الرغم من أن الهجرة اليافعية تمت إلى كل المناطق المجاورة ليافع مثل البيضاء ولودر وأبين، إلا أن أكثرها اتجهت إلى مناطق الغرب التي كانت لا تفصلها عن يافع إلا القليل من المسافة والوقت، مثل

ردفان وحالمين والشعيب، ومازالت إلى اليوم الكثير من الأسر المستقرة هناك تحمل ألقابًا وأسماء بأسماء المناطق التي انتقلت منها من يافع، لاسيما من مناطق الهضبة. وتضاعفت الهجرة إلى المناطق المجاورة في الزمن الحالي لاسيما نحو المدن، التي تتوافر فيها الخدمات الحديثة في ظل الصعوبات الطبيعية التي تعانيها مناطق يافع، وفي ظل انعدام حتى المساحات المناسبة للبناء في الكثير من مناطق يافع، ومن تلك المدن التي شكلت عامل جذب كبير للفائض السكاني في يافع: عدن ولحج وأبين والحبيلين.

والهجرة الثالثة: كانت إلى المناطق البعيدة من يافع داخل اليمن وخارجه، ولا تخلو منطقة داخل اليمن وداخل جنوب الجزيرة العربية بوجه عام إلا واستقر بها المهاجرون من يافع، ومثلت حضرموت وتعز وإب وصنعاء أكثر المناطق الجاذبة للهجرة اليافعية، ومازالت إلى اليوم الكثير من الأسر والعشائر هناك تحتفظ بانتمائها ليافع على الرغم من القرون العديدة التي مرت على تلك الهجرات. ومثلت الهجرة إلى حضرموت بفعل عوامل عدة لاسيما الدينية والعسكرية أكثر المناطق الجنوبية التي جذبت أبناء يافع.

وأخذت الهجرات اليافعية إلى المناطق الأخرى أشكالًا عدة، فهناك هجرات فردية وهناك موجات نزوح وهجرات جماعية، وشكل الالتحاق في جيوش الدول التي ظهرت في اليمن أو تلك التي أتت إليه من الخارج أو في عهد الفتوحات الإسلامية واحدة من حالات تلك الهجرات التي كانت تشهدها يافع، وفضلًا عن حاجة سكان يافع لمعالجة الفائض السكاني من خلال الالتحاق بجيوش تلك الدول، فقد كانت الصفات الشخصية التي تميز بها رجال يافع مثل الخشونة والقوة، التي أسهمت بها ظروف بيئتهم الطبيعية الوعرة والقاسية، قد جعلت الكثير من الدول التي كانت تظهر في الإقليم تفضل الاعتماد عليهم.

وعلى أي حال لم تكن الظروف التي رافقت تلك الهجرات سهلة، فقد واجه المهاجرون الكثير من المصاعب والمتاعب في مهاجرهم، ودخلوا في صراعات وأحيانًا

في قتال مع منافسيهم وخصومهم في المهجر، فالصراع الذي حدث بعيد الفتوحات بين القبائل العربية التي استقرت في بلدان الفتح لاسيما في الشام ومصر لم يسلم منه المهاجرون من يافع. كما دخل اليافعيون الذين اتجهوا إلى حضرموت لطرد عساكر الدولة القاسمية الزيدية في نزاع مسلح طويل مع خصومهم في حضرموت في مرحلة ما عرف بدويلات المدن المتصارعة، وحتى فيما بينهم البين، إذ أخذت العصبية القبلية لهؤلاء العسكر تلقي بظلالها على ذلك النزاع وتدفع بكل أبناء قبيلة للتجمع بمنطقة أو مدينة محددة.

والصراع بين أبناء يافع في بلدان المهجر لم يقتصر على ذلك النزاع الذي حدث بينهم في حضرموت، فقبلها دخل أبناء قبيلة كلد وقبيلة آل أحمد في صراع مرير على النفوذ في عدن استمر عدة سنوات وانتهى بتحالف أبناء قبيلة آل أحمد مع الدولة الطاهرية الصاعدة التي تمكنت من السيطرة على عدن وطرد أبناء كلد منها إلى مناطق هجرة جديدة ومنها الشحر في حضرموت التي حاولوا منها العودة مجددًا إلى عدن عبر تشجيعهم لحاكم الشحر أبو دجانة غزوها.

الهجرات اليافعية القديمة إلى حضرموت
(يافع التَّلَد)

أ.د. محمد عبدالله بن هاوي باوزير
أستاذ التاريخ القديم / كلية الآداب
جامعة عدن

الملخص:

إن اتصال يافع وحضرموت وعلاقتهما موغلة منذ القدم. وإن وجود علاقات قديمة وراسخة بينهما يحتم علينا أن نتتبع جذور هذه العلاقات الضاربة في أعماق التاريخ، والتي تعكس مدى عمق التواصل الأخوي بينهم. وليس غريبًا بعد ذلك أن نتحدث عن تحقيق درجات أسمى من الترابط، والتمازج والتآخي بين يافع وحضرموت. ولهذا فالهدف من وراء هذه الدراسة هو تتبع تلك العلاقات القديمة زمنيًّا من خلال المصادر الكتابية المتاحة لنا، وكذا المصادر الشفهية.

وعلى هذا الأساس سيلقي البحث الضوء على القبائل المنتسبة لحمير (حمير: نوع من عهد أو ميثاق أو حلف بين جماعات)، منها قبائل يافع، وصلة هذه القبائل بأرض حضرموت منذ القدم لاسيما في فترة امتداد سلطة الدولة الحميرية قبيل الإسلام على هذه النواحي، وذلك عندما قامت السلطات الحميرية على امتداد الخطوط التجارية التي كانت دولية آنذاك (تجارة البخور والتوابل) لغرض تأمينها وحراستها وتموينها.

وهكذا حلت يافع مع بعض القبائل المنتمية لحمير في أرض حضرموت. أيضًا سيتطرق البحث لأقدم ذكر لحمير وليافع في المصادر النقشية (نقوش المسند الجنوبي)، وفي المدونات التاريخية من أجل الوصول أو لمعرفة أقدم وجود يافعي في حضرموت، ومن ثم تتبع الوفود اليافعية التي جاءت تباعًا لحضرموت قبيل الإسلام، وبعده لاسيما تلك الوفود (يافع التَّلَد).

إذن فالهدف الرئيس من هذه الدراسة هي محاولة للبحث عن أصل العلاقات الحضرمية اليافعية، بل غايتنا في هذا البحث الحصول على معلومات أوفر ترد على تساؤلاتنا حول الوجود اليافعي في حضرموت، وتمهد للدارسين والباحثين مواصلة البحث في هذا المجال، أما منهج الدراسة فقد اتبع الباحث المنهج التحليلي لدراسة هذه العلاقة المميزة والمضيئة في التاريخ الحضرمي اليافعي، وعلى ضوء ما تقدم ستشتمل الدراسة على المحاور الآتية:

- ♦ المحور الأول: البحث في أصل حمير والحميريين، وكيف ومتى أصبحوا أسيادًا على كل جنوب الجزيرة العربية.
- ♦ المحور الثاني: دراسة حمير بوصفها تجمعًا وحلفًا قبليًا سياسيًا واسعًا، وتقع يافع ضمن هذا الحلف، وسرو حمير أرضهم ونطاقهم الجغرافي، ويافع هي قلب هذا النطاق.
- ♦ المحور الثالث: حول أقدم ذكر لحمير وليافع في المصادر التاريخية لاسيما النقشية (نقوش المسند الجنوبي)، فضلًا عن أقدم اتصالٍ حميري بأرض حضرموت.
- ♦ المحور الرابع: وهو المهم، حول أقدم الوفود اليافعية القادمة لحضرموت (يافع التَّلَد)، وإلقاء الضوء على مصطلح (التَّلَد)، ومتى كان قدومها، وكيفية اندماجها في المجتمع الحضرمي حتى أصبحت جزءًا أصيلًا منه.

كل ما تقدم يقودنا إلى عديد من التساؤلات أهمها:

من هم الحميريون؟ وأين تقع أراضيهم؟ وكيف أصبحوا أسيادًا على كل جنوب الجزيرة العربية؟

إن تاريخ حمير جزء مضيئ ومهم من تاريخ العربية الجنوبية (اليمن القديم)، وقد حظي باهتمام الإخباريين والمؤرخين القدامى، فنال النصيب الأوفر في مؤلفاتهم، ولو أن بعض تلك الأخبار والروايات ذات طابع أسطوري، امتزج فيها الواقع بالخرافة

والخيال، ورغم ذلك أعطت هذه الأخبار الملحمية اهتمامًا كبيرًا بتاريخ اليمن القديم، وقد نال فيها تاريخ حمير والتبابعة الحميريون النصيب الأول - ولا مجال هنا للحديث عن ذلك.

أما بالنسبة لتاريخ بني حمير لدى الباحثين والمؤرخين المحدثين، فهو بعيد عن الأسطورة والخيال؛ لاستنادهم على معطيات البحوث الأثرية، ونصوص المسند الجنوبي (النقوش)، ونحن هنا في بحثنا هذا بصدد هذه المصادر والمراجع، وستكون مصدر معلوماتنا عن بني حمير، فالملاحظ من خلال نقوش المسند أن اسم حمير قد تكرر كثيرًا فيها، إذًا فماذا عن حمير، وأقدم ذكر لها؟ وعند العودة إلى أصل اللفظة حمير في النقوش بلفظة (ح م ي رم)، وفي المعجم السبئي بلفظة (ح م ر م) التي تعني عهد أو ميثاق أو حلف قبلي سياسي.

أما أقدم نقش يذكر حمير فيعود إلى القرن الأول الميلادي والنقش لمكرَب حضرمي، وقد سجل على سور كبير اسمه (ق ل ت) (قلت) بني لصد هجمات قبائل حمير على حضرموت. وحمير لم تظهر في النقوش كقبيلة واحدة، بل كحلف أو تجمع قبلي سياسي لعدد من القبائل والجماعات، فكانت تُذكر كشعب أو شعوب - ومعنى شعب في لغة نقوش المسند قبيلة من الحضر في بلدة أو ناحية أو مجموعة من فئات، فتكرر ذكر حمير مقترنًا بلفظة شعب أو أشعب (أ ش ع ب / ح م ي ر م).

وبالنسبة لأقدم ذِكر لحمير في النصوص التاريخية القديمة فقد ورد ذِكرها في المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) فوردت عند بلينيوس في كتابة التاريخ الطبيعي معلومات عن حمير، وكذا عند مؤرخ الحملة الرومانية على اليمن القديم حوالي 24 ق. م إسترابون وقال: «أن الحميريين كانوا أكثر القبائل عددًا».

وماذا عن أقدم ذِكر ليافع في نقوش المسند؟

يتضح مما تقدم أن بني حمير أو اتحاد قبائل حمير(كانوا قبل ذلك يدورون في فلك مملكة قتبان)، ثم انفصلوا عنها واستقلوا بمناطقهم تقريبًا في نهاية القرن الثاني أو أوائل

القرن الأول قبل الميلاد، مكونين حلفًا قبليًّا سياسيًّا مستقلًّا. وأن أرضهم أو نطاقهم الجغرافي هو(سرو حمير)، وحدده الهمداني كما يأتي: «العُر وثمر وحَبَه وعَلَّه وحَطيب ويَهَر وذو ناخِب جبل، وذو ثاوب وسَلَفَة وشَعْب وعُـر ميحان وسُلُّب والعَرِقة ومدورة والمجزعة «وغيرها من قرى ومساكن يافع.

ويمكننا تحديد أرض حمير أو (سرو حمير)، وهي الواقعة غربي مملكة قتبان، وجنوب أرض سبأ، أما قلب سرو حمير فهي بلاد يافع، واسمها القديم (د هـ س) (د هـ س م)، وقد ورد ذكرها في النقوش، فجاء في نقش الملك السبئي (كرب إل وتر) الموسوم بـ (GIaser 1000) و (RES 3945)، وذلك في فترة حكمه الذي يعود إلى القرن السابع ق. م.

واحتوى النقش على حروب الملك وحملاته على أراضي مملكة أوسان، وغيرها من المناطق في القرن السابع ق.م، أما الحملة على (د هـ س) (د هـ س م)؛ أي: يافع فقد ذكرها في السطرين السابع والثامن من النقش:

(ويوم هاجم دهسم وتبنى وقتل من أهلها ألفين، وأسر منهم خمسة آلاف وأحرق مدنهم.. (تلف في النقش) ووهب دهسم وتبنى ودثنت (دثينة) للإله المقه ولسبأ (أي للدولة)، وسلَم (عودم) لملك دهسم..) هكذا جاء ذكر دهسم (يافع – سرو حمير) في نقش الملك السبئي، ولعل ذلك هو أقدم ذكر ليافع في التاريخ (في القرن السابع ق.م).

أقدم أتصال حميري يافعي بأرض حضرموت:

يُبرز لنا التاريخ في جنوب الجزيرة العربية نشأة عدة كيانات سياسية (الممالك العربية الجنوبية) في فترات متداخلة ومتعاقبة (قبل بداية التاريخ الميلادي) والممالك هي: أوسان ومعين، وقتبان، وسبأ، وحضرموت، وبحكم تقارب مناطق نفوذها وتداخلها أحيانًا كانت تتحالف تارة، وتتنازع تارة أخرى وهكذا بدأت تتلاشى الواحدة تلو الأخرى، حتى خضعت كلها تحت لواء آخر الممالك القديمة – مملكة حمير.

ونظرًا لموقع الممالك العربية الجنوبية، وآخرها حمير، ووقوعها المتوسط بين دول العالم القديم، وقربها الشديد من الهند وأفريقيا الغنية بالمنتجات المرغوبة–

آنذاك- في بلدان الحضارات القديمة المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي أعطى هذه البلاد حق الاحتكار لتجارة الهند وشرق إفريقيا وبلاد العرب الجنوبية من سلع مقدسة ونقدية، كالبخور والطيوب، وكذا التوابل والمنسوجات وغيرها من السلع، وهذا أعطاها حق التحكُّم في حلقة الاتصال بين بلاد العرب الجنوبية في ظل الحكم الحميري، ومراكز الحضارات القديمة، والقيام بدور الوسيط التجاري لنقل تلك السلع من البلاد العربية الجنوبية، لاسيما حضرموت موطن اللبان والبخور، ولا شك أن الطرق التجارية البرية والبحرية التي كانت دولية - آنذاك - بحاجة إلى تأمينها وحراستها وتموينها، وأن ذلك كان على عاتق الدولة الحميرية خاصة، وأن سلطتها (قبيل الإسلام) كانت قد امتدت إلى هذه النواحي (حضرموت)، لذلك قامت السلطات الحميرية بتعيين بعض القبائل الحميرية على امتداد تلك الخطوط التجارية، ومنذ ذلك الوقت حلت حمير بأرض حضرموت.

أما يافع، وهي من القبائل المنتمية لحمير فلعل أقدامها وطئت أرض حضرموت مع تلك القبائل الحميرية القادمة لتأمين الطرق التجارية من وإلى حضرموت، وذلك قبيل الإسلام. وفي (نظرنا) يبدو أن العنصر اليافعي كان يشكل العنصر الأغلب والأكبر في تلك القبائل الحميرية التي قدمت إلى حضرموت؛ إذ يبدو أن أقدم وجودٍ يافعيٍّ في حضرموت كان منذ ذلك الزمن (قبيل الإسلام).

الوفود اليافعية القادمة إلى حضرموت:

يافع التَّلَد:

قبل الحديث عن يافع التَّلَد الموجودين في حضرموت سنعطي لمحة موجزة عن مصطلح (التَّلَد) الذي استخدمه كتَّاب التاريخ الحضرمي. فمصطلح التَّلَد في (اللغة العربية) ومعاجمها هو:

تلد: وهو الإقامة، تلِدَ في المكان: أقام فيه، وتَلِدَ بمكان: وُجد فيه من زمن قديم. ويقال تلد في أرض كذا وتلد في بني فلان إذا أقام فيهم - لزمه فلم يبرحه.

وتَلد–التالد: المال القديم الأصلي، وقيل التلاد كل مال قديم من حيوان وغيره يورّث عن الآباء. وقيل التليدة، وهي التي وُلدت ببلاد العجم وحُملت فنشأت ببلاد العرب، أما التَّلَد المذكورة في بحثنا يقصد به الكتّاب الحضارم المولودين في حضرموت من أبوين مولودين بحضرموت، ويقابلها مصطلح (الغربة) أي الغرباء، وهم اليوافع القادمين لاحقًا بعد يوافع التَّلَد؛ أي القادمون من جبال يافع في عهد السلاطين الحضارم آل كثير.

وفي ظل سلطة الدولة الحميرية، على امتداد كل أراضي بلاد العرب الجنوبية حتى حضرموت في فترات قبيل الإسلام، كانت بعض القبائل الحميرية، ومن ضمنها يافع موجودة في حضرموت، لغرض تأمين الطرق التجارية التي كانت دولية آنذاك (تجارة البخور والتوابل). وبهذا الصدد يقول الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف: «إن عناصر من قبيلة يافع (التَّلَد) لم تكن غريبة عن حضرموت، وذلك بحكم كونها مقيمة بحضرموت منذ عهد الدولة الحميرية الثانية، وكانت يافع التَّلَد منذ قدومهم الأول إلى حضرموت يعدون في نظر الحضارم، قبيلة لها مالهم وعليها ما عليهم، ومنذ استقرارهم في أرض حضرموت كانوا يبرمون معاهدات التحالف، وحسن الجوار مع القبائل المجاورة لمنطقتهم (القَطْن) سعيًا منهم لتحقيق التعايش السلمي مع جيرانهم».

وإلى جانب قدوم الكثير من العناصر اليافعية لغرض حماية الطرق التجارية أواخر العهد الحميري، أيضًا خرجت أسر يافعية على شكل أفراد وجماعات، إما للتجارة وإما بحثًا عن مواطن طلب الرزق، وإما هروبًا من الثأر، ويندرج هؤلاء أيضًا تحت تسمية (يافع التَّلَد). ولعل من هذه الوفود تلك العائلات التي تنسب أصولها إلى يافع كآل بامعس، وآل باجبع، وآل الجريدي، وبوزيدان وغيرهم وكل هؤلاء قبائل قديمة موغلة في القدم.

وهكذا تعاقبت على حضرموت الكثير من الوفود اليافعية ومنها: وفد كلد في حوالي 858هـ / 1432م الذي لجأ إلى الشحر بقيادة الشيخ النقيب مبارك الثابتي الكلدي

مستنجدًا بأمير الشحر محمد بن سعيد الكندي (أبو دجانة) إثر الخلاف بين كلد وبني عمومتهم آل أحمد في عدن المدعومين من الدولة الطاهرية.

ولم يستطع الملوك الرسوليون في نهاية عهدهم وضع حدًّا للنزاع الذي كانت تشهده عدن بين قبيلتي كلد وآل أحمد من يافع، فعندما حاول الملك المسعود التدخل لفض القتال بينهما لم يكترث به أي طرف من الطرفين، والأكثر من ذلك أنهم رموه بالحجارة وقتلوا بعضًا من الذي كانوا يرافقونه، فاضطر أمام ذلك الوضع الذي كانت تعيشه عدن إلى مغادرتها، والتخلي عن سلطته عليها، ثم وصل إليها في وقت لاحق المؤيد الذي كان متحمسًا للسيطرة عليها، غير أن قبيلة آل أحمد التي تخوفت من انحيازه إلى كلد، راسلت الطاهريين الذين لمع نجمهم بعد ضعف الرسوليين، وعرضت عليهم المساعدة في السيطرة على عدن نظير أن يطردوا منها آل كلد، فوافق مشائخ بني طاهر على ذلك وجهزوا قوة عسكرية كان في مقدمتها: عامر، وعبد الوهاب أبناء علي بن طاهر، فوصلا إلى أسوار عدن ومدهم آل أحمد بالحبال التي مكنت عدد من رجالهما من اجتياز سور المدينة، ومن ثم فتح أبوابها لدخول باقي الجيش والسيطرة عليها. وقد نادي فيها المنادي بالأمان لكل سكان المدينة باستثناء كلد الذين منحوا مهلة ثلاثة أيامٍ لمغادرتها وإلا سفكت دماؤهم، فما كان أمام آل كلد من خيار آخر غير ترك عدن، فذهب بعضهم إلى زيلع، وبعضهم إلى مقديشو والهند، وبعضهم الآخر ذهب إلى حضرموت لاسيما الشحر ومنهم النقيب مبارك الثابتي.

وفي الوقت الذي وضع فيه التدخل الطاهري حدًا للنزاع المرير الذين شهدته عدن بين كلد وآل أحمد، فقد أسس لحالة من العلاقات المتوترة ليس بين الطاهرين وكلد فحسب، بل مع الكثير من قبائل يافع. فالنقيب الثابتي الذي استقر في الشحر بحضرموت لم ينس للطاهرين طرده من عدن، فعمل كل ما في وسعه، بحسب تأكيد بعض المصادر، لإقناع حاكم الشحر (أبو دجانة) بالهجوم على عدن والسيطرة عليها، وتحمس حاكم الشحر للسيطرة على عدن وجهز قوة من آل يافع الذين هربوا من عدن

ومن رجال حضرموت، غير أنَّ الحملة التي جرَّدها حاكم الشحر في سنة 861هـ/ 1456م على عدن، والتي اعتمد فيها بصورة رئيسة على مساعدة نقباء كلد الذين طردوا منها، اعترضتها عند أسوار عدن مفاجآتٌ كثيرةٌ، أهما سوء الأحوال الجوية التي حطمت العديد من مراكبها على ساحل «المكسر» خور مكسر حاليًا، وكذلك سرعة وصول الجيش الطاهري الذي أرسله الملك الظافر للدفاع عن أبواب المدينة. ولتلك الأسباب فشلت الحملة في تحقيق هدفها، وانتهت بقتل النقيب «الثابتي» وأسر «أبو دجانه».

وهكذا استمر توافدهم جماعات وأفرادًا بحسب حاجة السلطات الحضرمية لمقاتلين، ولما كان السلطان بدر بن عبدالله الكثيري (أبو طويرق) (ت 976هـ) حريصًا أن يكون جيشه خليطًا من أجناس وقبائل متفرقة؛ استقدم جنودًا من يافع إلى جانب الزيود والأتراك، وفي سنة 925هـ تحالف مع قبائل يافعية وعقد معها حلف المخوة، فأمدته يافع بحوالي خمسة آلاف مقاتل. وفي سنة 1117هـ شهدت حضرموت قدوم أكبر الوفود اليافعية (الغرُبَة)، وذلك على خلفية الاتفاق المبرم بين السلاطين في (العـر) في الثاني من شوال سنة 1104هـ لنجدة السلطان بدر بن محمد المردوف الكثيري ضد منافسيه من الأسرة الكثيرية والمد الزيدي، وجاءت القبائل اليافعية بقيادة السلطان عمر بن صالح بن هرهرة لنصرة إخوانهم في حضرموت ضد الوجود الزيدي، وبالفعل تم إخراج الزيود من حضرموت، واستقرت الأحوال فيها لصالح بدر (المردوف)، ومن ثم عاد السلطان عمر بن هرهرة إلى يافع بمن رغب في العودة؛ وذلك سنة 1119هـ، وتخلف الكثير أو الأغلبية من أبناء يافع وفضلوا البقاء والعيش في حضرموت.

وهكذا توالت الوفود اليافعية إلى حضرموت وبأعداد كبيرة، لذلك يرى الكثير من المؤرخين الحضارمة أن البدايات الأولى للاستيطان اليافعي في حضرموت تعود إلى عهد السلاطين آل كثير كبدر أبي طويرق (ت 977هـ) وخَلفه؛ حيث شهدت الساحة الحضرمية صراعًا سياسيًّا وعسكريًّا طويلًا، ومتعدد الجبهات، بل ظهر في هذا الصراع

طرفان من خارج حضرموت هما: الزيود وقبائل يافع كما سبق الإشارة، إلا أن الوجود اليافعي كان كبيرًا لنجدة إخوانهم الحضارمة من الوجود الزيدي.

ويبدو أن هذا الاندفاع اليافعي في عهد السلاطين آل كثير للعمل العسكري في حضرموت، يعد من أكبر الهجرات الداخلية في جنوب اليمن في العصر الحديث.

وأمام استمرار الاندفاع اليافعي في ظل استمرار الصراعات في الساحة الحضرمية، وفي ظل الانقسامات المستعصية في صفوف الكثيرين اختفت الدولة الكثيرية الأولى، وأصبحت حضرموت في يد عشائر يافع الذين كوَّنوا لهم سلطات متعددة في حضرموت، وبهذا حصلوا على قدم راسخة فيها، ومن أشهر حكومات الطوائف اليافعية، الإمارة الكسادية في المكلا، والإمارة البريكية في الشحر، وأخيرًا القعيطيون (وهم بطن من يافع) استوطنوا منطقة لحروم بوادي عمد، وجهودهم الأولى في إقامة إمارة لهم، ومن ثم إقامة الدولة القعيطية في حضرموت بزعامة أحد أعمدة الأسرة الجمعدار عمر بن عوض القعيطي.

وشهدت حضرموت في عهد السلطنة القعيطية قدوم الكثير من أبناء يافع، لالتحاقهم بالجيش النظامي، والشرطة المسلحة للدولة القعيطية، ولكن هذا لم يكن النزوح الأخير لحضرموت بل استمر التواصل بين يافع وحضرموت بتوافد أفراد وأعداد وجماعات وأسر في المراحل جميعها التي تلت هذه المرحلة القعيطية حتى اليوم ولأسباب متعددة.

كل ما تقدم يقودنا لضرورة الإشارة إلى التركيبة الاجتماعية للمجتمع الحضرمي، وقبائل يافع من ضمن شرائح هذا المجتمع الحضرمي، ولعلنا نعرض هنا لأهم شرائح المجتمع كنظام مراتبي بحضرموت وأبرزها:

♦ **السادة:**

المعروف أن نسب السادة يتصل بالرسول ﷺ من زواج ابنته فاطمة بعلي بن أبي طالب، ولقب السيد الشريف كان يطلق في بداية العصر الإسلامي على كل من كان

من أهل البيت سواءً كان حسنيًا أم حسينيًا أم علويًا. وأغلب السادة في حضرموت هم من الحسينيين، ويطلق على سادة حضرموت لقب (الحبيب)، لاسيما العالم والمسن والزعيم. ويرجع وجود السادة وانتشارهم بحضرموت إلى أحمد بن عيسى المهاجر، الذي قدم من البصرة إلى حضرموت سنة 318هـ / 930م.

♦ **المشايخ:**

وهم جماعات وأقوام أو قبائل مختلفة الأصول، كثيرة الفروع ويشكلون نسبة كبيرة في المجتمع الحضرمي، وينتشرون في كل أنحاء التراب الحضرمي، فآل العمودي وآل باسودان يقطنون دوعن، وآل إسحاق أسفل شبام، وآل باوزير في غيل باوزير ومناطق أخرى، وآل الخطيب وآل باعباد وآل باحنان وآل باشراحيل وآل باجمال وآل بافضل، وهناك الكثير من أسر المشايخ.

♦ **القبائل:**

القبيلة هي الوحدة الاجتماعية لمجتمع جنوب الجزيرة العربية، وسبب وجود ظاهرة القبيلة هو أن طبيعة جنوب الجزيرة العربية بأقسامها المختلفة لا تحتمل وجود جماعات بشرية تمتد لمسافات طويلة. وحضرموت كبقية مناطق جنوب الجزيرة العربية ظلت الحياة الاجتماعية تدور حول القبيلة بوصفها الوحدة الاجتماعية التي دارت حولها العلاقات الاجتماعية والاقتصادية كافة، وتتعدد القبائل التي يحكمها نظام عشائري عتيق ومتعارف عليه، فكانت (المشيخة القبلية) أو (التقدمة) على القبيلة التي يقال لصاحبها (المقدَم).

وفي العرف القبلي، القبائل هم حملة السلاح، وقد كان لهم دور كبير في حياة المجتمع الحضرمي؛ أي: أن تركيبة القبائل كانت هي البارزة لاسيما في ساحة الأحداث السياسية والعسكرية، وتوجد العديد من القبائل في كل أنحاء حضرموت، ولعل أبرزهم: قبيلة نهد، والقبائل الشنفرية، وقبائل بني ظنه، وسيبان، ونوّح، والجعدة، والحموم، والديني وغيرهم.

أما يافع حضرموت فهي جزء لا يتجزأ من مجموع القبائل الحضرمية التي تشكل التركيبة للمجتمع الحضرمي، فهي كغيرها من القبائل الحميرية والكندية، ونهد ومن ينتسبون إلى حضرموت القبيلة، أو حضرموت البلد، وهم جزء من نسيج هذا المجتمع الحضرمي، وهذا يؤكد أن العشائر أو القبائل اليافعية التي توافدت على حضرموت منذ القدم وحتى اليوم قد ذابت في المجتمع الحضرمي وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من نسيجه الاجتماعي.

♦ **الحضر والقرويون وغيرهم من الفئات الأخرى:**

وهم خليط من الناس ومن بعض القبائل المتحضرة التي تركت السلاح، وامتهنت التجارة والزراعة والصيد وبعض الحرف اليدوية وغيرها من المهن.

المصادر والمراجع

1. المصادر النقشية:

الربتوار - مدونة النقوش السامية RES:

مجموعة نقوش البلجيكي إلبرت جام Ja:

2. بافقيه، محمد عبدالقادر: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1971م.
3. بافقيه، محمد عبدالقادر وآخرون: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985 م.
4. بامطرف، محمد عبدالقادر: في سبيل الحكم، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1974م.
5. بامطرف، محمد عبدالقادر: الشهداء السبعة، ط2، دار الهمداني للنشر، عدن، 1983م.
6. باوزير، سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الوفاق - عدن، ط3، 2012 م.
7. باوزير، محمد بن هاوي: كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها، ط1، دار الوفاق، عدن، 2014م.
8. البكري، صلاح: في شرق اليمن (يافع) طبعة جديدة ومنقحة عن الأصل طبعة 1955م، تقديم وإخراج علي صالح الخلاقي، طبع في العربية السعودية.
9. بيستون، أ.ف.ل وآخرون: المعجم السبئي، دار نشريات بيترز، لوفان، ومكتبة لبنان - بيروت، 1982م.
10. الجرو، أسمهان سعيد: التاريخ السياسي القديم لجنوب شبة الجزيرة العربية (اليمن القديم)، ط1، دار جامعة عدن، 2002م.

11. الجعيدي، عبدالله سعيد: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية (1918-1945)، ط1، دار الوفاق - عدن، 2010م.
12. ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني: الفضل المزيد على بغية المستفيد، تحقيق يوسف سلحد، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث، بيروت، دار العودة، 1983م.
13. الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس، دار الهدية.
14. سالم، سيد مصطفى: تكوين اليمن الحديث، ط2، دار القومية العربية، القاهرة، 1971م.
15. الشاطري، أحمد بن عمر: أدوار التاريخ الحضرمي، جدة، ط2، 1983م.
16. الموسطي، طارق سالم وآخرون: يافع في حضرموت، مج8 من الموسوعة اليافعية، ج12، دار الوفاق - عدن، ط1، 2015 م.
17. عبدالله، يوسف محمد: حمير بين الخبر والأثر، مجلة دراسات يمنية، العدد (42)، صنعاء، 1995 م.
18. عكاشة، محمد عبدالكريم: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (1839 - 1918م)، دار ابن رشد للنشر، عمان - الأردن، ط1، 1985م.
19. العمري، حسين عبدالله، وآخرون: في صفة بلاد اليمن عبر العصور، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.
20. العواضي، حميد وعبداللطيف الأدهم: بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية، ط1، صنعاء، 2001م.
21. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، بيروت.
22. القعيطي، غالب بن عوض: تأملات عن تاريخ حضرموت، جدة، 1996م.
23. محيرز، عبدالله: العقبة، مؤسسة 14 أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر، عدن.
24. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1، د.ت.

25. الناخبي، عبدالله أحمد: الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 1999م.
26. الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء، ط1، 1990م.

أثر الفتوحات الإسلاميَّة في الهجرة اليافعيَّة في القرن الأول الهجريّ

د. سالم عبد الرب السَّلفي

المقدمة:

بعد أن استقرت أركان الدولة الإسلامية الأولى، في أعقاب حروب الردَّة التي خاضها الخليفة الراشد الثاني أبو بكر الصديق (رض)؛ بدأ اهتمام الخلافة في نشر الإسلام وتوسيع رقعته خارج شبه الجزيرة العربية، فبدأ عصر الفتوحات الإسلامية، ففتحت الشام والعراق، ثم فارس ومصر، وكان التوغل في الفتح شرقا حتى الصين، وغربا حتى فرنسة.

وكان للقبائل اليمنية، بفروعها المختلفة، مشاركة فاعلة وحاسمة في هذه الفتوحات؛ من ذلك قبيلة يافع التي شاركت في هذه الفتوحات منفردة، أو ضمن أطرها القبلية الكبرى (رُعَيْن وحِمْيَر) التي كان لها حضور مميَّز في هذه الفتوحات، ولا سيما في فتوح الشام ومصر، ومن ثم أفريقية والمغرب، وصولا إلى الأندلس.

ويسعى هذا البحث إلى رصد هذه المشاركة، وبيان أثرها في هجرة اليافعيين من موطنهم الأصليِّ إلى مستوطناتهم الجديدة في البلدان التي شاركوا في فتحها.

وعلى هذا الأساس قسم البحث على تمهيد ومبحثين، الأوَّل مشاركة يافع في الفتوحات الإسلاميَّة، والثاني: الفتوحات الإسلاميَّة والهجرة، وهذا الأخير ينقسم إلى أربعة مطالب هي: هجرة يافع إلى الشام في الفتوحات الإسلاميَّة، هجرة يافع إلى مصر في الفتوحات الإسلاميَّة، هجرة يافع إلى المغرب في الفتوحات الإسلاميَّة، هجرة يافع إلى الأندلس في الفتوحات الإسلاميَّة.

ويعد هذا البحث امتدادًا لبحثي السابق «يافع في مصر» الذي نُشر ابتداء في العدد الثاني من مجلة «تواصل» الصادرة عن السفارة اليمنية بالقاهرة (2007م)، ثم أعدتُ

نشره مع زيادات جديدة مزوَّدًا بالمراجع والخرائط في كتابي «يافع في مصر ودراسات أخرى» (2010م). وقد كان التسليط على يافع في مصر لأن حضورها فيها في حقبة الفتوحات الإسلاميَّة كان أوضح من أي حضور لها في مكان آخر، وهو ما سينعكس في المساحة الكبيرة التي يشغلها الحديث عن يافع في مصر في هذا البحث.

وربما كانت إحدى الصعوبات التي يواجهها الباحث في هذا الشأن شحة المعلومات، ما تطلب الرجوع إلى عدد كبير من المصادر، ومن هنا طالت قائمة المصادر والمراجع في بحثنا هذا. كما أن تصحيف اسم يافع إلى نافع خاصة وشافع وتابع وباقع ويانع وغيرها من أشكال التصحيف الممكنة، مثَّل صعوبة أخرى أدَّت إلى مزيد من البحث والتقصي والمقارنة للخروج من هذه البلبلة التي وقع فيها عدد من الكتَّاب والدارسين.

وظهرت صعوبة ثالثة تمثَّلت في التحام يافع الشديد ببطنها الأكبر (رعين) وقبيلتها الأكبر (حمير) في حقبة الفتوحات الإسلامية، ما جعلنا نفترض أن بعض الرعينيين والحميريين في مصر والمغرب والأندلس ممن لم تذكر أنسابهم الفرعيَّة، يمكن أن يكونوا ممن ينسب إلى يافع لكن غلب عليهم اسم البطن أو القبيلة الأكبر، بدليل أن بعض اليافعيين في مصر كان يتسمَّى باليافعي تارة وبالرعيني تارة أخرى، ومنهم من كان يتسمى باليافعي تارة وبالحميري تارة أخرى. وهذا ما يفسر حديثنا المستمر في هذا البحث عن حمير ورعين كلَّما أردنا أن نمهِّد للحديث عن يافع.

وفي الأخير، نسأل الله التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد:

يافع قبيلة عربية قحطانية عريقة، تقطن في وسط الركن الجنوبي الغربي للجزيرة العربية، في الموطن القديم للحميريين، وهي منطقة جبلية شديدة الوعورة ومن ثم الحصانة والانغلاق. تتوزع الأجزاء الأكبر منها، في التقسيم الإداري الحالي، على محافظتي لحج (في مديريات لبعوس والحد والمفلحي ويهر) وأبين (في مديريات رصد وسرار وسباح وأجزاء من مديرية خنفر).

ويتصل نسب يافع إلى رعين[1] التي هي بطن من حمير، على الرغم من اختلاف النسابين في الأسماء المؤدية إلى رعين؛ فعند الهمداني تنسب إلى يافع بن قاول بن زيد بن ناعتة بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يَرِيم بن ذي رُعَيْن الأكبر[2]، وعند الكَلْبي إلى يافع بن شراحبيل بن يريم (وهو رعين) بن زيد[3]، وعند السَّمْعاني إلى يافع بن زيد بن مالك بن زيد بن رُعَيْن[4].

وقد وردت يافع في كثير من الكتب بوصفها بطنًا من رُعين تارة، وبطنًا من حِمْير تارة أخرى؛ ولا خلاف في ذلك؛ لأن رُعينًا بطن من حِمْير. وقد كان اليافعي يتسمى بالرعيني وبالحميري من دون إشكال؛ وقد التفت ابن الأثير إلى ذلك قائلا: «وليس بين قولهم يافعي وحِمْيري اختلاف؛ فإن يافعًا بطن من حِمْير»[5].

وهذا الأمر هو ما يجعلنا نفترض بأن بعض من عُرف باسم الحميري أو الرعيني من دون تحديد القبيلة الفرعية، قد يكون من يافع، من دون قطع في ذلك؛ لأنه ربما كان من فرع آخر من فروع حمير أو رعين. وتزداد نسبة الاعتقاد هذه فيمن عُرف باسم الرعيني، ثم تزداد أكثر فيمن عُرف باسم الرعيني من أولئك الذين استوطنوا مصر والمغرب والأندلس.

وقد دخلت قبيلة يافع في الإسلام في وقت مبكر، ووفد من رجالها جماعة إلى النبي (ص) في السنتين التاسعة والعاشرة للهجرة؛ فكان لهم شرف الصحبة. وبعض هؤلاء الوافدين عاد إلى يافع للتعريف بالدين الجديد، والظاهر أن منهم من كانت له مكانة رفيعة في يافع، ما ساعد في انتشار الإسلام فيها.

---

(1) يقول اليافعي في مرآة الجنان (3/ 354) وهو في صدد الحديث عن ذي رعين: «وهذا جد قبائل اليمن، نُسب إليه خلق كثير، ومن جملتهم يافع جد قبيلتنا الكبيرة الشهيرة».

(2) الإكليل: 2/ 335، 343.

(3) نسب معد واليمن الكبير: 2/ 278.

(4) الأنساب: 5/ 675.

(5) أسد الغابة: 2/ 624.

وقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم أسماء بعض هؤلاء الوافدين، الذين سيكون لهم شأن في الفتوحات الإسلامية ولا سيَّما فتح مصر؛ منهم: مبرح بن شهاب الذي وفد على النبي (ص) في أربعة نفر من رُعَيْن[1]، وشريح بن أبرهة الذي وفد على النبي (ص) وبايعه: «لا إياب ولا انقلاب»[2]، وعمرو بن شعواء[3].

ومن تاريخ هذه الوفادات يظهر أن جلَّ الوافدين كانوا زعماء قبليين، ونحن نرجح أن مبرح بن شهاب كان زعيمًا في قومه يافع، والظاهر أن زملاءه في وفد رعين كانوا زعماء كذلك؛ بدليل أنهم كانوا يمثلون فروعا أخرى من رعين، فعبد الله بن شُفَيّ الرعيني كان من فرع العَبَل من رعين، والحارث بن تُبَيْع كان من فرع مُدِلّ من رعين. والعبل ومدل دخلتا في مصر في إطار قبيلة حَجْر رعين التي تمثل الضالعُ وما حولها موطنَها القديم[4].

وهذه الزعامة مكَّنت مبرِّحًا من التأثير في قبيلته يافع للدخول في الإسلام، ومن ثم شحذ همم أبنائها للمشاركة في الفتوحات الإسلامية. ونحن نجد صورة مماثلة لذلك في خروج الملك ذي الكلاع الحميري نفسه وقيادته لقبيلته في الفتوحات الإسلامية، دون أن يفكر في أن يبعث ممثلا له في حين يبقى هو في وطنه[5].

وهكذا، تهيأت يافع ماديًّا ومعنويًّا للمشاركة في الفتوحات الإسلامية؛ لهدف ديني في المقام الأول، ولا يستبعد أن يكون العامل الاقتصادي دافعًا آخر إلى المشاركة في الفتوحات الإسلامية.

---

(1) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 427، أسد الغابة: 5/ 52. الثلاثة الباقون هم: عبد الله بن شفي العبلي الرعيني، والحارث بن تبيع المدلي الرعيني، وعامر بن الحارث، الذين ذكر ابن يونس (1/ 271) أن معاذ بن جبل وفّدهم مع مبرح بن شهاب اليافعي إلى (ذي هَقْرَيْن).

(2) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 233، أسد الغابة: 2/ 624.

(3) انظر: أسد الغابة: 4/ 217.

(4) انظر كتابنا الألكتروني: حجر رعين القبيلة والمكان والأعلام، ص8.

(5) انظر: فتوح الشام: 6.

المبحث الأوَّل: مشاركة يافع في الفتوحات الإسلامية:

لما استقرت الأمور لأبي بكر الصديق (رض)، بعد حروب الردَّة التي انتهت سنة 12هـ، عزم على أن يبعث جيشًا إلى الشام لقتال الروم، فاستنفر قبائل اليمن ومكة للجهاد، فاستجاب له من اليمن زهاءُ عشرين ألفًا؛ فسرَّ أبو بكر (رض) سرورًا عظيمًا، وأرسل نصفهم إلى الشام ومعظمهم من عك وحمير، وأرسل النصف الآخر إلى العراق وجلُّهم من همدان ومذحج[1].

وكانت قبيلة حمير أول قبيلة تستجيب لدعوة الخليفة الصدّيق (رض) من قبائل اليمن، وقد وصلت هذه القوة إلى المدينة في عهد الصديق، في سنة 12هـ، وكانت قوة كبيرة ومجهَّزة بعتادها الحربي، يقودها ذو الكلاع الحميري؛ ثم تلتها في الوصول إلى المدينة قبائلُ اليمن الأخرى كمذحج وطيِّئ والأزد[2].

ونحن نعتقد أن قبيلة يافع كانت ممثَّلة في هذه القوَّة ضمن قبيلة رُعين التي هي «بطن ضخم»[3] من بطون حمير. وتحركت قبيلة يافع مع قبائل رعين وحمير إلى الشام، والظاهر أن عدد المشاركين في فتوح الشام من رعين كان كبيرًا، بدليل أنهم استقلوا بمنازلهم عن إخوتهم الحميريين في دمشق، فكان لهم داخل سور دمشق موضع يقال له «منازل بني رعين» كان إلى جانب «منازل الحميريين»[4].

وأما مشاركة قبيلة حمير في فتوحات العراق وما وليها من الشرق فقد كانت محدودة، مقارنة بمشاركتها في فتوح الغرب. وقد برزت أسماء بعض المشاركين في فتوحات العراق والمشرق من مثل باب بن ذي الجِرَّة الحميري الذي شهد مع أبي موسى الأشعري (رض) مواقعه بتستر ورامهرمز[5].

---

(1) انظر: فتوح الشام: 1/ 6، اليمن الكبرى: 263.

(2) انظر: فتوح الشام: 1/ 6، 7.

(3) جمهرة أنساب العرب: 433.

(4) انظر: تاريخ دمشق: 2/ 368.

(5) انظر: الإكمال: 1/ 161.

وكانت لبطون حمير مشاركة فاعلة في فتوح مصر والمغرب ثم الأندلس؛ مثل رعين وذي أصبح والكلاع ومهرة والصدف وحضرموت وغيرها من البطون. وكانت رعين أحد أبرز بطون حمير المشاركة في هذه الجهات، وقد كانت فروع هذه القبيلة في مصر كثيرة[1] بحيث استقل بعضها في مساكنه عن رعين نفسها في خطط مصر، كما سنبيّن لاحقًا.

إلا أن اسم يافع لم يرد صراحة في فتوح الشام، وإنما برز في فتح مصر منذ أن تحرك عمرو بن العاص سنة 18هـ من فلسطين إلى مصر ليفتحها سنة 20هـ، وهو ما يتجلى في إسناد قيادة ميسرة جيش الفتح إلى مبرّح بن شهاب اليافعيّ، وهو أمر له دلالتان: الأولى أن يافع شاركت بقوَّة عسكريَّة ذات ثقل، والثانية أن يافع كانت لها رئاسة بين قبائل حمير تحديدًا، وربما يعود ذلك إلى أن أرض يافع مثَّلت المسكن القديم للحِمْيَريين قبل نزوحهم عنها إلى مواطنهم الجديدة[2].

وقد حفظت كتبُ التاريخ والتراجم أسماء بعض اليافعيين المشاركين في فتح مصر، وهم:

1. مُبَرِّح بن شهاب.
2. بِرْح بن شهاب[3].
3. شريح بن أبرهة[4].
4. عمرو بن شعواء[5].

---

(1) بلغت اثني عشر بطنًا بحسب: القبائل العربية في مصر: 73، وهي: قِتْبان، حَجْر رعين، جيشان، يافع، ثات، كُحلان، رَدْمان، العَبَل، القبض، الأضمور، ذبحان، عجلان.

(2) انظر: يافع في مصر: 12، المفصَّل: 2/ 517.

(3) تاريخ ابن يونس: 1/ 427.

(4) انظر: الاستيعاب: 2/ 259، الإكمال: 4/ 279، أسد الغابة: 2/ 624، الوافي بالوفيات: 16/ 85، الإصابة: 3/ 463، 3/ 543، حُسْن المحاضرة: 1/ 208، در السحابة: 69.

(5) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 373، الإكمال: 7/ 339، الأنساب: 5/ 676، أسد الغابة: 4/ 217، الإصابة: ترجمة رقم 5849، حُسْن المحاضرة: 1/ 224، در السحابة: 89.

5. دِرْع بن يَسْكُن.
6. ثُوَب بن شَرِيد[1].

ونحن اليوم نستطيع أن نرصد خط سير الرحلة التي وصلت بها القوة اليافعية إلى المشاركة في فتح مصر، فقد كانت البداية من يافع إلى المدينة ضمن قبائل حمير التي جاءت بعددها وعتادها سنة 12هـ تلبية لنداء الجهاد الذي أصدره الخليفة أبو بكر الصديق (رض)، ومن هناك انطلقت مع قبائل حمير إلى الشام للمشاركة في محاربة الروم ثم افتتاح المدن هناك، في الجيش الذي قاده أبو عبيدة بن الجراح (رض) لهذه المهمة، والذي كان يتكون من سبعة وأربعين ألف فارس[2].

وقد انطلق جزء من هذه القوة الحميرية مع القوة التي كان يقودها عمرو بن العاص لفتح فلسطين، وهي قوة مكونة من تسعة آلاف فارس[3]، ضمن جيش أبي عبيدة السالف الذكر. وقد كان من هذه القوة ثلاثمائة فارس من فرسان حمير عليهم ذو الكلاع الحميري، أخرجهم عمرو بن العاص في مهمة انتحارية للثأر لمقتل أحد فرسان المسلمين، وعادت القوة بعد أن أدت مهمتها بنجاح[4].

ثم تحركت مع القوة الأولى التي خرج بها عمرو بن العاص من قيسارية في فلسطين إلى العريش في مصر سنة 18هـ، بدليل أن المصادر ذكرت أن قائد ميسرة عمرو يوم دخل مصر كان مبرح بن شهاب اليافعي[5].

كان عمرو بن العاص من قادة فتوح الشام، فكانت لديه - كأي قائد عسكري - مجموعات يعتمد عليها في المهمات الخاصة، وهو ما شجعه على فتح مصر، والظاهر أن من هذه القوات تلك القوة التي شكلت ميسرة جيشه حين دخل مصر، والظاهر أنها

---

(1) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 80، تبصير المنتبه: 1/ 223، تاج العروس: مادة (ثوب).
(2) انظر: فتوح الشام: 1/ 36.
(3) انظر: فتوح الشام: 1/ 13، 15.
(4) انظر: فتوح الشام: 1/ 19، 21.
(5) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 127.

من بطون حمير[1] التي شاركت في فتوح الشام تحت قيادته، وقد أسند عمرو قيادة هذه الميسرة إلى مبرح بن شهاب اليافعي، في حين أسند قيادة الميمنة إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي «منذ توجه من قيسارية إلى أن فرغ من حربه»[2]، وقيادة المقدمة إلى شريك بن سمي الغطيفي المرادي[3]. لكن هذه القوة كانت قليلة في نظر الخليفة عمر بن الخطاب لفتح بلد كمصر؛ لذا عقد لعمرو على أربعة آلاف مقاتل - وقيل ثلاثة آلاف وخمسمائة - جلهم من قبيلة عك اليمنية، وقد شغلت غافق الثلث من عك في هذا الجيش[4].

وظلت القوة اليافعية تشارك في معارك الفتوح المختلفة لبلدان مصر كالفرما وبلبيس وأم دنين وعين شمس ثم المعركة الحاسمة في حصن بابليون. وبعد ذلك شاركت القوة التي يقودها مبرح بن شهاب اليافعي في فتح الإسكندريَّة (20-21هـ)، وقد ذكر ياقوت الحموي «أن مبرِّح بن شهاب كان مع عمرو بن العاص في فتحه للإسكندرية، فدخل من باب سليمان، وخارجة بن سليمان من البقيطا؛ فجعلا يقتتلان حتى التقيا بالقبّة، فرفعا السيف؛ فسمِّي ذلك المكان قبَّة الرحمة لذلك، وبه يعرف إلى الآن»[5].

وعندما عادت هذه القوة اليافعية من الإسكندرية إلى الفسطاط واختطت مع قبيلتها رعين، كانت لديها فرصة في الانتقال إلى الضفة الغربية ضمن الحامية العسكرية التي أبقاها عمرو بن العاص في منطقة الجيزة لتأمين معسكر المسلمين في الفسطاط من هذه

---

(1) فمثلا ورد اسم أبرهة بن الصبّاح من قبيلة ذي أصبح الحميرية عقب فتح بلبيس - انظر: الخطط المقريزي: 1/ 390. كما ورد اسم اسميفع بن وعلة السبئي في فتح الفرما - انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 45. وفتح الفرما وبلبيس وقعا قبل وصول المدد الأول الذي أرسله عمر بن الخطاب في أثناء حصار أم دنين، ما يعني أنهما كانا في قوام القوة الأولى التي تحركت من فلسطين إلى مصر. وهذا يعني أن قبيلة عك لم تكن هي القبيلة الوحيدة في هذا الجيش.

(2) فتوح مصر والمغرب: 80.

(3) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 234.

(4) انظر: فتوح مصر والمغرب: 77.

(5) معجم البلدان: 4/ 308.

الجهة[1]، وسنفصل القول في هذا الاختطاط في المبحث الآتي. وسنلاحظ أن ياقوتًا الحموي - وهو يذكر القبائل التي اختطت في الجيزة - استعاض عن ذكر يافع بآل رعين[2]، خلاف المصادر الأقدم التي لم تذكر من رُعَين - في اختطاط الجيزة - سوى يافع، وهو ما يؤكد التحام يافع ورعين، وتقارض التسميتين، على أساس أن يافعًا بطن من رعين.

بعد ذلك لم نجد ذكرًا صريحًا ليافع في الفتوحات الإسلامية، لكننا نستطيع القول في اطمئنان إنها شاركت بأعداد ضمن قبيلة رعين، في فتوح النوبة[3] وبرقة وطرابلس وأفريقية والمغرب. وقد مثلت القوةُ التي فتحت مصر مع الإمدادات التالية، والتي بلغت زمن مروان بن الحكم سنة 65هـ ثمانين ألفًا[4]، القوةَ الأساسية في الجيوش التي فتحت ما يُعرف اليوم بدول المغرب العربي، بدليل أن قادة الفتوح في هذه البلدان كان جلُّهم ممن شهد فتح مصر، كعمرو بن العاص، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، ومعاوية بن حديج التجيبي، وبسر بن أبي أرطاة القرشي، ومسلمة بن مخلد الأنصاري، وعقبة بن نافع الفهري، وزهير بن قيس البلوي[5].

وتدل المعلومات المتناثرة في كتاب ابن عبد الحكم وتاريخ ابن يونس، على مشاركة القبائل اليمنية التي شاركت في فتح مصر، في فتوح المغرب عامة، وبأعداد كبيرة أحيانًا، وقد ذكرت المصادر مشاركة جند مصر عامة في فتوح المغرب؛ فعبد الله بن سعد بن أبي سرح خرج وهو أمير الناس «من مصر بمن كان معه، وبمن قدم عليه من المدينة، فكانوا عشرين ألفًا»[6]. وخرج معاوية بن حديج من مصر وهو عاملها لمعاوية بن أبي سفيان سنة 45هـ ومعه جماعة من الصحابة والتابعين وأشراف جند مصر حتى وصل

---

(1) انظر: الخطط المقريزي: 1/ 380.
(2) معجم البلدان: 2/ 200.
(3) من المؤكد أن قبيلة حمير شاركت في فتح النوبة - انظر: فتوح البلدان للبلاذري: 234.
(4) انظر: حسن المحاضرة: 1/ 172.
(5) انظر ترجماتهم في: تاريخ ابن يونس، كل في موضعه.
(6) معالم الإيمان: 33.

إفريقية، ومن هؤلاء المصريين كريب بن أبرهة الأصبحي الحميري، ثم أمده معاوية بن أبي سفيان بجيوش من الشام ومصر إلى إفريقية[1]. وخرج عقبة بن نافع خرجته التي استشهد فيها سنة 63هـ يريد قتال البربر في «خمسة آلاف رجل من أهل مصر»[2]. وفي حرب استعادة القيروان كان جيش قيس بن زهير البلوي مكونًا من جند المصريين والشاميين، وجلهم من اليمن[3].

فقد شاركت قبيلة رعين - التي تدخل يافع في عدادها - في فتح طرابلس مع عمرو بن العاص سنة 22هـ، وكان أبو تمام الجيشاني الرعيني ممن شارك في هذا الفتح[4]، وشاركت قبيلة مهرة (الحميرية) وحدها بستمائة مقاتل في فتح أفريقية في غزوة عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 27هـ[5]. وكان أمير زويلة (في ليبيا) في آخر العهد الأمويِّ حجاج بن عبد الله بن حُمْرة بن شفي بن رقي الرعيني ثم العبلي (ت149هـ)[6] حفيد حمرة بن شفي أخي عبد الله بن شفي الرعيني صاحب مبرِّح بن شهاب اليافعي في اليمن وممن شارك معه في فتح مصر[7].

وعلى الأرجح أن يافعًا لم تشارك في جيش طارق بن زياد الفاتح للأندلس سنة 92هـ، بدليل أن المصادر تجمع على أن القوة العربية في هذا الجيش كانت قليلة جدًّا مقابل البربر الذي شكلوا غالبية الجيش[8]. ومن الواضح أن الدور الأكبر في هذه القلة العربية كان لقبيلة المعافر اليمنية التي كان عبد الملك المعافري أحد المشاركين فيها

(1) انظر: معالم الإيمان: 43، 45.
(2) انظر: الجامع: 642.
(3) انظر: معالم الإيمان: 56-66.
(4) انظر: فتوح مصر والمغرب: 199.
(5) انظر: فتوح مصر والمغرب: 215.
(6) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 110.
(7) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 271.
(8) انظر: وفيات الأعيان: 5/ 320.

وهو «الداخل بالأندلس مع طارق»[1].

لكن دور يافع في فتح الأندلس يبدو واضحًا من خلال القوة الداخلة إلى الأندلس مع موسى بن نصير اللخمي. وبحسب بامطرف، فإن قبيلة يافع كانت ضمن القوة الحميرية التي مثَّلت القوة الضاربة في جيش موسى بن نصير في حملاته لاستكمال فتوح المغرب ثم الأندلس[2]. وكان موسى بن نصير قد دخل الأندلس سنة 93هـ بعد عام من افتتاحها على يد طارق، وقد ذكرت المصادر أن موسى دخل الأندلس بثمانية عشر ألفًا من العرب والموالي والبربر[3]، في نيف وعشرين راية، غير البيوتات التي دخلت من غير راية، وكان لموسى من هذه الرايات رايتان[4] لعلهما المقصودتان بكلام بامطرف السابق.

ومن كبار القادة الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير، عيَّاش بن أُجَيْل الرعيني المصري[5]، الذي كان على شرطة موسى بن نصير، وولي البحر زمن بني أمية، وعقد له موسى على مراكب إفريقية، فمشى في البحر إلى صقلية، فأصاب مدينة سرقوسة، فغنمها وعاد سالمًا غانمًا، وهو الذي قدم بالسفن من الأندلس إلى إفريقية سنة 100هـ.

المبحث الثاني: الفتوحات الإسلاميَّة والهجرة:

كانت الفتوحات الإسلامية سببًا في هجرة كثير من القبائل العربية، العدنانية والقحطانية، من مواطنهم في شبه الجزيرة العربية، إلى مستوطناتهم الجديدة في البلدان التي فتحوها، وترى بعض الدراسات أن الهجرة التي صاحبت الفتوحات الإسلامية كانت سببًا في آخر أكبر موجة هجرة ساميَّة في تاريخ البشرية[6].

---

(1) الذخيرة: 7/ 56.

(2) انظر: الجامع: 642.

(3) انظر: فتوح مصر والمغرب: 235، أخبار مجموعة في فتح الأندلس: 24.

(4) انظر: رحلة الوزير في افتكاك الأسير: 139.

(5) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 383 (وفيه «الحميري» مكان «الرعيني»، ولا إشكال في هذا فإن رعينًا بطن من حمير)، الذيل والتكملة: 5/ 113، البيان المغرب: 1/ 42.

(6) انظر: تاريخ اللغات السامية: 6، 162.

وما يرسِّخ فكرة الهجرة في الفتوحات الإسلامية أن كثيرا من القبائل المشاركة في الفتح كانت تخرج مع نسائها وأطفالها، وكانت قبائل اليمن مثالاً واضحًا على هذا، وذلك في خروجها من اليمن إلى المدينة ثم الشام سنة 12هـ؛ فقد سارت اليمن بالذراري والأموال والنساء والأطفال[1]. وكان حضور النساء واضحًا في الفتوحات الإسلامية، ولا سيما فتوح الشام، ما يعني أن جيوش الفتح كانت تتحرك بنسائها، ومنهن نساء حمير اللاتي ظهرت أسماؤهن في سير الفتوحات، فقد وقعت عجائز من حمير في الأسر مع بعض نساء المسلمين في أيدي العدو، وشاركت عفراء بنت غفار ولبنى بنت جرير الحميريتان مع باقي النساء في معارك الشام دفاعًا عن أنفسهن وتحريضًا لأزواجهن[2].

وكانت قبيلة حمير ببطونها المختلفة صاحبة الهجرة الأكبر التي انطلقت من اليمن إلى البلدان المفتوحة، باستثناء بعض بطون قضاعة التي كانت هاجرت إلى الشام قبل الإسلام ثم استأنفت هجرةً جديدة مع الفتوحات الإسلامية كبَلِيّ وكَلْب وجُهَيْنة. وأما الفرع الآخر (كهلان) فقد هاجرت بعض قبائله من اليمن، لكن الهجرة الأكبر كانت لبطون كهلان التي هاجرت من مواطن هجرتها الأقدم كقبائل الأوس والخزرج وخزاعة ولخم وجذام وغسان.

وكان استقرار حمير بعد الفتح في الشام أكثر منه في العراق التي كانوا فيها قليلاً، ومن مواطن استقرارهم في العراق: البصرة والكوفة. ففي البصرة نجد مظاهر محدودة لاستقرار الحميريين ما يعني أنهم كانوا قليلين فيها مقارنة بالكوفة، حتى إنها لم تذكر في أخماس المدينة[3]؛ من هذه المظاهر: (زقاق باب) الذي ينسب إلى باب بن ذي الجِرَّة الحميري[4] أحد رجال الفتح في العراق، وابنه الحجاج بن باب الحميري كان «من

(1) انظر: فتوح الشام: 1/ 6.

(2) انظر: فتوح الشام: 1/ 47، 50، 196.

(3) انظر: خطط البصرة ومنطقتها: 81-102.

(4) انظر: الاشتقاق: 529.

سكان البصرة»[1]، و(دار ابن تبَّع) التي تنسب إلى عبد الرحمن بن تبَّع الحميري[2].

وفي الكوفة[3] كانت حمير ضمن السُّبُعِ الثالث (مذحج وحمير وهمدان وحلفائهم) من أسباع الكوفة الذين اختطوا مع بقية القبائل اليمنية شرقي المسجد ما بين المسجد ونهر الفرات. وفي سنة 36هـ غيَّر الإمام علي (رض) وضع هذه الأسباع، فجعل حميرًا وهمدان السبع الأول. ثم اختفى اسم حمير في عهد زياد بن أبيه عندما قسم الكوفة إلى أرباع سنة 50هـ؛ ما يعني أنهم كانوا قليلين في الكوفة مقارنة بقبائل اليمن الأخرى كهمدان وكندة وبجيلة، وربما كان للصراع بين علي ومعاوية دور في هذا الاختفاء؛ إذ يظهر أن جل حمير في الكوفة انسحبوا إلى الشام ليقفوا مع قبيلتهم حمير التي كانت في صف معاوية، في حين كان الوسط الكوفي علويًّا ولا سيما همدان التي ظلت في السنين السابقة لهذا الصراع في وحدة واحدة مع حمير في خطط الكوفة.

المطلب الأوَّل: هجرة يافع إلى الشام في الفتوحات الإسلاميَّة:

كان استقرار حمير في الشام واسعًا وكبيرًا وواضح الملامح، فتوزعت حمير، لكثرة عددها، على الأجناد الخمسة التي قسمت الشام عليها بعد الفتح، وهي «جند فلسطين، وجند الأردنّ، وجند دمشق، وجند حمص، وجند قنّسرين»[4]. وبلغت كثرتها في حمص درجة جعلت الهمداني يصف حمص قائلاً: «وهي حميرية»[5]. وكانت رعين من القبائل الحميرية الموجودة في جند حمص، فظهرت أسماء تنتسب إلى رعين وحمص معًا في القرون الهجرية الأولى[6].

---

(1) الأعلام: 2/ 168.

(2) انظر: فتوح البلدان: 343.

(3) معلومات هذه الفقرة مأخوذة من كتاب: خطط الكوفة: 20-28.

(4) معجم البلدان: 1/ 103.

(5) صفة جزيرة العرب: 246.

(6) منهم: الحكم بن عمر (تاريخ دمشق: 15/ 32)، ومحمد بن مَخْلَد (تاريخ الإسلام: 4/ 605)، وعبيد بن أحمد بن عبيد بن سعيد الصفَّار (تاريخ دمشق: 38/ 168)، وابنه أحمد بن عبيد الصفّار (تاريخ الإسلام: 7/ 902).

ومن أثر هذه الكثرة، بدأت في الشام ظاهرة استقلال بطون حمير بمساكنها عن القبيلة الأم، ولا سيما بطن رعين الذي كان له حضوره المستقل في جند دمشق، فكانت (منازل بني رعين) مستقلة عن (منازل الحميريين) داخل سور دمشق[1]، وقد استقر أفراد قبيلة رعين في دمشق حتى عُرف بعضهم بالرعيني الدمشقي[2].

وكانت قبيلة رعين من القبائل التي استقرت في جند الأردن من أجناد الشام، إلى جانب مجموعات من قبائل قحطانية أخرى كلخم وجذام وعاملة ومذحج[3]. وكان جند الأردن يشمل الأجزاء الشمالية من الأردن وفلسطين، والجنوبية من لبنان وسوريا. ونحن نرجِّح أن يافعًا كانت ممثَّلة في هذا الجند، بدليلين: الأول أن قوة من جند الأردن حلت في رية من بلاد الأندلس سنة 123هـ ومن بين هؤلاء قبيلة ذي رعين ممثَّلة بيافع وحجر رعين[4]. والدليل الثاني اختيار قبيلة آل أحمد اليافعية الهجرة في وقت لاحق (على الأرجح أنه القرن التاسع الهجري[5] إلى شمال فلسطين تحديدًا[6]، ما يشير إلى وجود مهاجرين يافعيين سابقين في هذه المنطقة، كانوا على تواصل مع قراباتهم حتى ذلك العهد.

ومن المؤكد أن قوة ليست بالقليلة من قبيلة يافع مع آخرين من رعين وحمير، كانوا ضمن القوة التي استقرت في جند فلسطين الذي كان يشمل الأجزاء الجنوبية من فلسطين وغرب الأردن، وذلك في ظل إمارة عمرو بن العاص لهذا الجند، ولكننا نرجح أن الأغلبية من هذه القوة انطلقت مع عمرو في فتوحه مدن مصر؛ يدل على ذلك

---

(1) انظر: تاريخ دمشق: 2/ 368.

(2) منهم: حفص بن غيلان (الجرح والتعديل: 3/ 186)، ويحيى بن هانئ (تاريخ دمشق: 65/ 52)، والنعمان بن سعد (تاريخ دمشق: 62/ 138).

(3) انظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: 79.

(4) انظر: جمهرة أنساب العرب: 433-434.

(5) انظر: معجم أعلام يافع: 32-33.

(6) انظر: الجامع: 38.

حضور اسم يافع بقوة في فتح مصر والاختطاط فيها، حتى استقلت بخطتها عن قبيلة رعين التي طالما انضوت تحت لوائها.

المطلب الثاني: هجرة يافع إلى مصر في الفتوحات الإسلاميَّة:

حلَّت يافع بعد الفتح مع بقية القبائل في الفسطاط مع رعين، لكنها استقلت بخطتها في الجيزة مشاركة بعض القبائل اليمنية الأخرى في تأسيس مدينة الجيزة. وقد ظهر اسم يافع بوضوح عندما أعلنت رغبتَها في الاستقرار بالجيزة وامتناعها من الانتقال إلى الفسطاط، ثم رَفْضَها أن يُبْنى حولهم حصنُ الجيزة الذي أمر ببنائه الخليفةُ عمر بن الخطّاب خوفًا على المسلمين فيها؛ معلنين بشجاعة أن سيوفهم هي حصونهم. لكن القرعة التي اقترعها عمرو بن العاص لتحديد المكان الذي سيبنى فيه الحصن وقعت على يافع، فبني الحصن في خطّتهم سنة 21، وفرغ من بنائه سنة 22[1]؛ غير أن طائفة من يافع خرجوا من الحصن أنفةً منه[2].

---

(1) انظر: فتوح مصر والمغرب: 176، الخطط: 1/ 363. وانظر أيضًا: فتح العرب لمصر: 375.

(2) تفصيل ذلك كما جاء في الخطط (1/ 363): «وقال القضاعي: ولما رجع عمرو بن العاص من الإسكندرية ونزل الفسطاط؛ جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية، فجعل بها آل ذي أصبح من حمير وهم كثير، ويافع بن زيد من رعين، وجعل فيها همدان، وجعل فيها طائفة من الأزديين بني الحجر بن الهبو بن الأزد، وطائفة من الحبشة وديوانهم في الأزد، فلما استقر عمرو في الفسطاط أمر الذين خلفه بالجيزة أن ينضموا إليه، فكرهوا ذلك، وقالوا: هذا مقدم قدمناه في سبيل الله، وأقمنا به، ما كنا بالذين نرغب عنه، ونحن به منذ أشهر. فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بذلك يخبره أن همدان وآل ذي أصبح ويافعًا ومن كان معهم أحبوا المقام بالجيزة، فكتب إليه: كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك، ونجعل بينك وبينهم بحرا، لا تدري ما يفجؤهم، فلعلك لا تقدر على غياثهم، فاجمعهم إليك، ولا تفرقهم، فإن أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنا من فيء المسلمين. فجمعهم عمرو، وأخبرهم بكتاب عمر، فامتنعوا من الخروج من الجيزة، فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم، فكرهو ذلك، وقالوا: لا حصن أحصن لنا من سيوفنا! وكرهت ذلك همدان ويافع، فأقرع عمرو بينهم، فوقعت القرعة على يافع، فبنى فيهم الحصن».

لقد اقترن بناء الحصن الذي بني في خطة يافع بإنشاء مدينة الجيزة، فقد ربط ابن دقماق إنشاء الجيزة ببناء الحصن، فقال في كتابه (الانتصار) عند حديثه عن الجيزة: «هذه المدينة مدينة إسلامية، بنيت في سنة 21، وقيل فُرِغ منها في سنة 22»[1]، ولأن الجيزة بعكس الفسطاط لم يكن فيها من القبائل المشاركة في الفتح سوى اليمنيين فإنه يمكن القول باطمئنان إنها كانت مدينة يمنيَّة وظلت كذلك مدة طويلة.

وكانت اليد الطولى في تخطيط الجيزة ليافع، فإن عمرو بن العاص أسند مهمة الإشراف على تخطيط الجيزة والنزول بها إلى يافع بن الحارث[2]. و«ترجيحي أنه اسم القبيلة، وهو واحد من تسميات قبيلة يافع المتعدِّدة الآتية من اختصار النسب؛ كيافع بن زيد، ويافع بن الحارث، ويافع بن شرحبيل؛ وزيد والحارث وشرحبيل أجدادٌ ليافع، فبالمقارنة مع النسب الأكثر تفصيلاً الذي أورده الهمدانيّ في (الإكليل) نجد أن زيدًا هو الجدُّ الأوَّل والخامس، والحارث هو الجدُّ الرابع، وشرحبيل هو الجدُّ الثالث»[3].

هذا، وكانت خطَّة يافع في الفُسطاط مع رُعين، وهو ما يؤكِّد الصلة القويَّة بينهما. وقد ذكر ابن عبد الحكم أن يافعًا ورُعينًا اختطوا في الفسطاط شرقيَّ خَوْلان، ثم لَقُوا قبائل الكَلاع، ثم مَضَوْا بين قبائل سبأ والمَعافر وبين إصطبل قُرَّة بن شَرِيك حتى أَصْحَرُوا، ومن جهة أخرى مضت قبيلة مُرَاد من مَذْحِج بخطَّتها حتى لَقُوا قبائل يافع ورُعين[4]. ونصَّ ابن دُقْماق على أنَّ خطَّة رُعَيْن كانت قِبْليَّ مَذْحِج، وأن خطَّة الكَلاع

---

(1) الانتصار لواسطة عقد الأمصار: 4/ 125. هذا وقد ورد اسم يافع في هذا الكتاب مصحَّفا باسم (نافع)، وهو أمر مردُّه إلى مشاكل الإعجام في المخطوط العربيّ، ولا ندري من أين جاء الخطأ: أمن ابن دقماق نفسه أم من نسَّاخ المخطوطة أم من ناشريها؟ وقد نبَّه إلى ذلك عبد الله خورشيد البري في كتابه (القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة) ص254 قائلا: «ومن المهم ملاحظة أن ابن دقماق يذكر هذه القبيلة دائما باسم نافع بالنون وهو خطأ».

(2) انظر: القبائل اليمنية في مصر: 62. ومؤلِّفه يعتمد في ذلك على ابن دقماق.

(3) انظر: يافع في مصر: 16.

(4) انظر: فتوح مصر والمغرب: 172. وأصحروا: دخلوا في الصحراء. وقُرَّة بن شَرِيك العبسي القيسي هو والي مصر (90-96) للوليد بن عبد الملك، أنشأ جامع الفسطاط وزخرفه، كان

كانت متَّصلة بخطَّة رعين إلى بحريّ مسجد الأقدام[1].

وكانت خطة يافع في الجيزة في وسطها، واختطَّت حاشد من هَمْدان شماليَّ يافع غربًا، وبَكِيل من همدان في جنوبيِّها شرقًا، وكانت خطَّة بني كعب بن مالك بن الحَجْر بن الهبو بن الأَزْد فيما بين بكيل ويافع. وممن سكن الجيزة مع يافع قبيلة ذي أَصْبَح الحميريَّة، وكانت خطَّتهم في شرق الجيزة، ومَضَوْا إلى الغرب حتى بلغوا أرض الحرث والزرع. وممن سكن فيها أيضًا الحياوية بنو عامر بن بكيل وبنو حَجْر بن أَرْحَب بن بكيل، اختطُّوا في قبليِّ الجيزة؛ وكذا الحبشة اختطُّوا على الشارع الأعظم[2].

واستنادًا إلى هذه الخلفيّة التاريخيّة جاءت تسمية أحد شوارع الجيزة اليوم باسم (يافع بن زيد) أبي قبيلة يافع، وهو موجود في العموم في المنطقة التي حلَّت فيها يافع أوَّل ما اختطُّوا في الجيزة[3].

في القرن الهجريِّ الأوَّل ظهر اليافعيون المهاجرون في مصر بوصفهم فاتحين، ومنهم من كان له شرف صحبة رسول الله ﷺ؛ كمبرِّح بن شهاب وشريح بن أبرهة وعمرو بن شعواء، رضوان الله عليهم. ومن هؤلاء من كان له حديث يرويه عن النبي ﷺ؛ كشريح وعمرو، أما مبرِّح فلم يروِ حديثًا.

وكان مبرِّح بن شهاب هو أشهر شخصيَّة يافعيَّة مهاجرة في مصر في القرن الأوَّل الهجريّ، فهو صحابيّ، وقائد ميسرة عمرو بن العاص يوم دخل مصر، وخطّته في

جَبَّارًا مَخُوفًا، وقد تعاقد نحو مائة من الشراة في الإسكندرية على قتله، فعلم بهم، فقتلهم جميعًا. وبعد قدومه من وفادته على الوليد سنة 93 «استنبط الإصطبل لنفسه من المَوَات، وأحياه، وغرسه قصبًا، فكان يسمى إصطبل قُرَّة» - ولاة مصر: 84، 86، وانظر: الأعلام: 5/ 194.

(1) انظر: الانتصار لواسطة عقد الأمصار: 4/ 4. ومسجد الأقدام كان بالقَرَافة بخطَّة المعافر، وفي خطط المقريزيّ بَسْط في سبب تسميته بالأقدام، فليراجعه من شاء.

(2) انظر: الانتصار لواسطة عقد الأمصار: 4/ 126، الخطط، 1/ 363.

(3) انظر تفاصيل حول هذا الشارع في كتابنا: يافع في مصر: 21-22.

الجيزة من أشهر الخطط. ومما يدل على شهرته ورياسته قول ابن عبد الحكم: «نزلت يافع الجيزة، فيها مبرِّح بن شهاب»[1]، وقول ابن يونس (ت 347): «وهو معروف في أهل مصر»[2]، كما ذكر السيوطيّ[3] والزبيديّ[4] في عصور متأخرة أن خطّته بالجيزة معروفة. ونظرًا لشهرة مبرِّح اليافعي «أطلق اسمه على شارع من شوارع الجيزة في الشمال الشرقيِّ لشارع يافع»[5].

ويليه في الشهرة من الشخصيات اليافعية المهاجرة في هذا القرن، دِرْع بن يَسْكُن اليافعيّ الذي شارك في الحياة السياسية في العالم الإسلامي آنذاك، فكان ضمن قادة جيش محمَّد بن أبي حذيفة الستَّة الذين خرجوا من مصر في شوَّال سنة (35هـ) إلى عثمان بن عفَّان (رض) في المدينة، وكان كلُّ واحد من هؤلاء الستَّة على رأس مائة رجل[6].

وقد أنتجت هذه الهجرة الأولى مجموعة من الأسماء البارزة في عالم رواية الحديث، من أحفاد الفاتحين الأوائل من أبناء يافع ظهروا في القرنين الثاني والثالث الهجريين، سمَّاهم السمعانيّ[7] جماعة اليافعيين؛ أي: رواة الحديث الذين اشتهروا باسم اليافعيّ. وهذه قائمة بجماعة اليافعيين من رواة الحديث في مصر: راشد بن جندل اليافعيّ المصريّ[8]، وعبد الواحد اليافعيّ[9]، عبد الله بن موهب بن الأصرم

---

(1) فتوح مصر والمغرب: 176.

(2) تاريخ ابن يونس: 1/ 271، 427.

(3) در السحابة: 101.

(4) تاج العروس: مادة (يفع).

(5) يافع في مصر: 24.

(6) بعض المصادر ذكرته باسم (زرع)، وبعضها ذكرت أن اسم أبيه (يشكر)، وكلاهما تصحيف - تاريخ الطبري: 2/ 484، الإكمال: 3/ 380، تبصير المنتبه: 4/ 1494، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة: 254، القبائل اليمنية في مصر: 89.

(7) انظر: الأنساب: 5/ 675.

(8) انظر: تهذيب التهذيب: 3/ 224.

(9) انظر: الإكمال: 7/ 340، الأنساب: 5/ 676.

اليافعيّ[1]، نَضْلة بن كليب بن صُبْح اليافعيّ[2]، أُنَيْس بن عمران بن تميم بن أنيس الرعينيّ ثم اليافعيّ من بني سُحَيْت الذين ينتمي إليهم مبرِّح بن شهاب[3]، وحفيده عبد المتعال بن عمران بن يزيد بن أُنيس اليافعي[4]، ومحمَّد بن عمرو اليافعيّ الرعينيّ[5]، وعبد الله بن الصَّيْقَل اليافعي[6]، وابنه سهل[7]، وعبد الله بن سعيد بن أبي الصعبة[8]، وسليمان بن إبراهيم اليافعيّ[9].

وقد اتخذ المهاجرون الأوائل الفسطاط ثم الجيزة موطن استقرار، حتى نُسب أحفادهم في القرون التالية إلى الجيزة نفسها مثل عبد المتعال بن عمران اليافعي الجيزي[10]، ثم انتقل منهم جماعة فيما بعد في تاريخ غير معلوم إلى الصعيد[11]. ومنهم جماعة من عقب أُنَيْس بن عمران اليافعي سكنت ريف مصر[12]. وهناك من سكن الإسكندرية، ولدينا شخص واحد في الأقل سكن الإسكندرية ونُسب إليها، هو المحدِّث السابق الذكر سليمان بن إبراهيم اليافعيّ الإسكندرانيّ[13]. وهذا كلُّه يشير إلى انتشار يافع في معظم البلاد المصريّة.

---

(1) انظر: الإكمال: 7/ 340، الأنساب: 5/ 676، تبصير المنتبه: 4/ 1503، تاج العروس: مادة (يفع).

(2) انظر: الإكمال: 7/ 340، الأنساب: 5/ 676، تهذيب الكمال: 7/ 479.

(3) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 50.

(4) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 324.

(5) تاريخ ابن يونس: 1/ 459.

(6) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 273، الإكمال: 7/ 340، الأنساب: 5/ 676.

(7) انظر: تاريخ ابن يونس: 1/ 273، الإكمال: 7/ 340.

(8) انظر: الإكمال: 7/ 340، الأنساب: 5/ 676، تبصير المنتبه: 4/ 1503، تاج العروس: مادة (يفع).

(9) انظر: الإكمال: 7/ 340، الأنساب: 5/ 676.

(10) انظر: تاريخ ابن يونس: 324/ 1.

(11) دور القبائل العربية في صعيد مصر: 98.

(12) تاريخ ابن يونس: 1/ 50.

(13) الأنساب: 5/ 676.

غير أن يافع بعد هذا الانتشار - وتحديدا من القرن الثالث الهجريّ[1] - ذابت في المجتمعات الجديدة، لأسباب سياسيَّة واقتصاديَّة، منها: سحب البساط من تحت أيدي العرب في المناصب السياسيَّة والعسكريَّة بدءًا من العصر العباسيِّ حتى إنهم حُرِموا من حقِّ قيد اسمهم في سجلِّ ديوان الجيش، ورَفْعُ أسمائهم من الدواوين وإسقاطُ حقِّهم في العطاء في عهد الخليفة المعتصم العباسيِّ سنة (218)، والثوراتُ التي قام بها العرب ضدَّ ولاة مصر من مثل ثورة أهل الجيزة في ولاية مزاحم بن خاقان عام (253)[2]، ثم معاداة الحكام غير العرب المتوالين على حكم مصر للعناصر العربية، فكلُّ ذلك ساعد في زيادة انتشار العرب في ريف مصر واحتراف الزراعة وغيرها طلبًا للرزق، وكان ذلك بداية الاندماج بين العنصر العربيّ وأهل البلاد الأصليين[3].

ونرجِّح أن اسم يافع ذاب في أسماء الأسر المنتمية إليها من جهة، وانسحب لصالح أسماء القبائل اليمنيَّة الأكبر عددًا كرُعين وحِمْير وغيرها من قبائل اليمن من جهة أخرى. وقد كان ازدواج اسم اليافعيِّ باسم آخر كالرعينيّ والحميريّ إيذانًا بذوبان اسم يافع في محلول القبيلة الأكبر. وقد صادفنا في أسماء الفاتحين من أبناء يافع من كان يعرف باليافعيّ والرعينيّ كمبرِّح بن شهاب، وباليافعيّ والحميريّ كشريح بن أبرهة. وظلَّت هذه الظاهرة موجودة في الأجيال التالية من أبناء يافع في مصر، فالمحدِّثان محمَّد بن عمرو وأنيس بن عمران كانا يعرفان باليافعيّ والرعينيّ معًا.

من ناحية أخرى فإنه يبدو أن اليافعيين ذابوا في محلول الجنس العربيّ عامَّة، واندمجوا مع أهل البلاد الأصليين، وصاروا ينسبون إلى مكان سكناهم، ففي العصر المملوكيّ - ومن نتائج الثورات العربيَّة على المماليك - تداخلت أنساب قبائل العرب وأصبحت أكثر ارتباطًا بالأرض، وصاروا ينسبون إليها، فكان العربيُّ ينسب منذ ذلك الحين إلى البلدة التي يسكنها (وقد رأينا كيف أن اليافعي بدأ يقرن اسم البلد

(1) انظر: مصر في فجر الإسلام: 258.
(2) انظر حول هذه الثورات: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي: 27.
(3) تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية: 4.

باسم القبيلة: اليافعي المصري، اليافعي الجيزي، اليافعي الإسكندراني) أو الإقليم الذي يعيش فيه؛ مثل قولهم: عرب الصعيد، وعرب منفلوط، وعرب المَرَاغة[1].

المطلب الثالث: هجرة يافع إلى المغرب في الفتوحات الإسلاميَّة:

رأينا كيف أن القوات التي استقرت بعد الفتح في مصر كانت المخزون الأساسي من الجند الذين تم بهم خوض الحروب التالية في فتوح المغرب والأندلس، ومن ثم من المتوقع أن هناك جماعات من يافع أو أفرادًا استقروا في هذه المناطق، لكن ليس بين أيدينا ما يؤكد استقرار يافع في ليبيا[2] وتونس[3] والجزائر[4]، في حين يوجد لدينا ما يؤكد استقرارهم في المغرب والأندلس.

هناك ثلاثة أمور تشير إلى أن بعض أهل يافع استقروا في المغرب، الأمر الأول ما رواه الشيخ عبد الله بن أحمد الناخبي عن الثقة الصدوق محمد بن علي الصلاحي الذي روى قصة تعرُّفه عددًا من آل الصلاحي في المغرب في زيارة لهم لجدة بالمملكة العربية السعودية وأخبروه بأنهم من آل الصلاحي من يافع من أحفاد الفاتحين[5]، وهم مأمونون على أنسابهم.

الأمر الثاني أن هناك شخصية مغربية من أعلام القراءات في العالم الإسلامي، تنتسب إلى يافع، هو أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، اليافعي، السَّبْتي، المقرئ، المعروف بابن المعذور، كان من كبار مقرئي عصره، وُصِف بأنه شيخ الإتقان، وواحد

(1) تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية: 47.

(2) وممن ينتسب إلى رعين من أهل برقة (ليبيا) محمد بن أبي موسى الرعيني (ترتيب المدارك: 2/ 195).

(3) وممن ينتسب إلى رعين من أهل أفريقية (تونس) قاضيها ابن غانم الرعيني (ت190ه) (طبقات علماء أفريقية: 43).

(4) وممن ينتسب إلى رعين من أهل تلمسان (الجزائر) الشاعر ابن خميس الحجري (ت708ه) (البستان: 225).

(5) انظر: الكوكب اللامع: 28-30.

أسانيد الفرقان، نسبته إلى يافع من ذي رعين، وهو من أهل سَبْتة بالمغرب، ولد حول (500هـ)، وتوفي سنة (575هـ). وهذا اليافعي لم يكن مفردًا، فقد كانت له أخت تزوجت إلى سرقسطة بالأندلس، فأنجبت ولدًا كان أيضا من القراء المعروفين، وقد قرأ القراءات على خاله، وهذا السبط هو الإمام الكبير والأستاذ الشهير ابن المعرور (أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سهل بن إدريس الأموي السرقسطي ثم السبتي)[1].

الأمر الثالث ما ذكره بامطرف في جامعه، حيث نص على أن قبيلتين يافعيتين (هما الأحلاف والعياشي) استقرتا في المغرب، دون أن يفصح بامطرف عن مصدر هذه المعلومة، ونحن نأخذها منه ثقة في مصادره. وعلى كل حال فإن هاتين القبيلتين لم تكونا ضمن قبائل الفتح، وإنما جاءتا في وقت لاحق، ولكن هجرتهما إلى المغرب ربما تشير إلى وجود فروع من هذه القبائل سبقتهم إلى الاستقرار في المغرب زمن الفتوح خاصة، ما شجعهم على الانضمام إليهم.

المطلب الرابع: هجرة يافع إلى الأندلس في الفتوحات الإسلاميَّة:

حلَّت رعين في مناطق متفرقة في الأندلس، وذلك عبر أجيال متلاحقة من المهاجرين، كان أولهم فاتحي الأندلس الذين كانوا من أبناء المهاجرين من اليمن وحفدتهم الذين انطلقوا مع جيوش الفتح الأولى باتجاه الشام ومصر. وأشهر مستوطناتهم في الأندلس كانت بالقرب من إشبيلية ومدينة شذونة وألمرية ومَلَقة[2].

وصل اليافعيون إلى الأندلس مع جيش موسى بن نصير سنة 93هـ[3]، ثم كانوا ضمن الرعينين من جند الأردن الذين دخلوا الأندلس سنة 123هـ مع بلج بن بشر القشيري وحلوا في كورة ريَّة جنوبي الأندلس[4]. وكانت يافع وحجر رعين من أهم بطون رعين

---

(1) انظر تفصيل ترجمته في: معجم أعلام يافع ط2: 50.

(2) انظر: Paisajes de conquista، p.118.

(3) انظر: الجامع: 642.

(4) انظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: 79.

التي حلت في الأندلس، وقد كان لهم موضع خاص في كورة ريَّة (ملقة) يعرف باسم (فَحْص رعين)[1].

ولم تحتفظ لنا المصادر بأسماء يافعيين أندلسيين سوى اسم علي بن عبد الصمد بن شرحبيل اليافعي من رجال القرن السادس الهجري[2]. ولكننا نظن أن اسم اليافعي ذاب مع الأيام في محلول القبيلة الأكبر رعين، فعرفوا باسم الرعيني. ونظن أن بعض من انتسب إلى رعين في الأندلس كان يافعيًّا، دون أن نجزم في شيء من هذا؛ لأن الأمر يحتاج إلى دليل.

الخاتمة:

يحتاج هذا الموضوع إلى مزيد من التقصي في المصادر المطبوعة والمخطوطة، ونعتقد أن ما قدمناه في هذا البحث شافٍ إلى حد بعيد، بما قدَّمته المصادر المتاحة.

---

(1) انظر: جمهرة أنساب العرب: 433-434. وسنلاحظ أن اسم يافع صُحِّف إلى نافع، وهو تصحيف مشهور نجده في كثير من المصادر، وقد يكون مصدر التصحيف النسخة المخطوطة نفسها، أو المحقق. وواضح أن ابن حزم (ت456ه) اعتمد على ابن الكلبي (ت204ه) صاحب أقدم كتاب في الأنساب، الذي ذكر من بطون رعين: يافع بن شرحبيل (نسب معد واليمن الكبير: 2/ 278). كما أن إرداف حجر ذي رعين بيافع - عند ابن حزم - يعادله تجاور القبيلتين في الجغرافية اليمنية، فحجر رعين تشمل ما يعرف اليوم بمحافظة الضالع (المناطق المحيطة بوادي حجر في الضالع)، وقد ظهر جماعة ممن ينتسبون إلى حجر رعين في الأندلس أشهرهم أبو محمد عبد الله بن محمد ابن عبيد الله الحجري (توفي في سبتة بالمغرب سنة 591ه) الذي كان معاصرا لأحمد بن محمد اليافعي السبتي المذكور في المتن آنفًا (للاستزادة حول حجر رعين، انظر كتابنا: حجر رعين القبيلة والمكان والأعلام). وممن تعود أصولهم إلى (فحص رعين) وهم من أهل قرطبة: علكدة بن نوح الرعيني (ت237ه) (تاريخ علماء الأندلس: 385، أخبار الفقهاء والمحدثين: 287)، وولده عبادة بن علكدة الرعيني (ت282ه) (تاريخ علماء الأندلس: 382)، وحفيده أحمد بن عبادة الرعيني (ت302ه) (جذوة المقتبس: 140)؛ ومن أعلام (فحص ريَّة) أبو حفص عمر بن عبادل الرعيني (ت378ه) (ترتيب المدارك: 7/ 207).

(2) الذيل والتكملة: 3/ 213.

وقد كشف هذا البحث عن فاعلية مشاركة قبيلة يافع في الأحداث التاريخية المؤثِّرة، وأقصد هنا الفتوحات الإسلامية، كما كشف عن أثر هذه الفتوحات في هجرة أعداد كبيرة من أبناء هذه القبيلة إلى مواطن جديدة، واندماجهم فيها، وهو أمر نلمسه في أبناء يافع إلى اليوم.

إن هذا التاريخ اليافعي ليس مجرد جزء من الماضي، بل هو جزء من كيان الإنسان اليافعي المعاصر، يحمله في فكره ووجدانه، ويصدر عنه كلما ادلهمَّت به الدواهي وأحدقت به الخطوب، فهو إلى اليوم يحمل روح الناشد إلى التغيير نحو الأفضل، ومن هنا كان فاعلاً في كلِّ الأحداث المحليَّة المعاصرة، ومهاجرا إلى حيث يواصل صناعة التاريخ في المحيط الإنسانيِّ الكبير.

ثَبَت المصادر والمراجع

1. أخبار الفقهاء والمحدثين: محمد بن حارث الخشني (ت361هـ)، دراسة وتحقيق: ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1991م.
2. أخبار مجموعة في تاريخ الأندلس في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم: مؤلف مجهول، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط2، 1989م.
3. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البرِّ القرطبيّ (ت463هـ)، تحقيق وتعليق: علي محمَّد معوَّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1995م.
4. أسد الغابة في معرفة الصحابة: عزُّ الدين ابن الأثير (ت630هـ)، تحقيق وتعليق: علي محمَّد معوَّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1994م.
5. الاشتقاق: ابن دريد (ت321هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
6. الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حَجَر العَسْقَلانيّ (ت852هـ) (ومعه كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرِّ (ت463هـ)، وثَّق نصوص الكتابين وحقَّق أصولهما: طه عبد الرؤوف سعد، دار الغد العربيّ، القاهرة.
7. الأعلام: خير الدين الزركلي (ت1396هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.
8. الإكليل (ج2): أبو محمَّد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني، حقَّقه وعلَّق حواشيه: محمَّد بن علي الأكوع الحواليّ، مطبعة السنَّة المحمَّديَّة، القاهرة، 1966م.

9. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: أبو نصر عليُّ بن هبة الله ابن ماكولا (ت475هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1990م.
10. الانتصار لواسطة عقد الأمصار (في تاريخ مصر وجغرافيتها): إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المعروف بابن دُقْماق (ت809هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
11. الأنساب: أبو سعد عبد الكريم بن محمَّد السَّمْعانيّ (ت562هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر الباروديّ، مؤسَّسة الكتب الثقافيَّة - دار الجنان، بيروت، ط1، 1988م.
12. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: ابن مريم الشريف التلمساني (ت1020هـ)، عني به: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
13. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي (ت نحو 695هـ)، تحقيق: كولان وبروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م.
14. تاج العروس من جواهر القاموس: محمَّد مرتضى الزَّبِيديّ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
15. تاريخ ابن يونس المصريّ (ت347هـ): تحقيق ودراسة: عبد الفتَّاح فتحي عبد الفتَّاح، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 2000م.
16. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين الذهبي (ت748هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1993م.
17. تاريخ دمشق: ابن عساكر (ت571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، 1995م.
18. تاريخ الطبريّ (تاريخ الأمم والملوك): أبو جعفر محمَّد بن جَرِير الطبريّ (ت310هـ)، مؤسَّسة عزِّ الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985م.
19. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: خليل إبراهيم السامرائي وعبد الواحد

ذنون طه وناطق صالح مصلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2000م.

20. تاريخ علماء الأندلس: ابن الفرضي (ت403هـ)، عني بنشره: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1988م.

21. تاريخ القبائل العربيَّة في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكيَّة: محمود السيِّد، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 1998م.

22. تاريخ اللغات السامية: إسرائيل ولفنسون، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1914م، مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، 1929م.

23. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: ابن حجر العسقلانيّ (ت852هـ)، تحقيق: علي محمَّد البجاويّ، مراجعة: محمَّد علي النجَّار، المكتبة العلميَّة، بيروت.

24. ترتيب المدارك وتقريب المسالك: القاضي عياض (ت544هـ)، تحقيق: جماعة، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط1، 1965-1983م.

25. تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلانيّ (ت852هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظاميَّة، حيدر أباد الدَّكَن، الهند، ط1، 1325هـ.

26. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزِّيّ (ت742هـ)، حقَّقه وضبط نصَّه وعلَّق عليه: بشَّار عوَّاد معروف، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط2، 1992م.

27. الجامع (جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم): محمَّد عبد القادر بامَطْرَف، الهيئة العامَّة للكتاب، صنعاء، 1998م.

28. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: ابن حميد الأزدي (ت488هـ)، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966م.

29. الجَرْح والتعديل: أبو محمَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت327هـ)، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، 1952م، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

30. جمهرة أنساب العرب: ابن حزم الأندلسي (ت456هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.
31. حَجْرُ رُعَيْن القبيلة والمكان والأعلام: سالم عبد الرب السلفي، كتاب إلكتروني منشور على موقع الألوكة، 2012م.
32. حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطيّ (ت911هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1967م.
33. خطط البصرة ومنطقتها: صالح أحمد العلي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1986م.
34. خطط الكوفة وشرح خريطتها: لويس ماسينيون، ترجمة: تقي بن محمد المصعبي، دار الوراق، بغداد، 2009م.
35. الخطط المقريزيَّة (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار): تقيُّ الدين أحمد بن علي المقريزيّ (ت845هـ)، منشورات مكتبة إحياء العلوم، طبع بمطبعة الساحل الجنوبيّ - الشياح، لبنان.
36. دَرُّ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة: جلال الدين السيوطيّ (ت911هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: خالد عبد الفتاح شبل أبو سليمان، مؤسَّسة الكتب الثقافيَّة، بيروت، ط1، 1997م.
37. دور القبائل العربيَّة في صعيد مصر: ممدوح عبد الرحمن الريطيّ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1996م.
38. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابن بسام (ت542هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ط1، 1979م.
39. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت703هـ)، تحقيق: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م.

40. رحلة الوزير في افتكاك السير: محمد الغساني الأندلسي (ت1119هـ)، حررها وقدم لها: نوري الجراح، دار السويدي - أبوظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط1، 2002م.
41. صفة جزيرة العرب: الهمداني (ت334هـ)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1990م.
42. طبقات علماء أفريقية: أبو العرب محمد بن أحمد التميمي المغربي (ت333هـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
43. فتح العرب لمصر: د. أَلْفِرد بَتْلَر، تعريب: محمَّد فريد أبو حديد، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1914م، مطبعة دار الكتب المصريَّة بالقاهرة، 1933م.
44. فتوح البلدان: البلاذري (ت279هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م.
45. فتوح الشام: أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
46. فتوح مصر والمغرب: ابن عبد الحكم (ت257هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، سلسلة الذخائر (49)، الهيئة العامَّة لقصور الثقافة، القاهرة، تاريخ مقدِّمة المؤلِّف: 1961م.
47. القبائل العربيَّة في مصر في القرون الثلاثة الأولى الهجريّة: عبد الله خورشيد البري، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، 1992م.
48. القبائل اليمنيَّة في مصر (منذ الفتح العربيِّ حتى نهاية العصر الأمويّ): السيد طه أبو سديرة، مكتبة الشعب، القاهرة، 1988م.
49. الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع: عبد الله بن أحمد الناخبي (ت1428هـ)، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 1999م.
50. المجتمع في مصر الإسلاميَّة من الفتح العربيِّ إلى العصر الفاطميّ: هويدا عبد العظيم رمضان، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، 2006م.
51. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان: عفيف الدين

عبد الله بن أسعد اليافعيّ (ت768هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، 1997م.

52. مصر في فجر الإسلام من الفتح العربيِّ إلى قيام الدولة الطولونيَّة: سيِّدة إسماعيل كاشف، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة 1994م، تاريخ مقدِّمة المؤلِّفة: 1947م.

53. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأُسيدي الدباغ (ت696هـ)، أكمله وعلق عليه: القاسم بن عيسى التنوخي (ت839هـ)، تحقيق: إبراهيم شبّوح، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968م.

54. معجم أعلام يافع: سالم عبد الرب السَّلَفيّ، د. ن، عدن، ط2، 2013م.

55. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمَويّ (ت626هـ)، دار بيروت ودار صادر، بيروت، 1957م.

56. المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، دار العلم للملايين – بيروت، مكتبة النهضة – بغداد، ط2، 1977م.

57. نسب مَعَدّ واليمن الكبير: ابن الكَلْبيّ (ت 204هـ)، تحقيق وخطّ ومشجَّرات: محمود فردوس العظم، قراءة: رياض عبد الحميد مراد، دار اليقظة العربيَّة، دمشق، 1988م.

58. الوافي بالوَفَيَات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَديّ (ت764هـ)، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط1، 2000م.

59. يافع في مصر ودراسات أخرى: سالم عبد الرب السلفي، صنعاء، ط1، 2010م.

60. اليمن الكبرى: حسين بن علي الويسي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1991م.

Paisajes de conquista, Cambio cultural y geográfico en la España medieval: Thomas F. Glick, Universitat de València, 2007.

أثر هجرة قبائل يافع في مدينة عدن في أثناء حكم الدولة الرسولية

أ. د. طه حسين هُديل
أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته - جامعة عدن

المقدمة:

من المعروف تاريخيًا أن يافع قبيلة حميرية شهيرة، سكنت مساحة جغرافية واسعة، حملت اسم هذه القبيلة، وأصبحت لا تعرف إلا بها، وتميزت منطقة يافع بجبالها العالية الوعرة، وصعوبة بيئتها، مما كان له الأثر الكبير على أبنائها وسكانها المقيمين فيها، والذين عرفوا بقوتهم الجسمانية، وقدراتهم وصلابة تعاملهم مع الطبيعة القاسية التي نشؤوا وتربوا وترعرعوا فيها، مع ما عرفت به منطقة قبائل يافع من صفات ميزتها عن بقية المناطق من ناحية أجوائها الجميلة والباردة على مدار العام، وتنوع زراعتها النادرة التي اشتهرت بها منذ قديم الزمن، وانفرادها بنمط معماري معين ومتميز ونادر، عانقت فيه مساكن أهلها وحصونهم جبال يافع الشامخة عبر التاريخ.

ومع ذلك، فقد كان لتلك الطبيعة الوعرة، وشحة المياه، وقلة فرص عمل أفراد هذه القبيلة أثره في خروج العديد من أبنائها في هجرات متتالية عبر حقب تاريخية مختلفة، فكان من تلك الهجرات ما هو داخلي في إطار مناطق جنوب الجزيرة العربية، ومنها ما هو خارجي تعدى الجزيرة العربية وأبعد من ذلك، فانتشروا في بقاع الأرض في محاولة لإيجاد فرص عمل تساعدهم وأسرهم على العيش، مع محافظتهم على هويتهم اليافعية التي سعوا إلى ترسيخها في كل البلاد التي استقروا فيها، بينما خرج بعضهم بهدف طلب العلم ونشره، حتى برز العديد من علمائهم في إطار اليمن وخارجها.

وقد شهدت حقبة التاريخ الإسلامي هجرات مختلفة لأفراد وجماعات من أبناء هذه القبيلة، أسهمت فيها المستجدات التي شهدتها الدولة الإسلامية التي فتحت

المجال للمسلمين للمشاركة في حركة الفتوح الإسلامية، فكان لخروجهم دوره في بناء الدولة الإسلامية في مختلف البلاد المفتوحة في العراق والشام ومصر والمغرب الإسلامي وغيرها، فأصبح منهم القادة والقضاة والمشايخ والعلماء والفقهاء وغيرهم.

إلا أن من أكثر هجرات قبائل يافع شهرة في العصر الإسلامي هي التي اتجهت جنوبًا لتستقر في مناطق ومدن معينة ذات ثقل سياسي أو اقتصادي تجاري أو علمي. وتعد مدينة عدن الساحلية وما جاورها من أكثر مناطق اليمن وجنوب الجزيرة العربية التي كان للهجرات اليافعية نصيب كبير فيها. ومن الملاحظ أن هجرات قبائل يافع لاسيما خلال مدة الدراسة المحددة بالدولة الرسولية التي حكمت اليمن من سنة 626 – 858هـ/ 1229 – 1454م جاءت بشكل جماعات قبلية استفادت من حالة الصراع الذي كانت تشهده اليمن بين حكام آل رسول والمنافسين لهم من أبناء البيت الرسولي نفسه أو القبائل اليمنية أو الزيدية أو المماليك الذين قدموا إلى اليمن عبر مراحل زمنية مختلفة.

ومن خلال البحث والتقصِّي في تلك الهجرات اليافعية التي اتجهت إلى عدن خلال مدة الدراسة فإننا نجد أن من أشهر تلك القبائل: قبائل آل أحمد، وقبائل آل كلد الذين برزوا في ظل الصراع الذي شهدته الدولة الرسولية في مراحلها المتأخرة، وقد بلغ من عظم أفراد هذه القبائل وقوتهم – التي على ما يبدو لم تؤثر فيهم المدنية – إلى أن يصبحوا هم المتحكمين في أمر الصراع الداخلي لمدينة عدن بعد الضعف الذي نخر في جسم الدولة الرسولية.

وفي الوقت نفسه، كان لقبائل يافع التي انتقلت لتستقر حول مدينة عدن أثره في عدم استقرار هذه المدينة وما جاورها، بعدما دخل أفرادها في صراعات مستمرة ودموية مع سلاطين الدولة الرسولية الذين عجزوا عن إخماد هجمات هذه القبائل اليافعية، على الرغم من المحاولات المتعددة التي بذلها حكام بني رسول لكسب ود زعماء هذه

القبائل ورضاهم، في محاولة لضمهم لكيان هذه الدولة التي عرفت بحنكة حكامها وقدراتهم السياسية.

وعلى أية حال، فقد كان من بين أهم أسباب اختياري لهذا البحث رغبتي في التعرف على تاريخ هذه القبيلة خلال مدة التاريخ الإسلامي، وتحديدًا في عصر الدولة الرسولية التي حكمت اليمن لمدة زمنية طويلة لم تنافسها فيه أي دولة أخرى، فضلًا عن رغبتي في التعرف على أثر هجراتهم على عدن، لاسيما وأن معظم تلك الهجرات شملت فروع من هذه القبيلة بجميع أفراد أسرها، أو أفراد منها، ولتحقيق الهدف المنشود من هذا البحث قمت بتقسيمه إلى مقدمة، وثلاثة مباحث رئيسة، تناولت في المبحث الأول منها تاريخ هذه القبيلة في العصر الإسلامي، وهجراتها المختلفة، وخصصت المبحث الثاني لمعرفة علاقة هذه القبيلة بالدولة الرسولية، وما شهدته من صراع كان له تأثير كبير على علاقتهم المختلفة، وأفردت المبحث الثالث لدراسة هجرات قبائل يافع إلى عدن وأثرها السياسي والعلمي، ودورها في زعزعة أمن الدولة الرسولية في عدن، وما ترتب على ذلك من صراع شديد برز بين قبائل يافع نفسها في عدن بين آل أحمد وآل كلد، والذي كان سببًا في أن تشهد هذه القبائل هجرات أخرى انتشرت في أفريقيا والهند وغيرها، إضافة إلى معرفة أثر هذه القبائل في إسقاط الدولة الرسولية نفسها، وقيام الدولة الطاهرية خلفًا لها، وأنهيت دراستي هذه بخاتمة لخصت من خلالها أهم النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول: يافع في العصر الإسلامي

يافع قبيلة حميرية معروفة بتاريخها الذي تعدى حدود المنطقة التي عرفت بها جغرافيًا، وقد أولاها علماء الأنساب اهتمامًا خاصًّا بحكم دورها وبعض أفردها المنتسبين إليها في العصر الإسلامي، وخلال مدة الفتوحات الإسلامية التي لمعت فيها بعض الأسماء اليافعية الشهيرة، التي هاجرت خلال حقب زمنية مختلفة لتبرز حيث ما حلت بأعمالها القيادية والإدارية والعلمية وغيرها.

أولًا- نسب يافع وأبرز من انتسب إليها منذ الفتح الإسلامي:

يجمع أكثر علماء الأنساب وغيرهم على أن قبيلة يافع تعود إلى: يافع بن زيد بن مالك بن زيد بن رعين، بطن من حمير ثم رعين[1]، وقد نسب إليها العديد من علماء الأمة الذين كان لهم دور كبير في الدولة الإسلامية، أمثال: الصحابي الجليل أبي مسلم اليافعي صاحب رسول الله ﷺ، ومؤذن القائد والفاتح المسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه، واشتهر عنه أنه كان من أوائل من استخدموا البخور في المسجد بمصر[2]، وأبو يزيد أنيس بن عمران اليافعي، وراشد بن جندب اليافعي، الذين اشتهروا بروايات الحديث في مصر خلال القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي[3]، كما اشتهر بها من جاء بعدهم من أبنائهم في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، أمثال: أبي يزيد عبد المتعال بن عمران بن يزيد بن أنيس بن عمران اليافعي الجيزي ت بعد سنة:

---

(1) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (ت: 562هـ)، الأنساب، ج13، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد، 1382هـ/ 1962م، ص472؛ الهمداني؛ زين الدين أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (ت: 584هـ)، عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، حققه وعلق عليه وفهرس له: عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط3، القاهرة، 1393هـ/ 1973م، ص126؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت: 630هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، ج3، دار صادر، بيروت، د. ت، ص405؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت، د. ت، ص282؛ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري الحنبلي (ت: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج8، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1406هـ/ 1986م، ص363.

(2) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، القاهرة، 1387هـ/ 1967م، ص132.

(3) ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص363.

260هـ/ 873م، الذي عرف بالجيزي لسكنه منطقة الجيزة في مصر - على ما يبدو -، حتى أنه كان من أشهر من رووا الحديث في مصر[1].

وتورد لنا بعض المصادر التاريخية أسماء لبعض ممن ينتسبون إلى قبيلة يافع ممن كان لهم دور في فتح بعض الأقطار الإسلامية، أمثال: شُرَيْح اليَافِعِيّ، الذي شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، ورَوَى حَدِيثَهُ المُحَلِّمُ بنَ وَدَاعَةَ اليَمَامِيّ في التَّلْبِيَةِ[2]، وعمرو بن شعواء اليافعي الذي شهد فتح مصر أيضًا، وروى عنه بعض رواة الحديث أمثال: أبي معشر الحميري[3]، ومُبَرِّح بن شهاب بن الحارث بن ربيعة بن سحيت الرعيني اليافعي، حيث كان له وفادة، وشهد فتح مصر[4]، ويزيد بن إلياس بن محمد اليافعي الذي اشتهر في مصر، وأصبح يعرف باليافعي المصري[5].

كما عُرف من أهل يافع في بلاد مصر شخصيات برزت بعد هجرتها إلى هناك أمثال: زرع بن يشكر اليافعي[6]، ونزيل مصر المقرئ أَبُو عَلِيّ الْحَسَن بْن سُلَيْمَان بْن الخير

(1) ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، أبو سعيد (ت: 347هـ)، تاريخ ابن يونس المصرى، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، ص324؛ ابن ماكولا، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت: 475هـ)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1411هـ/ 1990م، ص3.

(2) الأصبهاني، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن مندة العبدي (ت: 470هـ)، المستَخرجُ من كُتب النَّاس للتَّذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة، ج2، تحقيق: أ. د. عامر حسن صبري التَّميميّ، وزارة العدل والشؤون الإسلامية البحرين، إدارة الشؤون الدينية، د. ت، ص187؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597هـ)، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، بيروت، 1997م، ص149.

(3) الأصبهاني، المستَخرجُ، ج2، ص261.

(4) الأصبهاني، المستَخرجُ، ج2، ص329.

(5) الأصبهاني، المستَخرجُ، ج3، ص359.

(6) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: 310هـ)، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد

اليافعي الْأنطاكي، الذي قرأ القراءات عَلَى أَبِي الفتح بْن بدهن، وعَلِيّ بْن مُحَمَّد بن عَلِيّ الْأدفوي، وعَلِيّ بْن الفرج الشنبوذي، وجماعة، ويقال إنه كَانَ من أحفظ أهل عصره للقراءات والشَّواذ، ومع ذَلِكَ يحفظ تفسيرًا كثيرًا، ومعانيَ جمّة، وإعرابًا، وعللًا[1].

ولم تكن مصر فقط هي وجهة أهل يافع، إذ سمحت الظروف بهجرة العديد منهم بعد استقرار الأوضاع في الدولة الإسلامية، إلى مناطق أخرى من أقاليم العالم الإسلامي، لاسيما إلى المغرب الإسلامي، وبلاد الأندلس، ومن أشهر من عرف منهم – على سبيل المثال لا الحصر –: العلامة المقرئ أَبو الْعَبَّاس أَحْمَد بْن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن اليافعي ت: 575هـ/ 1179م، وكان من أَهْلَ سَبْتَة في المغرب، ويكنى بِابْن الْمَعْذُور، روى عَنْ أبي الْحَسَن شُرَيْح وَأبي الْفضل بن عِيَاض وَأبي الْقَاسِم بن رضَا وَأبي الْحسن عَليّ بن غماد المالقي وَغَيرهم، وتجوَّل فِي بِلَاد الأندلس، وَبلغ بلنسية فَسمع بهَا من أبي الْحَسَن بْن هُذَيْل، وهنالك لقِيه ابْن عياد وَأَجَازَ لَهُ رِوَايَته، وَمِنْهَا كتاب: الإلماع لعياض[2].

وفي الوقت نفسه، برز في بلاد المغرب الإسلامي أيضًا: العلامة المقرئ أَبُو الْعَبَّاس بن الْمَعْذُور اليافعي، الذي أخذ القراءات عن عدد من علماء القراءات في سبتة وغيرها[3].

القرطبي (ت: 369هـ)، ج4، دار التراث، ط2، بيروت، 1387ه، ص348؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج5، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 141 هـ/ 1992م، ص51.

(1) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: 748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج3، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1413هـ/ 1993م، ج27، ص368.

(2) ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: 658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1415هـ/ 1995م، ص112.

(3) ابن الأبار، التكملة، ج3، ص187.

علمًا بأن تلك الأسماء التي أوردنا ذكرها ما هي إلا نماذج فقط لشخصيات يافعية كثيرة حاولنا تجنب ذكرها خوفًا من الإطالة في الموضوع، فضلًا عن صعوبة ذكر الجميع في هذا البحث البسيط والمتواضع.

ثانيًا- يافع في كتابات الرحّالة والجغرافيين المسلمين:

حظيت يافع باهتمام العديد من المؤرخين والجغرافيين المسلمين الذين راحوا في تدوين مشاهداتهم أو ما سمعوه عنها وفروعها وموقعها وأوديتها وغير ذلك من الأمور المتعلقة بهذه القبيلة الحميرية الشهيرة، ويذكر لنا المؤرخ والجغرافي والنسابة اليمني الهمداني[1] معلومات قيمة ومتنوعة عن يافع، مشيرًا إلى بعض قبائلها، وأحلافهم، ومساكنهم، وجبالها وأوديتها الشهيرة التي راح في وصفها تحت مسمى سرْو حميرَ وأوديته وساكنه، فقال في ذلك: العرّ وثمر وحبة وعلة وحطيب ويهر وذو ناخب جبل، وذو ثاوب وسلفة وشعب وعرُّ ميحان وسلُّب والعرقة ومدورة والمجزعة وتيم، فالعرُّ لأذان من يافع، وثمر للذّراحن من يافع، وحبة للأبقور من يافع، وعلّة الأصوت من يافع، وحطيب لبني قاسد من يافع، يهر لبني شُعيب من يافع، ذو ناخب لبني جبر منهم، وذو ثاوب لبني صائد منهم، سلفة لبني شُعيب أيضًا، شعب لبني سميّ منهم، عرّ ميحان لبني شعيب أيضًا، سُلُّب لبني جبر، العرقة للأهجور منهم وهي واد وهم بنو هجر، صدور لكلب من يافع، وفي كل موضع من هذه المواضع قرى مساكن كثيرة.

ويذكر في موضع آخر أحلافهم من القبائل المحيطة بهم، ومساكنها، وما يربطهم بهم بقوله: أرض حلاهم وأحلافهم من بني جعدة من الأودية الضَّباب ووادي حضر الذي فيه محجة إلأى صنعاء، ووادي شرعة والمكنة والجعدية ووادي ثوبة ووادي المقطن والمعتنق ووادي شكع وأخلة ووادي الثَّمرى ووادي عمق ووادي سمِّح ووادي عتبة ووادي وحدة ووادي ضرعة تصب هذه الأودية إلى أبين الكور بين يافع ومذحج،

(1) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود (ت: 334هـ)، صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن، 1884م، ص89.

الضَّباب للأعضود من جعدة حضر للأعضود من جعدة، شرعة لبني أعهاد من جعدة الحكنة للأعضود، الجعديّة لبني المهاجر من جعدة، ثوبة لبني المهاجر، المقطن للأعضود شكع وأخلة للأعضود وبني مهاجر، والثمرى للأعضود عمق للأحروث، سمح للأعضود، وحرير وجبلها حضر للأعضود، وادي بخال للأكنوس من بني مهاجر، الصُّهيب قرية سبأ موضع البحريين ذو دهانة وادٍ لبني بحر وبني ذهبان من الصدف، ذو يحبش وادٍ للمراثد، وادي توّنة للأصنعة من الأيزون، أسحم للسّكاسكة من جعدة الحبيل ليشحم...[1].

وقد بلغت مساكن بعض فروع قبائل يافع المهاجرة داخليًا في العصر الإسلامي عند بعض الجغرافيين المسلمين حدود لحج الواسعة وغيرها من مناطق اليمن وجنوب الجزيرة العربية، ومن تلك القبائل اليافعية قبائل الأبقور التي سكنت واستقرت في منطقة بني أبَّة في لحج[2].

ويشير الجغرافي والرحالة ياقوت الحموي[3] إلى يافع، أنها موضع في اليمن دون أن يحدد موقعها بالضبط، مشيرًا إلى أحد كبار علمائها في ذلك الوقت، واصفًا موقعه ومنصبه وأحد مؤلفاته، بقوله: يافِعٌ: أظنه موضعًا باليمن، ينسب إليه القاضي أبو بكر اليافعي اليمني قاضي الجند، صنف كتابًا في النحو سماه المفتاح.

ويأتي الرحالة البغدادي[4] ليشير إلى يافع دون أن يحدد موقعها الجغرافي، وعلى ما يبدو أنه قد اعتمد على ما جاء به ياقوت الحموي من معلومات مقتضبة، لا تشبع شهية الباحث في تاريخ يافع في العصر الإسلامي، إذ قال عنها: يافع: قال أظنّه موضعًا باليمن.

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص89.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص98.

(3) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، معجم البلدان، ج5، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، ص426.

(4) صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي الحنبلي (ت: 739هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج3، دار الجيل، ط1، بيروت، 1412هـ، ص1471.

ومن الملاحظ، أن ذكر قبائل يافع في بعض أقطار العالم الإسلامي بلغ شهرة لم يسبقهم إليها أحد، لاسيما في عدد من مدن بلاد مصر والقاهرة التي استقرت فيها قبائل يافع إلى جانب العديد من القبائل اليمنية الأخرى المهاجرة، أمثال: قبائل همدان، وذو أصبح، وشمر وغيرهم، وقد استعمل بعض قادة الفتح الإسلامي عددًا من القبائل اليمنية المشاركة بالفتح، لإقرار الأوضاع الأمنية في بعض المدن المصرية، إذ يذكر أن عمر بن العاص رضي الله عنه عندما أراد إقرار الأمن في بعض المدن المصرية كالفسطاط؛ طلب من قبيلة يافع وغيرها الاستيطان فيها، وقيل في ذلك: «ولما رجع عمرو بن العاص من الإسكندرية، ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفًا من عدوّ يغشاهم من تلك الناحية، فجعل فيها آل ذي أصبح من حمير، وهم كثير، ويافع بن زيد من رعين، وجعل فيها همدان، وجعل فيها طائفة من الأزديين بني الحجر بن الهبو بن الأزد، وطائفة من الحبشة، وديوانهم في الأزد، فلما استقرّ عمرو في الفسطاط، أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا إليه فكرهوا ذلك، وقالوا: هذا مقدم قدمناه في سبيل الله، وأقمنا به ما كنا بالذين نرغب عنه، ونحن به منذ أشهر»[1].

وفي موضع أخر يقول المقريزي[2]: «ويقال: إن عمرو بن العاص، لما سأل أهل الجيزة أن ينضموا إلى الفسطاط قالوا: مقدم قدمناه في سبيل الله، ما كنا لنرحل منه إلى غيره، فنزلت يافع الجيزة فيها مبرح بن شهاب، وهمدان، وذو أصبح، فيهم أبو شمر بن أبرهة وطائفة من الحجر».

وقد عرفت يافع بمساكنها وحصونها في مصر بعدما صار لها شأن كبير بين بقية القبائل اليمنية المشاركة في حركة الفتح، حتى إنه يقال عن ذلك: «وقال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب: فاستحبت همدان ومن والاها الجيزة، فكتب عمرو بن العاص

---

(1) المقريزي، أبو العباس تقي الدين حمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت: 845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ، ص380..
(2) المصدر نفسه، ص380.

إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بما صنع الله للمسلمين، وما فتح عليهم، وما فعلوا في خططهم، وما استحبت همدان من النزول بالجيزة، فكتب إليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك، ويقول له: كيف رضيت أن تفرّق أصحابك لم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر، ولا تدري ما يفجأهم فلعلك لا تقدر على غياثهم حين ينزل بهم ما تكره؟ فاجمعهم إليك فإن أبوا عليك، وأعجبهم موضعهم بالجيزة، وأحبوا ما هنالك، فابن عليهم من فيء المسلمين حصنًا، فعرض عليهم عمرو ذلك، فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجيزة، ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها، وأحبوا ما هنالك، فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن في الجيزة في سنة إحدى وعشرين، وفرغ من بنائه في سنة اثنتين وعشرين[1].

وقد شكلت الجيزة من أهم مدن مصر استقرارًا ليافع وغيرها، بعدما خططوا مساكنهم في المدينة، إذ يذكر أن القائد عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ليخبره: «أنّ همدان وآل ذي أصبح ويافعًا ومن كان معهم أحبوا المقام بالجيزة، فكتب إليه كيف رضيت أن تفرّق عنك أصحابك، وتجعل بينك وبينهم بحرًا لا تدري ما يفجأهم، فلعلك لا تقدر على غياثهم، فاجمعهم إليك، ولا تفرّقهم فإن أبوا وأعجبهم مكانهم، فابن عليهم حصنًا من فيء المسلمين، فجمعهم عمرو وأخبرهم بكتاب عمر، فامتنعوا من الخروج من الجيزة، فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم، فكرهوا ذلك، وقالوا: لا حصن أحصن لنا من سيوفنا، وكرهت ذلك همدان ويافع، فأقرع عمرو بينهم، فوقعت القرعة على يافع، فبنى فيهم الحصن في سنة إحدى وعشرين، وفرغ من بنائه في سنة اثنتين عشرين، وأمرهم عمرو بالخطط بها، فاختط ذو أصبح من حمير من الشرق، ومضوا إلى الغرب، حتى بلغوا أرض الحرث والزرع، وكرهوا أن يبني الحصن فيهم، واختط يافع بن الحرث من رعين، بوسط الجيزة وبنى الحصن في خططهم، وخرجت طائفة منهم عن الحصن أنفه منه، واختطت بكيل بن جشم من

(1) المصدر نفسه، ص380 – 381.

نوف من همدان في مهب الجنوب من الجيزة في شرقيها، واختطت حاشد بن جشم من نوف في مهب الشمال من الجيزة في غربيها، واختطت الجباوية بنو عامر بن بكيل في قبليّ الجيزة، واختطت بنو حجر بن أرحب بن بكيل في قبليّ الجيزة، واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهبو بن الأزد، فيما بين بكيل ويافع، والحبشة اختطوا على الشارع الأعظم[1].

ثالثًا- دور علماء يافع في عدن وغيرها في العصر الإسلامي:

تورد بعض المصادر التاريخية المتوافرة لدينا أسماء لعدد من العلماء والفقهاء والمشايخ ممن ينتسبون إلى يافع القبيلة والمنطقة، وهاجروا منها إلى بعض المناطق المحيطة بها، أو القريبة منها في العصر الإسلامي، بهدف طلب العلم، أو للقاء كبار العلماء، أو للحصول على الإجازات العلمية، أو لسفر لاسيما وأن بعض المناطق كانت بمثابة محطات عبور ينطلق منها الناس إلى الخارج لأغراض مختلفة كالحج أو التجارة أو الرحلة العلمية وغير ذلك، وكانت مدينة عدن أو حضرموت أو إب أو صنعاء أو لحج أو أبين وغيرها من أبرز المناطق والمدن التي نزل بها أهل يافع، لينطلق منها البعض إلى الخارج، أو البقاء فيها بعدما وجد فيها سبل العيش التي يبحثون عنها، ومن أبرز من ورد ذكرهم في المصادر التاريخية - على سبيل المثال لا الحصر -: الشيخ الحافظ المحدث عبد الملك بن محمد اليمني اليافعي ت: 493هـ/ 1099م، الذي رحل وسمع من جماعة كبار العلماء في مكة وعدن وجبال اليمن، وروى كتاب: الرسالة للشافعي، و مختصر المزني، و الدقائق لابن المبارك، وكان شيخًا فاضلًا ورعًا زاهدًا، يقال إنه سأله بعض أهل بغداد الانتقال إليه ليقرأ عليه، وبذل له في ذلك مالًا، فامتنع، وكتب إليه بقصيدة ردًا عليه[2]. والفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي الأغر بن أبي

(1) االمقريزي، مرجع سابق، ص380 - 381.

(2) اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج2، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ص118.

القاسم بن عوف بن عناق اليحيوي اليافعي ت: 537هـ/ 1142م، الذي اشتهر بغزارة علمه ومعرفته، وتصنيفاته، وذريته التي اشتهرت بالفقه والمعرفة[1]، والعلامة أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم اليافعي ت: 556هـ/ 1160م، صاحب العلوم المختلفة، ونزيل عدن وعالمها، لما أخذ عنه من أهل عدن وطلابها من علوم مختلفة كعلوم الحديث، أمثال القاضي أحمد بن عبد الله القريظي الذي سمع عليه موطأ الإمام مالك[2]. في حين كان الفقيه محمد بن ثعاله بن مسلم اليافعي ت: 558هـ/ 1162م من أبرز علماء يافع الذين انتقلوا إلى مناطق حبيش في إب، حتى صار من أصحاب العلامة الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني بعد أن تفقه على يده[3].

ومن أبرز الشخصيات العلمية اليافعية التي انتقلت إلى مدينة عدن، لطلب العلم واشتهرت فيها: العلامة والمؤرخ عفيف الدين أبو محمَّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي ت: 768هـ/ 1366م، صاحب كتاب: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان الذي اشتهر بمعرفته لأنواع العلوم والأخبار، وقد نزل عدن وقرأ القرآن على الفقيه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد البصال المعروف بالذهبي ت: 745هـ/ 1344م والقاضي شرف الدين أحمد بن علي الحرازي، ثم هاجر إلى مكة لينزل بها ويستقر[4]. والعلامة الفقيه الشافعي محمد بن عيسى اليافعي ت:

---

(1) الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: 732هـ/ 1331م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج1، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، ط2، صنعاء، 1414هـ/ 1993م، ص276.

(2) الجندي، السلوك، ج1، ص306 - 309.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص352.

(4) انظر: السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت: 771هـ/ 1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، ج3، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار الهجرة، ط2، د. ب، 1413هـ/ 1992م، ص95؛ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت: 772هـ/ 1370م)، طبقات الشافعية، ج2، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/ 1987م، ص330؛ ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد

775هـ/ 1373م، قاضي عدن، وأحد أبرز فضلائها وأخيارها، وهو والد الفقيه عمر قاضي عدن[1]، والعلامة علي بن الجمال محمد بن عيسى اليافعي، كان عارفًا بالنحو ببلاد اليمن، ومات بعدن[2]، والْفَقِيه الصَّالح الْعَلامَة رَضِيّ الدّين أَبُو بكر بن عَليّ بن قسْمَة اليافعي الحريري ت: 811هـ/ 1408م، الذي عرف عنه أنه كَانَ إِمَامًا فَاضلًا بارعًا فِي الْعُلُوم، كما كَانَ فِي الْوَرع وَالْعِبَادَة على جَانب عَظِيم، أَهله القَاضِي جمال الدّين مُحَمَّد بن عِيسَى اليافعي بابنته فَكَانَ تَارَة يقف فِي ثغر عدن يدرِّس ويفتي، وَتارَة يكون فِي مَكَان من بلد يافع يُسمى ذِي عسل[3].

والقاضي الْفَقِيه عفيف الدّين عِيسَى بن عمر اليافعي ت: 830هـ/ 1426م، الذي تَوَلِي الْقَضَاء بعدن فِي سنة 823هـ/ 1420م حتى توفي هناك في السنة المذكورة[4]. والمقرئ بدر الدين حسن بن محمد اليافعي ت: 830هـ/ 1426م، الذي سكن قرية

الشافعي المصري (ت: 804هـ)، طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ/ 1994م، ص55؛ بامخرمة، أبي محمد الطيب بن عبد الله (ت: 947هـ/ 1538م)، تاريخ ثغر عدن، ج2، دار التنوير، ط2، بيروت، 1407هـ/ 1986م، ص109 – 110، 111؛ الدمشقي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل (ت: 1111هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1، دار صادر، بيروت، ص165؛ المنصوري، أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي، السَّلسَبيلُ النَّقِي في تَرَاجِم شيُوخ البَيهَقِيّ، قَدَّمَ لَهُ: الأستَاذ الدكتور أحمَد معبَد عَبْد الكَريم والشيخ أبو الحسن مصطفى بنَ إسماعيل السُّليماني، دَارُ العَاصِمَة للنشر والتوزيع ط1، الرياض، 1432 هـ/ 2011م، ص 168.

(1) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: 852هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1389هـ/ 1969م، ص68، 387.

(2) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج1، ص387.

(3) البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن السكسكي اليمني (ت: 904هـ)، طبقات صلحاء اليمن المعروف بـ: تاريخ البريهي، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ/ 1994م، ص328.

(4) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص331.

حبيل بعزلة مطاية بجبل بعدان في إب، وقرأ على يد الإمام عفيف الدين الشنيني القراءات المختلفة، وأصبح من خواص الإمام المذكور، ثم زوجه ابنته فيما بعد[1].

ومن خلال كل ذلك، يتبين لنا أن قبيلة يافع ذاع صيتها منذ اللحظات الأولى لظهور الإسلام، حتى برز منهم الصحابة والفاتحون والعلماء والفقهاء والرواة والمحدثون وغيرهم ممن هاجروا من سرو حمير يافع اليوم ليقيموا لهم تاريخ جديد دونته الكتب وتفاخرت به العرب عبر الأزمان، ومع ذلك ظلت الهجرة الداخلية من الهجرات التي شهدت ليافع ورجالها قدراتهم القيادية والعسكرية، وكانت مدينة عدن التاريخية من المدن التي هاجرت إليها يافع لتستقر فيها بصورة أفراد أو جماعات بفروعها المختلفة، حتى برز ذكرهم خلال بعض الحقب الزمنية من تاريخ مدينة عدن، لاسيما خلال عصر الدولة الرسولية التي حكمت اليمن مدة زمنية طويلة، وهو ما سوف نتحدث عنه بالتفصيل في المباحث القادمة.

المبحث الثاني: علاقة يافع بالدولة الرسولية في عدن وما جاورها

شهدت مدينة عدن عبر تاريخها الطويل هجرات متعددة كان مصدرها قبائل اليمن الأوسط أو القبائل الشمالية أو الشرقية أو الغربية من اليمن، فضلًا عن الجماعات التي وفدت على هذه المدينة عبر البحر لتشكل فيما بعد جزءًا مهمًا من نسيجها الاجتماعي. وتعد قبائل يافع من بين أهم تلك القبائل التي توافد أفرادها إلى مدينة عدن بشكل فردي أو جماعي، ليكونوا الجزء الأهم من ذلك النسيج الذي عرفته مدينة عدن إلى جانب غيرهم السكان. ومن الملاحظ أن خروج قبائل يافع أو بعض أفرادها إلى عدن جاء نتيجة لأسباب لم توردها المصادر التاريخية بشكل واضح وصريح، بل يمكن استنتاجها من خلال ما تحدثت عنه هذه المصادر عن أخبار أهل يافع وقدومهم إلى عدن، واستقرارهم فيها.

---

(1) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص214.

أولًا- أسباب الهجرة اليافعية إلى عدن:

تميزت منطقة يافع عن غيرها من مناطق اليمن وجنوب الجزيرة العربية بميزات جعلت منها ومن سكانها يتفردون عن غيرهم بصفات كانت من بين أهم الأسباب التي دفعت بالعديد منهم إلى الخروج عن أرضهم ليستقروا في مناطق أخرى في الداخل والخارج. وبعد البحث فيما جاء عن هجرة هذه القبائل إلى عدن أو غيرها يمكن حصر تلك الأسباب في الآتي:

1. طبيعة منطقة يافع الجغرافية، وتركيبتها الجبلية المرتفعة والقاسية والصعبة والوعرة، وما ترتب عليها من شحة في المياه، نقص في الزراعة لاسيما في فصل الشتاء الغارس، وما ترتب على ذلك من سوء الحياة المعيشية التي ألجأت اليافعي إلى الهجرة بحثًا عن لقمة العيش.
2. الأجواء الطبيعية الباردة خلال فصل الشتاء، التي أثرت على سكان يافع ومعيشتهم، وصعوبة الحصول على المياه وغير ذلك من الأمور الاجتماعية التي دفعت بعضهم إلى الخروج إلى مناطق أكثر قابلية للعيش فيها.
3. الصراعات القبلية بين بعض أفراد هذه القبائل، وانتشار الثأر بينهم، وما ترتب عليه من حالة عدم الاستقرار الاجتماعي الذي دفع بعض قبائل يافع أو أفراد منها إلى الهجرة إلى مدينة عدن أو غيرها.
4. البحث عن فرص عمل في عدن التي اشتهرت بمينائها التجاري النشط، وأسواقها الحية بأنواع البضائع الواردة من الداخل والخارج، وأمنها واستقرارها، حتى أصبحت قبائل يافع خلال بعض المراحل من حكم آل رسول هي المسؤولة الأولى عن هذه الأسواق وحمايتها وترتيبها وتنظيمها، فضلًا عن تولي أفراد من فروع هذه القبيلة مسألة حماية عدن وأبوابها وأسوارها وتحصيناتها التاريخية المختلفة.
5. رغبة بعض علماء يافع وطلاب العلم فيها للهجرة في طلب العلم، والالتقاء بكبار علماء عدن والعلماء الوافدين إليها لتحصيل العلم، والحصول على الإجازات

العلمية منهم، والاستفادة من خبراتهم التعليمية ومؤلفاتهم التي أبرزت عدن لتكون من أهم المراكز العلمية والتعليمية في اليمن والجزيرة العربية والبلاد الإسلامية.

وقد كان لكل تلك الأسباب وغيرها أثرها في خروج العديد من أهل يافع عن مناطقهم خلال مراحل زمنية متفاوتة في العصر الإسلامي، لاسيما في مدة حكم الأسرة الرسولية التي ارتبطت مع قبائل يافع بعلاقات كبيرة كان منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي.

ثانيًا- حكام آل رسول ويافع:

ساعدت الأوضاع السياسية التي شهدتها اليمن في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي على قيام الدولة الرسولية في سنة 626هـ / 1229م[1]، وذلك بعد دخول بني رسول إليها[2] مع القوات التي بعثها صلاح الدين

---

(1) ابن حاتم، بدر الدين محمد، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق: ركس سمث، لندن، 1974م، ص201.

(2) يشير الخزرجي إلى أن الأمير شمس الدين علي بن رسول دخل اليمن مع القوات الأيوبية وبرفقته أبناؤه بدر الدين الحسن، وشرف الدين موسى، وفخر الدين أبو بكر، ونور الدين عمر وهو أصغرهم ومؤسس دولة بني رسول في اليمن، علمًا بأن هناك خلاف بين المؤرخين في تحديد الزمن الذي دخل فيه بنو رسول اليمن، فالخزرجي نفسه يذكر رأيين أحدهما يناقض الآخر؛ فالرأي الأول يذكر فيه أن بني رسول دخلوا اليمن مع توران شاه بن أيوب سنة 569هـ/ 1173م. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج1، عنى بتصحيحه: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، القاهرة، 1329هـ/ 1911م ، ص28، 37. ومن المستبعد أن يكون هذا الرأي صحيحًا. والرأي الثاني يذكر فيه الخزرجي أن بني رسول دخلوا اليمن مع سيف الإسلام طغتكين بن أيوب. العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوطة مصورة، ط2، نشر وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، 1401هـ/ 1981م، ق96أ. وهو الرأي الأكثر ترجيحًا؛ لعدم ذكر المصادر لأي دور لهم إلاّ بعد دخول سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن، وهذا دليل على أنهم كانوا من بين رجال حملته. انظر مناقشة ذلك: محمد عبد العال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (626 – 923هـ/ 1213 – 1517م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م، ص63 – 65.

الأيوبي[1] بقيادة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سنة 579هـ/ 1183م[2]، وقد تمكنوا من إثبات وجودهم السياسي والاجتماعي، وحرصوا على إتباع سياسة يستطيعون من خلالها ربط أنفسهم بعامة الناس قبائلهم، مع أن تعاملهم مع اليمنيين لم يكن أمر غريبًا على أوائل سلاطينهم لكون أبناء هذه الأسرة قد امتزجوا بالمجتمع اليمني منذ أن كانوا ولاة في العصر الأيوبي[3]، مما جعلهم يحتلون مكانة في قلوب قبائل اليمن لتقربهم منهم بهدف عدم معارضتهم أو معارضة دولتهم التي برز نجمها في ذلك الوقت.

وقد سعى مؤسس الدولة الرسولية السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (626 – 647هـ/ 1229 – 1294م) – منذ أن لاحت له فكرة الانفراد عن الحكم الأيوبي – إلى اتِّباع سياسة يحاول من خلالها عدم إثارة القوى الداخلية والخارجية ضده وضد طموحاته التوسعية، حتى عندما تهيأت له الفرصة بوفاة آخر ملوك بني

---

(1) أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ب. د، القاهرة، 1947م، ص216؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار العلم، القاهرة، د. ت، ص48؛ الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تح: ناظم رشيد، بغداد، 1979م، ص400؛ ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبدالله، كنز الدرر وجامع الغرر، المعروف بـ: « الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، ج7، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، د . ن، القاهرة، 1392هـ/ 1972م ، ص70 ، 72.

(2) الخزرجي، العسجد المسبوك، ق96أ .

(3) تدرج بنو رسول خلال العصر الأيوبي في عدة مناصب ومكنوا وجودهم من خلال قضائهم على العديد من التمردات المناوئة لبني أيوب، ولكنهم في بعض الأحيان ساندوا المعارضة بل قادوها بأنفسهم، مما أعطاهم الصفة الوطنية التي عن طريقها بدأوا يخططون للتخلص من الوجود الأيوبي والانفراد بحكم اليمن. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص105 – 197؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ق90أ، 97أ؛ محمد عبد العال أحمد، الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م ، ص213، 278.

أيوب في اليمن الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل الأيوبي في مكة المكرمة سنة 626هـ/ 1229م[1]، أعلن المنصور أنه نائب لبني أيوب في اليمن[2]، ولم يعلن الاستقلال عنهم خوفًا من رد فعل الأيوبيين في مصر، وبعث للملك الكامل الأيوبي هدايا عديدة، وأبقى الخطبة والسكة كما كانت عليه للمسعود وبني أيوب ليدخل الطمأنينة والثقة في نفس الملك الكامل[3]، دون أن يكشف عن نيّته ومخططاته، في حين بدأ ينفذ سياسته الداخلية تمهيدًا لإعلان الانفصال عن الدولة الأم في مصر، فعزل كل من له صلة بالأيوبيين وسيطر على حصونهم، وأسر وقتل من رأى منهم المنعة والرفض، وأسرع في تولية الحصون لمن يثق بهم، ليتجنب الفوضى والاضطراب، ثم أعلن نفسه سلطانًا وتلقب بالمنصور[4].

---

(1) الملك الأشرف، أبو العباس إسماعيل بن العباس، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ج2، تح: محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي، بيروت، دار البيان، بغداد، د. ت، ص 438 – 439؛ ابن الجزري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، حوادث الزمان وأبناؤه ووفيات الأعيان من أبنائه، دراسة وتح: خضير عباس المنشداوي، ط1، دار الكتاب لعربي، بيروت، 1408هـ/ 1988م، ص371؛ أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تح: محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـ/ 1995م، ص76؛ الزبيدي، السيد محمد مرتضى، ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة: مجمع اللغة العربية، دمشق، 1388هـ/ 1969م، ص79.

(2) عندما قرر الملك المسعود العودة إلى ديار مصر لم يجد بين أرباب دولته وأعيانها وخواصها من يصلح للنيابة مثل الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول ففوضه رسميًا بذلك. انظر: ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص195؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص40 – 41؛ القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تح: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، ط1، مكتبة المنار، عمان، 1405هـ/ 1985م، ص21 (مقدمة المحقق).

(3) الخزرجي، العسجد المسبوك، ق97أ؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1956م، ص237.

(4) الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي، كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، دراسة وتح: عبد

وعلى الرغم مما شهدته الدولة الرسولية من تمردات قبلية وحركات عصيان مختلفة منذ لحظة التأسيس الأولى إلا أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أي دور لقبائل يافع في بداية قيام الدولة الرسولية، وقد برز دورهم بشكل واضح في أثناء الأزمة التي ظهرت بين السلطان المجاهد علي بن المؤيد داود (721 - 764هـ / 1321 - 1362م) وابن عمه الظاهر بن المنصور أيوب، وذلك عندما خالف الأمير شجاع الدين عمر بن بالبال العلمي الدويدار غلام الظاهر على السلطان المجاهد في لحج وأبين، وسار إلى عدن في شهر شعبان سنة 723هـ/ 1323م، وفرض الحصار عليها مدة عشرين يومًا، تمكن في الأخير من دخولها والسيطرة عليها بمساعدة جنود من يافع وضعهم السلطان لحماية المدينة وحصونها، وخطب فيها للظاهر بدلًا عن المجاهد[1]، وكانت تلك الخيانة من يافع سببًا في نهب المدينة وخرابها[2].

وأخذ السلطان المجاهد في إجراء محاولاته لإعادة السيطرة على عدن سنة 728هـ/ 1327م، حيث سار إليها وأقام في الأخبة، وكان عسكر عدن الموالون للظاهر يخرجون لقتال المجاهد، واستمرت الحرب سجالًا بينهم إلى آخر صفر من السنة المذكورة، في حين خرج جماعة من رتبة عدن من يافع للقاء المجاهد

المحسن مدعج المدعج، ط1، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1992م، ص95؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ق 97 أ.

(1) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج2، ص13؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص140؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج1، تح: عبد الفتاح عاشور، دار الكتب العربي، القاهرة، 1968م، ص499.

(2) الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: 732هـ / 1331م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج2، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، ط2، صنعاء، 1416هـ/ 1995م، ص561، 578؛ ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي (ت: 744هـ/ 1343م)، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تح: عبدالله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني، ط1، دار الحكمة، صنعاء، 1408هـ/ 1988م، ص137.

والاتفاق معه على دخول عدن واصطحبوا معهم جماعة من شفاليت[1] المجاهد، وصعدوا بهم من جهة جبل التعكر ليلًا[2].

وفي 23 صفر من العام نفسه زحف المجاهد على عدن وخرج أهلها لحربه على عادتهم، وظهر العسكر الذين صعدوا مع رجال يافع التعكر من فوقهم وصاحوا باسم المجاهد، فانشغلت عساكر عدن بهم وتركوا الباب مفتوحًا ودخل الملك المفضل بن

(1) **الشفاليت**: جمع شفلوت وهي كلمة فرنسية تعني الفارس، وقد عرفوا في أوروبا بمقدرتهم على مهاجمة الحصون والمدن وحفر أسوارها وتسلقها لفتح أبوابها للجيوش، وعرف الشفلوت بشهامته وإقدامه ومدافعته عن الضعيف واحترامه للمرأة، وقد انتقلت هذه الكلمة إلى شمال بلاد العرب مع فرسان الصليبيين الذين قاتلهم صلاح الدين الأيوبي، ثم نقلها فرسان الأيوبيين إلى اليمن عند غزوهم لها، وبقيت صفة لسلاح الفرسان في جيش الأيوبيين ومن بعدهم الرسوليين، وفي أواخر عصر بني رسول تحولت الفروسية والشهامة إلى قسوة متناهية، فكان فرسان المماليك قساة غلاظ القلوب نهابين ينشرون الرعب بين الناس حيثما ذهبوا، وحرفت الكلمة إلى شلفوت، وما زالت تستعمل في اليمن حتى اليوم صفة للإنسان رديء الأخلاق. ابن الديبع ، وجيه الدين أبو الضياء عبد الرحمن بن علي (ت: 944هـ/ 1537م)، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد، دار العودة، بيروت، 1983م، ص389؛ لقمان، محمد علي، معارك حاسمة من تاريخ اليمن، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 1978م، ص101. في حين يرى البعض أن الشفاليت طائفة من العرب مجتمعين من كل قبيلة يأكلون العلوفة والصدقات السلطانية، ويخدمون العسكر سفرًا وحضرًا وكانوا يربون شعورهم. النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد (ت: 990هـ/ 1582م)، البرق اليماني في الفتح العثماني، ط2، دار التنوير، بيروت ، 1407هـ/ 1986م، ص297. ويقول عنهم محمد بن علي الأكوع محقق كتاب: (السلوك): إنهم لصوص وقطاع طرق لا عمل لهم، وكانوا يترقبون الفرص والغفلات للقيام بالسرقة. الجندي، ج2 ، ص406، للمحقق. وقد أدى الشفاليت دورًا كبيرًا في الحياة السياسية والاجتماعية في عصر بني رسول. انظر: ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص495؛ الجندي، السلوك، ج2، ص256، 406، 579 – 580، 607، 509؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص334، 335؛ ج2، ص14، 35، 40، 47 – 48، 200؛ مجهول، تاريخ الدولة الرسولية، ص170، 178 ، 193.

(2) التَّعْكُر: جبل وحصن يشرف على باب عدن. محيرز، العقبة، ص 35.

المجاهد إليها وتبعه السلطان ليلًا[1]، ويبدو أن ازدواجية ولاء يافع لكل من المجاهد والظاهر قد كان للمال دورٌ كبيرٌ فيه، فنزولهم واتفاقهم مع المجاهد دون أي سبب قد يكون محاولة منهم للحصول على بعض المال من السلطان، كما أن اتفاقهم السابق مع ابن الدويدار غلام الظاهر كان للغرض نفسه.

وقد أدَّت قبائل يافع دورًا كبيرًا في عهد السلطان الناصر أحمد بن الأشرف الثاني إسماعيل (803 - 827هـ/ 1400 - 1423م)، فكانوا من ضمن القبائل المؤيدة له سنة 808هـ/ 1405م، حيث ساروا مع قواته التي أرسلها لإخضاع بعض القبائل المتمردة، ويعدون من أوائل القوات التي انضمت إلى عسكر الناصر التي سار بها لحرب الجحافل[2]، وقد خسرت هذه القبيلة عددًا كبيرًا من رجالها، عندما انبعثت عليهم مكامن الجحافل في أثناء سيرهم إليهم، كما برزت بعض الشخصيات من هذه القبيلة، كالنقيب مسعود اليافعي الذي عمل في خدمة السلطان الناصر هو وجماعة من أصحابه[3].

إلا أن بعض قبائل لحج أظهرت الخلاف ضد السلطان في سنة 812 هـ/ 1409م، مثل الشعافل[4] الذين تمردوا على الناصر، فسار إليهم في رمضان وقتل الكثير منهم،

---

(1) الجندي، السلوك، ج2، ص605؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج2، ص47 - 48؛ العبدلي، أحمد بن فضل بن علي، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط2، دار العودة، بيروت، 1400هـ/ 1980م، ص83.

(2) الجحافل: وهي من أشهر قبائل دثينة وأبين التي برزت خلال في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ويعود نسبهم إلى مذحج، وقد برزت منهم العديد من البطون التي تنسب إليهم في ذلك الوقت، مثل: الهياثم، والطوالق، وآل أيوب، وامتازت ببدويتها وميلهم إلى التمرد والتخريب والتدمير. الملك الأشرف، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول (ت: 696هـ/ 1296م)، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق: ك. د. ستر ستين، ط2، دار التنوير، بيروت، 1406هـ/ 1985م، ص65، 136 - 138، 139.

(3) مجهول، تاريخ الدولة الرسولية، ص141، 148.

(4) الشَعَافِل: من قبائل لحج وعدن (ويبدو أنهم من يافع). مجهول، تاريخ الدولة الرسولية، ص157، حاشية رقم (44) للمحقق.

كما أسر عددًا آخر، وأخذ خيلهم وشردهم عن بلدهم بعد أن تسلمها[1].

ولتجنب أي تمرد من قبائل يافع أرسل الناصر الطواشي نظام الدين خضير إلى بلادهم في رمضان سنة 818هـ/ 1415م، فقبض حصونهم، ولم يأتِ شهر شوال إلا وقد أخضعت بلدهم كلها للسلطان الناصر[2].

وفي ذي القعدة سنة 821هـ/ 1418م غدرت قبيلة يافع بالقاضي شهاب الدين العلوي والأمير فخر الدين أبي بكر السنبلي، وقبضوا عليهم وقتلوا جماعة من أصحابهم في أثناء وجودهم في بلدهم، لهذا أقطع السلطان بلد يافع إلى القاضي شرف الدين حسين بن علي الخراج، ولكن رجال قبيلة يافع المقيمين في عدن خالفوا على الوالي، وحدث القتال بينهم وبين عسكره فقتل جماعة منهم، فغضب السلطان الناصر وأرسل الأمير نظام الدين خضير لينظر في أمرهم ويعيد الأوضاع إلى طبيعتها[3].

وقد اعطت كل تلك الأحداث ليافع مكانة كبيرة بعد أن أصبح عدد من أفراد قبائلها عسكرًا لدى حكام بني رسول أو بعض المعارضين لهم من الأسرة الرسولية نفسها وغيرهم، وكان لمواقفهم هذا أثره الكبير للاستمرار بعصيانهم، بل وسيطرتهم على مدينة عدن والتحكم بطبيعة الحياة السياسية فيها.

ثالثًا- أثر قبائل يافع في عدن:

شهدت عدن حركة هجرة كبيرة لبعض قبائل يافع التي انتقلت إلى المدينة للعيش فيها، وهو مالم نلاحظه لدى بقية قبائل اليمن التي كانت محيطة بعدن، وعلى الرغم من سيطرتهم الكاملة على المدينة إلا أنهم تسببوا في انهيارها، وتدهور الأوضاع فيها، لاسيما بعد أن دخلوا في صراع طويل مع بني رسول الذين بدأت دولتهم تشهد حالة ضعف كبير كانت سببًا في سقوطها على يد الأسرة الطاهرية[4] فيما بعد.

(1) مجهول، تاريخ الدولة الرسولية ، ص157.

(2) المصدر نفسه، ص176- 177.

(3) المصدر نفسه، ص 188 – 190، 197.

(4) سوف يتم الحديث عن بني طاهر فيما بعد.

وقد زاد عصيان قبائل يافع في عهد السلطان المسعود صلاح الدين أبي القاسم بن الأشرف المخلوع بن الناصر بن الأشرف (847 - 858هـ/ 1443 - 1454م) بعدما أصبحوا هم المتحكمون في أمور عدن، فنشروا الفوضى والاضطراب فيها نتيجة للصراع الذي قام بين فرعين من هذه القبيلة أحدهم يعرف بـ: آل أحمد والآخر آل كلد، فكان آل أحمد يحرسون أسوار المدينة وحصونها على الجبال، بينما آل كلد وهم الأكثر عددًا يقومون بدور الشرطة في المدينة على المتاجر والأسواق والشوارع، وجميعهم يعملون بتكليف من السلطان المسعود، وبتمكن هاتين القبيلتين وقوة نفوذهما ضعفت هيبة الملك المسعود، وسلبت السلطة من تحت يده، وأصبح لا كلمة له ولا طاعة، وكل ما يثبت ملكه هي السكة والخطبة فقط[1].

وقد زاد التنافس بين القبيلتين في ظل غياب هيبة الدولة والسلطان، مما أدى إلى قيام الحرب بينهما في الشوارع، وفقدت المدينة أمنها عندما أخذوا في ابتزاز أهلها وتجارها إلا من دخل في حماية إحدى هاتين القبيلتين، لذلك فقد المسعود السيطرة عليهم وعجز عن ضبطهم، كما فشل في الصلح بينهما، ووصلت سخرية رجال يافع بالمسعود أن رماه أحدهم بحجر شج بها رأسه بعدما حاول يومًا منع شجار بينهم، بل إنهم قتلوا أحد رجاله ودفنوه مقلوبًا على رأسه كنوع من الاستفزاز له، وعندما رأى المسعود عصيانهم له قرر التنازل عن الملك، لاسيما وأن بني طاهر[2] كانوا محاصرين

(1) بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي (ت: 947هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج6، عُني به: بو جمعة مكري/ خالد زواري، دار المنهاج، ط1، جدة، 1428هـ/ 2008م، ص425 - 427.

(2) بنو طاهر: مشايخ بلاد رداع، وقد برزوا في عصر السلطان الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل كأمناء لبني رسول ونواب لهم على مخلاف رداع وغيرها من المناطق التي عرفت باسمهم، فكانت بلاد بني طاهر هي خط الدفاع الأمامي لا أراضي بني رسول من خطر الأئمة الزيدية، وقد زاد من قوة وترابط الأسرتين الرسولية والطاهرية زواج السلطان الظاهر من ابنة الشيخ طاهر بن معوضه، وأخذ بنو طاهر في تثبيت وضعهم مستغلين ضعف ووهن بني رسول وزيادة الخلافات بينهم حتى حانت لهم الفرصة لإعلان دولتهم سنة 858هـ/ 1454م. ابن الديبع،

لعدن وخاف أن تسلمه قبائل يافع للطاهريين، فخلع نفسه وغادر عدن إلى العارة[1]، ثم إلى الهقرة[2] في جمادى الآخرة سنة 858هـ/ 1454م، واستجار عند أحد مشايخها هناك، وعند وصول هذا الخبر إلى المؤيد حسين بن الظاهر يحيى (855 – 858هـ/ 1451 – 1454م) وهو في زبيد سار إلى عدن طامعًا في ملكها، في الوقت الذي تفاقم فيها الأمر وسقطت هيبة بني رسول، وبتنازل المسعود زادت الأمور توترًا في عدن بالنسبة لموقف آل أحمد الذين كانوا أقرب إلى المسعود من آل كلد، وخافوا على أنفسهم من غدر آل كلد خاصةً بوجود المؤيد[3]، فأرسلوا وفدًا منهم للتفاوض مع مشايخ بني طاهر لمساعدتهم على الدخول إلى عدن بشروط وضعوها أهمها: دفع مال معين لهم مقابل مساعدتهم، وأن يُبقي بنو طاهر آلَ أحمد على نقابتهم لعدن، وأن يطرد آل كلد من عدن، فوافق بنو طاهر على تلك الشروط، ونزل آل أحمد إلى عدن ثم تبعهم مشايخ بني طاهر على رأس جيش عظيم وحطوا في المباة[4]، ووقف الشيخان عامر وعبد الوهاب وعدد من جنودهم تحت سفح التعكر خارج المدينة على يمين باب عدن، وبدأ آل أحمد بتنفيذ الخطة المتفق عليها، فأدلوا بالحبال وتسلق الشيخان وجندهما

قرة العيون، ص389، 402 – 405؛ الحييد، عبد الله حامد، قيام الدولة الطاهرية تحت قيادة الملكين المجاهد علي والظافر عامر أبناء طاهر بن معوضة آل طاهر (858 – 883هـ/ 1458 – 1478م)، د . ن، مكة، 1418هـ/ 1998م ، ص5 – 9 . وقد اختلفت المصادر حول نسبهم. للمزيد انظر: بافقيه، محمد بن عمر الطيب: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1419هـ/ 1999م، ص124؛ عيسى بن لطف الله بن المطهر شرف الدين، روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، مخطوط مصور، ط2، نشر وزارة الإعلام والثقافة، مشروع الكتاب 7/ 1، صنعاء، 1401هـ/ 1981م، ق4ب ..

(1) العارة: من المناطق الساحلية على سواحل البحر الأحمر الغربية، وتمتاز بشواطئها الجميلة وخيراتها الدفينة .

(2) الهَقْرَة : بلدة تقع في جنوب موزع. الجندي ، السلوك، ج2، ص 398، حاشية رقم (1) للمحقق.

(3) بامخرمة ، قلادة النحر، ج6، ص426.

(4) المَبْاة: قرية صغيرة تحت عدن. ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج1، ص 148.

إلى القمة مساءً، وباتوا في حصن التعكر، وفي الصباح ضربت الطبول بعد أن فتح باب عدن ودخل الجيش، وعند سماع آل كلد ذلك دخل الرعب إلى قلوبهم وأيقنوا أنها النهاية وخرجوا من بيوتهم واختبأوا في الحوط والمساجد والمقابر. وباستقرار الأمور في عدن لمشايخ بني طاهر نادى مناد في المدينة بالأمان لكافة الناس، إلا آل كلد فلهم مهلة ثلاثة أيام للخروج من عدن، ومن وجد منهم بعدها فدمه هدر، فتشتت آل كلد في الأرض فمنهم من هرب إلى زيلع وإلى بربرة وإلى غيرها من البلاد، وخرج أغلبهم إلى الشحر، ومن بقي منهم تم تقييده[1].

وقد أدَّى ذلك الصراع القوي إلى أن تتعرض بعض قبائل يافع لهجرات أخرى داخلية وخارجية، كان منها ما هو في المناطق والبلاد القريبة من عدن، ومنها ما خرج عن حدود اليمن لتصل هجراتهم الجديدة إلى سواحل أفريقيا الشرقية، والهند وغيرها.

ونصل في الأخير إلى أن التحالفات القبلية التي تعرضت لها دولة بني رسول من قبائل يافع آل أحمد وبني طاهر أدت إلى سقوط هذه الدولة وزوال ملكها في رجب سنة 858هـ/ 1454م.

وخلاصة القول، أن يافع من القبائل اليمنية الحميرية الشهيرة التي كان لها تاريخ عريق، وثقته المصادر التاريخية المختلفة من كتب الأنساب أو كتب الجغرافيا والرحلات أو كتب التاريخ العام والخاص أو كتب الطبقات والتراجم، وقد جاءت شهرة هذه القبيلة من خلال ما قدمه بعض رجالها الذين خرجوا ليشاركوا في بناء الدولة الإسلامية بجميع مؤسساتها، فضلًا عن دورهم الداخلي بعد أن انتقل البعض منهم إلى مدن يمنية مختلفة، مثل مدينة عدن التي تميزت عن غيرها باستقبال فروع مختلفة وكبيرة من قبيلة يافع التي انتقلت إليها لتكون شريكًا في حكمها إلى جانب حكامها الأصليين. إلا أن ما شهدته مدينة عدن من صراع بين فروع تلك القبائل اليافعية كان

(1) بامخرمة، قلادة النحر، ج6، ص427.

سببًا في إضعافها لبعضها، وانتصار فرع على فرع آخر وهروب أحد تلك الفروع من آل كلد وتشريدهم بعدما تعرضوا له من اضطهاد من أبناء عمومتهم.

لقد أثر وجود قبائل يافع في عدن على نواحي مختلفة من حياتها العامة، حيث تسببت الخلافات الداخلية فيما بينهم في نشر الفوضى في المدينة، وإقلاق السكينة بين الأهالي، وتوقف حركة التجارة، وخمول الأسواق، وضعف هيبة الدولة بعد تجرؤهم على السلطان، ثم سقوط الدولة الرسولية نفسها بعد حكم دام لأكثر من 232 عام عاشت فيها اليمن أزهى مراحلها وتطورها على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية.

وعلى الرغم من الدور السلبي لأفراد قبائل يافع في عدن – خلال مدة الدراسة – وما ترتب على ذلك من مستجدات سياسية، إلا أن هناك جوانب مشرقة دونت لبعض من أفراد هذه القبيلة العريقة لاسيما من العلماء والفقهاء والمشايخ الذين نزلوا إلى عدن واستقروا فيها، ونشروا العلم، وشجعوا العلماء وطلاب العلم، وبنوا المدارس، وأموا الجوامع، لتصبح عدن بوجود مثل هؤلاء وغيرهم من علماء الأمة الوافدين على هذه المدينة مركزًا علميًا وثقافيًا نيرًا تتوافد عليه الأمم من كل حدبٍ وصوب.

الدور العلمي والفكري لمهاجري يافع في المدن والقرى اليمنية
(القرن الخامس - العاشر الهجري/ الحادي عشر - السادس عشر الميلادي)

الدكتور جمال عبد الحبيب عبد القوي الكلدي

أولًا: العلوم النقلية (الدينية):

1 - علم القراءات

2 - علم التفسير

3 - علم الحديث

4 - الفقه وأصوله

5 - علوم اللغة والنحو

ثانيًا: العلوم العقلية:

1 - علم الفروض

2 - علم الرياضيات والحساب والجبر والمقابلة

3 - علم المنطق والكلام

4 - علم التاريخ والسير

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.

لا شك أن ما كتب عن الحياة العلمية والفكرية في التاريخ اليمني مازال قاصرًا ويكتنفه الغموض، ولذلك سعيت من خلال هذه الدراسة أن أسلط الضوء على دور المهاجرين من أبناء يافع الذين أدّوا دورًا في الحياة العلمية والفكرية في اليمن من القرن الخامس إلى العاشر الهجري/ الحادي عشر إلى السادس عشر الميلادي. على الرغم مما كتب عن الحياة العلمية في اليمن إلا إنها تندرج ضمن مواضيع عامة وليس هناك دراسة تختص بالدور العلمي الذين أدَّاه مهاجرو يافع في اليمن في تلك الحقبة الزمنية دراسة مستقلة ومستفيضة.

لذلك اتجهت رغبتي لدراسة دور المهاجرين العلماء من أبناء يافع في تلك المدة لما فيها من معلومات قيمة.

لقد اعتمد الدراسة على منهج البحث التاريخي في كلياته وجزئياته المتمثلة في جمع المعلومات ثم تصنفها وتحليل ما يمكن تحليله، أي أنه يجمع بين المنهج الوصفي والتحليلي معًا.

كما حاولت الدراسة - رغم كثرة العلماء المهاجرين من أبناء يافع - أن توضح تاريخ وفاة العلماء ممن تم الاستشهاد بهم، وإن تعذَّر ذلك تصريحًا تم الاستدلال على وفاتهم من خلال الاستشهاد بوفاة من عاصرهم من العلماء وطلاب العلم.

وقد قسمت خطة البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثان، ثم خاتمة وثبت المصادر والمراجع. وقد تكلم التمهيد عن قبيلة يافع، وتطرَّق المبحث الأول للعلوم النقلية (الدينية). أما المبحث الثاني فتناول العلوم العقلية.

أولًا: التمهيد: قبيلة يافع:

قبيلة مشهورة تقع منازلها فيما بين الضالع ولحج، أي أنها تقع في الجنوب الشرقي من صنعاء على مسافة سبع مراحل، في المنطقة المعروفة قديمًا باسم (سرو حمير)، وهي منطقة جبلية صخرية صلبة ترتفع عن سطح البحر بحوالي 2200 قدم، وتعتبر أعلى منطقة جبلية في المحافظات الجنوبية والشرقية، وفيها بلدان ومزارع، ونسب قبائل يافع من حمير بن ولد يافع بن قاول بن زيد بن ناعته بن شراحبيل بن الحارث بن ذي رعين الأكبر[1].

وأهل يافع موطنهم في يافع، عرفوا بشدة بأسهم واشتغالهم بالتجارة، فخرج العديد منهم إلى عدن للعمل في الجندية والتجارة وطلب العلم[2].

ثانيًا: العلوم النقلية (الدينية):

1 - علم القراءات:

علم القراءات في اللغة هو جمع قرأ[3]، وفي الاصطلاح، هو مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة يخالف غيره من مسندها إلى رسول الله ﷺ[4]، إذ تلقن رسولنا الكريم ﷺ القرآن بواسطة جبريل عليه السلام على سبعة أحرف، فأجمع علماء المسلمين أن المراد بالأحرف السبعة هي سبع من لغات العرب[5].

---

(1) الحجري، محمد بن أحمد اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائل، ط2، تح: إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1416هـ/ 1996م، ج4، ص773؛ المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، 1422هـ/ 2002م، ج2، ص1895 - 1896.

(2) بلعبد، محمد منصور علي صالح، عدن في عصر الدولة الرسولية (629 - 858هـ/ 1231 - 1454م) دراسة تاريخية حضارية، دار الوفاق، عدن، 1433هـ/ 2012م، ص228 - 229.

(3) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/ 1414م)، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ص47.

(4) القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م، ص9.

(5) المرجع نفسه، ص 178.

فأول مادة يتعلمها الصبيان في مرحلته الأولى هي القرآن الكريم، من ترتيل وحفظ، ثم بعد ذلك كان بعضهم يتعلمون علومه كعلم القراءات، فاشتغل علماء يافع بعلم القراءات منذ انتشاره وظهور مدارسه، واجتهدوا بطلبه وهاجروا من أجله حتى أجادوه كأمثال: عفيف الدين أبي محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي (768هـ/ 1366م)، فقد قرأ القرآن على الفقيه جمال الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد البصَّال المعروف بالذهبي (ت 745هـ/ 1344م)[1]، والقاضي شرف الدين أحمد بن علي الحرازي في عدن[2]، لأن عدن كانت من أهم

(1) السبكي، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت 771هـ/ 1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، ط2، تح: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، 1413هـ/ 1992م، ج3، ص95؛ الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت 812هـ/ 1409م)، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، وهو طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، تح: عبدالله بن قائد العبادي وجماعة، الجيل الجديد، صنعاء، 1429 - 1430هـ/ 2008 - 2009م، ج3، ص1195 - 1196؛ بامخرمة، أبي محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي (870 - 947هـ/ 1465 - 1538م)، تاريخ ثغر عدن، مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل، ط2، دار التنوير، بيروت، 1407هـ/ 1986م، ج2، ص109 - 110؛ قلادة النحر في أعيان الدهر، عني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج، جدة، 1428هـ/ 2008م، مج6، ص306.

(2) الأسنوي، جمال الدين عبدالرحيم (ت 772هـ/ 1370م)، طبقات الشافعية، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/ 1987م، ج2، ص330؛ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت 851هـ/ 1448م)، طبقات الشافعية، تح: د. الحافظ عبدالعليم خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/ 1986م، ج3، ص95 - 96؛ ابن حجر، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852هـ/ 1449م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط2، تح: محمد عبدالحميد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1392هـ/ 1972م، ج3، ص18، ج5، ص112؛ الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري (ت 1089هـ/ 1687م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبدالقادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/ ، ج6، ص210 - 211؛ الحجري، بلدان اليمن، ج4، ص774.

المراكز العلمية آنذاك، حتى أصبح اليافعي من المؤلفين بهذا العلم ومن مصنفاته في التلاوة منها: (كتاب الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز)، وكتاب (الدر النظيم في خواص القرآن الكريم)[1].

ومن علماء يافع المهاجرين المقرئ بدر الدين حسن بن محمد اليافعي (ت 830هـ/ 1446م)، أصل بلده يافع، سكن قرية حبيل بعزلة مطاية[2] بجبل بعدان[3] في إب، قرأ على الإمام عفيف الدين الشنيني بالقراءات وغيرها، وجعله من خواصه، وزوجه ابنته[4]. ومن العلماء الذين رحلوا لطلب العلم أبو الحسن نور الدين علي بن صبر اليافعي (913 – 987هـ/ 1507 – 1579م)، ولد بجبل يافع ثم ارتحل إلى تريم[5] حضرموت وهو صغير صحبة عمه الحسين بن

(1) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص111؛ الداودي، أحمد بم محمد، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكمة، السعودية، 1417هـ/ 1997م، ج1، ص 284؛ بعكر، عبدالرحمن، كواكب يمنية في سماء الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ/ 1990م، ص446 – 447؛ الناخبي، عبدالله بن أحمد بن محسن، رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ، د.ن، 1410هـ/ 1990م، ص39؛ ديان، محسن بن محسن، وقائع من تاريخ يافع (رواية ـ دراسة ـ تحليل)، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، 1420هـ/ 1999م، ص123؛ حماد، أسامة أحمد، مظاهر الحضارة في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول)، مركز الإسكندرية، الإسكندرية، 1425هـ/ 2004م، ص566، 723.

(2) مطاية: بلدة ومركز إداري من مديرية السبرة وأعمال محافظة إب: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1555.

(3) بعدان: جبل مشهور يطل على مدينة إب من الناحية الشرقية: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص181 – 182.

(4) البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي اليمني، طبقات صلحاء اليمن، ط2، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ/ 1994م، ص214؛ حلبوب، نادر سعد عبادي العمري، الموسوعة اليافعية، دار الوفاق، عدن، 1436هـ/ 2015م، ج1، ص231 – 232.

(5) تريم: مدينة قديمة ذات شهرة علمية وتاريخية، تقع في نهاية وادي حضرموت، شمال شرقي مدينة (سيؤون) بمسافة نحو 32 كيلًا: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص228 – 231.

عبدالله الصبري اليافعي، وأقام بها، وطلب العلم هناك، ومن العلوم التي أخذها علم القراءات[1]، والمقرئ علي بن صلاح الشعبي (ت1018هـ/ 1609م)، كان من وجهاء يافع، فارتحل في طلب العلم إلى اليمن، وظفار، وحضرموت، فأخذ علم القراءات والتجويد[2].

فهذه الشواهد تدل دون أدنى شك على أن أهل يافع ليسوا بمنأى عن المدن والقرى التي كانت تعج بالعلم والعلماء، فارتحلوا إلى تلك المراكز وأخذوا العلم من علمائها فأثّروا وتأثّروا بالحركة العلمية في تلك المدن والقرى التي هاجروا إليها وسكنوها وتعلموا العلوم الشرعية فيها آنذاك.

2 - علم التفسير:

التفسير في اللغة من فسر وهو الإيضاح الإبانة، وكشف المغطى[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[4]، وفي الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بجهود بشرية[5]، فالتفسير نوعان هما: التفسير بالمأثور، والتفسير المذهبي.

أما النوع الأول فهو التفسير بالمأثور، وهو الاعتماد على تفسير القرآن بالقرآن

---

(1) الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص413؛ العيدروس، عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/ 1984م، ص477؛ باجمال، جمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين (ت 1019هـ/ 1610م)، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، تح: محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، 1429هـ/ 2008م، ص141، 155؛ السلفي، سالم عبدالرب، معجم أعلام يافع، ط2، عدن، 1434هـ/ 2013م، ص302؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص270 - 271.

(2) الموسوعة اليافعية، ج1، ص272 -273.

(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص411.

(4) سورة الفرقان، الآية 33.

(5) الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1416هـ/ 1996م، ج2، ص3.

أو بالمأثور إما عن رسول الله ﷺ، أو عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، أو عن التابعين[1].

وأما النوع الثاني فهو تفاسير الفرق الإسلامية المختلفة، فيرجع إلى التفسير بالرأي[2].

فاشتهر من علماء يافع بهذا العلم، وارتحل أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي لطلبه، وقد اشتغل بهذا العلم وصنف فيه كتابًا أسماه (الأنوار اللائحة في أسرار سورة الفاتحة)[3].

3 - علم الحديث:

الحديث في اللغة من التحديث وهو الإخبار[4]، والحديث ضد القديم؛ لأنه يحدث شيئًا فشيئًا، ويستعمل في قليل الكلام وكثيره[5]، وفي الاصطلاح هو العلم الذي يعرف به أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله[6].

ولقد كان لأهل يافع في هذه المدة - أي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري - دورًا لا يقل أهمية عن بقية أمصار العالم الإسلامي سواءً من حيث حفظ الحديث وروايته، فقد اشتهر منهم علماء أجلاء ارتحلوا لطلب هذا العلم إلى المدن والقرى اليمنية التي توجد بها مراكز علمية في تلك المدة ومن علماء يافع المهاجرين: أبو الوليد عبدالملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي

(1) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م، ص196.

(2) الشجاع، الحياة العلمية، ص 197.

(3) الأسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص330 - 331؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج6، 306؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص723.

(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص153.

(5) الشجاع، الحياة العلمية، ص200.

(6) القنوجي، الشيخ صديق بن حسين (ت 1248هـ/ 1832م)، أبجد العلوم، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ/ 2002م، ص361.

(493هـ/ 1099م)، كان رحالًا في طلب العلم، فكان ينتقل من عدن إلى الجوة[1]، ثم إلى جبل الصلو[2] من بلاد الحجرية ثم سافر إلى مكة للحج، فكان يسمى بالشيخ الحافظ، لأنه كان يجيد علومًا كثيرة منها علم الحديث وطرقه ورواياته، فروى (جامع أبي قرة) عن محمد بن علي الشيرازي، كما أخذ عن أبي عبدالله محمد بن الوليد بن عقيل المالكي العكي، والشيخ العارف سعد الزنجاني، وذلك بمكة عندما حج في سنة 451هـ/ 1059م[3]. وممن أخذ عنه الشيخ الزاهد يحيى بن عبدالعليم بن أبي بكر الأعمى، وأبو بكر بن عبدالله بن صبيح، ومالك بن حري الجندي وولده إبراهيم، وسمع عنه عبدالله بن عبدالرزاق بن حسن بن أزهر، وسالم بن عبدالله، وروى عنه محمد بن مسلم بن أبي بكر بن أحمد بن

---

(1) الجوة: بلده عدادها اليوم من مديرية (خدير) وأعمال محافظة تعز، وهي تقع تحت جبل الصلو من جهة الشرق: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص369.

(2) الصلو: جبل ومديرية من بلاد المعافر (الحجرية)، من أعمال محافظة تعز: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص916.

(3) ابن سمرة، عمر بن علي الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، د.ت، ص65؛ الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ط2، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1416هـ/ 1995م، ج1، ص240؛ الأفضل عباس، بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي الرسولي، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد عبدالله أحمد الخامري، وزارة الثقافة، صنعاء،1425هـ/ 2004م، ص422 - 423؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج3، ص1287؛ الشرجي، أبو العباس أحمد بن عبداللطيف الزبيدي (ت 893هـ/ 1487م)، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تح: عبدالله محمد الحبشي، الدار اليمنية، صنعاء، 1406هـ/ 1986م، ص190؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص126 - 127؛ قلادة النحر، مج3، ص527؛ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي (775 - 832هـ/ 1373 - 1420م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ط2، تح: محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/ 19986م، ج5، ص514 - 515؛ الحجري، بلدان اليمن، ج4، ص774؛ الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/ 1995م، ج1، ص402؛ ديان، تاريخ يافع، ص123.

عبدالله الصعبي (الموطأ)[1]. كما ظهر أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي، وهو من رجال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وممن أخذ عن الإمام عبدالملك بن أبي ميسرة[2]، ونبغ من أهل يافع المهاجرين إلى عدن أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (490 - 556هـ/ 1096 - 1160م)، كان عالمًا بعلوم كثيرة من بينها علم الحديث، فأخذ عنه القاضي أحمد بن عبدالله القريظي بعدن (موطأ الإمام مالك بن أنس)، وهو من أهم كتب الحديث[3].

كما ظهر في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي علماء أجلاء من قبيلة يافع اجتهدوا في طلب العلوم الشرعية ومنها علم الحديث وتعليمه، فبرز بهذا العلم معوضة بن علي بن عزان اليافعي، الذي ارتحل لطلب العلم من بلده يافع إلى عدن، فسمع بها علم الحديث من الشيخ علي بن حسين ين أحمد الحسيني في سنة 748هـ/ 1247م[4]، وأبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي (ت 768هـ/ 1266م)، فقد كان رحالًا في طلب العلم الشرعي فسمع الحديث من الرضي الطبري في مكة، والكتب التي سمعها منه هي سنن ابن ماجة، ومسند الدارمي، ومسند الشافعي، وصحيح ابن

---

(1) الجندي، السلوك، ج1، ص241 - 242؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص422 - 423؛ الشرجي، طبقات الخواص، ص 190؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج3، ص 527؛ بعكر، كواكب يمنية، ص356 - 357؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص264 - 265.

(2) الجندي، السلوك، ج1، ص241؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص423؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج4، ص1777؛ الأكوع، هجر العلم، ج1، ص403.

(3) الجندي، السلوك، ج1، ص306 - 307؛ عمارة، نجم الدين عمارة بن علي بن محمد بن زيدان الحكمي اليمني (ت 569هـ/ 1173م)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، ط3، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، المكتبة اليمنية، صنعاء، 1406هـ/ 1985م، 239 - 241؛ بعكر، كواكب يمنية، ص359 - 360؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص225 - 226.

(4) الحجري، بلدان اليمن، ج4، ص774؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص311.

حبان، وعوارف السهروردي، وعلوم الحديث لابن الصلاح[1]، وروى الحديث[2]، وكان يحضر مجلسه القاضي شهاب الدين أحمد بن ظهير لسماع الحديث[3]، وسمع عنه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر المرشدي (صحيح البخاري)[4].

وممن ارتحل إلى عدن في طلب العلم وتميز بعلم الحديث القاضي جمال الدين محمد بن عيسى اليافعي (ت 775هـ/ 1273م)، فقد أخذ عنه هذا العلم القاضي رضي الدين أبو بكر بن محمد بن عيسى الحبيشي، والعلامة العز بن الفرات الحنفي وغيرهم[5].

وممن ارتحل في طلب العلم الشرعي من أهل يافع إلى عدن أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي (ت910هـ/ 1504م)، والذي اشتهر بعلوم كثيرة منها علم الحديث، فقد أخذ عن الشيخ جمال الدين أحمد بن أحمد بافضل في عدن، وعندما حج أخذ في مكة عن الشيخ علي بن عاطف وغيره، وعندما عاد إلى عدن رتِّب مدرسًا في المدرسة التي ابتناها الشريف علي بن سفيان بعدن، وكما كان يقرأ الحديث بدار السعادة، وفي يوم الجمعة كان يقرأ الحديث بعد الصلاة وهو جالس على كرسي في المقصورة، وكان المجاهد علي بن طاهر يجلس إلى جواره في المقصورة يسمع الحديث، وكان لدية كتب كثيرة يعيرها لمن أراد إعارتها، وقرأ عليه جمع من الطلبة انتفعوا بعلمه حتى توفي بعدن[6].

---

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص20؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص110.

(2) السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص95؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج2،ص330 – 331؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص95 96–.

(3) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص112؛ قلادة النحر، مج6، 306.

(4) الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص198.

(5) الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص239؛ الهاشمي، أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد بن فهد المكي، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج1، ص159؛ شنبل، أحمد بن عبدالله (ت 920هـ/ 1514م)، تاريخ حضرموت المعروف ب تاريخ شنبل، ط2، تح، عبدالله محمد الحبشي، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، 1424هـ/ 2003م، ص137؛ الحجري، بلدان اليمن، ج4، ص774؛ الناخبي، رحلة إلى يافع، ص40؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص307.

(6) بامخرمة، قلادة النحر، مج5، ص540؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص215.

نستنتج مما سبق أن المهاجرين إلى المدن والقرى اليمنية زمن الدراسة من علماء يافع قد نبغوا في الكثير من العلوم ومن ضمن هذه العلوم علم الحديث حيث كان لبعضهم مصنفات فيه وهذا يدل دلالة واضحة على مدى استيعابهم وإتقانهم له، كما أن لهم تأثير كبير في المدن والقرى والمراكز العلمية التي ارتحلوا إليها وتديروها.

4 - الفقه وأصوله:

الفقه هو العلم الذي يختص بالأحكام الشرعية العلمية من أدلتها التفصيلية، وهو عبارة عن التصديق بالقضايا الشرعية المتعلقة بكيفية العمل تصديقًا حاصلًا من الأدلة التفصيلية التي نصت في الشرع على تلك القضايا وهي الأدلة الأربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس[1].

ولأهمية الفقه فقد كثر الاشتغال به أكثر من غيره من العلوم، ونال من المسلمين عناية كبيرة، حيث أخذ طلاب العلم على عاتقهم دراسة هذا العلم حتى أجادوه وأصبحوا علماء فيه فقاموا بتدريسه ووضع أسسه وقواعده، وكان على رأسهم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل.

وبما أن يافع جزء من دار الإسلام فإنها ليست بمنأى عن النشاط الفقهي، فقد برز منها علماء وفقهاء أجلاء ارتحلوا وتجشموا الصعاب لطلب العلوم الشرعية كأمثال: أبي الوليد، عبدالملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي (ت493ه/ 1100م)، كان فقيهًا عالمًا نقالًا للمذهب، ثبتًا في النقل، رحالًا في طلب العلم، أخذ العلم عن القاسم بن محمد بن عبدالله الجمحي القرشي، الذي انتشر عنه مذهب الشافعي في مخلاف الجند وصنعاء وعدن، وروى عن الفقيه أبي بكر بن أحمد بن عمر اليزدي بعدن (مختصر المزني)، وكتاب (الرسالة) للشافعي سنة 437هـ/ 1045م، وروى عن أيوب بن محمد بن كديس الظبائي كتاب (الرقائق)، لعبدالله بن المبارك، وأخذ عن أبي عبدالله محمد

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، المقدمة، ط5، دار القلم، بيروت، 1405هـ/ 1984م، ج1، ص445؛ القنوجي، أبجد القرآن، ص458.

بن الحسن بن منصور الزعفراني العدني بعدن سنة 443هـ/ 1051م، فسكن جبل الصلو من بلاد الحجرية، وكان يكثر التردد ما بين بلده والجؤة، والجند وعدن، وكان معظم إقامته في الجؤة، فقصده الطلبة إليها وأخذ عنه بجامعها عدة كتب[1].

وكما برز بهذا العلم من مهاجري يافع: أبو محمد عبدالله بن أبي الأغر بن أبي القاسم بن عوف بن عناق اليحيوي اليافعي (ت 537هـ/ 1142م)، الذي تفقه ببعض بن علقمة، وقيل أنه سجن من قبل صاحب التعكر[2] مدة، فلزم أهل السجن القراءة والصلاة حتى صار السجن كأنه مدرسة لكثرة الاجتهاد بالقراءات، فلما علم صاحب الحصن بذلك أطلق سراحه، وله مصنف في الفروع، ومن ذريته الفقهاء اليحيويون[3].

ومن المهاجرين ممن شارك في هذا العلم أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (490هـ – 552هـ/ 1096 – 11157م)، سكن مدينة الجند، وتفقه على الفقيه زيد بن عبدالله اليفاعي، وروى عن أبيه وخاله يحيى بن عبدالعليم كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي، و(مختصر المزني)، وولي قضاء اليمن من إب إلى عدن، من جهة الداعي محمد بن سبأ الصليحي ومن قبله من جهة الأمير منصور بن المفضل بن أبي البركات في ذي جبلة[4]، فأخذ عنه جماعة منهم القاضي أحمد بن عبدالله القريظي

---

(1) ابن سمرة، طبقات الفقهاء، ص65 – 66؛ الجندي، السلوك، ج1، ص 240 – 242؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص422 – 423؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج3، ص1287 – 1288؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص126 – 127؛ الحجري، بلدان اليمن، ج4، ص774؛ الأكوع، هجر العلم، ج1، ص402؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص 264 – 265.

(2) التعكر: جبل في العدين (الكلاع)، تقع في سفحه الشمالي مدينة (جبلة)، ومن جنوبه مدينة (ذي السفال): ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص233 – 234.

(3) الجندي، السلوك، ج1، ص 276 – 277؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص371 – 372؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج3، ص1258؛ بعكر، كواكب يمنية، ص 356 – 357؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1435 – 1436؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص 263 – 264.

(4) جبلة: مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من مدينة إب، بينهما أربعة أميال تقريبًا: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص285.

الذي أخذ عنه (مقامات الحريري)، و (موطأ الإمام مالك)[1]. أما الفقيه محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (517 - 546هـ/ 1123 - 1151م)، فقد أخذ الفقه عن أخواله بني عبدالعليم، وولي قضاء عدن خلفًا لأبية، ومات بالجند قبل أبيه فرثاه أبوه بقصائد[2].

وممن اشتهر من مهاجري يافع بالفقه أيضًا: أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي، ولي قضاء الجند، ثم ولي قضاء الجؤة أيام المفضل بن أبي البركات، وأخذ هو والشيخ يحيى بن عبدالعليم عن الشيخ عبدالملك بن أبي ميسرة اليافعي (مختصر المزني) وكتاب (الرسالة للشافعي)، وأخذ عنه ذلك ولده أبوبكر[3] كما برز من الفقهاء المهاجرين أحمد بن إبراهيم بن أحمد اليافعي، فقيه من أهل القرن السادس الهجري، تفقه بعدد من الشيوخ منهم الفقيه أبي الحسين يحيى بن محمد بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن أبي عمران السكسكي (ت528هـ/ 1133م)، كما أخذ عن الإمام زيد بن الحسن الفائشي، ومن الذين أخذوا عنه الفقيه أحمد بن موسى بن الحسين الأشعري[4].

---

(1) الجندي، السلوك، ج1، ص306، 309؛ اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت 768هـ/ 1316م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ/ 1993م، ج3، ص300؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص177 - 178؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص161؛ بعكر، كواكب يمنية، ص369 - 360؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص 225 - 226.

(2) ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، ص112 ـ 113؛ الجندي، السلوك، ج1، ص407؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص301؛ الناخبي، رحلة إلى يافع، ص43؛ ديان، تاريخ يافع، ص123؛الموسوعة اليافعية، ج1، ص298.

(3) الجندي، السلوك، ج1، ص249؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص542؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج4، ص1936؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج4، ص37؛ الحجري، بلدان اليمن، ص774؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص 301.

(4) ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، ص170، 239؛ الجندي، السلوك، ج1، ص292؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص211.

ومن فقهاء يافع الذين ارتحلوا في طلب العلم محمد بن ثعالة بن مسلم اليافعي (ت558ه/ 1162م)، وهو من فقهاء القرن السادس الهجري، من أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني والذين تفقهوا عليه وسمعوا منه، وسكن ناحية المشيرق[1] من بلاد بني حبيش[2]. والفقيه أبو الحسن علي بن عبدالله بن محمد بن أبي الأغر بن أبي القاسم بن عوف بن عناق اليحيوي اليافعي، عاش في القرن السادس الهجري، في قرية العقيرة[3]، وهو فقيه عارف محقق، درس على أبيه عبدالله بن محمد بن أبي الأغر[4]. والفقيه محمد بن أسعد بن أبي الخير الجبائي اليافعي (ت586هـ/ 1190م)، سمع على الفقيه أبي حسن أحمد بن عمر بن عبدالله السكسكي الكندي المعروف بسيف السنة[5]. والفقيه سالم الشعثمي اليافعي وهو من قرية ذي السفال[6]، أظنه عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، لأنه من أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني.

ومن أبرز فقهاء يافع في القرن السابع الهجري الذين ارتحلوا في طلب العلوم الشرعية أبو الخطاب، عمر بن أبي بكر بن عبدالله بن قيس بن أبي القاسم بن أبي الأعز اليحيوي اليافعي (ت644هـ/ 1246م)، فقيه فاضل، ولد ونشأ بقرية العقيرة، تفقه بأخيه

(1) المشيرق: تصغير مشرق، مركز إداري من مديرية حبيش في أسافل جبل حبيش مما يلي حقل السحول: ينظر: المقحفي. معجم البلدان، ج2، 1542.

(2) الجندي، السلوك، ج1، ص352؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص300.

(3) العقيرة: قرية في منطقة شوائط من مديرية ذي السفال، وأعمال محافظة إب: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص – 1097.

(4) ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، ص215؛ الجندي، السلوك، ج1، ص359؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج3، ص1454؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج4، ص359؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1436؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص274.

(5) الجندي، السلوك، ج1، ص319؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص296.

(6) الجندي، السلوك، ج1، ص349 – 350؛ الأكوع، هجر العلم، ج2، ص768.

عبدالله، ثم أكمل تفقهه على جماعة من علماء عصره وتولي قضاء تعز[1]. والفقيه أبو الفتح يوسف بن أبي بكر بن عبدالله بن قيس بن أبي القاسم بن أبي الأغر اليحيوي (ت644هـ/ 1246م)، من أهالي قرية العقيرة، فقيه فاضل صالح ورع، كان له أخ يدعى عمر بن أبي بكر اليحيوي المعروف بالهزاز، توفي بعد أخيه بثمانية أيام[2]. والفقيه أبو عبدالله محمد بن عمر اليحيوي الهزاز (ت670هـ/)، سكن قرية العقيرة، ثم انتقل إلى مدينة تعز التي عاش وتوفي فيها، كان فقيهًا صالحًا ورعًا، ولد سنة 602هـ/ 1205م، وفي سنة 644ه/ 1246م طلب منه الملك يوسف بن عمر بن رسول أن يتولى القضاء خلفًا لأبية فاعتذر، وكان الملك يجله ويحترمه ويعتقد صلاحه، له مصنف في الفقه، وهو أبو قضاة الدولة المؤيدية الرسولية، ووزرائها أبي بكر وعلي وعثمان وإبراهيم[3]. والفقيه إبراهيم بن محمد بن عمر اليحيوي، هو عالم فقيه من علماء بلدة ذي السفال البارعين، وقد تولى القضاء في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[4]. والفقيه عمران بن ثواب اليافعي، من رجال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، كان فقيهًا فاضلًا، أصل بلده الأشعوب ناحية الدملوة[5][6]. والفقيه أبو عمرو، وأبو الحجاج،

---

(1) الجندي، السلوك، ج2، ص98؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص498؛ الخزرجي، علي بن الحسن (ت 812هـ/)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط2، تصحيح: الشيخ محمد بسيوني عسل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، 1403هـ/ 1983م، ج1، ص74؛ العقد الفاخر، ج3، ص1569 – 1570؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1436؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص 276.

(2) الجندي، السلوك، ج2، ص98؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص685 – 686؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص74؛ العقد الفاخر، ج4، ص2295 – 2296؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1436؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص318.

(3) الجندي، السلوك، ج2، ص116؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج4، ص1992؛ الموسوعة اليافعية،ج1، ص 305.

(4) الأكوع، هجر العلم، ج2، ص776؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص210.

(5) الدملوة: قلعة منيعة مشهورة فوق قرية المنصورة من ناحية جبل الصلو على بعد نحو 60 كيلًا جنوب شرق مدينة تعز: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص621.

(6) الجندي، السلوك، ج2، ص409 – 410؛ الموسوعة اليافعية،ج1، ص278.

يوسف بن الشافعي، عاش في القرن السابع الهجري، فقيه عارف من بني حيدر ثم من آل يعلي من بلدة (اليُمن) بجبل يافع كان يحفظ (المهذب) غيبًا، وكان متى قدم إلى مصنعة (سير)[1] عكف الطلبة عليه في المذاكرة، وكان فقيهًا حاذقًا خيرًا، وكان قضاة (سير) يكرمونه، توفي آخر المائة السابعة ببلده[2]، قال الجندي: «أما والده أيضًا فهو فقيه بلدهم، تفقه بسهفنة على ابن جديل، وتقدم إلى (جبا) فتفقه بأهلها، وهو حاكم بلده إلا أنني انقطع عني خبره بعد 700هـ/ 1300م وبلغني أنه عمي»[3].

ومن فقهاء يافع المرتحلين في طلب العلم في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي الفقيه إسماعيل بن يحيى بن عمران ثواب اليافعي (ت 702هـ/ 1205م)، تفقه بفقهاء الجند وامتحن بقضاء الدملوة ثم سافر إلى مكة للحج، وفي طريق عودته توفي[4]، والفقيه أحمد بن عبدالله اليحيوي (ت لنيف 700هـ/ 1300م)، كان يدرس ببلد العود[5]، وكان ذاكرًا للفقه فاضلاً[6]. والفقيه أبو العتيق، رضي الدين، أبوبكر بن محمد بن عمر الهزاز اليحيوي اليافعي (646 - 709هـ/ 1151 - 1309م)، فهو من أهالي قرية العقيرة، فقيه فاضل، أخذ الفقه عن أبيه، وعن العلامة محمد بن سالم العنسي، الفقيه محمد بن أحمد المقدسي، وغيرهم، وكان أظهرًا لإقامة المعروف والنهي عن المنكر وإبطال الخمر وما شابهه، وأسهم مع الملك المؤيد بناء عدد من المدارس والملحقات ببعض الجوامع فكانت عمار المدرسة المؤيدية في مغربة تعز

(1) سير: مركز إداري من مديرية السياني، وأعمال إب، في الجنوب منها وهي منطقة استوطنها الفقهاء (بنو عمران) بالقرن السابع الهجري: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص835.

(2) الجندي، السلوك، ج2، ص272؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص687 - 688؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص 319.

(3) الجندي، السلوك، ج2، ص272؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج4، ص2296 - 2297.

(4) الجندي، السلوك، ج2، ص410.

(5) العود: جبل في بلاد النادرة بالشرق من مدينة إب: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1142.

(6) الجندي، السلوك، ج1، ص448.

على يده، وتوفي في زبيد[1]. والفقيه محمد بن يحيى بن عمران ثواب اليافعي (ت لبضع 710هـ/ 1310م)، كان ذا فطنة ودين امتحن بقضاء بلده، وفي آخر عمره كف بصره، ولكن لم يتغير حاله من التدريس والفتوى والدين والفقه وإطعام الواردين له من الطلبة وغيرهم[2]. والفقيه موقف الدين، علي بن محمد بن عمر اليحيوي المعروف بالصاحب (ت712هـ/ 1313م)، كان فقيهًا صالحًا، ولي الوزارة والقضاء في الدولة المؤيدية إلى يوم وفاته في 3 ذي الحجة[3]. والفقيه جمال الدين أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر الهزاز اليحيوي اليافعي (ت712ه/ 1313م)، من أهالي قرية (العقيرة)، عاش وتوفي في مدينة تعز، قاضي من قضاة الدولة الرسولية، عالم محقق في الفقه، كان ينوب عن عمه القاضي موفق الدين علي بن محمد اليحيوي في قضاء الأفقية، فكان يباشر الأحكام، ويفصل القضايا، ولا يعارضه أحد، وكان الغالب عليه الزهد[4]. والفقيه إبراهيم بن إبراهيم بن عمر المذحجي الجبيري، نسبه إلى جد له بأبي الفقيه اليافعي (ت 717هـ/ 1317م)، تفقه بابن عمه عبدالله بن عمر، وعثمان بن عبدالله، كان فاضلًا، سكن قرية جبا[5] وتوفي فيها، قال الجندي: «وله ابن أخ يطلب

---

(1) الجندي، السلوك، ج2، ص119 - 122؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج3، ص307؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص243، 253 - 254، 320؛ ابن الديبع، أبي الضيا عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت 944هـ/ 1537م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ط2، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة أبي ذر الغفاري، صنعاء، 1409هـ/ 1988م، ص338؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1477؛ بعكر، كواكب يمنية، ص543؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص227 - 228.

(2) الجندي، السلوك، ج2، ص410..

(3) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص482؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص331؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص342؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1437؛ بعكر، كواكب يمنية، ص545؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص275 - 276.

(4) الجندي، السلوك، ج2، ص131؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص601؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص331؛ العقد الفاخر، ج4، ص1798 - 1799؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1439؛ بعكر، كواكب يمنية، ص545؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص295 - 296.

(5) جبا: بلدة خاربة في جبل المسراخ جنوب جبل صبر، حيث كانت عاصمة المعافر: ينظر:

العلم بمدينة جبا، اجتمعت به ووجدته مجتهدًا بقراءة العلم، وهذا آخر فقهاء هذه الناحية، وكان ذلك سنة 729هـ/ 1328م[1]. والفقيه أبو عفان، عثمان بن محمد بن عمر بن أبي بكر اليحيوي، المشهور بالهزاز، اليافعي، من رجال القرن السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، فقيه عارف، سكن قرية العقيرة، ثم انتقل إلى مدينة تعز، كما سكن قرية الوحص[2] من ناحية ذي السفال في إب، وبنى فيها مسجدًا، تفقه في تعز ثم تولي التدريس في مدرسة (أم السلطان) مدة من الزمن، ثم سجن، ثم خرج من السجن وعاد إلى ذي السفال فسكن هناك و ابتنى مسجدًا في قرية الوحص بالقرب من داره، ولما عاد الملك المؤيد داود الرسولي سنة 721هـ/ 1320م، عاد الفقيه عثمان إلى مدينة تعز، وسكن فيها، وكان يدرس في المدرسة التي درس فيها سابقًا، وكان يتنقل ما بين بلده وتعز حتى توفي في تعز[3]. والفقيه محمد بن عثمان بن محمد بن عمر بن أبي بكر اليحيوي الهزاز (ت728هـ/ 1327م)، من أهالي قرية العقيرة، عاش في مدينة تعز، عمل مدرسًا في مدرسة (أم السلطان) في مدينة تعز نيابة عن أبيه، وبعد عودة والده إلى التدريس انتقل للتدريس في المدرسة (المؤيدية) في مدينة تعز[4]. والفقيه أبو عبدالله، جمال الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي اليافعي (674 - 729 وقيل731هـ/ 1275 - 1328 وقيل 1330م)، عالم محقق في الفقه، من رؤساء القضاء الأعلى في الدولة الرسولية، عاش في مدينة تعز، وتفقه وولي

المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص276 - 277.

(1) السلوك، ج2، ص410.

(2) الوحص: مركز إداري من مديرية ذي السفال وأعمال محافظة إب، يقع بالقرب من حصن بحرانة في منطقة السيف: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1860.

(3) الجندي، السلوك، ج2، ص131؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ح3، ص1323؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج6، ص189؛ الأكوع، هجر العلم، ج2، ص772، ج3، ص1438؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص268.

(4) ذكره الجندي باسم محمد بن محمد، ينظر: السلوك، ج2، ص131؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص80؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1442؛ الموسوعة اليافعية، ح1، ص304.

قضاء الأقضية سنه 715هـ أيام الملك الرسولي داود بن يوسف بن عمر، فقام كقيام أبيه في الأمر بالمعروف والنهي في المنكر[1]. والفقيه أبو محمد موفف الدين عبدالله بن علي بن محمد بن عمر اليحيوي المعروف بالوزير، فقيه صالح، كان أوحد زمانه فساحة وصباحة، ورياسة وسياسة، في عهد الدولة المجاهدية، ولاه الملك المجاهد علي بن داود الرسولي قضاء الأقضية ثم جعله من وزرائه، فجمع بين المنصبين كأبيه، فقتل سنة 752هـ/ 1351م[2]. والفقيه أبو سليمان داود بن علي بن محمد بن عمر اليحيوي (ت 758هـ/ 1356م)، فقيه ذا فضل ومروءة وحسن أخلاق[3]. والفقيه أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي (ت768هـ/ 1366م)، وقد سبقت الإشارة إليه، كان قد تلقى علوم عدة بعدن وحضرموت ومكة والمدينة والقدس ومصر، فكان ملازمًا للعلم والعمل، فحفظ كتاب (الحاوي للماوردي) وهو كتاب في الفقه الشافعي، ثم انقطع للتصنيف والإقراء والإسماع[4]، وكان له فضل كبير في نشر العلم والمعرفة بين الناس لكثرة ترحاله من بلده يافع إلى عدن وحضرموت حتى استقر به المقام في مكة المكرمة وغيرها كما بينا ذلك سابقًا، وكان كثير الإحسان للطلبة إلى أن مات[5].

---

(1) الجندي، السلوك، ج2، ص148؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص340؛ العقد الفاخر، ج4، ص1840؛ بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص205 206-؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص359؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1438 - 1439؛ بعكر، كواكب يمنية، ص545 - 546؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص298 - 299.

(2) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص404؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج3، ص1242 - 1244؛ بامخرمة، قلادة النحر، مج6، ص271؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص361 - 363؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1439 - 1441؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص260.

(3) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص319.

(4) السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص95؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص330 - 333؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص95 - 96؛ الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص284؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص20.

(5) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص20؛ بامخرمة، ثغر عدن، ج2، ص109 - 112؛ قلادة النحر، مج6، ص306 307-.

والفقيه وجيه الدين، أبو علي عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد اليحيوي (ت 707 – 770 وقيل 777هـ/ 1307 – 1368 وقيل 1375م)، قاضي، عالم بالفقه، من أعيان الدولة الرسولية، عاش في مدينة تعز، ولاه المجاهد علي بن داود إمارة مدينة الجند، ثم ولاه الملك الأفضل العباس بن علي بن داود نظر الأوقاف[1]. والفقيه جمال الدين محمد بن عيسى اليافعي (775هـ/ 1373م)، الفقيه الشافعي، أحد فضلاء اليمن قاضي عدن للدولة الرسولية، وقال ابن حجر: «كان دينًا خيرًا فاضلًا، وهو والد صاحبنا الفقيه عمر قاضي عدن»[2]، أخذ عنه القاضي رضي الدين أبو بكر بن محمد بن عيسى الحبيشي، والعلامة العز بن الفرات الحنفي، والفقيه إسماعيل بن محمد بن عمر الحبائي (ت834هـ/ 1430م)، وممن أخذ عنه وعن والده عمر الشيخ محمد بن أحمد بافضل، والشيخ عبدالله بن أحمد باحزمة، وقرأ عليهما عددًا من كتب الحديث والفقه وغيرهما، وممن اشتهر من أبنائه عمر وعلي، وله ابنة زوجها الفقيه أبا بكر بن علي بن قسمة اليافعي[3]، والفقيه رضي الدين، أبوبكر بن محمد بن أسلم القراع اليافعي، فقيه مشهور سكن عدن ودرس بها وأخذ عنه ابن كبن، وهو من علماء القرن الثامن الهجري[4]. والفقيه علي بن محمد بن عيسى اليافعي (ت781 وقيل 787هـ وقيل791هـ/ 1379 وقيل 1385 وقيل 1388م)، كان قاضيًا عادلًا وفقيهًا ورعًا، مات بعدن[5]. والقاضي

---

(1) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص419؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج2، ص121؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص360؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1441 – 1442؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص243.

(2) الدرر الكامنة، ج5، ص392؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص239؛ شنبل، تاريخ شنبل، ص137.

(3) الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص239؛ الهاشمي، لوحظ الألحاظ، ج1، ص159؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص307.

(4) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص28؛ الحجري، بلدان اليمن، ج4، ص774؛ ديان، تاريخ يافع، ص123؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص768؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص223.

(5) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد

عيسى بن محمد بن عيسى (ت 791هـ/ 1388م)، درس علومًا عدة، فحقق وأجاد، توفي بعدن[1]. والفقيه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عراف اليافعي، فقيه، عارف، خير، دين، من رجال القرن الثامن الهجري، سكن في (أحور)[2] في أبين، درس عليه جماعة من العلماء، منهم أبو الخير بن منصور الشماخي الحضرمي، أخذ عنه (الفائق) في الوعظ، بأخذه له عن أبي قيصر الظفاري من القلعي[3]. والفقيه عماد الدين عيسى بن عمر اليافعي، توفي أواخر المئة الثامنة للهجرة، كان فقيهًا مدرسًا صالحًا[4]. ومن فقهاء حراز[5] من بني اليحيوي عماد الدين بن محمد بن يحيى اليحيوي، وشمس الدين علي بن عبدالله اليحيوي، وولده إبراهيم[6].

ومن فقهاء يافع في عدن في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي الفقيه الصالح رضي الدين أبو بكر بن علي بن قسمة اليافعي الجريري وقيل الحريري (ت 811هـ/ 1408م)، كان في الورع والعبادة على جانب عظيم، زوَّجه القاضي جمال الدين محمد بن عيسى بابنته، فكان تارة يقف في ثغر عدن يدرِّس ويفتي، وتارة يكون في مكان من بلد يافع يسمى ذي عسل[7]. والفقيه أبو حفص، عمر بن عيسى اليافعي (ت820هـ/

أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، د.ت، ج2، ص198؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص318؛ شنبل، تاريخ شنبل، ص141؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص275.

(1) الموسوعة اليافعية، ج1، ص280.

(2) أحور: مديرية من أعمال محافظة أبين، تقع في وسط بين شقرة ووداي ميفعة: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص39.

(3) الجندي، السلوك، ج2، ص456؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ج4، ص1792؛ بامخرمة، مج6، ص352؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص295.

(4) ديان، تاريخ يافع، ص123؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص280.

(5) حراز: هي سبعة جبال يجمعها اسم (حراز)، وكانت تشكل وحدة إدارية معًا، وهي جبال شاهقة يقدر علو جبالها عن سطح البحر بنحو 2500 متر: المقحفي، معجم البلدان، ج1، ص441.

(6) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت،، ج6، ص124؛ البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص46.

(7) السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص250؛ البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص327؛ بامخرمة،

1417م)، قاضٍ وفقيه من فقهاء عدن، كان صالحًا عابدًا ورعًا، ولي القضاء بعدن وكان ذا سيرة حسنة، ومن تلاميذه الفقيه شمس الدين أبو عفيف الحضرمي، والفقيه عفيف الدين عيسى بن عمر بن عيسى اليافعي، وولده غياث الدين عيسى بن عمر اليافعي[1]. والقاضي تقي الدين عمر بن محمد اليافعي (ت 823هـ/ 1420م)، كان ساكن عدن في حافة البصَّال فنزل إليه القاضي جمال الدين محمد بن أحمد أبو حميش وأخذ عنه في عدن[2]. قال البريهي في تاريخه: «ومن فقهاء عدن المشايخ بنو اليافعي»، فذكر المتقدمين منهم: القاضي العلامة جمال الدين محمد بن علي بن محمد بن عيسى (ت 823هـ/ 1420م)، درس بعدن وأفتى، وكان ذا سيرة حسنة، وولي القضاء فيها[3]، والقاضي رضي الدين أبو بكر أبو سهل وقيل: أبو شهد، والفقيه شهاب الدين أحمد أبو عقبه، والفقيه تقي الدين عمر بن عبدالرحمن الواسطي، وعمر اليافعي، فقد قرأ على يد شمس الدين أبي عفيف الحضرمي»[4]. والفقيه عفيف الدين عيسى بن عمر اليافعي المتولي للقضاء بعدن في سنة 823هـ/ 1420م، ثم توفي بعد ذلك قبل 830هـ/ 1426م سكن عدن[5]. والفقيه مسعود بن إبراهيم النقيب اليافعي (ت 831هـ/ 1427م)، فقيه من الفضلاء[6]. والقاضي غياث الدين عيسى بن عمر اليافعي (ت835هـ/ 1432م) كان إمامًا مدرسًا مفتيًا بعدن، تفقه بأبيه وغيره تفقهًا حسنًا، توفي بعدن بعد رجوعه من الحج والزيارة[7]. والفقيه جمال الدين محمد بن عيسى بن عمر اليافعي

تاريخ ثغر عدن، ج2، ص27؛ الحجري، بلدان اليمن، ج4، ص774؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص223.

(1) ديان، تاريخ يافع، ص123؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص277.

(2) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص333؛ الهاشمي، لوحظ الألحاظ، ج1، ص281.

(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص205.

(4) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص 329؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص304.

(5) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص329؛ ديان، تاريخ يافع، ص123؛الموسوعة اليافعية، ج1، ص280.

(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص156؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص311.

(7) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص329؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص280.

(ت860هـ/ 1455م)، فقيه فاضل عاش بعدن، ومات بمكة، وهو ابن القاضي عيسى بن عمر اليافعي[1]. والفقيه أبو بكر بن محمد بن مسعود اليافعي، الناسخ، من رجال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، سمع من السخاوي بمكة[2].

ومن الفقهاء في القرن العاشر الهجري الفقيه أحمد بن عبدالله بلعسي اليافعي (910هـ/ 1509م)، مدرس، كان أكثر اشتغاله في العلم على الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بافضل، فأخذ عنه كتب كثيرة في الفقه وعلم الحديث، كان ذكيًا لبيبًا حسن الأخلاق، رتب مدرسًا للفقه والحديث في عدن في مدرسة الشريف علي بن سفيان، فقرأ عليه جمع من الطلبة انتفعوا به، وقد توفي بعدن في ذي الحجة سنة 910هـ/ 1509م[3].

والفقيه محمد الحجازي اليافعي (ت943هـ/ 1536م)، فقيه من رجال يافع بحضرموت في القرن العاشر الهجري، توفي بالشحر ليلة السبت تسع خلون من رجب[4]. والفقيه نور الدين أبو الحسن علي بن صبر اليافعي (913 - 987هـ/ 1507 - 1579م)، فقيه كبير ولد في يافع، وقدم إلى حضرموت وهو صغير بصحبة عمه الحسين بن عبدالله الصبري اليافعي وسكن مدينة تريم، وطلب العلم بها على الشيخ والسيد عبدالله بن شيخ بن عبدالله الكبير العيدروس، ولازم درسه مدة طويلة بتريم، وقرأ عليه (المنهاج) و (الإرشاد)، و (المهذب)، و (إحياء علوم الدين)، و (القوت)، و (الرسالة)، وغيرها، ثم ذهب إلى قرية النويدرة، وأخذ بها عن الإمام شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن السقاف، ثم صحب الإمام أحمد بن علوي باجحدب، وقرأ على الفقيه حسين بن عبدالله بافضل، والفقيه يحيى بن عبدالحليم الخطيب، والفقيه عبدالله بن أحمد باقشير، والفقيه علي بن أحمد باحري[5]. والفقيه صالح بن عبدالرحمن

---

(1) السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص276؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص306.

(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص93؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص225.

(3) بامخرمة، قلادة النحر، مج5، ص540؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص214 - 215.

(4) الموسوعة اليافعية، ج1، ص300.

(5) العيدروس، النور السافر، ص324؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص413؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص270 - 271.

الجريري وقيل الحريري اليافعي (ت998هـ/ 1589م)، كان فقيهًا نبيلًا صالحًا كثير الترحال في طلب العلم لاسيما إلى حضرموت، فقد قدم من يافع إلى مدينة عينات[1] مع صهره علي بن عمر هرهرة سنة 964هـ/ 1556م، لطلب العلم على الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات بحضرموت فأكرمه الشيخ وأحسن إليه، فكان الشيخ صالح ينتقل ما بين بلده يافع ومدن وقرى حضرموت مثل عينات والهجرين[2] ومدن وقرى وادي حضرموت حتى توفي في الهجرين في 19 سنيان سنة 998هـ/ [3].

كما برز في الفقه الفقيه علي بن صلاح المشبعي (ت1018هـ/ 1609م)، فقيه عابد، معمر، من وجهاء يافع والضالع في القرن العاشر والحادي عشر الهجريين، له مكانة اجتماعية، طلب العلم باليمن وظفار وحضرموت[4].

يتضح مما تقدم أن المهاجرين من أبناء يافع المرتحلين من أجل طلب العلوم في المدن والقرى التي تتواجد فيها مراكز علمية، قد اجتهدوا في طلب العلوم فأصبحوا علماء في تلك المدن والقرى حتى تديروا الفتوى فيها، كما كان لهؤلاء العلماء فضل كبير في تفقيه الناس بأمور دينهم، وبعض هؤلاء العلماء تولوا مناصب القضاء في المدن والقرى التي سكنوها كما كان لبعضهم دور في تولي إمرة القضاء في الدول التي ظهرت زمن الدراسة كالدولة الرسولية وغيرها.

5 - علوم اللغة والنحو:

اللغة العربية هي لغة القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5].

ومن الذين أجادوا هذا العلم من المهاجرين من أبناء يافع أبو الوليد عبدالملك بن

---

(1) عينات: مدينة أسفل وادي حضرموت، تبعد عن مدينة تريم شرقًا بمسافة 8 أكيال: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1158.

(2) الهجرين: مدينة كبيرة في وادي دوعن بحضرموت: ينظر: المقحفي، معجم البلدان، ج2، ص1802 - 1803.

(3) الموسوعة اليافعية، ج1، ص240 241-.

(4) الموسوعة اليافعية، ج1، ص272 - 273.

(5) سورة يوسف، الآية 2.

محمد بم أبي ميسرة اليافعي (ت493هـ/ 1100م)،كان يحسن الشعر، وقد أرسل إلى أهل بغداد الذين طلبوه الانتقال إليهم ليقرأ عليهم فامتنع وكتب إليهم بقصيدة مطلعها:

منزلي منـزلٌ رحيبٌ أنيقٌ * فيه لي من فواكه الصيف سويق**[1].

ومن المرتحلين في طلب هذا العلم أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (490 – 552هـ/ 1096 – 1157م)، به أخذ علم الأدب عن النعمان، وله مصنف في النحو هو (المفتاح في النحو)، وكان فصيحًا شاعرًا، وله قصائد كثيرة، سكن الجند ثم جبلة، وكان ينزل إلى عدن ليحكم بها ويعود إلى الجند، كان خطيبًا مصقعًا كامل الفضيلة، وكان يرتجل الخطبة، وله شعرٌ رائق يحتوي على الجد والهزل، والرقيق الجزل، ومن شعره:

فكم حاسد لي في الأنام وغابط ** على منطقي إذ كان منطقه رخوا

يعيرني بالشعر قوم وبعضهم ** يوبخني، والكل يخبط في عشوا

أرادوا به عيبي وهل هو ناقص ** إذا ما جمعت الفقه والشعر والنحوا[2]

ومن شعره في رثاء ولده محمد قال:

جِـوارُ اللهِ خيـرٌ مـن جِـواري ** لـه دارٌ لـكلٍّ خيـرُ دارِ[3]

وأيضًا ولده محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (517 – 546هـ/ 1123 – 1151م)، كان بجيد اللغة العربية وكان حسن الشعر، وقد سكن مدينة الجند ومات بها[4].

---

(1) ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، ص 65 – 66؛ الجندي، السلوك، ج1، ص240 – 242؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص423؛ الشرجي، طبقات الخواص، ص190؛ الأكوع، هجر العلم، ج1، ص402؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص 264 – 265.

(2) الجندي، السلوك، ج1، ص306 – 307؛ عمارة، المفيد، ص240؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، 177؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص161؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص225 – 226.

(3) الأفضل عباس، العطايا السنية، ص178؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص161.

(4) ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، ص166 – 169، 332؛ الجندي، السلوك، ج1، ص407؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص298.

ومن علماء يافع الذين ارتحلوا لطلب هذا العلم أبو الخطاب عمر بن أبي بكر بن عبدالله بن قيس بن أبي الأعز اليحيوي اليافعي المعروف بالهزاز (ت644هـ/ 1246م)، ومن العلوم التي اشتغل بها وأجادها علم النحو فكان نحوي[1].

كما نبغ من المهاجرين من يافع مجموعة من الشعراء الذين اشتهروا بالشعر الرائق منهم: الفقيه يحيى بن عمران ثواب اليافعي، وهو من رجال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ومن شعره:

شيآنِ أحسنُ من عناقِ الخرَّدِ ** وألذُّ من شُرْبِ القَراح الأسودِ

وأجلُّ من رُتَبِ الملوك عليهمُ ** وشيُ الحرير مطرَّزٌ بالعسجدِ

سودُ الدفاتر أن أكون نديمها ** طولَ النهار، وبردُ ظِلِّ المسجدِ

فإذا هما اجتمعا لشخصٍ فارغٍ ** عن كلِّ همٍّ نال أبعد مقصدِ[2]

والفقيه الشاعر رضي الدين أبو بكر بن محمد بن عمر الهزاز اليحيوي اليافعي (646 – 709هـ/ 1248 – 1309م)، سكن مدينة تعز ثم انتقل منها إلى زبيد ومات بها، كان شاعرًا بارعًا[3]، وله قصيدة بعد أن هرب من الملك الأشرف الذي أراد أن يبطش به قال فيها:

تبغون قتلي ومالي فيكم غرضٌ ** غيرُ النجاة على مجموع أحوالي

أو تزعمون بأن الجنَّ طوعُ يدي ** هل تقهرُ الجنُّ إلا بالملا العالي[4]

---

(1) الجندي، السلوك، ج2، ص98؛ الأفضل عباس، العطايا السنية، ص498؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1436؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص276.

(2) الجندي، السلوك، ج2، ص409 – 410.

(3) الجندي، السلوك، ج2، ص119 – 122؛ الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1437؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص227 – 228.

(4) للمزيد ينظر: ابن الديبع، قرة العيون، ص339 – 340.

ومنهم برع في علوم اللغة أبو محمد بن عبدالله بن أسعد اليافعي (ت 768هـ/ 1366م)، كان عالمًا بارعًا بعدة علوم منها علوم اللغة، مثل النحو والعروض، كما كان شاعرًا بليغًا له قصيدة تشتمل على أكثر من عشرين علمًا[1]. والفقيه رضي الدين أبو بكر بن محمد بن أسلم القراع اليافعي (ت بعد 786هـ/ 1366م)، كان إمامًا في النحو، بمدينة عدن، وجمع كتاب (المقصد الجليل في علم الخليل) لابن الحاجي، ودرس (تسهيل ابن مالك وألفيته)، وشرحه لابن عقيل، وكتاب (مغني اللبيب) لابن هشام، وقيل إنه سمع كتاب (الشفاء) للقاضي عياض، على القاضي محمد بن إبراهيم الصنعاني سنة 791هـ/ 1388م، وأخذ عنه ابن كبن في عدن (ألفية ابن مالك)، وكان له خط جيد مليح، وقيل إنه كتب شعرًا[2].

ومنهم علي بن الجمال محمد بن عيسى اليافعي (ت791هـ/ 1388م)، وكان عارفًا بالنحو في بلاد اليمن مات بعدن[3].

ومنهم محمد بن منصور اليحيوي، شاعر أديب من بيت شعر وعلم، فأخواه أحمد ويحيى ابنا منصور بن نصر من الشعراء المبرزين، وأبوه من العلماء الكبار[4].

ومنهم أبو عبدالله محمد بن يوسف اليافعي، أحد الأعلام المدافعين عن السنة، كان شاعرًا مجيدًا، وكان متضلعًا في عدة علوم كالعقيدة والنحو، وهو من رجال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[5].

---

(1) الخزرجي، العقد الفاخر، ج3، ص1196 – 1197؛ الشرجي، طبقات الخواص، ص174؛ بامخرمة، ثغر عدن، ج2، ص110 – 111؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص211 – 212؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص566.

(2) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص28؛ الحجري، بلدان اليمن، ج4، ص774؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص768؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص224، 309.

(3) الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص318.

(4) الموسوعة اليافعية، ج1، ص309.

(5) الموسوعة اليافعية، ج1، ص309 – 310.

ومنهم أحمد بن محمد بن عمر اليحيوي من علماء العقيرة في ذي السفال بإب، وهو من رجال القرن الثامن الهجري، كان نحوي وله خط جميل[1]. ومنهم علي بن صبر اليافعي (913 – 987هـ/ 1507 – 1579م)، كان عالمًا نحويًّا[2] وقد سبق ذكره.

ثالثًا: العلوم العقلية:

1 – علم الفرائض:

الفرائض، هو جمع فريضة بمعنى مفروضة، أي مقدرة، لما فيها من السهام المقدرة (الفريضة)[3].

وعلم الفرائض، هو فقه المواريث، وعلم الحساب الموصل لمعرفة ما يخص كل ذي حق حقه من التركة. وموضوعه التركات[4].

وتجدر الإشارة إلى التلازم بين المواريث وعلم الحساب، إذ لا يكفي الفرضي النبوغ في معرفة فروض المواريث فقط، بل يتطلب منه معرفة القواعد الحسابية، من أجل تحديد مقدار الإرث، ومن المشتغلين بهذا العلم من علماء يافع المهاجرين، القاضي عيسى بن محمد بن عيسى (ت 719هـ/ 1319م)، درس علومًا عديدة، فحقق وأجاد، ونبغ في علم الفرائض حتى اشتهر به، وتوفي بعدن[5] في العام المذكور آنفًا، ومن العارفين بهذا العلم أيضًا عبدالله بن أسعد اليافعي[6] السالف الذكر. كما برع في

---

(1) الأكوع، هجر العلم، ج3، ص1441؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص220.

(2) العيدروس، النور السافر، ص324؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص413؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص270 – 271.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص434؛ سبط المارديني، محمد بن محمد، الرحبية في علم الفرائض، حاشية، العلامة البقري، ط7، علق عليها، د. مصطفى ديب البغا، دار القلم، 1418هـ/ 1997م، ص12.

(4) سبط المارديني، الرحبية، ص12.

(5) الموسوعة اليافعية، ج1، ص280.

(6) بامخرمة، ثغر عدن، ج2، ص112.

هذا العلم الشيخ أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي (ت 910هـ/ 1504م)، فقد قرأ علم الفرائض على الشيخ عبدالله بن محمد بامخرمة بعدن[1].

2 - علم الرياضيات والحساب:

حظيت علوم الرياضيات والحساب باهتمام عدد من العلماء المهاجرين من يافع في زمن الدراسة، وذلك لأهميتها في حياة الناس اليومية وما يتعلق بها من أعمال، ومن المشتغلين بهذه العلوم، الفقيه عبدالله بن أسعد اليافعي[2]، والشيخ أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي الآنف الذكر، فقد أخذ علم الحساب وعلم الفرائض عن الشيخ عبدالله بن محمد بامخرمة بعدن[3].

3 - التصوف وعلم الكلام:

الصوفية في اللغة: تعني الصوف ويقال: كبش صاف - أي مثر صوفه - ويقال: الصوف للواحدة على تسمية الطائفة باسم المجتمع[4]. وفي الاصطلاح: اختلف الباحثون في أصل كلمة التصوف ومصدرها واشتقاقها وهل هي مأخوذة من الصفاء أم الصوف أم الصفة أم الصف أم غير ذلك[5]. أما علم الكلام: فيُعرف بأنه: «علم يتضمن الحجاج (الجدال) عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية والتوحيد»[6]. فظهر مجموعة من المهاجرين من علماء يافع من اشتغل

(1) بامخرمة، قلادة النحر، مج5، ص540؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص214.
(2) بامخرمة، ثغر عدن، ج2، ص112.
(3) بامخرمة، مج5، ص540؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص214.
(4) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج7، ص443 - 444؛ الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، تح: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1410هـ/ 1990م، ج1، ص1062.
(5) الكلدي، جمال عبدالحبيب عبدالقوي، المذهب الشافعي في اليمن من القرن الرابع - السابع الهجري/ العاشر - الثالث عشر الميلادي، دار الوفاق، عدن، 1433هـ/ 2012م، ص132 - 133.
(6) ابن خلدون، المقدمة، ص440.

بهذه العلوم من أمثال: الفقيه محمد بن أبي بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي (517 – 546هـ/ 11223 – 1151م)، كان له معرفة بعلم الكلام، ولي قضاء عدن خلفًا لأبيه، ومات بمدينة الجند[1].

والفقيه أبو بكر بن محمد بن عمر الهزاز اليافعي (ت 709هـ/ 1309م)، كان إمامًا فاضلًا متصوفًا، له كتب في علم التصوف، وكان يحب المتصوفة ويصحب الأكابر منهم كأبي السرور وغيره، وعندما حج مكة لقي فيها جمعًا كبيرًا من الأكابر، وانتسخ كتبًا من كلام ابن عربي الصوفي الشهير، فعكف عليها واعتقد ما فيها، ولما عاد إلى اليمن أقبل عليه أعيان الأمراء والملوك والخواتين وصار لهم فيه معتقد عظيم، ونقل أصحابه عنه أمورًا تدل على صلاحه وجلالة قدره[2]، قال الجندي: «وله في التصوف كتب مستحسنة وأشعار معجبة»[3].

والفقيه أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي (768هـ/ 1366م)، أخذ خرقة التصوف في عدن عن الفقيه جمال الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد البصَّال، ثم التزم الخلوة والانقطاع بصحبة شيخه أبي الحسن علي الطواشي (ت 748هـ/ 1347م) مدة، ثم رحل إلى مكة وجاور بها كما بينا ذلك سابقًا، فصنف في العديد من العلوم منها التصوف وأصول الدين، وكان متعصبًا للإمام الأشعري، وله كلام في ذم ابن تيمية، كما كان يعظِّم ابن العربي، ومن مصنفاته في التصوف كتاب أسماه (الإرشاد والتطريز في التصوف)، وكتاب في أخبار الصالحين يسمى (روض الرياحين)[4].

---

(1) ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، ص166، 332؛ الجندي، السلوك، ج1، ص407؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص298.

(2) الجندي، السلوك، ج2، ص119 – 122؛ الموسوعة اليافعية، ج1، ص227 – 228.

(3) السلوك، ج2، ص121.

(4) للمزيد ينظر: الأسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص330 – 333؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، 95 – 96؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3 – ص18 – 20، ج5، ص112؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ص1196 – 1197؛ بامخرمة، ثغر عدن، ج2، ص110 – 111؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص210 – 212؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص566.

وعلي بن صبر اليافعي (987هـ/ 1579م)، كان فقيهًا زاهدًا متصوفًا صاحب كرامات[1].

4 - علم التاريخ والسير:

قال ابن خلدون في فضل علم التاريخ: «اعلم أن فن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم؛ حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا»[2]. وأبناء يافع المهاجرين الذين اشتغلوا بهذا العلم محمد بن مسلم، هو من يافع بني قاسد، عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقد روى عنه الهمداني في كتاب (الإكليل) معلومات تتعلق ببطون يافع[3]. مما يدل على أنه كان خارج يافع ربما في صنعاء لأن الهمداني أخذ معلوماته عن يافع منه لأن لديه معرفة بالأنساب وعلم التاريخ والسير.

ومن المشتغلين بعلم التاريخ أيضًا من أبناء يافع الشيخ الجليل عبدالله بن أسعد اليافعي، فألف فيه كتابًا أسماه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان)[4].

الخاتمة:

من خلال دراسة موضوع الدور العلمي والفكري لمهاجري يافع في المدن والقرى اليمنية من القرن الخامس إلى العاشر الهجري/ الحادي عشر إلى السادس عشر الميلادي يمكننا أن نجمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث بما يلي:

1 - أن موقع يافع الجغرافي من الناحية التضاريسية الصعبة، دفع بالكثير من الناس إلى الهجرة خارجها إلى المدن والقرى اليمنية أو إلى خارج اليمن، لسببين: إما

---

(1) الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص413.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص21.

(3) الموسوعة اليافعية، ج1، ص308.

(4) الأسنوي، طبقات الشافعية، ج2، ص330 - 333؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، 95 - 96؛ بامخرمة، ثغر عدن، ج2، ص111؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6، ص210 - 212؛ حماد، مظاهر الحضارة، ص566.

لطلب الرزق، أو لطلب العلم، وهذا ما تبين لنا جليًا من خلال الدراسة.

2 - كما بينت الدراسة أن أبناء يافع الذين خرجوا من أجل طلب العلم أكثرهم إن لم يكن جميعهم فضلوا البقاء في المدن والقرى التي ذهبوا إليها وعدم العودة إلى بلادهم، فتزوجوا بها واستقروا فيها.

3 - أن ارتحال علماء يافع في طلب العلم من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى أخرى، كان بحثًا عن العلوم الشرعية.

4 - بينت الدراسة الدور العلمي والفكري الذي أدَّاه العلماء وطلاب العلم المهاجرون من أبناء يافع الذين استقروا في المدن والقرى اليمنية، حيث كان لبعضهم مراكز علمية يأتي إليهم طلاب العلم من كل حدب وصوب.

5 - كما بينت الدراسة الدور السياسي الذي لعبه بعض علماء يافع في الدول التي ظهرت زمن الدراسة كالدولة الرسولية، والتي أوكلت منصب القضاء والفتوى إلى بعض علماء يافع آنذاك.

6 - بينت الدراسة بروز بعض العلماء من أبناء يافع واهتمامهم بأكثر من علم.

7 - ركز أبناء يافع المهاجرون على العلوم النقلية (الدينية)، بشكل كبير وبعض العلوم العقلية ولاسيما التي لها ارتباط بالعلوم النقلية، ولم يعيروا بقية العلوم العقلية أهمية كبيرة كعلم الطب والهندسة والفلك والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم.

المصادر والمراجع

1 - الأسنوي، جمال الدين عبدالرحيم (ت 772هـ/ 1370م)، طبقات الشافعية، تح: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/ 1987م.

2 - الأفضل عباس، بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي الرسولي، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد عبدالله أحمد الخامري، وزارة الثقافة، صنعاء،1425هـ/ 2004م.

3 - الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/ 1995م.

4 - البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي اليمني، طبقات صلحاء اليمن، ط2، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ/ 1994م.

5 - بعكر، عبدالرحمن، كواكب يمنية في سماء الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ/ 1990م.

6 - بلعيد، محمد منصور علي صالح، عدن في عصر الدولة الرسولية (629 - 858هـ/ 1231 - 1454م) دراسة تاريخية حضارية، دار الوفاق، عدن، 1433هـ/ 2012م.

7 - باجمال، جمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين (ت 1019هـ/ 1610م)، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، تح: محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، 1429هـ/ 2008م.

8 - الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ط2، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1416هـ/ 1995م.

9 - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، تح: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1410هـ/ 1990م.

10 - ابن حجر، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852هـ/ 1449م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط2، تح: محمد عبدالحميد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1392هـ/

1972م.

11 - الحجري، محمد بن أحمد اليماني، مجموع بلدان اليمن وقبائل، ط2، تح: إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1416هـ/ 1996م.

12 - حلبوب، نادر سعد عبادي العمري، الموسوعة اليافعية، دار الوفاق، عدن، 1436هـ/ 2015م

13 - حماد، أسامة أحمد، مظاهر الحضارة في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول)، مركز الإسكندرية، الإسكندرية، 1425هـ/ 2004م

14 - الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري (ت 1089هـ/ 1687م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبدالقادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/ 1987م.

15 - الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت 812هـ/ 1409م)، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، وهو طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، تح: عبدالله بن قائد العبادي وجماعة، الجيل الجديد، صنعاء، 1429 - 1430هـ/ 2008 - 2009م

16 - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط2، تصحيح: الشيخ محمد بسيوني عسل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، 1403هـ/ 1983م.

17 - ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، المقدمة، ط5، دار القلم، بيروت، 1405هـ/ 1984م.

18 - الداودي، أحمد بم محمد، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكمة، السعودية، 1417هـ/ 1997م.

19 - ديان، محسن بن محسن، وقائع من تاريخ يافع (رواية ـ دراسة ـ تحليل)، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، 1420هـ/ 1999م.

20 – ابن الديبع، أبو الضياء عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت 944هـ/ 1537م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ط2، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة أبي ذر الغفاري، صنعاء، 1409هـ/ 1988م.

21 – الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1416هـ/ 1996م.

22 – سبط المارديني، محمد بن محمد، الرحبية في علم الفرائض، حاشية، العلامة البقري، ط7، علق عليها، د. مصطفى ديب البغا، دار القلم، 1418هـ/ 1997م.

23 – السبكي، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت 771هـ/ 1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، ط2،تح: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر، 1413هـ/ 1992م.

24 – السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

25 – السلفي، سالم عبدالرب، معجم أعلام يافع، ط2، عدن، 1434هـ/ 2013م.

26 – ابن سمرة، عمر بن علي الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، د.ت.

27 – السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، د.ت.

28 – الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م

29 – الشرجي، أبو العباس أحمد بن عبداللطيف الزبيدي (ت 893هـ/ 1487م)، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تح: عبدالله محمد الحبشي، الدار اليمنية، صنعاء، 1406هـ/ 1986م.

30 – شنبل، أحمد بن عبدالله (ت 920هـ/ 1514م)، تاريخ حضرموت المعروف

ب تاريخ شنبل، ط2، تح، عبدالله محمد الحبشي، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، 1424هـ/ 2003م.

31 – عمارة، نجم الدين عمارة بن علي بن محمد بن زيدان الحكمي اليمني (ت 569هـ/ 1173م)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، ط3، تح: محمد بن علي الأكوع الحوالي، المكتبة اليمنية، صنعاء،1406هـ/ 1985م.

32 – العيدروس، عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/ 1984م.

33 – الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي (775 – 832هـ/ 1373 – 1420م)،العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ط2، تح: محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/ 19986م.

34 – الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/ 1413م)، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت.

35 – ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت 851هـ/ 1448م)، طبقات الشافعية، تح: د. الحافظ عبدالعليم خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/ 1986م.

36 – القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م.

37 – القنوجي، الشيخ صديق بن حسين (ت 1248هـ/ 1832م)، أبجد العلوم، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ/ 2002م.

38 – الكلدي، جمال عبدالحبيب عبدالقوي، المذهب الشافعي في اليمن من القرن الرابع – السابع الهجري/ العاشر – الثالث عشر الميلادي، دار الوفاق، عدن، 1433هـ/ 2012م.

39 – بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي (870 – 947هـ/ 1465 – 1540م)، تاريخ ثغر عدن، مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل، ط2، دار التنوير، بيروت، 1407هـ/ 1986م.

40 – قلادة النحر في أعيان الدهر، عني به: بو جمعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج، جدة، 1428هـ/ 2008م.

41 – المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، 1422هـ/ 2002م.

42 – ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

43 – الناخبي، عبدالله بن أحمد بن محسن، رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ، د.ن، 1410هـ/ 1990م.

44 – الهاشمي، أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد بن فهد المكي، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

45 – اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت 768هـ/ 1316م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1413هـ/ 1993م.

هجرات اليافعيين إلى الهند

أ.د.علي صالح الخلاقي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة عدن - كلية التربية يافع

توطئة

يحيى عمر قال ليت الهند في يافع
أو ليتكم بارض يافع يَاهْل هندستان
****

يلخص هذا البيت للشاعر الفنان يحيى عمر اليافعي (أبو معجب) بكثافة علاقة اليافعي الحميمة بالمهجر الهندي، ويعبر عن علاقة الشوق والحنين التي تتنازع هواه بين الهند ويافع، مع غلبة واضحة لحب مسقط الراس (يافع) التي تمنَّى لو أن الهند بثرائها ورغد العيش فيها كانت في يافع مع أهل هندستان ممن لهم في قلبه شأن لكان تخلّص - كما قال - من الضياع عن أهله وبلده ومن تعب السفر وعنائه في المراكب الشراعية تلعب به أمواج بحر (اللُّول والمرجان)..إنه يعبر هنا عن حالة المهاجر اليافعي ونفسيته في زمنه في المهجر الهندي.. فمن المعروف أن الهجرة إلى الهند ظلت حتى منتصف القرن الماضي أملًا يداعب مخيلة الشباب اليافعي، وهدفًا سعى إليه الكثيرون ممن ضاقت بهم سبل العيش في بلادهم؛ لعوامل الاضطراب السياسي، والفتن والحروب القبلية، والجفاف والمجاعات. وفي الهند وجد المهاجرون بغيتهم وحصلوا على أعمال كـ (عساكر) بصورة رئيسة، وإن عمل بعضهم في التجارة أو في مجالات الشحن والتفريغ في الموانئ أو رحالة على السفن، وأمَّنوا بذلك ليس فقط مصدر الرزق لهم ولأسرهم التي ظلت تعتمد عليهم، بل وسعوا إلى أن يحققوا ذاتهم فيما بعد في مسقط رأسهم وهو ما تيسَّر للكثيرين منهم، ولا زالت تنتصب في بعض

قرى يافع الجبلية القصور والحصون اليافعية التي شُيِّدت بأموال أولئك المغتربين في المهجر الهندي على مدى الثلاثة القرون الماضية، كشاهد على ذلك[1].

حتى الآن لم تحظ هجرات اليافعيين إلى الهند التي كانت أولى مهاجرهم ومحط رحال الكثير منهم إلى جانب إندونيسيا ثم بقية المهاجر العربية والأجنبية الأخرى، بالدراسة أو التحليل، فقد انعدمت الكتابة عنهم وعن نشاطهم وأحوالهم وتأثيرهم ومكانتهم في مهاجرهم، لاسيما وأن أحدًا منهم لم يترك لنا كتابًا أو ذكريات تدون شيئًا عن حياتهم ونشاطهم في تلك المرحلة، رغم وصول بعضهم إلى مراتب عسكرية مهمة، لاسيما في نظام حيدر أباد، حيث كان حضورهم قويًا ومؤثرًا. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة الأولى من نوعها التي تتناول هجرات اليافعيين إلى الهند بشكل خاص، والتي استندنا فيها إلى مصادر ومراجع ووثائق ومراسلات تاريخية تعود إلى حقبة المهجر الهندي، تسنى لنا الحصول عليها من أرشيف بعض الأسر اليافعية، وتُنشر لأول مرة، ونسعى في المستقبل إلى توسيع إطار البحث وإصداره في كتاب ليشمل الهجرات اليافعية في العصر الحديث بشكل عام، مدعمًا بالوثائق والمراسلات التي نأمل أن نحصل على المزيد منها من أرشيف الأسر اليافعية.

العرب والمهجر الهندي:

المهجر الهندي من أقدم المهاجر التي اتجه إليها المهاجرون العرب، وبشكل خاص من الجنوب العربي، واشتغل معظمهم بالجندية، حيث أشار عدد كبير من المؤرخين والرحالة العرب من أمثال ابن بطوطة والأفرنج وغيرهم الذين زاروها عبر القرون عن وجودهم في جيوش وأساطيل حكام الهنود سواء كان الحاكم مسلمًا أو هندوكيًا[2]. فقد وجد الجنود من الجنوب العربي ضمن جيوش سلاطين الدكن والقجرات. وتحدثت المصادر الفارسية عن هند العصور الوسطى بغموض

---

(1) شل العجب..شل الدان – ديوان يحيى عمر اليافعي (أبو معجب) ودراسة عن حياته وأشعاره، د.علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط2، 2006م، ص47.

(2) انظر: السلطان غالب بن عوض القعيطي: تأملات عن تاريخ حضرموت، ط1، 1996م، ص 93.

عن (الجنود العرب) في جيش الإمبراطورية البهمانية والسلطنات التي أتت بعدها (القرن 14 – 17). إذ كان من الصعوبة بمكان تأكيد وجود أقلية عربية ضمن قوات السلطان الدكني، فإن مما لاشك فيه أن العرب الذين كانوا في جيوش ملوك القجراتيين المسلمين هم من الجنوب العربي. وضم جيش السلطان شاه بهدور (26 – 1537م) ما يقارب 10000جندي أجنبي، كان كثير منهم من يافع والمهرة. وحدث التدفق الكبير للحضارم واليافعيين وغيرهم في منتصف القرن الثامن عشر والتاسع عشر. إذ كان القرن الثامن عشر قرن حروب واضطرابات في كافة أرجاء الهند، حيث فقدت الإمبراطورية المغولية هيمنتها في شبه القارة الهندية، كما ساعدت القوات الأوربية المدربة، والتكنولوجيا العسكرية المستوردة على وصول أشخاص جدد إلى السلطة في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي. وكانت معظم السلطات الجديدة من الأقليات العسكرية التي اعتمدت إلى حد كبير على مساندة الجنود الأجانب الذين كانوا سياسيًا محايدين، ومن ضمنهم العرب من حضرموت ويافع الذين برز دورهم العسكري في نشاطهم الملحوظ وثقلهم العسكري في مجموعة كبيرة من دويلات الهند، فقد أدرج عدد من الحكام عربًا ضمن قواتهم. ففي بهافنجار قيل أن المهراجا بافسينجي (1703 – 1763م) ضم 3000عربي ضمن جيوشه. كما أسس جمعدار عربي (قائد عسكري) إمارة صغيرة في مانجرول (كاثياوار) عام 1747م، ودامت قرنين إلى أن تمت إزالتها ضمن الإمارات الأخرى التي أزيلت عند استقلال الهند. وقد عمل ما يقدر بحوالي 5000عربي في قوات الزعيم المراثي نانا بدنيس[1].

لمع اسم العرب، ولاسيما الحضارم واليافعيين في الهند بصفة غير اعتيادية؛ نظرًا لمجهودهم وصبرهم ومثابرتهم وذكائهم، وكان غالبيتهم يعملون في الجندية، حيث

(1) دور الحضارم في السياسة والمجتمع في مستعمرة الهند 1750 – 1950م، عمر خالدي. انظر الشتات الحضرمي، ترجمة: د. عبدالله عبدالرحمن الكاف. مراجعة صياغة: د.عبدالمطلب أحمد جبر. تحرير: ألريكي فرايتاك، وليم كلارنس سميث. تريم للدراسات والنشر. المبحث الخامس ص95 – 96.

استطاعوا في تلك المدة إتقان مجموعة بارزة من الفنون الحربية، والاستخدام الفعال للمدافع والبنادق، وهي من أهم السمات التي جعلت الحكام الهنود ينظرون في الجندي العربي الند السوي للجندي الإفرنجي المدرب على هذه الأسلحة الحديثة، فضلًا عن ميزتهم الفريدة التي اشتهروا بها في تلك المدة، وهي الاستعداد الدائم للقيام بالدفاع المستميت عن أية مواقع تُسَلَّم لحوزتهم[1]. ولهذا كانوا أكثر تقديرًا وأعلى مقامًا من بين الجنود الأجانب في جيوش الحُكَّام، وكان لهم دورهم كمدافعين مرموقين عن القلاع التي كانت تستخدم، ليس كنقاط قوة عسكرية فحسب، بل إنها استخدمت أيضًا كمراكز لجبي العوائد (الضرائب) والسيطرة الاجتماعية. واعترف خصوم العرب من البريطانيين بتفوق مهاراتهم العسكرية. ومن الطبيعي إن كان الجنود العرب أغلى ثمنًا في جيوش المارثا. ووفقًا لمصدر من القرن الثامن عشر أُعطي الجنود التابعون لمجموعات مختلفة الأجور التالية: «أُعطي الجندي العربي 18روبية، البرتغالي 15روبية، والهندوستاني 8 روبيات، أما المارثا والدكني فقد أعطوا 6 روبيات». وعلى حد تعبير الميجر بيرتون: «ربما لا توجد في العالم جيوش تكون أكثر عزمًا وثباتًا في مواقعها من العرب. فهم غير مطلعين البتة على التكوين العسكري، وغير نظاميين، ولكن كل عربي لديه عزة وقلب لا يخذله أبدًا طالما أن له أقدامًا يقف عليها. فهم بطبيعتهم شجعان ويمتلكون درجة عالية من الهدوء وسرعة البديهة. جسورين وعنيفين بحكم العادة، ويُربُّون على حمل السلاح منذ نعومة أظفارهم، ويجيدون استخدامه وتصويبه بمهارة، بحيث تصيب أو تجرد أصغر هدف من مسافة ليست بالقصيرة. وهم بشكل عام يتسلحون من بندقية فتيل وزوج رماح، وثلاثة أو أربعة خناجر صغيرة مثبتة في أحزمتهم، ودرع»[2].

---

(1) – انظر: السلطان غالب بن عوض القعيطي: تأملات عن تاريخ حضرموت، ص 93.

(2) انظر: دور الحضارم في السياسة والمجتمع في مستعمرة الهند 1750 – 1950م، عمر خالدي، ص96 – 98.

دوافع الهجرة:

اليافعيون شغوفون بالهجرة منذ أزمنة قديمة، وأسباب هجرتهم متعددة، ولا شك أن لذلك صلة واضحة بمحدودية أراضيهم الصالحة للزراعة، التي تعد المصدر الرئيس للعيش، واستنزفت الكثير من جهودهم لتشييد المدرجات الزراعية في بطون الجبال، وبناء السدود والخزانات تحسبًا لسنوات الجفاف والقحط التي قد تطول وتتسبب بمجاعة.

وإجمالًا فإن الدافع الاقتصادي المتمثل بالحصول على المال في مهاجرهم هو العامل الرئيس لهجرة اليافعيين. فمن المعروف أنهم كثيرو النسل مع قلة الأرض الزراعية وشحة الأمطار الموسمية، ولهذا كانت بلادهم تزدحم بهم فيهاجر كثير منهم بحثًا عن الرزق لهم ولأسرهم، إذ تجبرهم قساوة الطبيعة وقلة مواردها وخيراتها فوق أرضهم الصخرية على أن يشدوا رحالهم ويجوبون أصقاع الأرض؛ بحثًا عن حياة أفضل ومصدر عيش كريم لهم ولمن بقي من أسرهم في الوطن. وبإمكاننا أن نصادف اليافعيين في أرجاء كثيرة داخل الوطن وفي أرجاء المعمورة.

والهجرة ظاهرة فردية واختيارية، وقد تكون حافزًا للدفع بآخرين من الأسرة أو الأسر الأخرى، فعند إحراز النجاح من الرعيل الأول من المهاجرين، فإنهم غالبًا ما يستدعون أقرباءهم؛ إما لمساعدتهم أو للحاق بهم لتحسين أحوالهم المعيشية. وهناك من دفعتهم للهجرة عوامل أو مشاكل اجتماعية أو قبلية، مثل عدم وجود سلطة مركزية تحقق الاستقرار والأمان، وانتشار الحروب والفتن القبلية، أو قضايا القتل أو غيرها من المشاكل الأسرية أو الاجتماعية، فيغادرون بسببها مسقط رأسهم إلى بلاد الاغتراب تجنبًا لتلك المشاكل، وقد يتهرب البعض من الاشتغال بزراعة الأرض وما يرافق ذلك من كد وتعب متواصل، لشعور تكوَّن لديهم بأن العمل في المهجر أكثر راحة وأرفع دخلًا وأقل عناءً، حيث تكوَّن هذا التصور لديهم من حالة المهاجرين عند عودتهم وعلامات الراحة ورغد العيش تبدو على وجوههم، وتنعكس في حالتهم المادية الميسورة، وفي إنفاقهم الأموال على أسرهم، فيحفزون بذلك الشباب الطموح

لأن يحذو حذوهم ليبلغوا مرتبتهم. وقد يصطدم بعض هؤلاء بعد سفرهم بالتصور المسبق لديهم عن الحياة الناعمة في المهجر وما يواجهون من صعوبات ومشقة وعناء فلا يجدون مفرًا إلَّا أن يتحملوا صعوبتها حتى يتغلبوا عليها ويجتازوها بمساعدة من سبقهم من الأقارب والأصحاب، ثم يتكيفوا على حياة المهجر ويثبتوا جدارتهم أسوة بمن سبقهم.

خلاصة القول: إن ظاهرة الهجرة تتسم بأهمية بالغة، حيث تعتمد كثيرٌ من الأسر اليافعية على تحويلات المهاجرين، وعلى ما كانوا يرسلون من ملابس وبضائع وغيرها، وازداد هذا الاعتماد بمرور الأيام، لاسيما مع زيادة الكثافة السكانية ومحدودية الأراضي الزراعية، وشحة الأمطار، وانعدام مصادر الدخل البديلة في المنطقة، فازدادت تبعًا لذلك أعداد المهاجرين إلى الداخل والخارج، والاعتماد عليهم من قبل أسرهم إلى حدٍ كبير، وقد يتسبَّب انقطاع إرسال الأموال لأي سبب بضائقة اقتصادية تلحق بتلك الأسر.

بالنسبة للهجرة هناك نوعان من الهجرة: الهجرة الطويلة الأمد التي تستمر لعقود من الزمن، وبحكم الإقامة الطويلة للمهاجرين، اندمجت أعداد كبيرة منهم في المجتمع الهندي وتزوجوا هناك من بنات الهنود المسلمين، وأنجبوا أطفالًا لا تربطهم صلة بالوطن الأم بسبب انقطاع علاقة آبائهم بالوطن. وقد حافظ جيل الآباء فقط على وشائج الارتباط بالوطن من خلال التواصل عبر المراسلات وتحويل الأموال وتتبع أخبار الأهل، والبعض منهم توفاهم الله في مهجرهم دون أن يعودوا ثانية إلى مسقط رأسهم[1]. والهجرة القصيرة

(1) مثال على ذلك المهاجر عبدالرب صالح عوض بن سكران الخلاقي الذي قضى قرابة 50 سنة في الهند حتى وفاته بين عامي (1271 – 1321هجرية)، كما اتضح من رسائله. فحسب رسالته سنة 1296هـ التي أرسلها من حيدر أباد إلى أخيه محمد بن صالح عوض الخلاقي يذكر أن له في الهند مقدر 25 سنة، أي أنه وصل إلى الهند سنة 1271هـ. وفي رسالة أخرى أرسلها سنة 1316هـ يقول فيها أن له بالهند 37سنة، وقد أخطأ في احتساب عدد السنين، لأنه يكون له حتى ذلك التاريخ 45 سنة هجرية، وتزوج هناك من هندية مسلمة وخلف منها ولدًا أسماه عليًّا، مات صغيرًا، وتوفي في حيدر أباد سنة 1321هـ، وبهذا يكون قد قضى في مهجره 50سنة.

أو (الفصلية والقريبة) كما يصفها البعض[1]، وهي التي يمكث فيها المهاجرون بضع سنوات ولا ينقطع شوقهم لأهلهم ووطنهم، ثم يعودون إلى مسقط رأسهم لقضاء مدة إجازة مفتوحة بين أهلهم وخلانهم، ثم يعودون بعدها إلى مهجرهم، وظلوا على ارتباط قوي وزيارات مستمرة للأهل والأقارب المعتمدين على التحويلات المالية التي كانت تصل إليهم بانتظام من هؤلاء المهاجرين.

إن القسم الأعظم من المهاجرين الحضارمة قد اتجه إلى إندونيسيا وسنغافورة وماليزيا، وكانوا يتعاطون كل الحرف والمهن، ويفضلون مهن التجار والصناعيين (منسوجات)، أما بنو يافع فكانوا يقومون بالالتحاق بجيوش الإمارات الإسلامية الهندية قبل أن يمتصها الاتحاد الهندي. وهكذا فإن قسمًا من ضباط جيش نظام حيدر أباد كان أصله من يافع[2].

ظروف السفر ومشاقُّه:

كان السفر قبل ظهور الطيران والبواخر الحديثة صعبًا وشاقًا، وكان على المسافر المتجه إلى الهند في ذلك الحين أن يركب البحر من عدن أو المكلا أو الشحر بواسطة المراكب الشراعية التي لا يزال بعض المسافرين يستخدمونها اليوم. وكان السفر في عباب البحر، وصولًا إلى الهند، عرضة للمخاطر والأهوال، سواء بفعل العواصف والأعاصير التي تضرب المحيط الهندي وتؤدي إلى التلاعب بالسفن الشراعية، أو اصطدامها بالسفن وربما الغرق أو الضياع أو فقدان الطريق، ناهيك من مخاطر القرصنة البحرية. كما كانت الرحلة تستغرق زمنًا طويلًا حتى الوصول إلى الوجهة المقصودة، وعادة يتم استقبال المهاجر الجديد عند وصوله الهند من قبل أقربائه، ويحلُّ ضيفًا عليهم هناك، ويقدِّمون له المساعدة منذ لحظة وصوله، ويبحثون له عن عمل، ومن النادر أن يسافر شخص دون أن يكون له من يعرفه.

---

(1) اليمن الجنوبي، محمد عمر الحبشي، ترجمة: د.خليل أحمد خليل، دار الطليعة - بيروت، ط1، 1968م، ص 527.

(2) اليمن الجنوبي، محمد عمر الحبشي، ص 527.

وبين أيدينا رسالة أحد المهاجرين تقدم لنا وصفًا دقيقًا لرحلته مع غيره منذ مغادرته بندر المكلا سنة 1343هجرية على متن سفينة شراعية، وحتى وصوله إلى حيدر أباد، التي استغرقت قرابة شهرين، وكيف جرى الاستقبال من الأقرباء، يقول: «سافرنا من بندر المكلا أنا والأخ محسن بن صالح ولا أعطيناكم خبر، وسفرنا وقع في شهر جماد أول نهار 28 من بندر المكلا، وأخذنا في البحر جماد ثاني ورجب، نهار 17 رجب وصلنا منيبار». ثم يعبِّر عن اندهاشه من الرحلة في القطار (الريل) التي قلصت المسافة من رحلة شهر ونصف مشيًا على الأقدام إلى يوم وليلة من منيبار إلى حيدر أباد، يقول: «وحال وصولنا منيبار ركبنا في الرّيل اليرو[1]، نوالنا[2] أنا والأخ محسن في الريل 18 ربية إلى ناصفة الطريق مسير شهر ونص أخذنا بها في الرَّيل يوم وليلتين، وبَعد كمل علينا العدِّي[3]، وضربنا للوالد محمد قاسم في السالك[4]، وأخذ يوم وليلة، مسير 35 نهار، أخذ بها الوالد محمد يوم وليلة، ووصل عندنا يتخبَّر علينا، ويحصلنا أنا والأخ محسن في قرية يقولوا لها (أركلم)، وقطع لنا تكت[5] 17 ربية إلى حيدر عباد، ووصلنا حيدر عباد الدكن في أتم الصحة والعافية، وعزّنا الوالد محمد وكسانا، والذي صلَّحه لي وللأخ محسن ما باتسونه أنتوا لنا. ووصلنا حيدر عباد نهار 19 رجب[6].

اليافعيون في الهند:

كان لليافعيين ثقلهم وتواجدهم المؤثر والفعال منذ وقت مبكر في كثير من مناطق الهند، إلى جانب الحضارم بدرجة رئيسة. وممن لمعت أسماؤهم هناك نذكر الفقيه الكبير والولي الصالح والصوفي العابد والمقرئ والنحوي علي بن صبر بن عبدالله

---

(1) الريل اليرو: اسم القطار.

(2) النوال: قيمة تذاكر السفر.

(3) العدَّي: النقود.

(4) ضربنا في السالك أو السلك: أي اتصلنا برقيًا.

(5) تكت: تذكرة.

(6) من رسالة المهاجر الحاج عبدالله صالح القاضي الخلاقي، محرر يوم 27 رجب سنة 1343 هجرية.

اليافعي، من قبيلة بني صبر الحِمْيَرية، ولد في جبل يافع حوالي سنة 913هـ وقدم إلى تريم لطلب العلم وغادر إلى الهند بصحبة شيخه ومعلمه الإمام الأديب شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله الكبير العيدروس، وأقام معه في مدينة أحمد أباد، وظهر علمه فيها، وأكرمه السلطان جانكيز شاه وقرَّبه، فاستوطن بها مدة طويلة، ثم خرج إلى حضرموت سنة 964هـ وزار الشيخ أبا بكر بن سالم مولى عينات فأكرمه، وحكَمه التحكيم، وألبسه الخرقة، وأجاز له إجازة عامة، وقد توفي بالهند سنة 987هـ[1].

وذكر السلطان غالب بن عوض القعيطي[2] أن فرعًا من القبيلة القعيطية اليافعية (على رأس مجموعة من العرب والأحباش والهنود) كانت أميرة على بحرية الإمبراطورية المغولية خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وكان الأسطول البحري المنقاد من قبل القعطة مصدرًا للخوف على طول مدى الساحل الغربي للهند، ومقرهم المحصن والمعمر في البحر هو قلعة (كالنجر) أي (جزيرة الغراب)، وكانت تتمتع بحماية ستمائة مدفعًا[3]. ومن أخبار هذه الأسرة أنه في سنة 1150هـ/ 1737م حكمتها الأميرة رضية بنت السلطان يوسف بن علي بن عبدالله القعيطي، وهي البنت الوحيدة له، ثم تنازلت لصالح ابن عمها المنصور وغادرت لأداء فريضة الحج.

وتمكن عدد كبير من أبناء يافع وحضرموت والمهرة من الوصول إلى مراتب مرموقة وتولي مناصب مهمة، مثل مناصب الإشراف على الحرس الملكي، أو ولاة في مقاطعات غجرات، فمن اليافعيين نذكر: جلال بن طرز اليافعي، ومالك بن طاهر اليافعي وابنه وغيرهم كثيرون[4]. وممن بلغوا مرتبة سياسية عالية السيد صالح محسن

(1) معجم أعلام يافع، د.سالم عبدالرب السلفي،ط2، 1913م ص 302، 303.

(2) انظر كتابه تأملات عن تاريخ حضرموت، ص 117.

(3) لعلها مدافعًا.

(4) الجامع (جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم)، محمد عبدالقادر بامطرف، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء،1998م، محمد عبدالقادر بامطرف ج3. الهجرات الحضرمية الحديثة إلى الهند وتأثيراتها منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين، د.جمال حزام محمد النظاري، إصدارات مجلة الثقافة، 2012م، ص93.

اليافعي الذي شغل منصب نائب حاكم مديرية عادل أباد[1]، وغيرهم ممن سنأتي على ذكرهم لاحقًا.

اليافعيون في حيدر آباد:

انتهى صراع القرن الثامن عشر من أجل السلطة بحلول عام 1818م معلنا بذلك نهاية عصر الجنود العرب، فقد هزم البريطانيون أغلب القوى الهندية والأجنبية، بما في ذلك النظام في حيدر أباد، وسيطروا على مصادر الدخل في جنوب الهند والبنغال.

وكانت نهاية السلطة الماراثية عام 1818م بمثابة إعلان لقيام الثورة العربية في حيدر أباد. كان الفوج الأول من العرب الذين وصلوا حيدر أباد عبارة عن فرقة من الحرس مرافقة للديوان، أي رئيس وزراء النظام (أرستو جاه) في رحلته من بونا إلى حيدر أباد عام 1797م، أي قبل ذلك بما يقارب عقدين. واستنادًا إلى مصادر معاصرة فإنه عندما مُنح العرب شروط الاستسلام في معركة ناجبور عام 1817م: «نُفي الولاياتيين (من مواليد حضرموت ويافع وغيرهم) إلى بلاد العرب، ولكن العرب المولدين أصبحوا مشكلة واجهت الحكومة البريطانية. في ظل هذه الظروف عرض نظام حيدر أباد الأمان على المولدين العرب، باعتبارهم إخوانًا من المسلمين، وذلك بموافقة الحكومة البريطانية». ونتيجة لذلك اقتيد العرب المسرحون إلى حيدر أباد تحت إشراف الوحدة العسكرية بقيادة هاميلتون في يناير عام 1818م. كان من بين الجنود المسرحين عمر بن عوض القعيطي الذي أسس فيما بعد السلطنة القعيطية في حضرموت.

ورغم انتشار المهاجرين الحضارم واليافعيين في كثير من مدن الهند مثل بونا وكلكتا وبومبي و وبرودا ودراس وغيرها، إلَّا أن حيدر أباد (الدكن) ظلت الأكثر استقبالًا لهم، وكان سلاطينها يدعونهم للعمل لديهم ويسندون لهم المهام كافة ويولونهم الثقة، فانعكس ذلك على استقرارهم الاجتماعي، وكان ميدان العمل الرئيس لهؤلاء المهاجرين بالهند هو التجارة والجندية، وكان أغلب من يصل من يافع وحضرموت

(1) الهجرات الحضرمية الحديثة إلى الهند، ص246.

خلال القرن التاسع عشر من أبناء القبائل المسلحة لذلك ينخرطون بسرعة في سلك الجندية النظامية وغير النظامية[1].

أما الأسباب التي دفعتهم إلى الهجرة إلى حيدر أباد فمنها أنها مركز جذب واهتمام المهاجرين الذين وفدوا إليها على دفعات متتالية بحثًا عن الثروة والجاه. وكانت المعلومات تصل إليهم إما عن طريق أقربائهم المهاجرين في حيدر أباد، إضافة إلى الأوضاع السياسية القائمة في حيدر أباد بين حكومة النظام ومنافسيهم من الجنود السيخ الذين تزايد عددهم ونفوذهم فيها، فقامت حكومة النظام في حيدر أباد بانتهاج سياسية تجنيد المسلمين في جيش الولاية ولاسيما العرب القادمين من الجنوب العربي (الحضارم واليافعيين)؛ لمواجهة المد السيخي فيها، وليحافظوا بهم على الحكم، وقد بلغ عددهم في ذلك الجيش عام 1849م أكثر من خمسة آلاف مجند. حيث شجعت بعض الامتيازات الممنوحة للعرب في تلك الولاية على اتجاه هجرتهم إليها، والانخراط في صفوف جيوشها. فعلى سبيل المثال كان العرب في خدمة النظام حتى عام 1872م معفيين من إجراءات القانون العادية في تلك الولاية. ولم يقتصر تواجد العرب على العمل فقط في جيش نظام حيدر أباد، فقد اتضح للطبقة الثرية في حيدر أباد، أن أفضل طريقة لحماية مصالحها هي بتوظيف جماعات من العرب واستخدامهم. ولم يأت عام 1854م إلا وكان أي رجل له ثروة أو نفوذ بحيدر أباد محتفظًا بفرقة خاصة من الجنود العرب.

وهكذا اتسع نطاق الهجرة في القرن التاسع عشر الميلادي، وكان معظم المهاجرين من منطقة حضرموت ويافع، وكان ميدان العمل الرئيس لهؤلاء المهاجرين بالهند هو التجارة والاشتغال بالعلوم الدينية، وانتظمت أعداد كبيرة منهم في الخدمة العسكرية بجيش نظام حيدر أباد الإقطاعي المسلم، حيث كانت هذه الولاية أحد المهاجر الرئيسة للقادمين من الجنوب العربي إلى الهند في تلك المدة[2].

---

(1) الهجرات الحضرمية الحديثة إلى الهند: ص19.

(2) العلاقات اليمنية – الهندية في التاريخ الحديث، د.محمد سعيد داؤد، مجلة سبأ، العدد (12)، ص179 – 180.

وكما هو معروف وتؤكده المراسلات التي بحوزتنا فإن الحكومة البريطانية لم تكن راضية أن ترى العرب في حيدر أباد، وجلّهم من الحضارم واليوافع، منافسين لها في السيطرة وبسط النفوذ، فقد ظهر للحكومة البريطانية في منتصف القرن التاسع عشر أن العرب ليسوا خطرًا على المركز البريطاني في حيدر أباد فحسب، بل على الكيان البريطاني بأكمله في الهند. وكان يُعتقد أنه في حالة وجود اضطرابات على الحدود فقد كانت هناك ضرورة لإبقاء قوات بريطانية كبيرة لردعهم وإرهابهم؛ بل إن تقريرًا إلى رئيس مجلس الهند ذهب أبعد من ذلك ووصفهم بأنهم «أكبر شوكة في خاصرتنا في الهند». ولذلك لم تقف السلطات الاستعمارية البريطانية في الهند مكتوفة الأيدي، بل حاربتهم في حيدر أباد ببث الدعاية التحريضية ضدهم بهدف انتفاضة السكان عليهم، كما سعت إلى بذر الشقاق بين المهاجرين والسكان المحليين. وبذلت السلطات الاستعمارية جهودًا واسعة لانقاص عددهم وتخفيض رواتبهم والحد من ازدياد نفوذهم وإخضاعهم للسيطرة البريطانية، وأدخلت عام 1852م نظام الجوازات في بومباي لمنع هجرة العناصر العربية. وفي سنة 1864م منح التشريع الهندي السلطة للمجلس التنفيذي بمساعدة حيدر أباد لمنع دخول العناصر العربية. وفي سنة 1872م جعلهم نظام حيدر أباد خاضعين لمحاكم العدالة العادية. وقد نجحت هذه الإجراءات إلى حدٍ ما في التقليل من ازدياد عدد الجالية العربية. إلا أن عددهم بلغ عام 1886م حوالي ستة آلاف مجند عربي. ورغم العراقيل البريطانية لإيقاف هجرة العرب إلى الهند، فقد استمر تدفقهم إليها حتى حصولها على الاستقلال الوطني في عام 1947م[1].

(1) انظر: قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (1839 – 1918)، محمد عبدالكريم عكاشة، دار ابن رشد – بيروت، 1985م: ص45؛ عدن تحت الحكم البريطاني 1839 – 1967م: ر.ج.جافن، ترجمة: محمد محسن العَمْري، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط1، 2013م، ص 191 – 193.

جمعدارات يافعيون:[1]

شكَّل المهاجرون من الجنوب العربي، ولاسيما من يافع وحضرموت، نسبة كبيرة من المجندين في جيش ولاية حيدر أباد، وكان اعتماد الحكام عليهم بدرجة رئيسة؛ لما تمتع به أولئك اليافعيون والحضارمة من مميزات عسكرية وشجاعة وأمانة وإخلاص، وهو الأمر الذي جعلهم يحظون بمكانة خاصة من لدن الحُكّام، ويعتمدون عليهم بدرجة رئيسة في قوام جيشهم، وينعمون عليهم بالامتيازات والرتب العسكرية، فقد ترقى البعض منهم إلى مراتب عسكرية في هذا الجيش وهي رتبة الجمعدارية. وكان الضباط العرب الرئيسين الذي نالوا لقب الجمعدار من أصل جنوبي عربي، وقد كان هذا كافيًا لمعرفة تكوين جيش نظام حيدر أباد، وقد اشتهر من هؤلاء بشكل خاص: الجمعدار عمر بن عوض القعيطي اليافعي، والجمعدار غالب بن محسن الكثيري الحضرمي، والجمعدار عبدالله بن علي العولقي، من منطقة العوالق (شبوة حاليًّا) وغيرهم ممن نالوا الشهرة الواسعة، وقد تولوا مراكز سياسية كبيرة، قادوا الجيوش في حيدر أباد وكانوا من أقرب المقربين لدى ملك حيدر أباد، وأوثق الناس اتصالًا به، وقد ساعدتهم الظروف على امتلاك الأموال والعقارات. وفي منتصف ثلاثينات القرن الماضي بلغ عدد العرب الحضارم واليافعيين في حيدر أباد نحو عشرة آلاف، يشتغلون كجنود في الجيش غير النظامي، ويتعاطى العسكري الواحد معاشًا شهريًا قدره أربعة عشر روبية، أي نحو جنيه ونصف جنيه، ومنهم من يتولى حراسة خزائن الدولة، وقصور سموّ النظام، وحرمه الخاص، وقصور الكثير من الأمراء والنواب والحكام، وكان الحكمدار على هؤلاء السلطان عمر بن عوض القعيطي اليافعي (توفي سنة1936م) وكانت تصرف له خزينة حكومة حيدر أباد نظير ذلك معاشًا شهريًا قدره 1320 روبية، وهو مبلغ كبير مقارنة براتب الجندي. ولكن تلك الحال لم تدم طويلًا،

(1) جمعدار (Jamadar) كلمة هندية معناها حاليًا رتبة عسكرية تعادل ملازم ثاني..أما حينها في المهجر الهندي فتعني رئيس جماعة، وهذه الجماعة قد يكون عددها ألفين أو أكثر من الجنود التابعين لجيش نظام حيدر أباد (انظر قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري، ص46).

فقد انهار ذلك المركز الاقتصادي، وتضاءلت تلك المنزلة السياسية، ولم يبق من تلك الشخصيات البارزة سوى القعيطي اليافعي[1].

وتكشف دراستنا عن أسماء عدد من المهاجرين اليافعيين ممن حصلوا على رتبة (جمعدار) أو (شاوش) ولم نسمع بهم من قبل؛ لأن عملهم ونشاطهم العسكري اقتصر على مهجرهم، ولم يتعداه إلى مسقط رأسهم كما حدث مع الجمعدارات الثلاثة (القعيطي والكثيري والعولقي)، أو غيرهم. والفضل في هذا الكشف التاريخي يعود للوثائق والمراسلات الأسرية التي حصلنا عليها من قبل البعض -مشكورين- والتي لولاها لما كان لنا أن نعرف عنهم شيئًا، وهؤلاء هم:

1. الجمعدار عبدالحبيب بن سالم أحمد عمر أحمد عبدالله الحطيبي العمري البكري، يبدو أنه عاش متنقلًا بين يافع وحضرموت والهند، ولا نعرف عام وفاته وأين لقي ربه.. لكنه عاش قبل عام 1219هـ كما جاء في وثيقة توكيل مؤرخة 30 ذو القعدة من ذلك العام من وريث الجمعدار، وهو علي أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله الحطيبي العمري البكري، الذي وكَّل فيها القاضي عبدالحبيب بن الفقيه أحمد بن حيدر علي بن عزالدين البكري، وأقامه مقام نفسه في كل ما تركه مورثه الجمعدار عبدالحبيب بن سالم مما خلفه في جهات بلاد حضرموت[2]. وتذكر وثيقة أخرى، مؤرخة 1220هـ، أنه حصل الانقطاع الشرعي بين وَرَثة عبدالحبيب بن سالم أحمد عمر الحطيبي العمري البكري وهم الشيخ الخضر بن محمد عبدالله عنه وعن أخوته بوبك (أبوبكر) وعبدالكريم وعيال أحمد بن محمد وعن كريمته فاطمة بنت محمد عبدالله في وريثة عبدالحبيب بن سالم[3]، وهذا يعني أنه عاش في الهند قبل وفاته بعقود حتى حصل على الجمعدارية، وبذلك يكون من أقدم من حصل على هذه الرتبة

(1) تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، مكتبة الصنعاني، بدون تاريخ، ط2،ص239.
(2) كما جاء في وثيقة التوكيل الأصلية المحفوظة مع الأخ عبدالله سالم أحمد بن عبدسالم البكري.
(3) كما في وثائق بحوزة الأخ محمد صالح السنيدي البكري.

العسكرية الرفيعة ممن بلغنا خبرهم فيما بين أيدينا من مراسلات تعود إلى تلك المدة، وهذا لا ينفي أن يكون هناك آخرون أقدم منه ممن حصلوا على هذه الرتبة العسكرية الرفيعة.

2. الجمعدار عبدالله حسين الخلاقي، ورد اسمه في رسالة مؤرخة 1230هـ[1].
3. الجمعدار عبدالقوي بن عمر حسين المرفدي، ورد اسمه في الرسالة نفسها المؤرخة 1230هـ.
4. الجمعدار معوضة سعيد، ورد اسمه في الرسالة نفسها المؤرخة 1230هـ. ويبدو أنه غادر المهجر الهندي وتركها عائدًا إلى المكلا كما تبين رسالة مؤرخة 20ربيع أول سنة 1244هجرية، ورد فيها اسمه معوضة بن سعيد بن عوسان البكري وأرسلها إلى القاضي عبدالحبيب بن أحمد حيدر الفقيه البكري، وفيها يذكر أخبار الكسادي وبن بريك[2]. كما ورد اسم نجله طاهر معوضة بن سعيد عوسان البكري، في رسالة محررة 17رمضان سنة 1279هـ بعث بها من المكلا إلى القاضي علي حيدر بن عزالدين البكري مع وكالة فيما هو له من إرث طاهر معوضة في جبل يافع[3].

(1) هذا الجمعدار والثلاثة الوارد ذكرهم بعده وردت أسماؤهم مع رتبهم في رسالة محفوظة لدى الأخ ناصر علي بن عزالدين البكري وهي مرسلة من أحمد معاضة بن عوض البكري من بلاد بونة بالهند ومرسلة للوالد عبدالحبيب بن أحمد حيدر، وكذلك الوالد أحمد معاضة بن عبدالله صالح، وكذلك الوالد عبدالله فاضل بن فاضل عبدالله، ومؤرخة 7 ذو الحجة 1230هـ.

(2) الرسالة من محفوظات الأخ ناصر علي محمد بن عزالدين البكري، وجاء في الرسالة: «صدرت لحرف من بندر المكلا وكل علم خير وعافية. أخبار البندر صالح وساكن وأسعاره رخية الجميع والسلع رخيصة والقرش معدوم ونحن والعيال بخير جعلكم الله كذلك في خير وعافية. ومن شان النقيب عبدالرب والنقيب عبدالحبيب ابنا صلاح سافروا مسكت كتب لهم سعيد بن سلطان وناجي بن علي كذلك سافر كتب له سعيد بن سلطان وناجي سافر تدبيره وهم سافروا أول الفتوح ويعلم الله ما في خاطره. ومن أخبار حضرموت دورها ساكن وأسعارها رخية، وفي كتاب الصنو حيدر من الحقيقة كفاية، واليمن والشام كذلك ساكن ومرخية ردوا الطعام وردوا جميع البضايع منها، والهند كذلك وعسى الله يهدي المسلمين».

(3) الرسالة من محفوظات الأخ عزالدين عبدالله محمد عبدالله بن عزالدين البكري، ومما جاء

5. الجمعدار مثنى بن.. ورد اسمه هكذا ناقصا في الرسالة نفسها المؤرخة 1230هـ.
6. الجمعدار أبو بكر بن عوض بن علي بن عمر الفتح الدغشري العكري الخلاقي الموسطي اليافعي، ورد اسمه الكامل في رسالة بعث بها إلى أخيه عبدالقوي بن عوض بن علي بن عمر الفتح الخلاقي اليافعي مؤرخة في 22عاشور (محرم) سنة 1264هـ/ الموافق21/ 10/ 1848م[1]. وفي وثائق ومراسلات عديدة يذكر فيها برتبته العسكرية (جمعدار)، بما في ذلك وثائق خاصة بورثته، وتوجد وثيقة بختمه مؤرخة 25جماد الآخر 1280هـ يقر فيها بوقفه طينًا (أرض زراعية) من أملاكه لصالح مسجد الطلح في خلاقة. وتوفي سنة 1289هـ كما جاء في وثيقة توكيل من أخيه عبدالقوي بن عوض لموكله في الهند صالح عبد الخلاقي بتمثيله في كل ما ورثه الجمعدار في حيدر أباد.
7. الجمعدار محسن أحمد الشيبة الخلاقي، ورد اسمه ورتبته سنة 1257هـ في رسالة من أحمد عبدالنبي بن عوض بن دينيش البكري، وفي رسالة الجمعدار (أبوبكر)

فيها: «وإن تفضلتم بالسؤال عن المملوك والأهل والأولاد فمن فضل الله وبركة دعاكم بأتم نعمة ضافية، والموجب لذلك سيدي جعلنا لك هذا الكتاب صحبة العم الشيخ محمد بن أحمد العبادي وجعلنا لكم وكالة صحبة المذكور حاوية اللفظ بالشروط ومشاهدها مننا ومن الكرايم، والوكالة المذكورة فيما هو لنا من إرث الولد طاهر معوضة في جبل يافع بأنك وكيل مفوض من طرفنا تقبض وتبيع وتنفذ ما جاء علينا من خدمة ومخاسير وكلما يلزم الوكايل في الخدمة والمقام. نحن عالمين سيدي أن ما حد يقوم مقامك في كل من التجأ إليك قدمنا إليك وكالتنا وأقمناك مقام أنفسنا».

(1) هذه الرسالة وغيرها من محفوظات الأخ صالح بن صالح عبدالله الجليل الخلاقي مع رسائل أخرى من أرشيف أسرتنا آل سكران الخلاقي احتفظ بأصولها. ورسالتان من محفوظات الشيخ محمد حسين العاقل بن دينيش البكري أرسلهما الجمعدار بوبك بن عوض علي الخلاقي سنة 1284 الأولى إلى عبدالله علي ابن علي محمد دينيش البكري، والثانية إلى عبد موسى بن هادي عوض ومحسن علي عوض علي الخلاقي، ووثيقة ثالثة إقرار من الحاج ناصر ابن أحمد حسين السباعي بما خسره حينما أمّنه الجمعدار أبوبكر عوض كمتقدم على والده وأخوانه ومؤرخة سنة 1288هـ.

عوض سنة 1280هـ[1]. وكان صاحب ثروة وأملاك في الهند، ومعه نجله صالح هناك، وقد ابتنى قصرًا كبيرًا في مسقط رأسه خلاقة من أربعة أدوار، وجعل سلَّمه عريضًا ومرتفعًا بحيث تصعد فيه مطايا الحمول، وما زال قائمًا حتى اليوم، وتروى الكثير من القصص عن ثرائه، وهو ما نجد له تأكيدًا في حجم تحويلاته المالية الكبيرة بمقياس ذلك الزمن، ففي رسالة من الجمعدار (أبوبكر) عوض الخلاقي يذكر أنه أرسل لأخيه 476 قرش، منها 400 قرش هي أصلًا للجمعدار أحمد محسن تبقى أمانة له[2].

8. الجمعدار جابر بن ناصر الرباكي الخلاقي، ورد اسمه ورتبته في رسالة الجمعدار (أبوبكر) عوض سنة 1280هـ.
9. الجمعدار عوض بن عوض القعيطي ورد اسمه ورتبته في رسالة الجمعدار (أبوبكر) عوض سنة 1280هـ.
10. الجمعدار أحمد بن خلف بن عبدالله بن علي بن عثمان العبادي، ورد اسمه مع لقب الجمعدار في رسالة مؤرخة 1264هـ من الجمعدار (أبوبكر) بن عوض الخلاقي، وكذا في عدد من رسائل أسرته، وكان ثريًا ولديه أملاك، وله مكانة كبيرة ومؤثرة في حيدر آباد، وامتلك نسخة مخطوطة نادرة من القرآن الكريم بخط ناسخها صالح بن حميد بن خميس بن محمد بن عبدالله المسكتي، الذي انتهى من نسخها يوم الاثنين 11ذي القعدة سنة 1262هجرية، كما شيَّد بيتًا كبيرًا في مسقط رأسه قرية (الشّبر) حاضرة مكتب الحضرمي بيافع، وما زال قائمًا حتى اليوم، ويعكس بحجمه الكبير ثراء صاحبه في ذلك الوقت.
11. الجمعدار حسين بن خلف العبادي، ورد اسمه الأول وكنيته فقط في رسالة من

(1) ورد اسمه ورتبته في رسالة محفوظة مع الأخ صالح بن صالح الجليل الخلاقي مع أسماء الجمعدار جابر بن ناصر الرباكي الخلاقي والجمعدار عوض بن عوض القعيطي. كما ورد اسمه في رسالة من محفوظات الأخ صلاح أحمد حسين الواحدي البكري.

(2) كما ورد في رسالة الجمعدار (أبوبكر) عوض بن علي عوض عمر الفتح الخلاقي مؤرخة 22عاشور (محرم)1264هـ.

ناصر بن محمد أحمد خلف وعبدالله بن محمد أحمد خلف آل باعباد، محررة يوم السبت سلخ القعدة سنة 1296هجرية. وقد يتبين لنا اسمه الكامل من وثائق أو مراسلات أخرى يمكن الحصول عليها مستقبلًا.

12. الجمعدار علي بن أحمد خلف العبادي، ورد اسمه ولقبه في رسالة مؤرخة سنة1324هـ، وله ابن اسمه عبدالله معه في حيدر أباد.
13. الجمعدار محمد بن أحمد خلف العبادي حسب رسالة محررة سنة 1355هـ..
14. الشاوش[1] السنيدي بن أحمد علي البكري، ورد اسمه ورتبته في رسالة من أحمد معاضة بن عوض البكري سنة 1230هـ، ويذكر فيها أن السنيدي ابن أحمد البكري بخير وفي أتم الصحة والعافية، وأنهم في بلاد واحدة، هي بونة، وإذا كتب الله لهم بالعافية فإنهم مسافرين من الهند لسوء أحوال العسكرة بسبب خلاف الفرنجي (الإنجليز) مع (الخوند راكي بونة). وكانت وفاته في 30 ذي الحجة (شهر عرفة) سنة 1233هـ بعد مرض عضال عانى منه طوال سنتين، حسبما ورد في رسالة من بندر مُنبي موجهة لعبدالحبيب بن أحمد حيدر الفقيه البكري، وحيدر بن عبدالله بن أحمد الفقيه البكري.
15. الشاوش راجح بن فرج صالح السعدي ورد اسمه ورتبته في عدد من الرسائل، وقد تم اختياره وصيًّا على أملاك المتوفى في حيدر عباد عبدالرب صالح عوض الخلاقي، ومعه قاسم بن محسن السعدي، وكان كما يبدو من الرسائل من الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية بين المهاجرين، ويلجؤون إليه في حل مشاكلهم وفي إصلاح ذات البين[2].

---

(1) شاوش: كلمة تركية وتعني رتبة عريف.

(2) رسالة من عمر بن عبدالله صالح ومحمد بن عبدالله العنيس أهل خلاقة، محرر غرة رجب 1321هـ+ رسالة محمد بن عبدالله العنيس وسالم بن عوض سالم بن عمر حسين الخلاقي، محرر غرة رجب الحرام سنة 1321هـ+ رسالة من عبدالرب بن صالح عوض الحاج الخلاقي وعمر بن عبدالله أهل عوض الحاج، محرر يوم الأحد 22جماد الأول سنة 1321هـ + رسالة من الحاج عبدالرب بن محمد بن صالح عوض الحاج، محرر 2 صفر سنة 1323ه+ رسالة من

16. الشاوش صلاح الضُّبي اليافعي، عمل في جيش النظام بحيدر أباد، ووقعت بينه وبين الجمعدار عبدالله بن علي العولقي واقعة، قُتل فيها صلاح وجماعة من الطرفين[1].
17. عبدالحبيب بن عامر بن عوض بن عبدالله القعيطي، حيث كان ضابطًا كبيرًا في جيش نظام حيدر أباد، وأسهم فيما بعد في تثبيت دعائم الدولة القعيطية في حضرموت، وتوفي في حيدر أباد بعد سنة 1300هـ[2].
18. محسن بن عامر بن عوض بن عبدالله القعيطي، كان ذا منصب كبير بجيش النظام بحيدر أباد، وقام بدور مهم في تثبيت أركان الدولة القعيطية بحضرموت، وتوفي بحيدر أباد بعد سنة 1300هـ[3].

ولم تكن رتبة الجمعدارية مجرد قيادة عسكرية عليا في الجيش فحسب، وإنما كان من مهام الجمعدارية أيضًا القيام بالإشراف على أمور التجنيد والتسليح ودفع المرتبات للرجال العاملين تحت إمرة الجمعدارات، الذين كانوا يعمدون عند عملية التجنيد إلى اختيار الرجال المنتمين إلى قبائلهم ومناطقهم بالذات[4].

راجح بن فرج صالح بوبك السعدي وقاسم بن عمر بن قحطان السعدي إلى مشايخ خلاقة محررة 2جماد الآخر1325 هـ بخصوص مهمته كوصي على ما خلفه المرحوم عبدالرب صالح الخلاقي (من محفوظاتي من أرشيف أسرتنا آل سكران).

(1) معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت: عبدالرحمن حسن السقاف، تحقيق: إبراهيم أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد صنعاء، ط1، 2002م، ص158.

(2) الجامع (جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم)، محمد عبدالقادر بامطرف، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء،1998م، ص300؛ قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (1839 - 1918م)، محمد عبدالكريم عكاشة، دار ابن رشد، عمَّان، ط1985،1م، ص168و172.

(3) الجامع، ص 480. معجم أعلام يافع، ص371.

(4) - : قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت ص 46. عدن تحت الحكم البريطاني1839 - 1967م، ص 403.

ولا شك أن هناك آخرين من أبناء يافع عمومًا قد بلغوا مراتب عسكرية وسياسية ودينية عالية في نظام حيدر عباد، ومنهم – على سبيل المثال – العالم صالح بن علي بن ناصر بن علي بن جابر اليافعي، وقد ألف كتاب (الشواظ المتلظي في الذب عن عقيدة العلامة الحفظي)، وهو عبارة عن رسالة طويلة في الدفاع عن منظومة (عقد اللآل في فضائل الآل) للعلامة أحمد بن عبدالقادر الحفظي الشافعي المتوفى سنة 1233هـ، وله مقالات نشرت في مجلة (المنار) المصرية في العقد الأول من القرن العشرين الميلادي[1].

ومع مطلع القرن العشرين برز اليافعيون في حيدر أباد في مجالات شتى منها مختلف الألعاب الرياضية التي أصبحوا بارعين بل وأساتذة فيها، وممن اشتهر منهم في هذا المجال عيسى بن عفيف بن علي اليافعي الذي أسس مركزًا لتعليم فنون المصارعة وتدريبها، وأصبح ذلك المركز من أشهر المراكز في حيدر أباد، التي بلغ عددها آلاف المراكز، ومع وفاة عيسى اليافعي سنة 1347هـ/ 1928م اشتهر ابنه محمد بن عيسى بها، وبالرغم من مزاولته لتلك الرياضة وإشرافه على المركز كان في الوقت نفسه صاحب مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم والتجويد[2]، ووالدته هي أخت الأديب والمحقق المشهور عمر بن صلاح بن يحيى اليافعي، الذي أدَّى دورًا كبيرًا في تجميع مخطوطات علمية نادرة وتعريفها للمجتمعات العلمية وإعدادها وتحقيقها وترجمتها للنشر[3]. وفي مجال الأثقال يُذكر باجابر باحسين بن عمر اليافعي الذي فتح مركزًا خاصًا لكمال الأجسام[4].

واهتم البعض بالتعليم لما يحظى به المتعلمون من مكانة في محيطهم، بل حتى إن الأهل في يافع يفرحون كثيرًا لخبر أولادهم الذين التحقوا في مدارس العلم. ففي رسالة من قاضي خلاقة قاسم عبدالصفي محررة 25 شوال 1315 هجرية أرسلها إلى

(1) معجم أعلام يافع، د.سالم عبدالرب السلفي،ط2، 2013م، ص189.

(2) الهجرات الحضرمية الحديثة إلى الهند، ص 350.

(3) تأملات عن تاريخ حضرموت، ص108.

(4) الهجرات الحضرمية الحديثة إلى الهند، ص 350.

ولده محمد في الهند عبر فيها عن الفرحة والسرور لخبر ابنه الذي ذكر لهم أنه (يقرأ العلم)، ويحثه على الحفاظ على التمسك بمكانة الأجداد يقول بالنص: «أما من عندك فأنت ذكرت أنك بتقرأ العلم، وفرحنا واسترينا أنا وأهل خلاقة الجميع يوم زقرت (أمسكت) مهرة أجدادك نقول الله يقيمك ويهديك إلى ما يرضيه ويجنبك ما يعصيه».

وبلغ الأمر بالبعض ليس إلى التفوق في النهل من العلم والارتقاء في مراتبه، بل وأن أصبحوا معلمين وحصلوا على مرتبة الإفتاء، ففي رسالة من عبدالله بن محمد ومحمد بن ناصر بن محمد أحمد خلف آل باعباد محررة في 9رمضان 1332هجرية، بعثا بها إلى يافع يزفان خبرًا مبهجًا عن تفوق أحدهما في العلم وبلوغه مرتبة رفيعة لم يصل إليها أحد من أهله المتقدمين، حيث حاز محمد بن ناصر بن محمد أحمد خلف آل باعباد على مرتبة (مفتي الشوافع) وأصبح عالمًا يقوم بتدريس حوالي 50 شخصًا[1].

ولا شك أن هناك ممن بلغوا مراتب مهمة في مجالات شتى لكن لم تصل إلينا أسماؤهم لانعدام التوثيق وصعوبة الحصول على المعلومات عنهم، وقد نحصل على وثائق ومراسلات في المستقبل من أرشيف الأسر اليافعية ذات الصلة بالمهجر الهندي، تكشف المزيد من الأسماء ذات التأثير العسكري أو الاقتصادي أو الديني وغير ذلك.

وما حفظته لنا المراسلات هو أسماء عشرات وربما المئات من أسماء المهاجرين الذي وردت أسماؤهم في معرض توصيل السلام إلى الأهل في نهاية كل رسالة، وكذلك أسماء (راقم الحروف) أي من قام بكتابة تلك الرسائل ممن يحرصون على ذكر أسمائهم، ولا يتسع المجال لإيراد أسماء المهاجرين كافة، وسأكتفي بذكر بعض كتبة الرسائل الذين يحرصون على تدوين أسمائهم ربما لقلة من يجيد الكتابة في ذلك الزمن. وتخلو رسائل المهاجرين من آل باعباد التي بين أيدينا من ذكر اسم كاتب

(1) جاء في تلك الرسالة بالنص: «والولد محمد يا أخ لا نحن ولا أهلنا المتقدمين من آل باعباد من زمان الجد أحمد خلف ما حد وصل مرتبته بالعلم أبدًا، نقول الله يزيده ويبارك فيه، الله الله بالدعاء.... ومن طرف الولد محمد بن ناصر بن محمد أحمد خلف آل باعباد مفتي الشوافع والذي يقرأون عنده مقدر خمسين نفر ادعوا له الله الله».

الرسالة لأنهم من بيت علم وفقه ويكتبون رسائلهم بأنفسهم، وكذلك القضاة من أهل خلاقة وغيرهم. وممن كان يكتب رسائل المهاجرين في حيدر أباد نورد الأسماء التالية – على سبيل المثال: عبدالرب بن عبدالرحمن بن أحمد عوض العودي المنصوري الحوري البعسي اليافعي[1]، محمد عبدالله علي صالح العنيس الخلاقي[2]، عبدالقوي قاسم[3]، أبوبكر بن عبدالكريم بن علي أبوبكر الجهوري[4]، سالم عوض سالم بن عمر حسين الخلاقي[5]، صالح بن سالم لحمدي[6]، وهو حضرمي من أصل يافعي، ويتضح ذلك من طغيان لهجته الحضرمية التي كُتبت بها الرسالة مثل قوله: «صدَّرت لكم جملة كُتب ولم يعود يَوَاب (أي جواب)». أو كاتب رسالة أخرى لم يذكر اسمه ولكن لهجته تدل على أنه حضرمي حيث كتب: «لحتى نتخاري (أي نتخارج) نحن وعيال عمي»[7]. ونجد روابط كثيرة بين الحضارم واليافعيين في المهجر الهندي، حتى إنه يصعب التفريق بينهم في الهند لدى الباحثين، وهو ما يعكس صلاتهم وروابطهم القائمة في حضرموت وفي يافع، لاسيما مع الوجود اليافعي القديم في حضرموت، كما أن من أهم منافذ سفر اليافعيين هما بندر المكلا وبندر الشحر، إلى جانب بندر عدن.

---

(1) كاتب رسالة عبدربه بن صالح بن عوض الحاج الخلاقي الموسطي اليافعي، تاريخ سلخ ربيع ثاني سنة 1275هجرية.

(2) كاتب رسالة عبدالرب بن صالح عوض الحاج الخلاقي بتاريخ تسع أيام في جماد أول سنة 1312هـ. وكتب رسالة عبدالرب بن صالح عوض وصالح عمر بن صالح وعبدالرب بن محمد صالح أهل عوض الحاج أهل خلاقة، محرر سلخ ربيع أول سنة 1313هـ. وكتب رسالة صالح بن عمر صالح عوض الحاج الخلاقي، محرر 4شهر ربيع الثاني سنة 1313هـ.

(3) كاتب رسالة عبدالرب محمد صالح عوض الخلاقي، تاريخ يوم الثلوث سلخ شهر جماد آخر سنة 1315هـ

(4) كاتب رسالة عبدالرب بن صالح عوض الحاج الخلاقي تاريخ 17شهر عرفة!!. (لم يرد ذكر السنة).

(5) كاتب رسالة عبدالرب بن صالح عوض الحاج الخلاقي، محرر بتاريخ 25محرم سنة 1316هـ.

(6) كاتب رسالة عبدالرب بن محمد الخلاقي، محرر 28شوال سنة 1325هـ.

(7) من رسالة عبدالرب بن محمد صالح عوض الخلاقي حرر 13ربيع الأول سنة 1326هـ

التضييق على المهاجرين وسوء أحوالهم:

من المراسلات التي بين أيدينا نقدم شواهد تبين إجراءات التضييق على المهاجرين، والحد من تزايد أعدادهم. ففي رسالة مرسلة من بونا مؤرخة 27 ذو الحجة1230هـ جاء فيها: «وإن سألتوا عن أخبار الهند ساكن وغير ساكن والهند ما عاد يعجب ولا عاد على أخباره معجوب، ما عاد شي يعجب وعسى الله بالخراج.. ادعوا لنا بالخراج من الهند لحيث إن العسكرة في الهند ما عاد لها راس في هذا الوقت بسبب الفرنجي (الإنجليز)، لحيث وهم والخوند راكي بونة ما هم سدود هذا ما نحقق لكم أخبارنا وأخبار الهند»[1]. وفي رسالة مؤرخة نهاية ربيع ثاني سنة 1275هجرية جاء فيها: «إن سألتوا عن أخبار الطرق مغلقة من الفرنجي، فلا يخلي حد يمضي إلى حيدر عباد، إلّا من معه راح داري (أي تأشيرة دخول)»[2]. وفي رسالة تعود إلى محرم سنة 1316هـ جاء: «أخبار حيدر أباد الدكن فالأرض ضعفت أسبابها، وزادت مناكر أهلها، والفسالة عمّت، ومورد الولاية زاد في جميع الأرض»[3].

وفي رسالة مؤرخة في 16جماد أول 1322هـ..يذكر مرسلها أنه كان وصوله إلى حيدر أباد بتاريخ 27ربيع الثاني 1322هجرية، ويقول عن أخبار حيدر أباد: «وجينا والسركار (الإنجليز) حكم أن لعاد حل له اجرا النوكريه القلم بند خاصة العرب الجدد والحذر عاد يدخل حيدر عباد لحيث بند النوكريه السركال»[4].

---

(1) من رسالة أحمد معاضة بن عوض البكري تاريخ الخميس 27 ذو الحجة1230هـ مرسلة من ملك الدكن من بلاد بونة إلى عبدالحبيب بن أحمد حيدر وكذلك الوالد أحمد معاضة بن عبدالله صالح وكذلك الوالد عبدالله فاضل بن فاضل عبدالله سلمهم الله آمين.

(2) رسالة من عبدربه بن صالح بن عوض الحاج الخلاقي الموسطي اليافعي، مؤرخة في سلخ ربيع ثاني سنة 1275هجرية.

(3) رسالة من عبدالرب صالح عوض الخلاقي محررة 25محرم سنة 1316هـ.

(4) رسالة من عبدالرب بن محمد صالح عوض الحاج الخلاقي، مؤرخة في 16جماد أول 1322هـ/ الموافق 29 يوليو 1904م موجهة إلى الفاضل الوالد محمد بن سالم عبدموسى الخلاقي.

وفي رسالة محررة سلخ جماد الثاني سنة 1323هجرية نعرف عن إقفال باب التسجيل في العسكرة والتخفيف من عدد الجنود بتسريح 7500منهم، فقد جاء بالنص: «وإن سألتوا عن أخبار الدكن ساكن وصالح وأسعاره راخية وأمطاره غزيرة لله جزيل الحمد. وإن سألتوا عن سيرة الدول والسراديل والعساكر جارية أحوالهم الذي هم أحياء. وأما الكتبة حق العسكرة قفلوا بابها وخففوا من العسكر حق النظام مقدار سبعة ألف ونصف. ولا عاد يا أخ أحمد من الذي شفت من الأحوال الرُّبع ولكن الله ما يشاء في عبيده. وأما كارخانتنا قد لها زمن قديم من يوم تغيرت أحوالها، معاد إلا الاسم باقي وعسى الله حسن الخواتم لنا ولكم»[1].

ويذكر مهاجر آخر الخبر نفسه في رسالة محررة11 جماد الثاني سنة 1324هجرية، حيث يذكر أن العدد8000 جندي من العرب والهنود ممن جرى الاستغناء عنهم، يقول: «وإن سألتوا عن أخبار حيدر أباد وحكامها وعساكرها في هذه السنتين وفي حال الوقت خرَّج السركار من العساكر عرب وهنود قدر ثمانية ألف نفر[2].

ومن أخبار حيدر أباد في سنة 1325هجرية نعرف عن الغلاء وارتفاع الأسعار بسبب حالة الجفاف، حيث جاء في الرسالة: «إن تفضلتوا تسألون عن أخبار حيدر أباد وعساكره وأسعاره ومبايعه بحال الصادر شح وغلاء عظيم بهذا الموسم والبر من خمسة سير (وحدة وزن)، والرز من ستة سير، والسمن من سير إلَّا رُبع، وباقي السلع غالية جم جم، بسبب قل المطر في هذه السنة تغيرت الزراعات ويبست، وإن سألتوا عن أخبار الأرض ماشي عندنا رخيص إلا الملح من حدعشر سير بربية، والباقي كل شي غالي حتى الكساء الذي كان العام بربية مثل في حال الوقت بربية ونصف، والحاصل نسأل

---

(1) من رسالة ناصر بن محمد بن أحمد بن خلف العبادي، محرر سلخ جماد الثاني سنة 1323هجرية/ 1 سبتمبر 1905م

(2) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء المرحوم الشيخ محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر 11 جماد الثاني سنة 1324هجرية/ 2 أغسطس 1906م

الله اللطف لنا ولكم والستر علينا وعليكم، ونطلب من الله لنا ولكم حسن الخاتمة، ونسأل الله أن يجمع الشمل بيننا وبينكم عن قريب أنه على ما يشاء قدير، آمين».

وتشير الرسالة إلى سوء الأحوال السياسية والعسكرية، وتضرر العساكر وبالذات العرب الذين هبطت مكانتهم ولم يعد لهم أي اعتبار، وزاد الطين بلة اختلاف كلمتهم، جاء في الرسالة بالنص: «وإن سألتم عن أخبار عساكر النظام، عرب وهنود ورويلة وسنود، هلكوا هلكوا في مدة هذه الأربع السنين من مات معاد له عوض ومن شيَّب نصف قُلمة وبعضهم يخرجونه لا قُلمة ولا نصف قلمة، وهذا الأمر كله بسبب مكبرار يوم شلها لنقريز (الإنجليز) على النظام تغيّرت أمور كبيرة على السركال، وأكثر نقصان وقع بالعسكر وأزيده في العرب معاد لهم حساب إلى شق إلى شق، وأما السراديل عليهم سبع صَلا معاد حد قدر منهم يقوم بكلمة، واستووا باقي العرب طيورًا أبابيل ما واحد مع الثاني، واختلفت الكلمة والشور كلّن بيتحكم بشوره، وكذلك الحاصل يا أخ إن هذا الحال من علامات الإدبار على السركال وعساكره، وعسى الله يخذل الكفرة والمشركين بجاه سيد المرسلين[1].

ويختزل أحد المهاجرين أخبار حيدر أباد سنة 1325هجرية بقوله: «أعلام حيدر أباد حسب تبلغكم أخباره كفاية تغيرت غيَّار جم، ربنا يخارجنا منها مخرجًا حسنًا، آمين ثم آمين»[2].

وتزداد الأوضاع سوءًا بمرور السنين، ففي سنة 1329هجرية تم وقف التسجيل في الجندية (بند الكتبة)، ومنع الدخول إلى حيدر أباد، وكبار السن يُعطى لهم نصف قُلمه (راتب) وبعضهم رُبُع قلمه والعرب في ضيق، إذ جاء فيها: «من أخبار حيدر عباد فقد عرفنا لكم سابق بما جرى على العرب من بند الكتبة، والداخل إلى حيدر

(1) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر يوم 29شوال سنة 1325هجرية/ 5 ديسمبر 1907م.

(2) رسالة من عبدالرب بن محمد بن صالح عوض الخلاقي، محرر 5 شهر صفر سنة 1325هـ.

عباد ممنوع يردونه من داخل حيدر عباد، والعرب كل من هو شيبة قالوا له نصف قُلمه (الراتب) وحد رُبُع قلمه، والعرب في ضيق ولا حد حصل ذي يشله لا أرضه ونزع الله البركة من النوكرية»[1].

أما حالة معظم المهاجرين الاجتماعية فسيئة في مهجرهم، فهم يعيشون في عزلة تامة عن العالم الناهض ويندر أن تجد فيهم الرجل العالم المثقف الذي يفهم الحياة على حقيقتها سوى أفراد قليلين جدًا، وإقبالهم على تعليم أبنائهم في مدارس الحكومة يكاد يكون معدومًا[2].

ونجد في المراسلات شكوى البعض من سوء الأحوال، ومن التضييق في الراتب (القُلمة)، والخشية على انحراف أبنائهم من اختلاطهم بأبناء حيدر أباد وتضجرهم من سوء تصرفاتهم وخروجهم عن العادات والتقاليد التي حافظ عليها جيل الآباء. ولعل في رسالة أحدهم ما تعبر عن تلك المخاوف حيث يقول: «ومن طرف أنا أخيك ناصر بن محمد العجز حاصل والدار امتلأ واليد خليّة ولا عاد معي عجب ولا راضه بحيدر عباد، الذي نحصله من قُلمة والله معاد يكفينا أكل وشرب والكساء من خلاف. ورسالتكم غير والأولاد الصغار أحمد وحامد معاد شي قُلمة ذي با نسهن إنه با يمشي الحال معاد إلَّا بايتغيرون من كثر اللعبة مع عيال بحيدر عباد خرجوا أباليس العياذ بالله من فعالهم في هذا الزمان الذي وصلناه، والله ثم والله يا أخ أن أكثر الضجر والضيق الذي بي من حيدر أباد من طرف الأولاد وإلَّا ما القُرص منين ما توجه المخلوق بايسهل له الله. وحسب ما عرفت اللي قده مقعد في أرض مهونة ارتحل منها ولو كانت بلادك، ولكن المشيئة لله الواحد الأحد ما راده الله بايكون. وحسب ما ذكرتوا سوى ما تنفع لعمي إلَّا ديمته، وأنت يا أخ احسب واقبض من طرفي أنا واصل أنا والأولاد إن شاء

---

(1) رسالة من محمد بن عبدالله علي صالح العنيس الخلاقي إلى أخيه الفاضل صالح بن عبدالله علي صالح العنيس مؤرخة 24 رجب 1329هـ/ 21 يوليو 1911م.

(2) تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، مكتبة الصنعاني، بدون تاريخ، ط2، ص 240.

الله ماشي عذر بحول الله وقوته ومشيئته، لحيث قد عرفناكم بجميع الأمور والأحوال، لحيث معاد معي راضه إلى شق والدعاء وصيتكم»[1].

تأثير المهجر الهندي على المجتمع اليافعي:

تركت فترة المهجر الهندي وغيرها من هجرات اليافعيين قديمًا وحديثًا بصماتها الواضحة في المجتمع اليافعي، ونجد ذلك التأثير في جوانب عديدة، منها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. وهذه الهجرات أفادتهم إلى حد كبير، فقد استطاع بعضهم أن يكوِّنوا ثروات في مهاجرهم، وهم خير مثال للنشاط والجد والأمانة والإخلاص والوفاء. واستفاد المهاجرون في الخارج لا من الناحية الاقتصادية فقط، بل ومن الناحيتين الاجتماعية والثقافية. فاليافعي الذي عاد من هجرته أكثر مرونة وأوفر ثقافة من اليافعي الذي لم يغادر بلاده إلى الخارج[2].

ولعل التأثير الأبرز هو الاقتصادي الذي تكشف عنه المراسلات من خلال حجم التحويلات المالية التي كانت تصل إلى أسر المهاجرين، وتسهم في تحسين أوضاعهم، وتساعد الميسورين منهم في شراء الأراضي الزراعية أو بناء البيوت، وغير ذلك. وللتدليل نورد هنا اقتباسات من بعض المراسلات تؤكد حرص أحد المهاجرين – على سبيل المثال – على إرسال الأموال بغرض كسب أراضي زراعية (بَلَد)، وهي بمفهوم المزارعين (المال) وليس النقود أو الذهب، فهي مجال عملهم الأساسي ومصدر الرزق والعطاء الذي لا ينضب عبر الأزمان، يمدهم بالخيرات ويضمن لهم مقومات الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، ويحقق لهم العيش الكريم. وكان يقاس ثراء المرء ومكانته بمقدار ما يملك من أرض زراعية خصبة، كما كانت تنشب

---

(1) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر يوم 29شوال سنة 1325هجرية/ 5 ديسمبر 1907م.

(2) في شرق اليمن (يافع)، صلاح البكري اليافعي، تقديم وإخراج: د.علي صالح الخلاقي، بدون عام، ص141.

الفتن والحروب القبلية بسبب حفنة أرض أو شبر منها أو مجرى مياه أو رعي[1].

ففي رسالة من المهجر الهندي سنة 1315هـ نعرف أن المهاجر عبدالرب محمد صالح طلب من أولاد إخوانه صالح عمر وعبدالرب محمد أن يكون أمينهم يجمع منهما المال لغرض كسب بلد (أرض زراعية) في خلاقة. وفي رسالة أخرى منه في العام التالي 1316هـ يوصي أهله في خلاقة أن يكسبوا بما أرسل لهم من مال (بلد زينة) أي أرض جيدة وخصبة (مسنأ) ويفضل أن تكون في وادي القرية أي في مكان قريب إلى البيت. [2]. وفي العام 1317هـ يتعجب من رخص قيمة الأراضي الزراعية وقلّة ما كسبه أهله منها رغم حرصه على إرسال الأموال (القروش، أو البُقَش) التي يكابد من أجل جمعها، ويقتر على نفسه في مأكله ومشربه في سبيل أن يرسل ما جمعه للأهل لتوظيفها في شراء أراضي ونحوها مما يكون له مردود إيجابي على مستقبل الأسرة[3].

---

(1) انظر: الحكيم الفلاح الحميد بن منصور، د.علي صالح الخلاقي، ط2، 2011، ص20.

(2) من رسالة عبدالرب بن صالح عوض الحاج الخلاقي محررة 5ربيع الثاني سنة 1316هـ يقول بالنص: «ومن طرف بلد ذكرتوها لنا كسب ورهن الذي يجي في نظركم اعملوا عليه، وإن كان شي في وادي القرية هو أحسن وأقرب معاد توصَّون بحال وتكون مسنأ حسب ما ذكرتوا لنا في وادي القرية، أو في بلد أهل زكير، وتكون بلد زينة إذا قدها بيع أو با تجي بأيديكم أحسن من الشرك».

(3) من رسالة عبدالرب بن صالح عوض الحاج الخلاقي، محرر 23صفر سنة 1317هـ، يقول بالنص: «وعجبنا حد العجب يا أولاد منكم تذكرون لنا انتوا وغيركم ان البلد رُخصت ولا حصل الكسب، وصل الحبل في وادي القرية عشرة قروش، وانتوا ما درينا كيف وقع كسبكم لأنكم تذكرون لنا الأربعة الحبال ذي كسبتوا وترددونها في كل كتاب ولا تذكرون القروش الذي صدرت من عندي من يوم سرح عوض سالم شنان ومحمد سالم أول مرة إلى حال التاريخ، لحيثها مكتوب عندي الجميع. وتعلمون يا أولاد أن البقش ما تجي بسهل ما تجمع إلا بدم الأكباد وجوع وشبع ونوكل عليها أكل حاف بلا سمن ولا لحم، وقلت ان كل ما انضم معي بايقع في محله لأجل العذل الذي في بر عرب إذا كسبتوا طين فيه كلّن بايعيش فيه وباتقع حرفتي وغربتي وتعبي على وجه لأجل يقولون أهل خلاقة مستورين، وانا ما قصّرت بحال، ولا بخلت عليكم، وذي صدّرتها لو هي بيد غيركم كان لقّى بها ذي على قلبه، لحيث الأخبار

ومن رسائل المهجر الهندي إلى الأهل في يافع، رسالة من آل خلف العبادي يذكرون فيها إرسال الأموال وكذا أصناف من الأقمشة والملابس ليس فقط للأهل وإنما أيضًا بغرض الاتجار بها، ونتعرف من خلالها على أسماء الملابس وأصنافها في ذلك الحين مثل البتكة واللنقي والصولي والبركالة والشوالي..إلخ[1].

عندنا بالذي كسبتوا بلد من شي وماشي وانتوا جاتكم قروش حمر بروسها وصدّرنا لكم ذي قدر الله».

(1) من رسالة من ناصر وعبدالله أبناء محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر يوم 29شوال سنة 1325هجرية/ 5 ديسمبر 1907م، كما في التفاصيل التي جاءت بالنص التالي: «فصل يا أخ أحمد ترى الصادر إليك صحبة الله الكريم من طريق البوسطة طبّة الإنجليز وذلك خمس وعشرين ربية سرتي صافية العشور تفصيل ذلك: خمسة عشر ربية من الولد محمد ناصر بارك الله فيه وهداه الله لما يحب ويرضاه، الذي عرفّنا لك بها من سابق، وعشر ربية من عندنا أنا والأخ عبدالله، وكذلك صَدَّرت إليك خمستعشر بتكة محطيات شغل عاصف نقر ذرع اثنعشر وهن من الزيان جم ومتخارجه الواحدة في ريالين إلّا رُبع قيمتها واجرة البوسطة من حيدر أباد إلى بندر عدن، وان با تبيع الحذر تقصرون من ريالين ورُبع، وكذلك صدر إليك طان لنقية شغل مدور من السود أربعة لنقية لك وللأولاد وكذلك فهن غاليات أيضًا ومحتاج اللنقي الواحد في ريال وربع قيمة وأجرة البوسطة تكون بذلك معلوم إن با تبيع ريال ونصف اللنقي لا يقصر شي من ذلك، حبينا إعلامك بمشتراهن ومخاسيرهن من حيدر أباد إلى بندر عدن، وكذلك صدر إليك ثلاثة وعشرين ذراع صولي لبنات الأخ علي الذي في الدار باقيات الذي هن بايتزوجين على أولادك محمد وحسين إن كتب الله لهم بالزواج، ونحن فرحنا بذلك غاية الفرح، الله يجبرهم ويفرحهم في الدنيا والآخرة الذي هم با يضمون عذلهم وكذلك صدرت إليك أربعتشر ذراع صولي أصغر ويعجز قليل في الذرع وهو قطعتين، قطعة تسعة أذرع ونصف وقطعة أربعة أذرع ورُبع، وهو للحرة المكرمة سعود بنت أحمد حسين الضباعي، قميص للصلاة إن وافق لها، وإن ما وافق لها بعه وإلا سوّه بامساة للصولية حق البنات وكفاف بالأطراف وهو متخارج بريال من حيدر أباد إلى عدن، وترى نحن طرحنا البتك المذكورات الجميع واللنقية والصولية الحمر والصولي الأصفر في ثلاثة شبوط أول شبط فيه خمس بتك محطيات ذرع 12وطان أربعة لنقية شغل مدور ذرع ستة مذارع وقطعة صولي أصفر ذرع تسعة مذارع ونصف، لحق ثاني شبط فيه ثمان بتك محطيات ذرع 12 ذراع وقطعة صولي أصغر ذرع أربعة ورُبع، لحق ثالث شبط فيه ثنتين بتك محطيات ذرع 12، وصولي أحمر حق بنات الأخ علي الذي في الدار ذرع 23ذراع.

وتبين الرسائل والوثائق جوانب من الأعمال التجارية التي يقوم بها المهاجرون وامتلاكهم لعقارات ومحلات تجارية (كارخانات) تدر عليهم مبالغ طائلة، وحينما يتوفى البعض في الهند يرسل أهله وكيلًا شرعيًا من يافع أو يوكِّل أحد المهاجرين هناك لاستلام الإرث الذي خلفه قريبهم[1]، وقد تكون الأموال والأملاك متنوعة وكثيرة

تفصيل ذلك الإرسال المذكور الرُّبيات والبتك والصولية الجميع حسب يأتي ذكره يا أخ أحمد يكون من يدك إلى يد الأولاد محمد بن أحمد وأخيه حسين بن أحمد محمد ويكون من جملة البتك المذكورة ثنتين لبنات الأخ علي الذي في الدار فوق الصولي لهن ثنتين لخاطر الزواج حقهن وبنظر الوالد محمد كفاية، وبتكة يا ولد محمد بعها وسلّم ريال للبنت خديجة بنت علي محمد الذي هي مع حسين بن عبدالرحمن عند أهل عَمْر لحيث قد أدت لنا ثلاثة خطوط ويا إكّاد علينا بالوداعة لبنت الأخ علي الحذر تقصرون ذلك سلِّم لها ريال صافي. وكذلك ريال للبنت سعدية بنت علي محمد الذي هي مزوجة على عبدالله علي بحطيب لحيث جاء لنا منها خط وأكَّدت علينا بذلك، وكذلك ريال فرنصة للكريمة جميلة بنت محمد بن أحمد خلف، وريال فرنصة للكريمة شيخة بنت محمد بن أحمد خلف العبادي، الله الله بذلك أنت يا أخ أحمد وأنتم يا أولاد محمد وحسين سلّموا لهن ذلك والحذر ثم الحذر تخالفون ذلك، بيعوا ثنتين من البتك حسب ما عرفناكم وسلموا للمذكورات أربعة ريال فرنصة صافية حسب ما هو مفصل أعلاه. الباقي من البتك المذكورة أحدعشر بتكة بيعوهن بما قسم الله وخلّصوا بلد غرامة».

(1) فيما يلي نموذج لرسائل التوكيل: «الحمد لله وحده.. وصلى الله على سيدنا محمد وأله وصحبه وسلم

إنه لما كان في يوم الجمعة المباركة وثلتعشر خلت من شهر ربيع آخر سنة 1295خمس وتسعين ومئتين وألف.

أما بعد فقد حصل التوكيل الصحيح الشرعي بالقضاء الصريح المرعي مني أنا يا ناصر ابن أحمد ناصر بن سعيد الشعموطي الحضرمي اليافعي بأني وكلّت وقدمت الشيخ عبدالرحمن محسن والشيخ محمد بن عبدالولي الطيار اليافعي، أقمته مقام نفسي وذلك فيما أستحقه إرثًا مما اتصلته والدتي خديجة بنت صالح بن عبدالله علي العبادي من متروكات أخيها الشيخ أحمد ابن صالح بن عبدالله علي العبادي المتوفى في أرض الهند، بلد حيدر عباد، وذلك من مال ومتمول، منقول وغير منقول في حسابات الكارخانة، حساب حق واستحقاق وفي جميع آلت الكارخانة وما ينسب إليها، وفي جميع ما استحقه من مال ومتمول وفي كل ما يُطلق عليه

وتستغرق من الوكيل لمتابعة الحصول عليها بضع سنوات لاستلام ما له من أموال ومستحقات وتسليم ما عليه من ديون[1]. ويشترط أن تكون الوكالة باسم الورثة ذكور

اسم المال أو المتمول، صامت وناطق ومنقول وغير منقول، بيد من كان وحيث كان وفي أي مكان كان وفي أي الجهات المذكورة، وكّلت أنا يا ناصر أحمد عبدالرحمن المذكور وكلته فيما ذكر وما لا يذكر وكيلًا مفوضًا يخاصم ويغارم ويحاكم ويواجه من خاصمه أو غارمه أو حاكمه أو واجه في ذلك أو بعضه لدى حاكم شرعي أو سياسي ويقيم البينات ويدفع المعارض بما يحتمل في وقت المحاكمة لدى الحاكم الشرعي أو السياسي أقمت أنا يا ناصر احمد وكيلي المذكور وأجزته بجميع ما يتصرفه مما نظر فيه المصالح وكلت المذكور بما ذكر وكما ذكر وجميع ما ذكر وكالة صلحية شرعية جايزة معوضة منعقدة جامعة بجميع الشروط المعتبرات وأنا بحالة الرضا والصحة والإثبات والاختبار من غير إكراه ولا إجبار وأذنت لوكيلي الشيخ عبد الرحمن في بيع حصتي وبيع الحصص والمتروكات والحويليات ومباني وخيل ومرافع والت الكارخانة وما ينسب إليها أقيم المذكور مقام نفسي وأذنت له بالتصرف على ما يشاء وكيفما شاء لجميع ما ذكر وما لم يذكر في جميع المتروكات وعلى ذلك وقع الأشهاد وأذنت لمن يشهد على ذلك.

شهد بذلك الواثق بالله ناصر محمد بن علي بن صالح بن أحمد بن الشيخ علي هرهره (الختم الخاص 25 شوال 1275 هـ).

شهد بذلك الواثق بالله محمد بن علي حيدر بن عزالدين (الختم الخاص).

وعلى الوجه الآخر من الوثيقة:

وكالة صحيحة شرعية نافذة بيد الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الولي الطيار اليافعي.

ختم الشيخ الواثق بالله العالي سالم بن علي الضباعي

ختم الواثق بلطف الله نائب الشرع علي بن حيدر بن عزالدين البكري، خادم الشريعة.

(1) انظر: بيان تعيين الوكيل عبدالله صالح عوض بن سكران الخلاقي الذي ذهب وكيلًا لما خلفه أحمد عبدالله الحمري عند الجمعدار (أبوبكر) عوض الخلاقي وغيره في حيدر أباد منذ وصوله إليها في جماد أول سنة 1268هـ إلى نهاية جماد أول سنة 1272هـ، وإجمالي المبلغ هو (3919ربية و10 عانة) كما في البيان التفصيلي، وهذا كما يقول الوكيل: «جميع ما خلفه المرحوم أحمد عبدالله الحمري في بلد حيدر عباد عند الغرماء، فلا عاد بقي له حق من الحقوق خذت ذلك بموجب الوكالة وصدّرته حسب ذلك كل شي ببابته وأنا يا عبدالله صالح لي الربع في جميع الرقم المذكور بموجب الوكالة، حيث حصتي في التسع والثلاثين

وإناث وبسُنن وعادات يافع مع إحضار الشهود[1].

اعتاد اليافعيون في مهاجرهم أن تكون الأملاك في المهجر شراكة بين الأهل أو الأقرباء على أساس الثقة بينهم، وبدون توثيق رسمي في مؤسسات الدولة، وتكون على اسم الأكبر منهم أو صاحب الثقة، وقد تحدث مشاكل بعد وفاته تؤدي إلى خلاف ونزاع بين الشركاء وانهيار الشراكة مع ما يتسبب عن ذلك من إفلاس[2].

المائة والتسع عشرة ربية والعشر العانة وذلك تسعمائة وثمانين ربية (980ربية) يعجز عانة ورُبع الفاضل لي أنا يا عبدالله صالح عند عبدالله أحمد الحمري من الرُّبع بموجب الوكالة وذلك اثنين وأربعين ربية وخمس عانة إلا رُبع».

(1) من رسالة حيدر بن عبدالله بن أحمد حيدر علي عزالدين، محرر يوم الأحد و 19في شهر ربيع ثاني سنة 1247هـ ومرسلة إلى الفقيه عبدالحبيب بن أحمد حيدر علي عزالدين وناصر سعيد ناصر وبوبك بن علي صالح وعبدالعزيز بن عبدموسى بن عبدالحبيب آل سنان. جاء فيها: «كذلك يا والد من أجل شيخ بن عبدالحبيب فاضل قد عرفناك ما هو له بالهند من قفا صنوه عبدالله مرادنا بوكالة منه ومن كريمته توكل على ما هو له بجهة الهند، واشرط عليه بسنن وكايل جبل يافع واحضر عليه خلق بالوكالة وبسنتها كذلك معنا فضة أمانة على نظرك يا ولد عبدالعزيز وعالم بها قصدنا الأذن من أهلها في تصديرها لحيث ربما ما تحصل لنا همة هذه السنة والهمة السنة التالية إن شاء الله».

(2) مثال ذلك ما ورد في رسالة ناصر بن محمد أحمد خلف وعبدالله بن محمد أحمد خلف آل باعباد، محرر يوم السبت سلخ القعدة سنة 1296هجرية عن خلاف نورده كما جاء بالنص:«من طرف أمور الكارخانة على اسم الوالد علي أحمد وأحمد حسين وعبدالرحمن بن صالح شركاه في شور فيها ولكن (ولاكن) حكم ان النتيجة تكون من يد السركال إلى يد العسكر وكذلك الخيل بر طرف والحتي والفالكي موقوفات ونوكرية الجمعدار ميتين وربع قاصر مية ربية من نوكرية الجمعدار حسين وكذلك أحمد حسين وعبدالرحمن بن صالح من مية وربع الواحد وأهل باعباد من خمستعشر ربية حالي الحاضرين بحيدر عباد والحاصل معاد الا سَردَلْتْ (نسبة للسردال/ الإنجليز) فقر ومضاربة على لظلاف ونذر الكارخانة إلى الغاية عاده ولاكن با يقع بهاذا الأيام وأما الدَّين الذي للخلق حكم به وجاء وعلي دَيْن مجهول وخلصناه عليه كله حتى وصل على بندقي لخاطر المخوة والعذل وحل سافر معه مننا خمس مية ربية حالي نقد وغير أخذناها بلبيان وقلنا لن عقله رد عليه حسب ما حلف لنا على الختمة، وجعلناه محل الأب وخلانا من غير عزة في الهند وفي بر عرب ومن بعد ذلك وصلتنا أخبار منه ما تنفع نكده على خواطرنا جم جم قبَل خلق الله ولاكن قال صاحب الزمان «قليل الحيا مستريح»».

وفي تعاملاتهم فيما بينهم في مهجرهم يحتاج البعض للاستدانة من غيره وقت الحاجة وتفيدنا المراسلات بحالات مماثلة منها استدانة في فاتحة شعبان سنة 1258هـ وثقها المسُتدين بخطه وقم يده جاء فيها: «أقول أنا يا سالم جرهوم بأن عندي وفي ذمتي لأحمد بن شيخ البكري وذلك ثلاث وأربعين ربية ونص.. قلت ذلك وانا مختار والله خير الشاهدين وخطي قلم يدي شاهد علي»[1].

ونجد أيضا حالة رهن بضائع وأقمشة بمسمياتها الهندية كما في إقرار الجمعدار ناصر بن عبدالله العولقي عند استلامه ذلك كما يوضح النص التالي:»لما كان يوم الخميس و9 في شهر شوال سنة 1259هـ أقول أنا يا ناصر بن عبدالله بن علي العولقي بأني قبضت وتسلمت من أحمد عبدالنبي الجافعي (اليافعي) وذلك اثنين طرجور وباوزيب جور وذلك الشياذر الذي ارتهنت بنظر المتوفي أحمد سالم البكري قلت ذلك وأنا مختار زاكي العقل والبدن والله خير الشاهدين..شهد على ذلك أحمد بن سالم المهدلي.. وكتب بأمر المذكور عوض بن عبدالله باضويح..أقر بذلك الجمعدار ناصر بن عبدالله العولقي»[2].

وعند استلام المبالغ ممن تم اقراضهم إياها نجد توثيقاً لذلك لبراءة الذمة، كما في الإقرار التالي: «لما كان يوم الأحد 18 ذوالحجة سنة 1260هـ أقول أنا يا عامر بن عبدالله البطاطي بأنا قبضت وتسلمت من حسين بن علي الحقبي وأحمد عبدالنبي دينيش بني بك (بني بكر) وذلك ميتين ربية وسبع ربية وست عانه وذلك الذي أطلبها عند المرحوم أحمد بن شيخ بن أحمد بن جابر قبضت ذلك من المذكورين وهما وصيّا المرحوم أحمد بن شيخ فلا عاد بقى لي دعوى ولا طلب وكل دعوى تظهر فهي عاطلة باطلة قلت ذلك وأنا مختار والله خير الشاهدين»[3]. وبالمثل يقر عوض بن سعيد الرشيدي بأنه في يوم الثلاثاء 25 شوال سنة 1261هـ قبض وتسلَّم من أحمد

---

(1) من محفوظات الشيخ محمد حسين العاقل بن دينيش البكري

(2) من محفوظات الشيخ محمد حسين العاقل بن دينيش البكري

(3) من محفوظات الشيخ محمد حسين العاقل بن دينيش البكري

عبدالنبي دينيش مبلغ مئتين وستعشر ربية إلاَّ ربع وهي المبالغ التي كانت بنظر أحمد عبدالنبي عند محمد خان الدكني (نسبة إلى الدكن) وكتب الإقرار بيده وقلمه[1].

ومع ما للهجرة من فوائد اقتصادية لها أثرها في انتعاش أحوال الأسرة أو في بناء منزل أو غير ذلك، إلا أن لها آثارها الاجتماعية السلبية أيضًا، فخلال سنوات الاغتراب تظل الأسرة في ترقب وشوق لعودة المهاجرين منها ولعل الأمهات والزوجات هن الأكثر انتظارًا لعودة أبنائهن وأزواجهن وهم يحملون هداياهم وما تجمع لهم من نقود، وكانت عودة المهاجر عيدًا للقرية بشكل عام، وللأسرة بشكل خاص، حيث يُستقبل بالأعيرة النارية وبالزوامل المرحبة به. ويحدث أن يعود البعض من المهاجرين (بخفّي حنين)؛ لعدم توفقهم في مهجرهم، وقد يتخلف آخرون لسنوات يطول معها الانتظار، وقد يلتهم البحر أو المرض البعض منهم فيلقى ربه بعيدًا عن أهله ووطنه وتنقطع أخباره. وفي المراسلات التي بين أيدينا أخبار عن من توفاهم الله في مهجرهم نذكر منهم: عبدموسى ابن عبدأحمد ابن باتل الحربي وقد ورد اسمه في توكيل مؤرخ يوم الخميس 6 رجب سنة 1261هـ من والده عبداحمد ابن باتل البكري الحربي اليافعي وكذلك الحرة الطاهرة بهجة بنت عبدأحمد باتل وكلا وقدَّما الشيخ محسن ابن عبدالله ابن حسين العبادي الحضرمي على ما خلفه عبدموسى ابن عبدأحمد ابن باتل الحربي المتوفي في أرض الهند بلد حيدر عباد في المطالبة في حقه وحقوقه كلها وديونه بأسرها[2].عبدالله بن عمر علي الخلاقي، انتقل إلى رحمة الله بتاريخ يوم الخميس 14 ذو الحجة 1313ه[3]. صالح بن محمد عبدالله سالم بن محمد أحمد، توفي في حيدر أباد سنة 1315هـ، وأوصى على يد عياله وأرسل عليهم المعلم عطاف والنواب وزير

(1) من محفوظات الشيخ قاسم صالح بن دينيش البكري.

(2) من محفوظات الشيخ قاسم صالح بن دينيش البكري.

(3) من رسالة عبدالرب بن صالح عوض الحاج الخلاقي محررة 17محرم سنة 1313هـ.

علي بادشاه[1]. مثنى بن عبدالرحمن عبدالله، توفي إلى رحمة الله 2 ربيع الثاني سنة[2]. عبدالرب بن محمد حامد، توفي بتاريخ 4رمضان سنة 1331هجرية[3].صالح بن حسين بن عبدالله الخلاقي توفي بالهند وعليه دَيْن كما جاء في رسالة الوصي عليه عوض بوبك عمر بن بوبك والمؤرخة سلخ ربيع الأول سنة 1274هـ[4].

ومن الآثار الاجتماعية السلبية للهجرة أنه وفقًا للتقاليد، فإن أعمال حراثة الأرض وزراعتها في يافع عملٌ من اختصاص الرجال، بيد أن عملية التنقل والهجرة تغير الظروف تغييرًا جذريًا، فعندما يهاجر الرجال، فإن النساء يضطررن للتكيف والقيام

---

(1) رسالة من عبدالرب بن صالح عوض وصالح عبدالله ومحمد عبدالله أهل الخلاقي محرر 5 رجب سنة 1315هـ.

(2) من رسالة ناصر بن محمد وعبدالله أبناء المرحوم الشيخ محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر 5 جماد الثاني سنة 1330هـ.

(3) من رسالة عبدالله بن محمد ومحمد بن ناصر بن محمد أحمد خلف آل باعباد، محررة 9رمضان 1332هجرية.

(4) من رسالة وجهها الوصي إلى موسى حسين وأحمد حسين عيال الوالد المرحوم حسين عبدالله، جاء فيها:» صدرت الأحرف من جهة الهند ملك المغل بلد حيدر عباد وكل علم خير وعافية. أخبار حيدر عباد ساكن وغير ساكن وان سألتم عنا فرحنا (فنحن) في خير ولطف وعافية جعلكم الله في خير ولطف وعافيه.
وبعد يا أصناء جانا منكم كتاب في ما خلفه صالح بن حسين وهو توفى وعليه دَيْن وذي بقي عندما حفظها وهو وصَّى في ما بقي على الدّين لكم وللناس عندكم من أصحابه وأنا مؤتمن وانتو ارسلتو وكاله لموسى بوبك ولا اطلقت عليه شي لحيث ذي خلفه مفرق ما لكم إلا قسم وأنا وصي على موجب ما وصاني بالعمل وانتوا ما انتم دارين في شرع الهند وصية لمحمد أحمد وصية لمرة أحمد موسى وصية لمرة حسين بوبك وصية لمرة موسى يزيد وصية لسعدية ذي في حشاد وصية لبناته او بقي لكم يا الاخوان فان كان وجت من المذكورين الجميع أن توليهم متراضين اكتالو وكاله صححه في قلم علي حيدر وحضروا عليه ولدي وصنوي وحسين أحمد الدبيشي وعمي بلغيث وأحمد موسى ومحمد صالح بن صالح عوض الخلاقي وبا رسل لكلّن حقه وان كان ما تراضيتوا شي فانا ما أطلق شي إلا أن جا رضاكم جميع. هذا ما نحقق لكم والسلام ختام». [من محفوظات الشيخ محمد حسين العاقل بن دينيش البكري].

بأعمال رجالهن المهاجرين، أو المتوفين. وها هو أحد المهاجرين في حيدر أباد يقر بهذه الحقيقة، إذ يقول في رسالته: «وأما الحُرمة عرّفت أنها متعوبة في الأرض وأنا في أرض غربة وهي في دارها ما تعلم بحالي وقدنا مهتم على الخروج»[1].

كان من النادر جدًّا أن ترافق النساء أزواجهن المهاجرين، وبحكم إقامة البعض الطويلة فأنهم كانوا يتزوجون من النساء الهنديات المسلمات وأنجبوا أطفالًا لا تربطهم أية صلة بوطن آبائهم إلا فيما ندر. ومع ذلك كانوا يفضلون الارتباط بالزواج من بني جلدتهم اليافعيين المستقرين هناك مع أسرهم ممن حافظوا على العادات والتقاليد اليافعية، فهذا أحدهم يفخر في زواجه من آل الشيخ علي بن هرهرة الذي يصفهم بـ(الخلق الملاح)، يقول في رسالته لأخيه كما جاء بالنص: «وأنا يا أخيك ناصر تزوجت عند آل الشيخ علي بنت الشيخ حسين بن علي الذي في نارت بيت وخسرت مقدر ثلاثمية ربية، ولاكن ماهي خسارة عند الخلق الملاح حبينا إعلامكم بذلك»[2]. وقد ورد اسمها الكامل شايعة بنت حسين بن علي بن عبدالله بن الشيخ علي هرهرة زوجة ناصر محمد أحمد العبادي، في معرض رد السلام في رسالة أخرى، وكذا اسم مريم بنت علي عبدالله علي العنيس الخلاقي زوجة الولد محمد بن ناصر محمد أحمد العبادي[3]. ويرد اسم زوجة أخرى لمحمد بن ناصر هي خديجة بنت عبدالله بن أحمد

---

(1) من رسالة عبدالرب بن محمد بن صالح عوض الخلاقي، محرر 5 شهر صفر سنة 1325هـ.

(2) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء محمد أحمد العبادي محررة 21جماد أول سنة 1309هجرية/ الموافق 23 ديسمبر 1891م مرسلة من حيدر أباد إلى الأخ الأكرم أحمد ابن الوالد المرحوم الشيخ محمد بن أحمد بن خلف العبادي سلمه الله تعالى آمين. (من محفوظات الأخ محمد علي خلف العبادي).

(3) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء المرحوم الشيخ محمد بن أحمد خلف العبادي محررة يوم الربوع حدعشر جماد الثاني سنة 1324هجرية/ 2 أغسطس 1906م إلى محمد وحسين أبناء الأخ أحمد بن المرحوم الشيخ محمد بن أحمد خلف آل باعباد، وجاء ذكر اسم الزوجات في معرض رد السلام من عمتكم شايعة بنت حسين بن علي بن عبدالله بن الشيخ علي هرهرة ومريم بنت علي عبدالله علي العنيس الخلاقي.

الهمداني اليماني، ربما كانت زوجته الثانية وهو ما وُصف بـ (مفتي الشريعة)[1]. كما تم زواج البنت مريم بنت عبدالله بن محمد أحمد خلف العبادي من علي بن عوض محمد العبادي[2].

أدَّى الزواج في الهند وإنجاب المزيد من الأولاد إلى زيادة الإنفاق وكثرته على الأسر التي تتزايد أعدادها سنويًا، وبالمقابل أدّى ذلك إلى قلة المبالغ المحولة للأهل في الوطن، ففي رسالة من الهند إلى أهله في يافع يطلب أحدهم العفو والسماح لشحة ما أرسل لأهله مقارنة بما كان يرسل لهم من قبل بقوله: «تفضلوا بقبول ذلك واعفوا وسامحوا؛ لأن البيوت امتلأت معنا بأرض الغربة ولا عادها حِيْلِة عليكم الله شاهد ورقيب»[3].

ومع ذلك فإن الزواج في المهجر لا يخلو من مشاكل أخرى تؤثر سلبًا على بقية المهاجرين، فهذا أحدهم من أهل الخلاقي تزوج من آل بن بريك ثم سافر إلى يافع وترك زوجته في حيدر أباد بدون ما يلزم من نفقة فتحمل أهلها من جانبهم مصاريف مأكلها ومشربها وملبسها لمدة عامين كاملين، وحين طال الانتظار ولم يعد زوجها أو يتواصل معهم تقدموا إلى المحكمة بقضية ابنتهم فطلقها القاضي، وبالمثل فعل آخر، وبسبب تلك الحالات الشاذة أصبح غير مرغوب تزويج أقربائهم إلا بصعوبة وبوجود ضامن لمن يقدم على طلب الزواج خشية أن لا تتكرر مثل هذه المشاكل مع بناتهم[4].

---

(1) انظر: رسالة ناصر وعبدالله أبناء محمد بن أحمد خلف العبادي محرر يوم 29شوال سنة 1325هجرية/ 5 ديسمبر 1907م.

(2) حسب ما ورد في رسالة عبدالله بن محمد ومحمد بن ناصر بن محمد أحمد خلف آل باعباد، محررة الأربعاء 9رمضان 1332هجرية.

(3) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء المرحوم الشيخ محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر 11 جماد الثاني سنة 1324هجرية/ 2 أغسطس 1906م إلى محمد وحسين أبناء الأخ أحمد بن المرحوم الشيخ محمد بن أحمد خلف آل باعباد.

(4) جاء في رسالة من عبدالرب بن صالح عوض الحاج الخلاقي وعمر بن عبدالله أهل عوض الحاج، محرر يوم الأحد 22جماد الأول سنة 1321هـ: «كذلكم من طرف صالح حسين قديح سافر ومعه حرمه وطرحها بحيدر عباد لا قوت ولا ماء، وبعد صبروا أهل بن بريك مقدر سنتين

لكن الثابت أن معظم المهاجرين ظلوا على ارتباط قوي وزيارات مستمرة للأهل والأقارب المقيمين في يافع والمعتمدين على التحويلات المالية التي كانت تصل إليهم بانتظام من هؤلاء المهاجرين. ومن خلال هذه الزيارات أسهم هؤلاء المهاجرون في نقل الثقافة والعادات والتقاليد، فمن عادات الزواج فرقة الشعر والنقطة الحمراء، وكذلك أن يكون عمر العريس أكبر بقليل، ومن غير الشائع أن يكون عمر العروس أكبر من عمر العريس. وكان يجوز أن يتأخر زواج الفتى لسبب ما، أما البنت فتتزوج في سن صغيرة؛ لأنها إذا تجاوزت سن الثامنة عشرة دون أن يتقدم لها أحد يقل حظها في الزواج، وقد تغدو عانسًا، وهذه ربما عادة هندية وجدت لها تأثيرًا في يافع - كما في بعض التقاليد الأخرى - بحكم هجرات اليافعيين القديمة إلى الهند[1]. ونجد تأثير المهجر الهندي لمسه في بعض اللمسات التي دخلت على الملابس وأدوات الزينة وأصباغ زينة المرأة، وكذا في مراسيم الزواج، فعمامة الرأس للرجال المعروفة بالمصون البيحاني والمصبوغة باللون النيلي حلت محلها أو نافستها المَشّدة الهندية التي تسمى (ديولي) بألوانها المتعددة، وكان يُكتب عليها صنع خصيصًا لجبل يافع، وكذاك (الدسمال) وهو نوع من العمائم الحريرية التي كانت تستورد من الهند، وكان يستخدم عمامة للرأس، بما في ذلك عمامة السلاطين في يافع، ومنه صنف تلف به المرأة خصرها، والكلمة فارسية أصلها (دِستمال) وتعني منديل[2]، إضافة إلى (السُبَاعِيِة) وهي مئزر

ودخّلوا معروضة عند السركال وتنشّد السركال على العرب على الحبايب الحبيب محسن وبن شهاب.. ونشدتهم من صالح حسين ومن الحرمة إن كان وشي طرح لها قوت وما يكفيها فهي حرمته وإن ماشي أفتوني يا عرب، وردوا عليه أن ما يصح بلا كساء وكفا أبوها القاضي وطلقها القاضي وحال الرقم اتو خلق من الزلة أنها تزوجه ولا معنا يقين هذا لحيث صالح حسين ومحمد قاسم خربوا أصحابنا وتماثلوا بالحريم فكوهن كلهم ومن سار يخطب بحرمه قالوا لا تلقي بنا كما أهل خلاقة إن كان وحد ضامن رحبوا به وإن ما حد منعو».

(1) انظر: عادات وتقاليد الزواج وأغانيه في يافع، د.علي صالح الخلاقي،ط1، 2006م. ص31.

(2) انظر: معجم لهجة سرو حمير -يافع وشذرات من تراثها، د.علي صالح الخلاقي، ط1، 2012، (حرف الدال).

ثمين، طوله سبعة أذرع، وألوان زاهية متعددة مع ذبل في أطرافه، يلبسه الرجل ملفوفًا حول نصفه العلوي فوق الثياب. ويقولون في أمثالهم: «بعد السُبَاَعِيه شَملَه»، يضرب لمن ذل بعد عز، وكانت صناعتها هندية وتاجرها هندي كان محله في سوق البهرة في كريتر عدن، وما زالت تصنع بنفس النوعية القديمة ويستخدمها بعض كبار السن حتى يومنا هذا. ومن الملابس النسائية التي كانت تستورد من الهند (الطّاس أو الطَّلس) وهي ثياب نسائية حريرية من أغلى أصناف القماش، وهي ذات ألوان مزركشة، وتلبس في الأعياد والأفراح. يقول الشاعر الغزلي أحمد عبدالله بن ناصر بن هرهرة:

يقول أبو ناصر نهار الجمعه الفني خطر

خطر بطاس اخضر مطرز بالذهب كز النظر

وقلت هذا اليوم يوم النور ذا يوم الظفر

اليوم ذا يوم السعاده والتهاني عالخضر

و(الصّولي) وهو ثوب نسائي مخطط طوليًا. (البِتكِة) وهي قطعة قماش مستطيلة تلبسها المرأة حول خصرها لتشد ثوبها وتتدلى أطرافها إلى منتصف الساق، وتُسمى أيضا (مَعْجَر)، و (المَجْوَل) وهو قطعة قماش شفاف، أخضر اللون غالبًا ومزركش بألوان خفيفة أخرى، ويغطي رأس العروس ووجهها ليلة زفافها إلى بيت الزوجية، وكذلك أغطية رأس المرأة بأنواعها ومسمياتها (قَرقُوش - قَرقُمِي - مَقرَمَة - مَصْوَن) وغير ذلك من الحلي وأدوات وأصباغ الزينة التي كانت تستورد أو ترسل من المهجر الهندي.

تأثير المهجر الهندي في الشعر واللغة:

نجد تأثير المهجر الهندي أكثر وضوحًا في الشعر وفي اللهجة اليافعية التي دخلت عليها بعض الكلمات الهندية، وأشعار يحيى عمر اليافعي (أبو معجب) خير دليل على ذلك. فقد تنقل كثيرًا بين مدن الهند وزار مسقط رأسه أكثر من مرة، وعرج على بعض البلدان والموانئ المجاورة، لكنه كان يعود إلى الهند التي طاب له المقام فيها متنقلًا

بين أكثر من مدينة مثل كلكتا ومدراس وحيدر أباد وبرودا، وأجاد اللغة الأوردية وألف وغنى بها هناك، ويبدو تأثير الهند جليًا في كثير من أغانيه، التي يطعمها بكلمات هندية، كما في قوله:

يحيى عمر قال أمانه يا هنود — قولوا لنا بنت من ذي الهنديه
هل هي من الهند والّا من سِنُود — تعرف رطين العرب بالهنديه
عبرت ليله وانا اسمع صوت عود — في قصر عالي والحان ساريه
وقفت عالباب وهزَّيت العمود — قالت (كياهي) خبركم غاويه

وكلمة (كياهي) الأوردية تعني (ماذا تريد) أو (ما الخبر). كما نجد مثل هذه المزاوجة بين اللغتين العربية والأوردية الهندية في قصيدته الشهيرة (يحيى عمر شل الدَّان)، حيث يقول فيها:

بعد الآن، يحيى عمر شل الدان — في الفتان، هندي ملك هندستان
ما يهتان، لله من ذا الهندي
(حاضر باش)، هندي برابر شاباش — مثل الشاش، أبيض منقرش نقراش
عقلي طاش، مسكين انا ما جهدي

واستعمل في أحد أبيات القصيدة كلمة (صبر كرو) وهي لفظة هندية معناها (وتحلَّ بالصَّبْر)[1].

وقد انسحب تأثير المهجر الهندي على استخدام بعض المفردات الهندية في اللهجة اليافعية وكذا الحضرمية، مثل كلمة (حاضر باش). ففي رسالة من الشيخ أحمد ابن الشيخ سالم ابن الشيخ أحمد إلى بني بكر في فاتحة شهر شعبان سنة 1239هـ، في أثناء حرب يافع وتميم يحثهم على الجودة وأن يكونوا وازعين (حاضر باش) أي أن

(1) شل العجب..شل الدان، ط2، ص51،50.

يكونوا جاهزين وقت يطلبهم[1]. وترد الكلمة ذاتها بالمعنى نفسه في رسالة من المكلا إلى قاضي بني بكر عبدالحبيب بن أحمد حيدر، بتاريخ 3 رجب سنة 1227هـ يحثهم للاستعداد بالرجال إذا طلب ذلك النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي، وأن يكونوا لطلبه (حاضر باش)[2]. وكمثال لتأثير المهجر الهندي في اللهجة اليافعية نورد النماذج التالية من الكلمات ذات الأصل الهندي[3]:

- بَنَّد: أغلق الباب، أوصده.
- البِيَس: النقود، من الهندية (بيسة) وهي أصغر وحدة من وحدات العملة الهندية في عدن، إلى منتصف القرن العشرين إبَّان الاحتلال البريطاني للجنوب، وتعد البيسة كسرًا للعانة التي تتكون من عشر بيس. والعانة كسر للروبية التي تتكون من 16 عانة.
- البيمة: اليانصيب.
- تَالُوف: حلاقة شعر الرأس للذكور، وأصلها من (التالو) الهندية.
- سَامَان/ سِيمَان: المتاع، العتاد، العفش. (من الهندية والفارسية).

---

(1) من رسالة بحوزة الأخ أحمد حسين شعيفان البكري أرسلها الشيخ أحمد ابن الشيخ سالم ابن الشيخ أحمد من عينات المحروسة إلى كافة بني بكر: آل دينيش وآل إبراهيم وآل حسن وآل يزيد وآل سنان والحاشدي.

(2) من رسالة بعث بها من المكلا سالم فاضل وصنوه عبد أحمد بن فاضل البكري إلى قاضي بني بكر عبدالحبيب بن أحمد حيدر، بتاريخ 3 رجب سنة 1227هجرية يحثهم على الاستجابة للنقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي يقول فيها: «إذا احتاج للرجال وأرسل إليكم في رجال قدكم تخرجون له الرجال ما طلب، لحيث وهو يعز الرجال وفيه قدر للناس كلهم كبير وصغير، وزايدة بني بكر لهم زيده على الناس الجميع.. ومن شان أنت قدك عالم به وبما فعل، طلعنا من حضرموت ثمانين بكري وعزّنا معزّة كبيرة، وأنت معنا، حتى الجارية حقك جلست بمصروف، والجودة محلها جودة، ربما وهو يرسل في رجال الله الله إذا عُوز تكونون لكتابه حاضر باش».

(3) انظر: معجم لهجة سرو حمير - يافع وشذرات من تراثها، د.علي صالح الخلاقي، ط1، 2012م.

- سِرْكَال: كلمة هندية تطلق على الحاكم أو الواحد من طبقة الحكام، ويُكنى بها الاستعمار البريطاني، وكذا يقال: «رطل سركالي».
- شولي وجمعها (شَوَالي): أَسَاور نسائية من الذهب أو الفضة وغيرها.
- كَرّ: جمعها (كرور) كلمة هندية تدل على العدد مائة لك، و (لَكّ/ لاك) وجمعها (لكوك) تساوي مائة ألف كَرّ. وترد هذه الكلمات في الأشعار الشعبية والزوامل كثيرًا بفعل تأثير المهجر الهندي. ففي زامل لأهل يزيد يخاطبون (نوبة) بنوها في العهد القبلي فجاءهم الضرب منها وهم في طريقهم إلى لبعوس للمشاركة في زيارة المحضار، فقال شاعرهم[1]:

سلام مني كَرّ، يا سُود العُكر ... ما كان واجب تحربي ذي أَسَّسُوش

لو كان فيهم شر أو فيهم عسر ... قد كان في البيضاء مصارعة الجيوش

وهذا الشاعر محمد سالم المحبوش الخلاقي (توفي 1952م) عند الذهاب في ثامن الزواج في موكب كبير مكوّن من 70 رجلًا ومعهم 70 رأس غنم، إلى بن سنان البكري الذي تزوج بنت عاقل خلاقة فوصف ذلك بقوله:

مني سلامي كر، ماجاهم عكر ... للدار لعصر، ذي عَمد به بن سنان

لا اتحطرم الجاهم ولا شن المطر ... كلّا يدور له من الجاهم كنان

وفي معنى (لاك) يقول الشاعر أحمد صالح عبسوق الجوهري في حفل زفاف محمد ضيف بعليل الراعي في قرية حصاحص - الحد:

منِّي سلامي لاك، يا العالي مَلاك ... أربع قَسَمْ مَوْلاك، وأربع للعصيب

واليوم لاشي جاك، رَعْ يافع رِزَاكْ ... يوم القبل والمشرق ابتلهب لهيب

---

(1) هذا الزامل وما يليه من محفوظاتي لكتابي قيد التجهيز عن الزوامل الشعبية.

الحفاظ على القيم الدينية:

تكشف الوثائق والمراسلات التي تعود إلى فترة المهجر الهندي تمسك اليافعيين بالواجبات الدينية وبالقيم الإسلامية النبيلة، وسعيهم لنشر الإسلام في مهاجرهم من خلال تقديم الأسوة الحسنة في السلوك والمعاملات ونشر وتعليم القرآن الكريم وأداء الفرائض الإسلامية. وقد عثرنا على مخطوطة أصلية نادرة من القرآن الكريم لمالكها الشيخ أحمد بن خلف بن عبدالله بن علي بن عثمان العبادي نسبًا والشافعي مذهبًا واليافعي موطنًا، وسار الملك بأرض الهند بلد حيدر أباد حفظه الله بعينه التي لا تنام، وهي مكتوبة بخط يد جميل باللونين الأسود والأحمر وغلاف جلدي، وفي خاتمها كتب ناسخها الفقير المذنب العاصي المسمى صالح بن حميد بن خميس بن محمد بن عبدالله المسكتي أنه قد ختم هذا الكلام يوم الاثنين11من شهر ذي القعدة سنة 1262هجرية، وحُرّر في بلدة الطيبة الفرخُندة بنياد الحيدر أباد[1].

كما تعَلَّق المهاجرون بأداء فريضة الحج المقدسة في حياتهم أو بعد مماتهم، ففي وثيقة تاريخية تقليدية[2] من حيث شكلها كتبها أحد أشهر فقهاء يافع في ذلك العهد هو نائب الشرع القاضي عبدالحبيب بن أحمد حيدر عزالدين البكري، كما جاءت صفته بخطه قبل اسمه، ويعود تاريخها إلى 9 شوال 1241هجرية، وهو ما يوافق 18مايو1826م. نعرف أن الموصي دينيش بن زين علي حرفوف الفردي، كما عرفنا عن نسبه من وثيقة أخرى، كان مهاجرًا في الهند وامتلك ثروة تقاسمها ورثته، ولأنه لم تتاح له فرصة الرحلة إلى مكة لأداء فريضة الحج في حياته، ربما لظروف هجرته أو مرضه أو كبر سنه، مع معرفتنا لما كانت ترافق رحلة الحج من مصاعب ومشاق ومخاطر السفر مشيًا على الأقدام، فإنه قد أودع وصيته في ذمة وعُهدة الشيخ أحمد بن دينيش بن ناصر عوض البكري، وهو من بيت المشيخة في بني بكر، واختياره عليه لم يأتِ

---

(1) مخطوطة القرآن مع رسائل آل خلف العبادي محفوظة لدى الأخ محمد علي خلف العبادي وأتاح لنا مشكورًا تصوير كل ما لديه.

(2) من محفوظات الشيخ قاسم صالح دينيش البكري.

عبثًا فالرابط بينهما هو أن الموصي سَمِيّ آل دينيش، أي نَسيبهم، ولذلك كان موضع ثقته، رغم أنه ينتمي إلى آل الفردي المجاورين لبني بكر، وتقضي الوصية بأن يحج له (حاج نظيف) أي حاج يُعرف عنه الورع والتقوى والأمانة، وقد اختار الشيخ أحمد دينيش لهذه المهمة الحاج صلاح بن صالح بن أحمد بن سكران الخلاقي، من خلاقة المجاورة لبني بكر، وحدد له مقابل الحجة والعمرة خمسين قرش فرنصة، والقِرْش هو الريال النمساوي (ماريا تيريزا) الذي شاع تداوله في يافع وفي غيرها من المناطق وظل متداولًا إلى عشية الاستقلال، ولا أدري لماذا وردت صفته بـ (حَجَري)، وتسلّم منها مقدمًا 34 قرشًا، وتأجل دفع المتبقي وهو 16 قرشًا إلى حين عودة الحاج صلاح بن صالح، وفي حالة تخلفه في الشام، ويقصد بها هنا جهة الشمال أي الحجاز، بعد أن يكون قد أدى فريضة الحج وزار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فعلى الشيخ دينيش أن يدفع ذلك المبلغ المتبقى لوكيل الحاج صلاح وهو جحلان المقدشي الخلاقي.

وقد وافق الحاج صلاح بن أحمد على ذلك وتعهَّد بالله بأنه «حاج لدينيش زين حجة وزيارة نظيفة وافية الشروط الشرعية، وأن يأكل من زمالته، أي من جيبه، ويستعين عند وصوله مكة المشرفة بدليل (متاجر) يدفع له أجرته لتعريفه بمواقيت الحج وجبل عرفات ورجم الجمرات وطواف ومسعى وجميع مواقيت الحج وسننه»[1].

وهناك رسائل تعود إلى فترة المهجر الهندي تحوي أخبار من ذهب إلى الحج، وتدعو ربنا أن يسهل عليه[2].

ويتجسد الالتزام الديني بالصدقات الخالصة لوجه الله التي يحرص المهاجرون من خلالها على التقرب إلى الله؛ ليضاعف لهم الأجر سواء فيما يقدمونه في مهاجرهم، أو

---

(1) تضمنت الوثيقة أيضًا شهود الحال لتأكيد التوثيق وهم: الحاج الشيخ سعيد عمر جحزر العنقي، عبدالله عوض أحمد الحاج الخلاقي، وبحضور الشيخ محمد بن علي سالم محمد، فضلًا عن الكاتب نائب الشرع: القاضي عبدالحبيب بن أحمد حيدر عزالدين البكري.

(2) من ذلك رسالة ناصر وعبدالله أبناء محمد بن أحمد خلف العبادي، محررة يوم 29 شوال سنة 1325هجرية/ 5ديسمبر 1907م تذكر سفر عبدالرب محمد حامد إلى الحج.

فيما يرسلونه لصالح المساجد أو غيرها من المنافع العامة في مسقط رأسهم، كخزانات الماء في المساجد (الهِجَر)، أو تلك التي في الطرقات (المواجل) التي يستفيد منها المسافرون لحاجتهم للشرب أو الوضوء. فهذا أحدهم يرسل سنة 1313هـ بساطًا كبيرًا من السجاد (جانمازاه) لجامع خلاقة ويوصي أقربائه بفرش السجاد بيدهم وتحويله للقائم بالمسجد من القضاة كوقف لا يباع ولا يرهن ولا يتبدل[1]. وفي رسالة أخرى سنة 1315هـ يرسل 100 قرش فرنصي (ريال مارياتيريزا) لترميم سقاية (هجرة) مسجد الحبيل وإصلاح المسجد الجامع، وهو مبلغ كبير بمقياس ذلك الزمن لا يجود به إلا مؤمن سخي وكريم[2]. وفي سنة 1316هـ أرسل أيضًا قرشين لصالح ماجل اليافعي، وهو خزان تتجمع فيه مياه الأمطار، ويقع في قمة طريق جبلي تحمل اسم (اليافعي)، يستفيد منه المارون في هذا الطريق الذي يربط خلاقة بمنطقة ريو[3]. وفي العام التالي 1317هـ يرسل نصف قرش لمسجد منّاعة لشراء حصير (سلقة) أو لإصلاح سقفه

---

(1) رسالة من عبدالرب صالح بن سكران الخلاقي سلخ ربيع أول سنة 1313هـ جاء بالنص: «الصادر إليكم صحبة الله وصحبة الأخوان عوض سالم عبدالصفي ومحمد بن سالم عبدموسى الخلاقي اثنين جانمازاة يعني مصلًّا سجادات كبار 16 ذراع والصغير حق القبلة ذراعين مسلمات الأجرة، اقبضوا الإرسال المذكور حسب ذكرت من عوض سالم ومحمد سالم، وتفضلوا بقبول ذلكم والدعاء وصيتكم. وتفصيل الإرسال المذكور. أما الجانمازاة المذكورة لمسجد جامع خلاقة إلى يد القائم في المسجد المذكور من القضاة وتفرشوهن بيدكم انتوا أول يوم الجمعة وحولوهن للقائم بالمسجد من القضاة وقف لا يباع ولا يرهن ولا يتبدل».

(2) رسالة من عبدالرب صالح عوض الخلاقي محرر سلخ جماد الثاني سنة 1315هـ. جاء فيها: «وكذلك صدرت إليكم أنت والولد صالح عمر والولد محمد صالح وذلك مية قرش فرنصي، تفصيلها 10 عشرة قروش لصلاح هجر مسجد الحبيل صلاح زين يكون لها، و 40 أربعين قرش لصلاح مسجد الجامع حسب عرفوا لنا أهل خلاقة وكلّن يمد يده في صلاحهن الجميع المسجد والهجر».

(3) من رسالة المهاجر عبدالرب بن صالح عوض الحاج الخلاقي محررة 17 جماد أول سنة 1316هـ.

(جُبَاه)، ويتساءل عن مصير المبالغ التي أرسلها من قبل لصالح مسجد الجامل وماجل (لَخشاب) وهِجرة أيوب وهجرة الحبيل والصومعة، وهل عملوا فيها شيئًا، لأن مبالغها معهم وهي صدقة لله ويحثهم على أن لا يخالفون شيئًا[1]. وفي رسالة له تعود إلى سنة 1275هـ يرسل لأمه قرشًا مدفوع الأجر ويطلب منها أن تأخذ فيه قميص للصلاة، ويحذرها من ترك الصلاة؛ لأن الدنيا فانية وكل من عليها فانٍ[2]. ويحث في رسائله على القيم الطيبة وبث روح الألفة والأخوة[3]. وهذا مهاجر آخر يحث على ترسيخ القيم النبيلة بين أهله وأقربائه في مسقط رأسه يافع، ومراعاة علاقات الأخوة وطاعة الوالدين كأعظم فائدة وبركة ونعمة في الدنيا والآخرة[4].

---

(1) من رسالة من عبدالرب بن صالح عوض الخلاقي محرر 27محرم سنة1317هـ وجاء فيها: «..ونصف قرش لمسجد منَّاعة سلقة والا صلّاح في جُباه.. ومن طرف حق السبيل لوله الذي صدرتها مع علي صلاح وصالح عمر حق مسجد الجامع وماجل لخشاب وهجرة أيوب وهجرة الحبيل والصومعة وغيرها ما جانا جواب منكم صلحوا شي بهذا أو لا إلى حال التاريخ ما صلحتوا شي، وهذا سبيل حق الله وكيف ما صلحتوه حسب قلت لكم ودراهمها معاكم فحسب ما كون عرّف لكم اعملوا عليه في حق سبيل وحق مفرق وغير اعطو كلن حقه إلى يده، وكل شي قلت لكم تصلحونه اصلحوه لا تخالفون من شي الله الله».

(2) من رسالة عبدالرب بن صالح بن عوض الحاج الخلاقي الموسطي اليافعي، مؤرخة في سلخ ربيع ثاني سنة 1275هجرية، جاء فيها: «ومن أنتي يا والده عيشة، الله الله ادعي لنا وترين الصادر إليش يا والده عيشه قرش نقد بيد صالح حسين بن حسين عبدالله العبادي وأجرته قد هي معه من عندنا، وأنتي يا والده قدش تأخذي لش في القرش المذكور قميص للصلاة، والله الله صلي، الحذر تتركين الصلاة، لحيث الدنيا فانية ومن عليها فاني».

(3) من رسالة عبدالرب بن صالح عوض الحاج الخلاقي، محرر 5ربيع الثاني سنة 1316هـ يقول: «وقدكم الله الله انتوا والناس في المسايرة والمخالقة الزينة وانتوا وعبدالله صلاح وعياله الله الله في المخوة والمروة ما توصون بحال».

(4) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر يوم 29 شوال سنة 1325 هجرية/ 5 ديسمبر 1907م. يقول فيها: «أنتم الله الله بكل حال من أمور الدنيا والدّين ما نزيدكم تعريف لحيث كلّن مذكور بفعله فلا شي يخفا والله الله في المخوة والمراعاة بعضكم البعض وفي طاعة والديكم أعظم فايدة ونعمة وبركة في الدنيا والآخرين بارك الله فيكم، ونحن يوم

كان المهاجرون مثلهم مثل غيرهم من الناس يعتقدون بكرامات الأولياء، وبقدرتهم على علاج المرضى، وإنجاب الذكور، ومعرفة الغيب، وكشف أسراره وخفاياه[1]. وكان بعضهم يرسلون مبالغًا لإقامة مولد أو فاتحة باسم النبي محمد ﷺ[2]. وفي العادة فإن الموالد (مفردها مولد/ مالود) احتفالٌ ديني يقام في ذكرى مولد الرسول ﷺ في 12 من شهر ربيع الأول من كل عام، حيث تنشد المدائح النبوية وتردد الأدعية والابتهالات الدينية، كما تقام موالد مماثلة في مدخل رجب، أو ينذرون القيام بها عند حدوث مرض لأحد أفراد الأسرة أو موت أو شفاء مريض، وكانوا يقيمون الموالد في يوم الجمعة تبركًا بهذا اليوم، ويرددون فيه الأدعية والتراتيل والأناشيد الدينية.

إن الوفاء والعرفان بالجميل من القيم الإنسانية التي غرسها ورسخها الإسلام في نفوسنا، ومن صور الوفاء ما جاء في رسالة من المهجر الهندي بطلب التقدير والاحترام لمهاجر مسن عاد وزوجته إلى يافع نظير ما قدمه من إحسان في التعامل مع المهاجرين الوافدين حينها حيث لم يبخل بمساعدتهم وتقديم العون لهم وعمل معهم هو وزجته ما لم يعمله أب أو أم باعترافهم، ولا يستطيعون أن يجازوه بالمثل، ويطلبون من إخوانهم أن لا يقصروا معه بحال في يافع، وكذا يسألون هم وجيرانهم الهنود عن أخباره هو وزجته[3].

نسمع في أخبارك الزينة نفرح جم جم والله الشاهد علينا ورقيب وجاعلينكم مثل أولادنا وأزيد».

(1) مثال ذلك ما جاء في رسالة عبدالله بن محمد ومحمد بن ناصر بن محمد أحمد خلف آل باعباد 9 رمضان 1332هجرية:» وانتوا يا أخ عليكم بالله أن تدعون للولد محمد في القُبَّة الوسطى بالشفاء له بالعافية لحيث عاد البُخش (الجُرح) قليل باقي في رجله وادعوا له في أولاد لحيث قد معه ثنتين بنات».

(2) من رسالة أحمد بن محمد العبادي، محرر 29 ربيع الثاني سنة 1355هـ مرسلة إلى حضرة الأخ الشقيق السعيد علي بن صالح علي العبادي، يقول: «وخمس روبية مرسل إليك لأجل تسوي فيه مولد أو فاتحة باسم النبي صلى الله عليه وسلم بقصد إيصال الثواب إلى روح النبي وأصحاب القُبب الذي عندكم (الشيخ عبدالرب وغيرهم) من الأولياء رضي الله عنهم».

(3) من رسالة عبدالله بن محمد ومحمد بن ناصر بن محمد أحمد خلف آل باعباد 9رمضان

الشوق والحب للوطن:

رغم عيش اليافعيين في مهاجرهم واستقرار كثيرين منهم واندماجهم بالتزاوج إلا أنهم يحافظون على تقاليدهم التي تكون لها سلطة قوية في إملاء معايير السلوك والآداب الاجتماعية، ولذلك يظل اليافعي محافظًا على تراثه وعاداته وتقاليده، وهو ما يفسر حب المهاجرين منهم لمسقط رأسهم، وتعلقهم بأهلهم وقومهم وعشيرتهم، وعدم نسيانهم حينما تتحسن أحوالهم المادية، وهذا ما نجده في معظم رسائلهم التي لا تخلو من التحويلات المالية أو إرسال الهدايا من الملابس ونحوها.

ومعظم تحويلاتهم المالية لا تتم بواسطة المؤسسات المالية أو البنوك إلى عدن، وإنما يتم إرسالها مع أية هدايا من الملابس وأدوات الزينة وغيرها مع أحد الأصدقاء أو الأقارب ممن يعودون من مهجرهم في زياراتهم لقضاء إجازاتهم، وكانت تُدفع لهم أجور أتعابهم، ولهذا نجد في الرسائل صيغة «مدفوعة الأجر» على كل مبلغ أو بضاعة يتم إرسالها..كما كانت الحوالات المالية تُرسل أيضًا إلى وسطاء في عدن مثل دكان أحمد علي الصواف الجبني ويقع محله في التواهي، أو إلى عند عبدالرحمن بن أحمد باذيب بسكّة الحضارم وآخرين(1)، أو إلى دكان صالح مراد في المكلا، وعبدالقادر بن

1332هجرية، جاء فيها: «فصل يا أخ أحمد من طرف الولد عبدالقوي بن علي صالح عامر الرشيدي معاد شفنا ولا شهدنا له على خط قدكم الله الله في القدر له وللوالدة سلمى زوجة أحمد خلف الله الله لحيث عبدالقوي إحسانه الذي لقّى معنا ما ننساها ولا هو أبو وأم ما يلقون مثلما لقى عبدالقوي معانا الله يجازيه ألف خير عليك بالله يا أخ أنت والأولاد محمد وحسين أن لا تقصرون من طرف عبدالقوي بن علي والعجوز وبنتها وكل ما القيتوه له فهو لي ولمحمد ما نقدر نجازيه بالذي لقّى معنا الله يحفظه ويرزقه الأولاد. وعرف لنا من طرفه هو والعجوز والناس ينشدون عليهم جم جم خصوصًا الهنود جيرانهم ينشدون كيف حالهم».

(1) في رسالة ناصر وعبدالله أبناء محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر يوم 29شوال سنة 1325هجرية/ 5 ديسمبر 1907م، يذكر تغيير الإرسال نظرًا لطمع باذيب فحول إلى غيره يقول: «والارسال المذكور خمسة وعشرين ربية سرتي والشبوط الثلاثة حقك يا أخ أحمد با تصلك إلى بندر عدن زربية علي حاجب وبمعرفة علي حاجب وعلوان الخط با نلقيه باسمك حسب ما

عمر باشراحيل للشحر[1].

ويتجسد حب الوطن وشوق المهاجرين وحنينهم إلى مسقط الرأس بأروع الصور وأبلغها دلالةً في أشعار وقصائد الشعراء المهاجرين منهم، وأبرزهم الفنان والشاعر يحيى عمر اليافعي الذي ظل يحمل الوطن في حناياه وفي تلابيب قلبه، وكلما نأى به الزمان والمكان عنه، ازداد لوعة وصبابة وهيامًا به، فلم تمض سوى ثلاث سنوات على غربته في الهند حتى تنازعه الشوق للوطن، رغم ما هو فيه من رغد العيش، فأخذ يتطلع إلى المركب الهندي الذي تمنى أن يكون أحد ركابه إلى (بندر عدن) ولو كلفه ذلك دفع (زايد ثمن)، رغم أن الثلاث سنوات قد أمضاها مع (حُمر الوجن) وله ما شاء من (الخمر والعسل واللبن) وهذه كناية عن أنهار الجنة الثلاثة، وكأنما أراد أن يقول إنه في الجنة، لكنها مع كل ذلك ليست معادلًا للوطن الذي سكن حبه في فؤاده، ويجري مجرى دمه، ويحظى لديه بأعلى مراتب الحب، ويمثل بالنسبة إليه دواء للروح وبلسمًا شافيًا:

يحيى عمر قال لا بندر عدن	وا مركب الهند ليتك عازمي
تجمَّل اليوم خُذ زايد ثمن	وشل عاشق مولع هايمي
يا داوي الروح من جو اليمن	منه علاجي ومنه بلسمي
يافع حلالي له الوجه الحسن	حلاوة اسمه حلا يملأ فمي
وكيف با أنساه وحُبَّه قد سكن	داخل فؤادي ويجري في دمي

لقد ظل متعلقًا بمسقط رأسه ومشدودًا إليه بوشائج قوية، لم توهنها حياة الدعة والراحة ورغد العيش ومباهج الحياة الكثيرة التي صادفها في مدن الهند الكثيرة (دلهي،

عرفت لنا، ونحن كنا با نصدر ذلك إلى عند باذيب، لكن يوم قد دخل بهم الطمع حسبما ذكرت فلا عاد حاجة له العمل على حسب ما ذكرت».

(1) حسب وثيقة بيان الإرسال لمبالغ وبضائع مصدرة بأيدي علي صلاح وصالح عمر. (من محفوظات أسرتنا آل سكران الخلاقي).

ممبي، كلكتا، مدراس، حيدر أباد، برودا، بونه..إلخ) التي عرفها وعرفته شاعرًا عاشقًا وعازفًا وملحنًا وفنانًا يأسر الأنفس ويشجي قلوب العاشقين الملتاعة والغارقة في بحر الهوى، أو في غيرها من البلدان والمدن والمراسي (عمان، البحرين، البصرة، فارس.. إلخ) التي قصدها أو مكث فيها في تنقلاته وأسفاره الكثيرة. وظلت روحه الهائمة تحلق في سماء الوطن وتحط الرحال عبر الأثير في كل شبر منه، يساعده في ذلك هاجسه الشعري المتوقد الذي يطوي به المسافات، ويقرب بينه وبين وطنه في أسرع من لمح البصر:

ذكرت واشتاق قلبي لا جبل يافع	مشتاق للأهل والأحباب والخلان
للأرض ذي حلّها كمّن نمر شاجع	لضيفها نور أما للعداء نيران
لأهل النِّصل والسَّلب باروتهم والع	لا اَهْتَانت الأرض ما من يافعي يهتان

وهذا الشاعر والفنان علي حسين عبدالرب بن مفتاح الفقيه الرشيدي، الذي قضى جزءًا من حياته في المهجر الهندي، يعبر عن ضيقه وتضَجُّره في مهجره الهندي وشوقه الجارف لأهله ووطنه بقوله[1]:

يقول بن مفتاح كبدي طاره	على الوطن سَهَّرتْ نوم أعياني
من بالعَشي لَّما طلوع الزهره	باوّل ربيع الشهر ليلة ثاني

(1) علي حسين عبدالرب بن مفتاح الفقيه الرشيدي، شاعر وفنان، قضى جزءًا من حياته في المهجر الهندي، ثم عاد واستقر في عدن حيث عمل فيها. اشتغل بالفن والغناء والشعر. له أشعار وقصائد متبادلة مع عدد من الشعراء، وبحكم أنه فنان فقد كان يدون ما يحصل عليه من الأشعار التي يقوم بتلحينها وغنائها، وحفظ لنا في مخطوطته الكثير من الأشعار ليحيى عمر وراجح هيثم بن سبعه وحسين عبيد الحداد وطاهر عثمان وغيرهم من شعراء يافع وحضرموت بشكل خاص، وقد دونها في مهجره الهندي. تعرض لمرض الربو ومات عام 1952م ولم يخلف أولادًا. حصلت على نسخة من مخطوطته من الصديق الشاعر حريبي عبدالرب الحريبي، ولها نسخة مشابهة مع بعض الإضافات في مخطوطة أخرى للفنان غالب عبدالرب حصلت عليها من الصديق الشاعر ياسر عبداللاه الرشيدي. (انظر كتابي: أعلام الشعر الشعبي في يافع، ط2009/ 1م،ص 295، 409).

بالهند مُتضيِّق وفيني ضجره	من فُقد أهلي وأخوتي وأوطاني
حنين مثل العيس موسم هجره	وما تحن النوب بالعيداني
بعدي بني مُرشد عُوَلْ مُحتَرَّه	رجال تتلذَّع كما الحنشاني
ما يرتهب لا قد دخل في حجره	يحكم ويتجلَّس في الديواني
رجال قطَّاعه معاهم نَصْرَهْ	والخصم بَيَّت منهم تعباني

كما تحفل رسائل المهاجرين اليافعيين في الهند بمشاعر الشوق لوطنهم وأهلهم والسؤال المستمر عن أحوال الأهل وأخبار البلاد والعباد، والعتب عليهم من انقطاع الرسائل التي تفرج عن المهاجرين بعض ما هم فيه من ضيق الغربة التي عبر عنها أحدهم بقوله: «ولا كان المسهون منكم بقطع الخطوط لحيث ما مع الغايب من الغايب إلا وجهه يا خطه ولحيث إذا وصلنا كتاب منكم يروح منا كل هم ويفرج علينا بعض ما نحن فيه من ضيق حيدر عباد، لحيث نحن في حيدر عباد ظاهر والقلب عندكم وانتوا ما معكم خبر في فكر الغربة، ولكن مقادير الله تصل حدها ولا دريت انا با أحلم ما نمت لحيث الواحد يدخل بشف نفسه والمندار بشف غيره وحكم الله، والمدخل سهل والمخرج عسر منها، ولكن راجين من الله ببركة دعاكم أن يجمع الشمل بيننا وبينكم قريب ليس بعيد، لحيث ضاق خاطري من مقعد حيدر عباد»[1].

وفي وصف حب الوطن والاعتناء بتعميرها كتب أحدهم يقول: «كتبت هذه الأسطر من حيدر أباد الدكن إلى بلد المبارك جبل يافع بل أقول له نافع.. وإذا أراد الله فإني واصل إلى جنابكم، ويلزم لك أنك تكون مجتهدًا من غاية الاجتهاد وفي تعمر الأرض الذي معك قسمك وقسمي – ما أنا طالب منك في شيء كثير والا قليل، ولكن إني طالب منك أن تقوم الاسم آباءنا وأجدادنا ونكون أحسن العباد حتى أسمع عن أحوالك وأفرح به،

(1) من رسالة عبدالرب محمد بن صالح عوض الحاج..مقطوع التاريخ ولعلها تعود إلى النصف الثاني من عشرينات القرن الماضي.

وانا أدعي لك صباحًا ومساءً، والله الله في الأرض تكون عامرة ليس عامرة، وكان الله معك صاحبًا ورفيقًا فقط»[1].

ومن مظاهر الارتباط بالوطن الارتباط الأسري بين المهاجرين وأهلهم وذويهم وتتبع أخبارهم في الداخل والخارج، ومعرفة من توفي منهم، ومن ذلك وفاة علي بن محمد أحمد العبادي وعبدالرحمن بن محمد حامد العبادي في مكة سنة 1309هـ، والحض على رعاية الأيتام الصغار والاحتفاظ بأموالهم والاعتناء بشكل خاص ببنات المتوفى علي، وأن يكونين من نصيب أبناء عمهن[2]. ثم يسأل عن مصير بنات أخيه في رسالة أخرى سنة 1323هـ ومن الذي تزوجت ومن الذي لم تتزوج بعد، ويحذرهم من أن يصل إلى مسامعه أي خبر سيء (فسل)[3]. ثم يخاطب في العام التالي 1324هـ ابن أخيه الذي لم يتزوج بعد، ويعرض عليه هو وأخوه الزواج من بنات عمهم المتوفى علي إذا كان لديهم رغبة وقبول، ما لم فممن تهوى أنفسهم، ويحثهم على رعاية بنات

(1) من رسالة أحمد بن محمد عبادي محررة 1333/ 6/ 1هجرية/ 1915/ 4/ 28م.

(2) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء محمد أحمد العبادي، 21جماد أول سنة 1309هجرية جاء فيها: «فصل يا أخ أحمد وصل كتاب للأخ محمد علي من مكة المشرفة من أخيه أحمد وعرفوا لنا بوفاة من قدس الله أرواحهم إلى الجنة الأخ علي بن محمد أحمد، والأخ عبدالرحمن بن محمد حامد، نقول الله يرحمهم رحمة الأبرار ويسكنهم جنات القرار وهذا سبيل الدنيا ونحن اشتقينا جم جم عليهم لاكن قضاء الله ما له راد وقدك يا صنو أحمد الله الله ثم الله الله عليك بالله ورسوله إن كان عادك تعرف المخوة وما هو لليتيم في احتفاظ مال الأخ علي لعياله لعاد تضيعون اسمنا الاشق والله الله الجهد فيهم تنظر بناته مثل بناتك وقدهن إن شاء الله لعيالك (أي من نصيبهم) ولا عاد نزيدك في ذلك تأكيد لحيث وقدك أبوهن محل أبوهن وأنت الحاضر ونحن الغايبين».

(3) ناصر بن محمد بن أحمد بن خلف العبادي، حرر سلخ جماد الثاني سنة 1323هجرية/ 1 سبتمبر 1905م جاء بالنص: «وأيضًا الله الله في بنات الأخ علي وكيف القيتوا؟..من الذي تزوجت ومن الذي عادها؟ عرفوا لنا بجميع الأحوال كان الله معنا ومعكم صاحبًا ومعينًا والحذر ثم الحذر نسمع بخبر فسل من كل حال ومن علمكم خطأ. ونحن إن شاء الله مبلغين الجهد من طرفكم بكل حال بكل ما نقدر عليه».

عمهم الأيتام[1].

ومن شواهد الارتباط بالوطن الاهتمام بالحفاظ على النسب الأسري أو (النسبة) الذي تزداد الحاجة إليه لدى أولئك الذين تزوجوا هناك وخلفوا أولادًا في المهجر حتى يظل أبناؤهم وأحفادهم على دراية بأصلهم وامتداد شجرة نسبهم. ففي رسالة من مهاجرَين يطلبان من أخيهما في يافع الاعتناء بإرسال شجرة نسب العائلة بنقلها ممن يحتفظ بها على أن تكون مفصَّلة، ويعتبان عليه لعدم اهتمامه بذلك الأمر بعد أربع رسائل بعثا بها إليه يطلبان منه ذلك، ويعتبران يوم وصولها أعظم فرحة حتى لا يضيع أولاده[2]. ولأن الأخ لم يتجاوب مع طلبهما فقد توجها برسالة أخرى إلى أبناء أخيه

(1) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء المرحوم الشيخ محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر 11 جماد الثاني سنة 1324هجرية/ 2 أغسطس 1906م، يقول فيها: «ومن طرف أنت يا ولد محمد فلا هو واجب منك تتمّي[لهجة حضرمية] من غير زواج إلى حال التاريخ إن كان وأنت فرحان أنت والولد حسين في بنات عمك علي فهو المنى والمقصود وإن كان قلوبكم ما هي ريِّضة حيث تهوى أنفسكم وبنات عمكم علي لا تعطونهن إلا كفاءهن إذا ما انتوا طربانين بهن فقدكم الله الله بهن لحيث من بغى جبرنا يحب بنات الأخ علي يوم هن أيتام والا كله العذل عذلنا وعارنا الجميع».

(2) من رسالة ناصر بن محمد بن أحمد بن خلف العبادي، محررة سلخ جماد الثاني سنة 1323هجرية/ 1 سبتمبر 1905م إلى أخيه أحمد بن محمد بن أحمد خلف وكذلك الولد المبارك محمد بن أحمد بن محمد آل باعباد، يقول فيها: «كذلك يا أخ أحمد عليك بالله اعتن من طرف النسبة حقنا الذي هي عند بن عبدالله أبوبكر أو هي عند عيال الفقيه وتكون مفصلة. أما الذي أرسلتوها إلى عند أحمد حسين ما عليها عمد كلها غلط ولا هي نسبتنا الذي نحن عليها اتعب عليها كمّن يوم لحتى تفصلها وتصدرها لحيث نحن محتاجين لها وكل ما كتبنا لك ما تعوّل عليها ولا ترد لنا بذلك جواب ما هذا (هاذا) المسهون منك الله الله بذلك الحذر الغفلة من ذلك لحيثها أعظم فرحة عندنا لحيث أولادنا با يضيعون ونحن لنا بها مطلب في أرض الهند لحيث الذي كانت معنا ضيعناها عمى معاد لحقنا لها أثر من أجل ذلك عرفنا لك وعنيناك بذلك وأنت كل ما كتبت لنا معاد تذكر لنا بكلمة واحدة من جناب النسبة وهذا قده رابع خط وأنا أعرف لك بذلك الله أعلم إنك يوم تكتب لي معاد تعول على الخطوط الذي بتلها لك وعرفت لك بها من جناب النسبة ونحن ما طلبنا منكم إلا ورقة نسبة حقنا ما يجب منك هذا التهوين في هذا الحال الله الله العنوة بذلك والسلام».

يطلبا منهما أن يحثا والدهما لكي يعتني بإرسال نسب العائلة، وأي خسارة سيتكفل بإرسالها لهم[1]. ويبدو أن عدم الاهتمام بإرسال (النسبة) قد فاقم الغضب لدى المهاجرَيْن جراء ذلك الإهمال وعدم تجاوب أو تعويل الأقرباء إلا مع ما لهم مصلحة فيه، وهددا بأنهما لم يعدا بحاجة منهم لذلك وسيطلبان من غيرهم القيام بالمهمة مهما كلفهما ذلك من ثمن[2].

أحداث مهمة تؤرخها المراسلات:

تعد المراسلات مصدرًا تاريخيًا للأحداث التي دونتها بالصدفة والتي قد لا نجدها في غيرها من المصادر، ورغم أنها كتبت بلهجة غير فصيحة وبدون تفاصيل إلا أنها غنية بمحتوياتها من الحقائق والوقائع التاريخية التي تفيد الباحث المختص عن أحداث الهند أو يافع.

فمن أحداث الهند ومن رسالة بعث بها أحد المهاجرين من بلد حيدر عباد سنة 1257هـ نعرف عن الأوضاع المتردية والمواجهات بين العرب والفرنج، حيث يقول

---

(1) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء المرحوم الشيخ محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر 11 جماد الثاني سنة 1324هجرية/ 2 أغسطس 1906م إلى محمد وحسين أبناء أخيهم أحمد بن محمد بن أحمد خلف آل باعباد، جاء فيها: «ومن طرف النسبة يا أولاد قد عرفنا لوالدكم يعتني بها الحذر تخلونه يكسل أو يهوِّن بها لحيث عليها حظ وما خسرتوه عليها نحن با نصدره لكم فوق الإرسال الذي با نصدِّر لكم طيبوا خواطركم وإذا قد حصلت النسبة تكون في بطن كتابنا خاص والعلوان على اسمنا وأكدوا على الذي با تصدرونها بيده من آل الشيخ علي لحيث ما ينقطعون».

(2) من رسالة ناصر وعبدالله أبناء محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر يوم 29شوال سنة 1325هجرية/ 5 ديسمبر 1907م إلى أخيهما أحمد ابن الوالد المرحوم الشيخ محمد بن أحمد بن خلف العبادي جاء فيها: «وأيضًا من شان النسبة حقنا كم عرّفنا لك ولا يوسف ولا قميصه، ما تذكرون إلا ذي يصلحكم والذي يصلحنا ما عولتوا عليه، نقول لا حول ولا قوة إلا بالله، با نرد نكتب لحد من أهل الرباط لو باتقع عليها خسارة ثلاثة أربعة قروش، ردّيت أنا والولد محمد نتضارب يوم ماشي جاء منكم بها جواب ما هذا المسهون لا عاد تسهنوا الولد محمد شي ان ما جات النسبة هو المحضّ عليها ما نحنا معاد بغيناها تجي والا لا تجي».

بالنص: «وإن سألتوا عن أخبار الهند فالهند مربوش (مضطرب) في هذا الوقت وأكثر الربش (الاضطراب) ما بين العرب والفرنجي، وباقي أخبار الهند بلسن الواصلين إليكم كفاية»[1]. وفي رسالة أخرى بعد سبع سنوات على الأولى نعرف أنه في يوم الثلاثاء 20 عاشور (محرم) 1264هـ حدثت اشتباكات (هَدَّه) بين المسلمين والروافض (الرفاظ) وقتل من المسلمين أربعة أشخاص وهرب الروافض، ثم تصالح الناس، وأخبار حيدر عباد غير جيدة (مربوشة) ولم تعد كما كانت[2].

ومن أخبار سنة 1275هـ نعرف عن حدوث هدنة بين السلطان أفضل الدولة بن ناصر الدولة وبين الإنجليز (الفرنج). أما أخبار الفرنج فحدث بينهم وبين مولى دلي (دلهي) معركة عظيمة ويقال أن النصر مع المسلمين[3].

ومن أخبار سنة 1329هـ حدوث مرض عظيم في حيدر أباد تسبب بوفاة حوالي (لاك) أي مائة ألف شخص من المسلمين وغيرهم (الكفار) ولا أحد يعرف هذا المرض، وممن توفي بسببه المهاجر أحمد بن ناصر بن محمد بن أحمد بن خلف

---

(1) من محفوظات الشيخ محمد حسين العاقل بن دينيش البكري.

(2) من رسالة الجمعدار (أبوبكر) عوض بن علي عوض عمر الفتح الخلاقي مؤرخة 22عاشور (محرم) 1264هـ.

(3) من رسالة عبدربه بن صالح بن عوض الحاج الخلاقي الموسطي اليافعي، مؤرخة في سلخ ربيع ثاني سنة 1275هجرية ومرسلة إلى إخوانه في خلاقة، يقول فيها بالنص: «وإن سألتوا عن أخبار السلطان أفضل الدولة بن ناصر الدولة، زينة وأخباره هو والفرنجي مصطلحين، نقول عسى الله يهديه ويطرح الرحمة في قلبه للمسلمين. وإن سألتوا عن أخبار الفرنجي مربوش هو والناس وهو ومولى دِلِي (أي دلهي) وقع بينهم هَدَّه عظيمة، وخذ عليه البلاد مولى «دلي» حسبما تبلغكم الخطوط والأخبار، وكذلك باقي أهل الملاك قاموا عليه حسبما تبلغكم الخطوط والأخبار ويقولون النصر مع المسلمين، نقول عسى الله ينصر القوم المسلمين على القوم الكافرين».

العبادي ووالدته شايعة بنت حسين[1].

ونعرف من رسالة أخرى سنة 1332هـ أن حيدر أباد قد عانت من قحط شديد لا يمكن وصفه، استمر مدة14عامًا عجافًا، عم بسببه الغلاء وتضاعفت الأسعار، فالطعام الذي كان سعره بربية تضاعف ثلاث مرات، وقس على ذلك بقية المواد، وفي ذلك العام هطلت الأمطار حسب العادة وبقي صلاح قلوب الناس[2].

ومن أخبار يافع نعرف من مضمون رسالة أحد المهاجرين في حيدر أباد سنة 1316هـ على ما بلغه من أخبار الجفاف والقحط الذي عمَّ في يافع، وأن أكبر ضرر (جعث) كما بلغه وقع في خلاقة وفي بني بكر، وبسبب ذلك مات كثيرون

---

(1) من رسالة ناصر بن محمد وعبدالله أبناء المرحوم الشيخ محمد بن أحمد خلف العبادي، محرر 5 جماد الثاني سنة 1330هـ يقول فيها: «فصل يا أخ أحمد وقع مرض عظيم في حيدر أباد بعدما سافرنا الحج وفاته أمة عظيمة من أهل البلد قريب لاك (أي مائة ألف)نفس مسلمين وكفار ما حد يعرف هذا المرض لنا ولكم منه السلامة والذي نعلمكم به من شان ولدنا المبارك أحمد بن ناصر بن محمد توفى إلى رحمة الله العزيز بتاريخ يوم الاثنين 12 الحجة سنة 1329هجرية ولا نقول إلا ما قالوه الصابرون إنا لله وإنا إليه راجعون، وربنا يخلف علينا بخلف صالح ولا يحرمنا الأجر إن شاء الله. وهي ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت قد كان أحب أولادي إليَّ لأنه كان من الصالحين، ولكن الحمد لله على قضاه. وكذلك والدته شايعة بنت حسين زوجتي توفت بعده بشهرين زمان رحمها الله الحمد لله على كل حال حبينا إعلامكم بذلك واعفوا عنا من بطأ الجواب لحيث يا أخ أنا بعض الأوقات تسير حواسي خصوصًا على الولد أحمد بن ناصر وطالبين منكم الدعاء بالصبر وحُسن الخاتمة لحيث معاد أنا من حيث ما تعسا وتعلم».

(2) من رسالة عبدالله بن محمد ومحمد بن ناصر بن محمد أحمد خلف آل باعباد 9رمضان 1332هجرية يقول عن خبر عن القحط في حيدر أباد: «وإن سألتوا عن أخبار حيدر أباد بهذه الأيام ساكن والأسعار شاحية جم جم قد لنا مقدر 14سنة ونحن في قحط ما نقدر نصف لكم ذي نوخذ من أول بربية طعام وغير ذلحين 3ربية والأمطار بهذه السنة مطر العوايد لله الحمد والشكر معاد إلا باقي صلاح قلوب عباده نسأل الله اللطف لنا ولكم ولجميع المسلمين»..

ورخصت قيمة الأراضي الزراعية[1].

وتكشف لنا رسالة تعود إلى سنة 1333هـ/ 1915م عن الحروب التي دارت بين يافع والزيود، والتي تزامنت مع أحداث الحرب العالمية الأولى، ومحاولة الأتراك الوصول إلى عدن، وقد استغل الإمام الزيدي يحيى بن حميد الدين الفرصة وحاول الوصول إلى أطراف يافع، لكنه مني بهزيمة قاسية وعاد على أعقابه، وهو ما جعل صاحب الرسالة يذكر الانتصار الذي بلغه ضد الزيود ويجعله يحمد الله ويفرح غاية الفرح[2].

الخلاصة:

إن هذه الدراسة تكتسب أهميتها بتفردها في دراسة أحوال وشؤون المهاجرين اليافعيين إلى الهند منذ القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين في ضوء وثائق ومراسلات أصلية تنشر لأول مرة، وهي تكشف عن جوانب خفية وحلقات مجهولة من تاريخ المهاجرين، كاد أن يطويها النسيان، وتبين ظروف

---

(1) من رسالة عبدالرب بن صالح عوض الخلاقي، محررة في 27محرم سنة1317هـ يقول: «وعرف لنا بالشدّة والقحط وفي من مات من أهل خلاقة وغيرهم نقول الله يلطف بجميع عباده ويبدل بعد العسر يسرا. وكذلكم قد وصلتنا أخبار ويذكرون أن أكبر جعث وقع في خلاقة وفي بني بكر ولا صفية لنا الأخبار إلا بخط محمد سالم وخطكم المؤرخ 15شعبان سنة 1316هـ وصل لدينا وعرفنا لما ذكرتوه الجميع فيه.. وقد عرف لنا محمد سالم أن القضاة أمراض والكاتب ما تحصل... كذلكم يا أولاد ذكرتوا لنا أن البلد وصله من عشرين كاس حب الحبل ولا حصل المشتري وانتوا صدرت إليكم اربعمئة وعشرين قرش بيد محمد سالم ولا بينتوا مضل مع رخص البلد ولا درينا أكلتوها يا كسبتوا بها».

(2) من رسالة أحمد بن محمد عبادي، 1333/ 6/ 13هجرية/ 1915/ 4/ 28م يقول: «ونحن سمعنا ورأينا في الخطوط الذي أرسلت من جنابكم في الحروبات الذي وقعت بين الزيدي ويافع - الحمد لله الذي نصركم على أعدائكم فرحنا غاية الفرح من هذا النصر والفتح كان الله معكم بكرة وأصيلا. ولكن ندعو ونرجو أن الله يرفع ويزيل هذا البلاء عنكم لأن من هذا الشر يلزم النقص في الإسلام ويستنفع من هذا غير مسلم، الله يحفظ الإسلام ويصفي هذا الشر وغيره آمين».

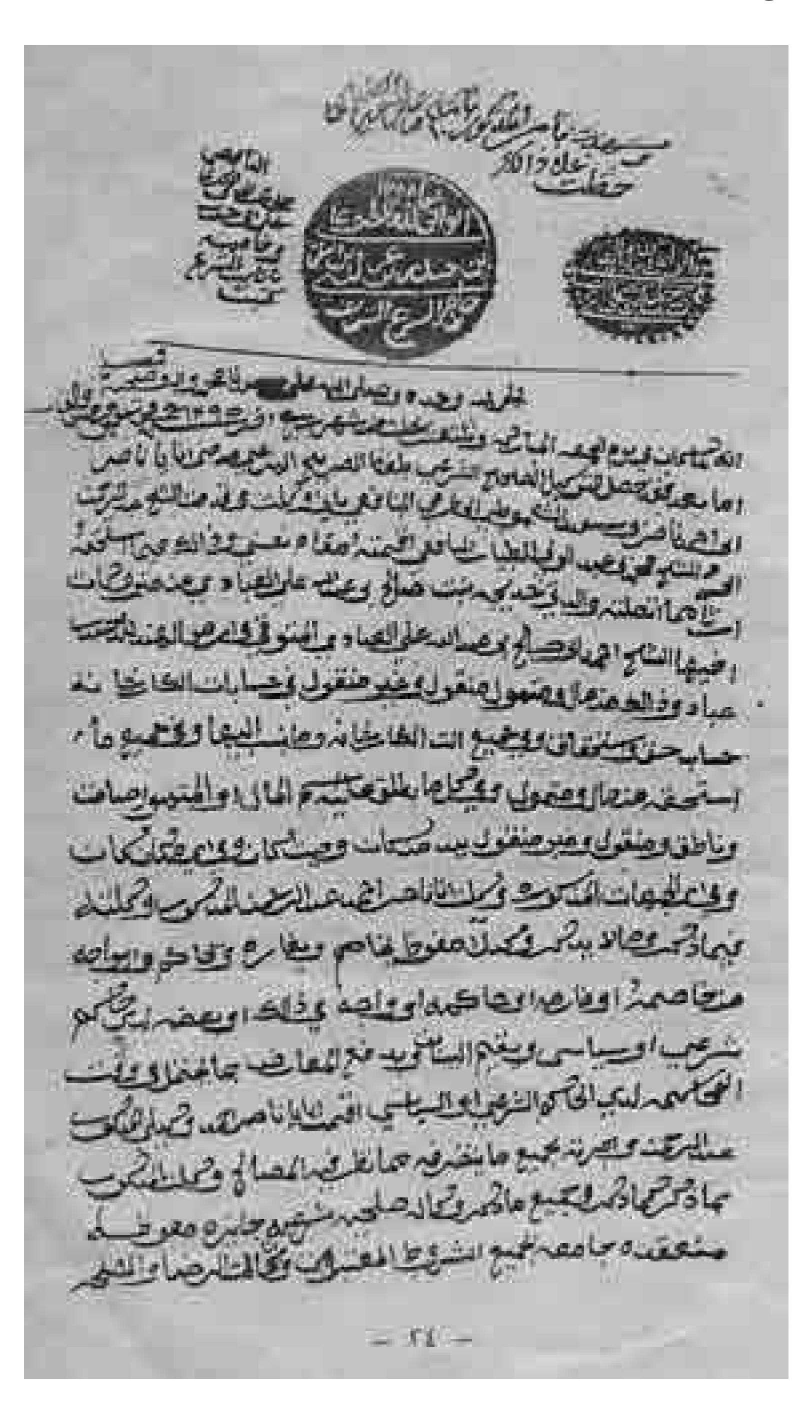
هجرتهم وأسبابها التي تعد اختيارية وفردية وأهم دوافعها اقتصادية بحتة بهدف كسب الرزق، وقد تكون حافزًا للدفع بآخرين من الأسرة أو الأسر الأخرى لاسيما عند إحراز نجاح، فبوجود عوامل الجذب فإن الرعيل الأول من المهاجرين يستدعون أقربائهم؛ إما لمساعدتهم أو للحاق بهم لتحسين أحوالهم المعيشية. ونتعرف على طرق سفرهم ووسائله، وصعوبات الوصول في عرض البحر، وكيفية تقبلهم وضعهم وعملهم في موطن الاغتراب وظروف معيشتهم، وارتباطهم الحميم بوطنهم، وتواصلهم مع أهلهم، واستمرار دعمهم، والتعرض لتأثيرهم الاقتصادي والاجتماعي في يافع، وغير ذلك مما يمكن استخلاصه من مضامين هذه الوثائق الثمينة والنادرة التي تكشف جوانب خفية عن حقبة المهجر الهندي، بما في ذلك ثقلهم العسكري والاقتصادي على موطنهم الأصلي، وكيفية اندماجهم في مجتمعاتهم الجديدة، وتأثير هجرتهم الطويلة على أسرهم، لاسيما الزوجات والأمهات اللاتي يعشن خلال سنوات الاغتراب في ترقب وشوق لعودة المهاجرين، ولعل الزوجات هن أكثر انتظارًا لعودة أزواجهن اللاتي تزداد معاناة بعضهن، فوفقًا للتقاليد فإن أعمال حراثة الأرض وزراعتها عمل من اختصاص الرجال، لكن عملية التنقل والهجرة تغير الظروف تغييرًا جذريًا، فعندما يعمل الرجال في أماكن اغترابهم البعيدة عن أسرهم، فإن النساء يضطررن للتكيف والقيام بأعمال رجالهن المهاجرين، أو المتوفين في مهاجرهم أو ممن يطول انتظارهم وتنقطع أخبارهم، حيث يغيب البعض لسنوات طويلة وقد يرتبط بالزواج من هنديات مسلمات.

ورغم عيشهم في مهاجرهم واستقرار كثيرين منهم واندماجهم بالتزاوج إلا أنهم يحافظون على تقاليدهم التي تكون لها سلطة قوية في إملاء معايير السلوك والآداب الاجتماعية، ولذلك يظل اليافعي محافظًا على تراثه وعاداته وتقاليده، وهو ما يفسر حب المهاجرين منهم لمسقط رأسهم وتعلقهم بأهلهم وقومهم وعشيرتهم.

كما تقدم هذه الدراسة من خلال الوثائق والمراسلات تفاصيل قيمة عن جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية، والعلاقات الأسرية والمشاكل الاجتماعية، والتأثير الواضح للمهجر الهندي على جوانب الحياة العامة في يافع في تلك الحقبة، وكذا الترابط الوثيق والتقارب بين الحضارم واليافعيين في مهجرهم، علما أن هذه الدراسة لم تتعرض لليافعيين الحضارم.

ختامًا يلزمني الوفاء أن أزجي جزيل الشكر لكل من ساعدني في الحصول على الوثائق والمراسلات عن حقبة المهجر الهندي التي كانت المادة الرئيسة لهذه الدراسة، وأخص بالذكر هنا: ناصر علي محمد بن عزالدين البكري، محمد علي بن خلف العبادي، عزالدين عبدالله محمد عبدالله بن عزالدين البكري، الشيخ قاسم صالح دينيش البكري، الشيخ محمد حسين العاقل بن دينيش البكري، صالح بن صالح الجليل الخلاقي، عبدالله سالم أحمد بن عبد سالم البكري، محمد صالح السنيدي، وصلاح أحمد حسين الواحدي، ولا أنسى من توفاهم الله وعلى رأسهم والدي الحاج صالح عبدالرب يحيى بن سكران الخلاقي، وقاسم صالح بن صالح عمر بن سكران الخلاقي (رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته). وأرجو أن تكون هذه الدراسة حافزًا لكل المعنيين بتقديم صور مما لديهم من وثائق ومراسلات عن حياة المهاجرين سواء في الهند أو في غيرها من المهاجر التي ينتشر فيها اليافعيون لتوسيع إطار هذه الدراسة وإصدارها في كتاب توثيقي موسع إن شاء الله.

الملاحق:















الأغنية اليافعية المهاجرة:
أبو معجب اليافعي إنموذجاً

د. سعيد محمود بايونس
كلية التربية - جامعة أبين

مقدمة:

الناظر إلى التراث الشعبي اليافعي من جهة الإيقاعات، ومن جهة الشعراء، يثبت اليقين في قلبه أن الأغنية اليافعية بلغت شهرتها بسبب انبثاقها من هذه الأصالة الفنية؛ حيث في كل قرية «رقص وغناء وتعبير عن السلام الذي يعيشونه»[1].

يقال بأن عدد البرعات والرقصات في يافع تتجاوز الثلاثة والعشرون برعة ورقصة[2]، والبرع رقصة جماعية من اثنين إلى ثمانية، وتؤدى على ضرب (الطاسة) أو الطبل والناي (المزمار)، وهي تعتمد على حركة الأرجل، ويمسك البارع السلاح الأبيض بيد، والسلاح الناري باليد الأخرى[3].

و»في أثناء بحوثنا والتنقيب عن جزء من التراث في (سرو حمير) وجدنا أغاني وألحان يزيد عمرها عن (450) عامًا»[4]. والأغنية اليافعية «تكاد تكون معاصرة للأغنية الصنعانية، فهي أذن أقدم من الأغنية اللحجية والحضرمية»[5].

---

(1) مقالات ودراسات عن مديرية يافع وتاريخها، كتبها مجموعة من الكتاب الصحفيين، (محمد عمر بحاح)، دار الفارابي، بيروت، 1985م، ص (72).

(2) ينظر: مقالات ودراسات عن مديرية يافع، (محمد عمر بحاح)، ص (73).

(3) ينظر: النور الساطع والدر اللامع في أخبار يافع، مسعود طالب جبران، مركز عبادي، صنعاء، ط1، 2009م، ص (199).

(4) النور الساطع والدر اللامع في أخبار يافع، مسعود طالب جبران، ص (184).

(5) مقالات ودراسات عن مديرية يافع وتاريخها، كتبها مجموعة من الكتاب الصحفيين، (محمد سعيد جرادة)، ص (44).

هذه بيئة المؤسس العبقري يحيى عمر اليافعي، وهذه إرهاصاته التي استلهم منها «وجوده الراهن ومن ألحان بيئته، ما أبدع منها خلقًا متكاملًا طبعه باسم (الغناء اليافعي)»[1]. ويعود الفضل له «في إحداث النقلة النوعية في تاريخ الأغنية اليافعية»[2].

حيث إن معظم الألحان اليافعية «مبنية على إيقاع رقصة البرع المعروفة بخفة الحركة»[3].

أشعار يحيى عمر المغناة:

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
أبلاني الله بحب اثنين[4]	علي بن جابر اليزيدي	علي بن جابر اليزيدي	صوت الهاشمي قال
العشق حالي[5]	علي بن جابر اليزيدي	علي بن جابر اليزيدي عبدالحميد حسين	صوت رسولي قوم
عذبت النفوس[6]		علي صالح اليافعي عبداللطيف الكويتي	صوت الهاشمي قال
يوم السعادة والافراح[7]		عبدالله بو حمدي	تراث يافعي

---

(1) مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر (أبو معجب اليافعي)، د. سعودي علي عبيد، دار جامعة عدن، ط1، 2005م، ص (13).

(2) شل العجب شل الدان، ديوان يحيى عمر اليافعي (أبو معجب)، ودراسة عن حياته وأشعاره، د. علي صالح الخلاقي، ط3، ص (26).

(3) من الغناء اليمني، قراءة موسيقية، عبدالقادر قائد، إصدارات وزارة الثقافة، صنعاء، 2004م، ص (385).

(4) شل العجب شل الدان، ص (184).

(5) شل العجب شل الدان، ص (133).

(6) شل العجب شل الدان، ص (87). اسمها في الديوان (الغزال اليفرسي).

(7) شل العجب شل الدان، ص (72). اسمها في الديوان (شفت خلي بدا لي).

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
ترعين في حد من[8]		علي بن جابر اليزيدي	تراث يافعي
بعد الآن شل الدان[9]	علي بن جابر اليزيدي	علي بن جابر اليزيدي عبود الخواجة[10] إبراهيم حبيب محمد جمعة خان[11]	تراث يافعي تراث يافعي اللحن خليجي
يا نفس اقنعي[12]		علي بن جابر اليزيدي	
خرج باشة الغيد[13]		علي بن جابر اليزيدي	(اليوم ذا يوم عيد) بدل (قولوا لهادي سعيد)
لا بندر عدن[14]		علي صالح اليافعي	
والله ما دريت[15]		علي صالح اليافعي عبود الخواجة محمد علي القديمي	لون يافعي ركبت عليه كثير من القصائد في الخليج.

(8) شل العجب شل الدان، ص (117). اسمها في الديوان (يا رويعيه).

(9) شل العجب شل الدان، ص (146 – 148). اسمها في الديوان (يحيى عمر شل الدان).

(10) حفلة صوت الريان قطر.

(11) ينظر: مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر، د. سعودي علي عبيد، ص (16).

(12) شل العجب شل الدان، ص (188). اسمها في الديوان (يا نفس اقنعي).

(13) شل العجب شل الدان، ص (149). اسمها في الديوان (ظبي عديد).

(14) شل العجب شل الدان، ص (106). اسمها في الديوان (إلى بندر عدن).

(15) شل العجب شل الدان، ص (153). اسمها في الديوان (والله ما دريت).

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
يا طرفي لمه تسهر[16]		علي صالح اليافعي	
		محمد مرشد ناجي	
		محمد عمر	
		محمد حمود الحارثي	
		إبراهيم الماس	
		محمد علي سندي	فن الصوت
		عبود الخواجة	
		رمزي محمد حسين	
		حسين محب	
		صدام الحاج	
الجوف امتلا[17]		علي بن جابر اليزيدي	
		عبود الخواجة	
ما احسن لوله[18]		علي صالح اليافعي	
أمانة يا هنود[19]	عبود الخواجة	عبود الخواجة محمد بن فارس	أضاف لها أبيات غير موجودة في الديوان

(16) شل العجب شل الدان، ص (116). اسمها في الديوان (يا طرفي لمه تسهر).
(17) شل العجب شل الدان، ص (161). اسمها في الديوان (بندر عدن والمكلا قسم ذا).
(18) شل العجب شل الدان، ص (115). اسمها في الديوان (ما أحسن لوله).
(19) شل العجب شل الدان، ص (154). اسمها في الديوان (أمانة يا هنود).

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
قف يا زين[20]		حمد الخليفة	فن الصوت
		ضاحي بن وليد	فن الصوت
		سالم راشد الصوري	الإيقاع اليافعي
		عبود الخواجة	الإيقاع اليافعي
		ناصر بو عوض	فن الصوت
		نوف التناك	فن الصوت
		محمد عبده	
		سلمان العماري	فن الصوت
		علي بن محمد	
		عبدالمنعم العامري	الإيقاع اليافعي
سمرة على عنبر وطيب[21]		عبود الخواجة	(يا الله بسمرة على عنبر وطيب) هذه اللازمة غير موجودة في نص الديوان

(20) شل العجب شل الدان، ص (137). اسمها في الديوان (قف يا زين).

(21) شل العجب شل الدان، ص (120 – 121). اسمها في الديوان (المحبة رضا ما هي زنيد).

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
اغنم زمانك[1]		فيصل علوي	فن الصوت
		إبراهيم علي	صوت شامي
		أحمد النجدي	صوت أحمدي
		صلاح حمد خليفة	فن الصوت
		سلمان العماري	فن الصوت
		إبراهيم الخشرم	فن الصوت
		محمد التناك	صوت شامي
		محمد أبو نصار	إيقاع يافعي
من كم هذا العسل[2]		عوض المسلمي	إيقاع يافعي
سالك بمن أركانه اربع[3]		عوض المسلمي	إيقاع يافعي
مياس القوام أقبل[4]		محمد التناك	فن الصوت
ما شان المليح[5]		محمد بن فارس	فن الصوت
		طلال مدح	لحن خليجي
		جمال العثمان	فن الصوت
محبوبي نقض عهده[6]		محمد زويد	فن الصوت
		يوسف الجده	

(1) شل العجب شل الدان، ص (210). اسمها في الديوان (اغنم زمانك).
(2) شل العجب شل الدان، ص (145). اسمها في الديوان (هذا العسل من كم؟).
(3) شل العجب شل الدان، ص (109). اسمها في الديوان (مفارق لي سنين اربع).
(4) شل العجب شل الدان، ص (97 – 101). اسمها في الديوان (اشرب جبا لك وهذا كأسك العشرون).
(5) شل العجب شل الدان، ص (159). اسمها في الديوان (ما شان المليح).
(6) شل العجب شل الدان، ص (168). اسمها في الديوان (محبوبي نقض عهده).

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
يا الله يا عالم المستور[1]		محمد زويد	فن الصوت.
		سلمان العماري	فن الصوت
في البندر سكن ودي[2]		محمد زويد	فن الصوت
بالباكر خرج[3]		محمد زويد	فن الصوت
		نواف التناك	فن الصوت
العشق داهي وقلاب[4]		محمد بن فارس	إيقاع كويتي (قال بو ناصر العشق).
		عبدالمجيد عبدالله	
قلبي تولاه الطمع[5]		محمد مرشد ناجي	
		عبود الخواجة	
ما هز ريح الباكر[6]		عبود الخواجة	
ليت الهند في يافع[7]		علي صالح اليافعي	
		عبود الخواجة	
يا رب سالك بطه ثم نون[8]		سالم راشد الصوري	صوت الهاشمي قال
		محمد عبده	

(1) شل العجب شل الدان، ص (171). اسمها في الديوان (يوم النور).
(2) شل العجب شل الدان، ص (135). اسمها في الديوان (في البندر سكن وجدي).
(3) شل العجب شل الدان، ص (189). اسمها في الديوان (بدر البدور).
(4) شل العجب شل الدان، ص (187). اسمها في الديوان (الوقت قاسي وقلاب).
(5) شل العجب شل الدان، ص (129 – 130). اسمها في الديوان (قلبي تولاه الطمع).
(6) شل العجب شل الدان، ص (179). اسمها في الديوان (يا مرحبا ما هز ريح الباكر).
(7) شل العجب شل الدان، ص (110). اسمها في الديوان (ليت الهند في يافع).
(8) شل العجب شل الدان، ص (176 – 177). اسمها في الديوان (للعشقة فنون).

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
بين المحبين تجمع[1]		سالم راشد الصوري	فن الصوت
		سلمان العماري	فن الصوت
من ماته امه[2]		علي صالح اليافعي	
العيد اجى[3]		علي صالح اليافعي	صوت الهاشمي قال
الهندي عليه العلامة[4]		علي صالح اليافعي	
حاكني وا سيد بوك[5]		علي صالح اليافعي	
نبدا بمن ينقذ[6]		علي صالح اليافعي	
دلوني عليك[7]		علي صالح اليافعي	صوت (والله ما دريت)
يوم النور[8]		علي صالح اليافعي	
يحيى عمر قال قمري[9]		أحمد النجدي	فن الصوت
يحيى عمر قال أنا والقلب[10]		إدريس خيري	فن الصوت غناها في عام ١٩٧٠م

(1) شل العجب شل الدان، ص (183). اسمها في الديوان (لا حد يلوم المولع).
(2) شل العجب شل الدان، ص (107 – 108). اسمها في الديوان (من ماتت أمه تقنع).
(3) شل العجب شل الدان، ص (144). اسمها في الديوان (هذا العيد جاء).
(4) شل العجب شل الدان، ص (155). اسمها في الديوان (ذا الهندي عليه العلامة).
(5) شل العجب شل الدان، ص (142 – 143). اسمها في الديوان (قم حاكني وا سيد بوك).
(6) شل العجب شل الدان، ص (196 – 197). اسمها في الديوان (يحيى عمر قال كنت زاجي).
(7) شل العجب شل الدان، ص (124). اسمها في الديوان (دلوني عليك).
(8) شل العجب شل الدان، ص (171). اسمها في الديوان (يوم النور).
(9) شل العجب شل الدان، ص (139). اسمها في الديوان (قمري البان).
(10) غير موجودة في الديوان.

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
دمعي سال[1]	محمد مرشد ناجي	محمد مرشد ناجي	إيقاع يافعي
		سلمان العماري	فن الصوت
على شاطئ الوادي[2]		علي صالح اليافعي	إيقاع يافعي
		عبود خواجة وبلقيس	
يا الله لا نموت[3]		سبت صالح	فن الصوت
قال الفتى خو مسلم[4]		رمزي محمد حسين	إيقاع يافعي
		محمد صالح عزاني	الليوه
		عبود الخواجة	شرح لحجي
		خالد الملا	شرح بدوي[5]
		عثمان الردفاني	
		أحمد النجدي	فن الصوت
		علي بن روغة	فن الصوت
		حمد خليفة	فن الصوت
يحيى عمر قال ذا العاني[6]		محمد عبده	
يا الله يا من على العرش اعتليت[7]		محمد علي سندي	خليجي

(1) شل العجب شل الدان، ص (111 – 114). اسمها في الديوان (دمعي سال).

(2) شل العجب شل الدان، ص (126 – 128). اسمها في الديوان (على شاطئ الوادي).

(3) شل العجب شل الدان، ص (136). اسمها في الديوان (ما قصدي إلا راحتك).

(4) شل العجب شل الدان، ص (174 – 175). اسمها في الديوان (طول الوقت متسلي).

(5) ينظر: مدونة جمال السيد، صوت يافعي: قال الفتى خو مسلم، 29/ 4/ 2014م.

(6) غير موجودة في الديوان.

(7) ينظر: شل العجب شل الدان، ص (131). اسمها في الديون (وا سيدي لمه). وينظر: شل العجب شل الدان، ص (150). قصيدة (طاب الهوى).

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
اليافعي قال[1]		نواف التناك	فن الصوت
		محمد التناك	فن الصوت
يحيى عمر قال البارحة[2]		محمد حمود الحارثي	إيقاع صنعاني مع الصحن
		فؤاد الكبسي	قال ابن جعدان
شليت العجب[3]	يحيى عمر اليافعي	مدين القعيطي	تراث لحجي
يقول بو معجب نهار الأحد[4]		عوض الدوخي	
		شريف ناجي	
		علي بن روغة	
		حمد الطيار	
		سلمان العماري	
		أحمد سيف (البحرين)	
رحمن يا رحمن[5]		إبراهيم الماس	تراث يافعي
		صالح العنتري	تراث يافعي
		علي عبدالله فقيه	تراث يافعي أديون

(1) شل العجب شل الدان، ص (162). اسمها في الديوان (صادفت حالي خضابه). مع إضافة تقفيلة (يا الله عساها تلين ** سرى الليل العاشقين) في كل كوبليه.

(2) شل العجب شل الدان، ص (209). اسمها في الديوان (صدفت البارحة رعبوب).

(3) شل العجب شل الدان، ص (140 – 141). اسمها في الديوان (شليت العجب).

(4) شل العجب شل الدان، ص (205 – 207). اسمها في الديوان (صادفت مرقوم البنان والخد).

(5) شل العجب شل الدان، ص (156 – 157). اسمها في الديوان (إني بحبك مفتتن).

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
يا مستجيب الدعاء[1]		إبراهيم محمد الماس	
		محمد بن فارس	
		محمد عبده	
		محمد حمود الحارثي	
خلي الحال مجهولا[2]		إبراهيم محمد الماس	
يا من عطاياك جزله[3]		محمد منصور[4]	
يا قمري تعز[5]		محمد بن فارس	
لا تقطع الأنس والراحة[6]		محمد حمود الحارثي	
قصتي قصة طويلة[7]		محمد حمود الحارثي	
إني مضيع[8]		الفنان المالكي	
قريب الفرج[9]		عوض الدوخي	فن الصوت
		محمد بن فارس	

(1) شل العجب شل الدان، ص (104). اسمها في الديوان (معادن الناس).

(2) شل العجب شل الدان، ص (93 – 96). اسمها في الديوان (خل الحال مجمولا).

(3) شل العجب شل الدان، ص (181). اسمها في الديوان (يا من عطاياك جزله).

(4) ذكره الأستاذ عبدالله فاضل، ينظر: مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر، د. سعودي علي عبيد، ص (16).

(5) شل العجب شل الدان، ص (201). اسمها في الديوان (يا قمري تعز). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

(6) شل العجب شل الدان، ص (208). اسمها في الديوان (لا تقطع الأنس والراحة)..

(7) شل العجب شل الدان، ص (211). اسمها في الديوان (قصتي قصة طويلة)..

(8) شل العجب شل الدان، ص (212). اسمها في الديوان (إني مضيع)..

(9) شل العجب شل الدان، ص (178). اسمها في الديوان (المحبة قرش من حجر). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
طولت البعود[1]		محمد بن فارس	
طابت السمرة[2]		محمد بن فارس	
سلام يا زين يا مياس[3]		محمد بن فارس	
قمري البان[4]		محمد بن فارس	
قد ضاق حالي[5]		محمد بن فارس	
ارحم حالتي يا خل[6]		محمد بن فارس	
من ركب الخال[7]		محمد بن فارس	
		سلمان العماري	فن الصوت
		محمد التناك	فن الصوت
بات القلب يتنسم[8]		محمد بن فارس	
يا سيدي منين[9]		محمد بن فارس	

(1) شل العجب شل الدان، ص (173). اسمها في الديوان (طولت البعود). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

(2) شل العجب شل الدان، ص (170). اسمها في الديوان (طابت السمرة). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

(3) شل العجب شل الدان، ص (165). اسمها في الديوان (سلام يا زين يا مياس). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

(4) شل العجب شل الدان، ص (139). اسمها في الديوان (قمري البان). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

(5) شل العجب شل الدان، ص (160). اسمها في الديوان (قد ضاق حالي). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

(6) شل العجب شل الدان، ص (158). اسمها في الديوان (ارحم حالتي يا خل). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

(7) شل العجب شل الدان، ص (151). اسمها في الديوان (من ركب الخال). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

(8) شل العجب شل الدان، ص (134). اسمها في الديوان (بات القلب يتنسم). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

(9) شل العجب شل الدان، ص (132). اسمها في الديوان (يا سيدي منين). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.

القصيدة	الملحن	الفنان	ملاحظات
يا من على العرش استوى[1]		محمد التناك	فن الصوت
قال ابن جعدان صادف[2]		علي المسعود	فن الصوت
خو علي قال كيف القلب[3]		عبدالعزيز الكندري	فن الصوت
سلطان العرب[4]	محمد بن فارس	عوض دوخي	

ويتضح من الجدول مدى الهجرة التي قطعتها الأغنية اليافعية، والأصوات التي تعاورتها بشتى الألحان. فعدد النصوص في الديوان (97)، عدد القصائد المغناة (73). وهناك أغنيتان لم تذكرا في الديوان: (يحيى عمر قال ذا العاني لمه) غناها الفنان السعودي محمد عبده، و (يحيى عمر قال أنا والقلب) غناها القطري إدريس خيري. بذلك يصير مجموع القصائد المغناة (75) أغنية.

وقد جاءت إيقاعاتها موزعة على وفق الآتي:

عدد الأغاني	الإيقاع
٣٤	فن الصوت
٢٩	إيقاع يافعي
٤	خليجي
٢	شرح لحجي
١	ليوه
١	شرح بدوي

(1) شل العجب شل الدان، ص (150). اسمها في الديوان (طاب الهوى).
(2) شل العجب شل الدان، ص (191). اسمها في الديوان (الهندي الفتان).
(3) شل العجب شل الدان، ص (185). اسمها في الديوان (كيف القلب با يسلي). ذكرت في كتاب محمد بن فارس.
(4) شل العجب شل الدان، ص (118 – 119). اسمها في الديوان (لقيت اليوم سلطان العرب).

وفن الصوت: هو غناء أهل الخليج وخاصة الكويت والبحرين، ويؤدى النص الغنائي بالعربية الفصحى وبالشعر الحميني وباللهجة العامية المحلية، ويصاحب الغناء الضرب على المرواس[1]، ولكن الختم يأخذ كلمات أشهر من كلمات الصوت.

أصبح لفن الصوت «أسماء: صوت عربي، صوت شامي، صوت صنعاني، صوت يافعي، صوت هندستاني.....إلخ»[2]. وفن الصوت «ما هو إلا امتداد لما كان يتغنى به في الجزيرة العربية جنوبها وغربها»[3]. ويقال: «إنه مشتق من منطقة يافع[4]. ولعل هذا ما يفسر توقيع أغاني يحيى عمر اليافعي بفن الصوت عند المطربين الخليجيين، فهل كانت أغاني يحيى عمر تأتيهم موقعة بهذه الألحان أم أن الكلمات أتتهم ووقعوا عليها هذا اللحن (الصوت)؟. وهناك ما يشير أن عراب فن الصوت الكويتي عبدالله الفرج، قد هاجر إلى الهند، وألتقى بالمطرب سلطان بن هرهرة.

أولًا: هجرة الأغنية اليافعية:

1) أنواع الهجرة:

أ- الهجرة الداخلية:

لا نستبعد «أن الفلكلور الفني والأدبي خرج من سرو حمير إلى مناطق الجزيرة والخليج وشرق أفريقيا والهند، وقد حمله الحميريون إلى هذه المناطق، وما الألوان الموجودة التي يعرفها بعضهم باسم المناطق والمدن ما هي إلا حميرية، ومرجعيتها هي سرو حمير والتي نقلها المبدعون الأوائل مثل مدرسة القمندان في لحج، ومدرسة بن هرهرة في حضرموت، ومدرسة يحيى عمر في الهند وفي عدن»[5].

(1) مقتبس من كتاب الحلقة النقاشية لمهرجان التراث الثامن (فن الصوت)، بندر الشريف سنة 2000م.

(2) فن الصوت البحريني، محمد جمال، محاضرة في مركز عبدالرحمن كانو الثقافي، البحرين، 29 أكتوبر 2013م.

(3) فن الصوت البحريني، محمد جمال.

(4) فن الصوت.. موسيقى هارمونية إلهية، محمد العبيدلي، الأدب والفن (مدونة)، 8/ 7/ 2007م.

(5) النور الساطع والدر اللامع في أخبار يافع، مسعود طالب جبران، ص (183).

ويقص الأستاذ عبدالله فاضل فارع تعرفه لأول مرة بأغاني يحيى عمر – وهي توثيق لمرحلة الهجرة الداخلية – وأولها تبدأ «حين صدح المغني صالح (فلان) الكويتي، في أواخر العشرينيات بأغنية (قال بن الأشقر يا طرفي لمه تسهر)، بدون استهلال الأغنية (يحيى عمر قال....)، وكانت تلك هي أول تعريف لي بيحيى عمر مجهول الهوية[1]. ولقد استحوذ اسم يحيى عمر على انتباهي ولا سيما بعد أن عزز ذكره المرحوم عمر محفوظ غابة؛ إذ صدح مصححًا نشيد صالح الكويتي بقوله (يحيى عمر قال يا طرفي لمه تسهر)[2].

وفي عام 1925م، غنى حمودي عطيري (من عيال) المعلى، وكان مطربًا محترفًا عازفًا بالعود الذي أعده له أبوه. وعمره لا يتجاوز العاشرة إلا ببضعة شهور في مخدرة أحمد بن عبدالولي القرشي، وأنشد العطيري:

يقول يحيى عمر من كم هذا العسل نشتري قفلة[3]

وبدأ رصيد أغاني يحيى عمر يتعزز بحفظ أغنية أخرى ليحيى عمر غناها محمد منصور (من حافة بيحان أو دغبوس في واحة الشيخ عثمان) وكان دفاف عمر غابة الملازم، مدة لا بأس بها، غنّى بقصيدة:

يقول يحيى عمر يا من عطاياك جزله	**سلك تغفر وترحم**
سلك تغفر ذنوبي وامح لي كل زله	**في الزمان ذي تقدم**[4].

---

(1) مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر (أبو معجب اليافعي)، د. سعودي علي عبيد، ص (15).

(2) مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر (أبو معجب اليافعي)، د. سعودي علي عبيد، ص (16).

(3) ينظر: مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر (أبو معجب اليافعي)، ص (16). كتبها الفنان العطيري من لسان (المسجل البشري) مصطفى ابن السيد أحمد هاشم.

(4) مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر (أبو معجب اليافعي)، د. سعودي علي عبيد، ص (16).

ازداد التراكم الفني لتراث يحيى عمر و» (رشنت) محبة فنه في صميم ذوقي، وفي عام 1952م كنت كثيرًا ما (أقيّل) في (مبرز) الأستاذ إبراهيم محمد الماس مع ابنه الأكبر محمد إبراهيم الماس وأتحفنا الأستاذ المرحوم إبراهيم الماس بإنشاد أغنية (الاثني عشر كأس) ليحيى عمر كاملة. واستعرت منه (سفينة) تضم معظم أغاني يحيى عمر، ظلت لدي مدة، ثم أعدتها له، وهي النسخة نفسها التي أطلع عليها المرحوم محمد عبدالقادر بامطرف»[1]. هذه ذكريات أستاذنا عبدالله فاضل فارع وهي تؤرخ لمرحلة مهمة من مراحل ذياع صيت فن يحيى عمر في عدن. وفي أبين يمكننا الاستشهاد بما قاله د. سعودي علي عبيد أن نجارًا يدعى (الجانحي) هو من نقل تراث يحيى عمر؛ إذ كان يعزف العود ويصدح بصوته، فيهرع الأطفال لسماعهم صوته[2].

ب- الهجرة الخارجية:

عن تأثير شعره وفنه على مستوى الجزيرة والخليج يقول الباحث خالد بن محمد القاسمي: «فاق تأثر الأغنية الخليجية بفن (يحيى عمر)، أوالفن (اليافعي خاصة) أكثر من تأثرها بالغناء اليمني بشكل عام، وهكذا نلاحظ بأن تأثر منطقة الخليج بالغناء اليافعي واضحـًا في ترديد الفنانين الخليجيين لأغاني يحيى عمر، وكذا ترديد الأغاني اليافعية التي غناها الفنانون اليمنيون وخاصة الحضارم منهم»[3]. وكانت «يافع، حضرموت، البحرين، الهند، محطات مهمة في نتاجه وإبداعه»[4].

---

(1) مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر (أبو معجب اليافعي)، د. سعودي علي عبيد، ص (17).

(2) مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر (أبو معجب اليافعي)، د. سعودي علي عبيد، ص (7).

(3) الأواصر الغنائية بين اليمن والخليج، خالد محمد القاسمي، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1988م، ص (58 - 59). وينظر: شل العجب.. شل الدان، ديوان يحيى عمر اليافعي (أبو معجب)، ودراسة عن حياته وأشعاره، د. علي صالح الخلاقي، ط3، ص (13).

(4) إبحار في أشعار يحيى عمر اليافعي، بدر بن عقيل، ص (86).

2) مساوئ الهجرة:

اجتزاء النصوص وتغيير أبياتها:

أغنية يا مستجيب الدعاء:

غنى إبراهيم الماس من هذه الأغنية (19) بيتًا، وهي تتكون من (27) بيتًا، دون أن يلتزم بالترتيب المتبع في ديوان يحيى عمر. وغنى بيتين ليسا من صلب النص المدون، وهما:

أما ترى الناس حد ينزل وحد يطلع — وحد بنعمة وحد في عيشته مغبون

الأشقياء فوق بقعا بالحيل تصنع — كلٌّ بها تراهم بعدها يجرون

الخلط بين النصوص:

أغنية (**اغنم زمانك**)، غناها محمد أبو نصار بعنوان (يقول بو مطلق الأسماء):

يقول بو مطلق الأسماء من الطلسم — والشعر منسوخ والنساخ نسّاني

لوني هلالي وقلبي هائمًا مغرم — لا زال مفتون حب الغيد ولهاني

وعاد قصة جرت لي عند شاطي اليم — نظرت حوري خرج غاوي وأغواني

قالت طريق أينه؟ قلي قلت له ما علم — ذا بحر أم سيل أم هي مدمع أعياني

من تيه حسنه نظرت البحر كالخاتم — ولا افتهم لي أنا في أي لوطاني[1]

قدمت يا خاطبه واني بليد أعجم — مدهوش مربوش من منقوش لبناني

حاولت له وان ذا يرطن ويترزجم — رطين هندي ويتكلم بسرياني

قده كما الغصن يتغنّى ويترنّم — هلت وذلت بيده كل لغصاني

وطارح أسيان منسوعة على السمسم — وحاجب أبلج وقرة بدر شعباني

وأعيان حمرا سوادي مشرقة بالدم — تذوّب الصخر من تفتير لجفاني

والأنف كالسيف جارد له على المبسم — يحمي رحيق الثنايا مبسم الغاني

(1) يقابل البيت السابع في قصيدة (اغنم زمانك) ليحيى عمر في ديوانه ص (210):

من عجبتي فيك شفت البحر كالخاتم من غير ما أدري أنا في أي لوطاني

حاولت لـه وان ذا يرطـن ويترزجـم ... رطـين هنـدي ويتكلـم بسريـاني

قـده كـما الغصـن يتغنّـى ويترنّـم ... هلـت وذلـت بيـده كل لغصـاني

وطـارح أسيان منسـوعة على السمسـم ... وحاجـب أبلـج وقـرة بـدر شـعباني

وأعيـان حمـرا سـوادي مشرقـة بالـدم ... تـذوّب الصخـر مـن تفتـير لجفـاني

والأنـف كالسيف جارد له على المبسم ... يحمـي رحيـق الثنايـا مبسـم الغـاني

وقلت اسقني من شـفاتك خلني بطعم ... قالـوا بثغرك عسـل صـافي وعضيـاني[2]

وفـك صـدرك مـرادي شـم نهـدك شـم ... أمـوت مـا بـين ذا النهـد والثـاني[3]

اغنـم زمانـك أمانـك يـا حبيـب اغنـم ... مـا دام عـادك صغـير السـن طيشـاني[4]

خايـف عليـك بعـد سـتعشر سـنة تنـدم ... تنسى شبابك وتنسى اهلك وتنساني[5]

جـوّب عـليَّ وقـل قلبـي مـن العنـدم ... سـكران حـيران مفتونًـا وفتـاني

إذا بلغـت الثمنتعـشر هـب العـالم ... وفي ثلاثـين عـام اسـجع عـلى ألحـاني

ألم تـرى البـدر في أيامـي اتلثـم ... ويختفـي في حجابـه فهـو لي ثـاني

ألم تـرى كيـف حـدق لي حـين حمحـم ... الله في جنـات الفـردوس ربـاني

فقلـت بـالله حـب الليـم ذا مـن كـم ... وارجـم بحبـه جبـا يـا قـرة أعيـاني[6]

وشـل لـك مـور والزهـرة إلى المهجـم ... والبادريـة وغانـم وشـل صعفـاني

وخـذ زبيـد حيـس خذهـا والمخـا محكـم ... واسكن كما شئت أنت اليوم سلطاني

---

(2) يقابل البيت الثالث في قصيدة (اغنم زمانك) ليحيى عمر في ديوانه ص (210):

يا ذي العسل من شفاتك خلنا نطعم يا من شفاتك عسل صيفي وجرداني

(3) يقابل البيت السابدس في قصيدة (اغنم زمانك) ليحيى عمر في ديوانه ص (210):

وفك صدرك أنا باشم صدرك شم با موت مابين هذا النهد والثاني

(4) يقابل البيت الأول في قصيدة (اغنم زمانك) ليحيى عمر في ديوانه ص (210):

اغنم زمانك أمانة يا حبيب اغنم ما دام عادك صغير السن ولهاني

(5) يقابل البيت الخامس في قصيدة (اغنم زمانك) ليحيى عمر في ديوانه ص (210):

خايف عليك بعد ستعشر سنة تندم تنسى شبابك وتنسى اهلك وتنساني

(6) يقابل البيت الرابع في قصيدة (اغنم زمانك) ليحيى عمر في ديوانه ص (210):

والليم ذا ذي بصدرك قل لنا من كم وارمي بحبة جبا لا نحونا عاني

من قال أن الهوى باطل ومن حرّم — فقد شهد زور في قوله وبهتاني
لولا الهوى ما خلق حواء لبونا دم — وكوّن الله للخلان خلاني
.... وخاطبه والزم — ويأتي بأربعمائة حوران ولداني
ثم اعتلى فوق مهرة حمرية ملجم — واتقلد السيف كنّه سيف غيلاني
وقال من با يبارزني فيتقدم — الراس بالراس والميدان ميداني
قلت الأمان الأمان ارفق بنا يا اخجم — لا جاهنا عندك أسعدنا بلقياني
ثم الصلاة والسلام في البدع والمختم — على محمد وآله طول لزماني

الملاحظ أن أغنية (اغنم زمانك) لأبي معجب اليافعي قد وردت في ثناياها، علمًا أن الفنان الخليجي إبراهيم علي غناها دون أن تذكر أبيات أبي معجب فيها، وهذا يشير إل وجود خلط بين النصين بسبب توحد الوزن والقافية.

وهناك خلط في أغنية (يقول بن زامل) للفنان السعودي محمد علي سندي، حيث يقول:

يقول بن زامل مساك الخير يا زين الملاح — يا فايق الغزلان يا نعسان يا نجم الصباح
لجلك تركت أهلي وخلاني وهيّمت الرياح — لجلك تركت الفوج والله ما على هذا صياح
قال الفتى الشاعر أنا صادفت سلطان العرب — لابس قبا تركي وشال اخضر مطرز بالذهب

يتضح من النص المغنى أنه خليط شعري لنصين كما يشي (الروي)، فالبيت الثالث:

قال الفتى الشاعر أنا صادفت سلطان العرب — لابس قبا تركي وشال اخضر مطرز بالذهب

هو بيت من قصيدة (لقيت اليوم سلطان العرب)[1] ضمن ديوان الشاعر يحيى عمر اليافعي، أما البيتين:

يقول بن زامل مساك الخير يا زين الملاح — يا فايق الغزلان يا نعسان يا نجم الصباح
لجلك تركت أهلي وخلاني وهيّمت الرياح — لجلك تركت الفوج والله ما على هذا صياح

---

(1) هذا البيت في الديوان ضمن قصيدة (لقيت اليوم سلطان العرب) ص (118).

كان الأمل يحدونا من خلال كنية (بن زامل) للاهتداء؛ لأن هذه الكنية خاصة بالشاعر أحمد عبدالله بن هرهرة[1]، فخاب الظن حين لم نجد هذا النص من بين شعره، واتضح أنها للشاعر الحضرمي العاشق علي بن زامل الكثيري[2].

ثم استمعت إليها بصوت المطرب السعودي عيسى الإحسائي، ولاحظت إضافة أبيات جديدة:

يقول بن زامل مساك الخير يا زين الملاح
يا قائد الغزلان يا نعسان يا نجم الصباح
قوم يا حبيبي قوم صح النوم شوف الفجر لاح
خليت بن زامل مثيل الطير مكسور الجناح
واحد كشف راسي وعنده وشم ما بين الوشاح

وغناها الكويتي حمد خليفة بإضافة أبيات أخرى، وما يهمنا في وجهتنا أن توشيحة[3] الفنان حمد خليفة جاءت بيتًا للشاعر يحيى عمر اليافعي:

يا رب سالك بمن ظلت عليه الغمامه العبد لا تحرمه[4].

وحين غناها الكويتي المبدع في فن الصوت سلمان العماري جعل توشيحتها بيت لبن زامل اليافعي (أحمد عبدالله بن ناصر هرهرة):

ضمان عطشان راجي منكم تدركوني شربة هنية بساع[5].

(1) ينظر: أعلام الشعر الشعبي في يافع، د. علي صالح الخلاقي، مركز عبادي، صنعاء، ط1، 2009م، ص (30).

(2) صفحة الدان الحضرمي، الفيس بوك، ستجد النص الشعري كاملًا مع سرد لحياته.

(3) التوشيحة: غناء جماعي يردده المطرب مع المتلقين وهو المقطع الذي يبشر بإنتهاء الأغنية وتعزف التوشيحة على العود ويؤدى على مقام راست.

(4) شل العجب شل الدان، ص (155). اسمها في الديوان (ذا الهندي عليه العلامة).

(5) ينظر: أعلام شعراء يافع، ص (31).

وحصل خلط في أغنية (يا الله يا من على العرش) غناء محمد علي سندي:

يا الله يا من على العرش اعتليت	**يا معتلي فوق مرصاد العروش**
الله يا من بسري تعلمه	**يا رازق الطير وأصناف الوحوش**
يحيى عمر قال يا خلي لمه	**واجعل على خدك المَذْهب نقوش**
وامسح صبيب العرق بالمحرمه	**من رغمة الخد لا ترجع تنوش**
شوف الهوى وسط قلبي تيمه	**هد القوى والحشا حشه حشوش**

يبدو هذا النص المغنى مزج لنصين من شعر يحيى عمر، رغم أنه أقرب لنص (وا سيدي لمه) [1]، لكن الشطر الأول منها (يا الله يا من على العرش اعتليت) مأخوذ من نص (طاب الهوى)[2] (يا الله يا من على العرش استوى)، وكذلك الشطر الثاني من البيت الثاني (يا رازق الطير وأصناف الوحوش) فهو يوازي الشطر الثاني من البيت الأول (يا رازق الطير وأصناف الوحوش)، وما تبقى من النص المغنى فهو بقايا وتحريف من قصيدة (وا سيدي لمه)، فالشطر الثاني من البيت الأول (يا معتلي فوق مرصاد العروش) يقابله (يا معتلي في سماوات العروش). والشر الأول في البيت الثاني (الله يا من بسري تعلمه) يقابله (يا الله يا من بحالي تعلمه). والشطر الأول (يحيى عمر قال يا خلي لمه) من البيت الثالث يقابله (يحيى عمر قال وا سيدي لمه)، والشطر الأخير (هد القوي والحشا حشه حشوش) يقابله (شق الكبد والحشا حشه حشوش).

ظهور نصوص جديدة:

أغنية الفنان القطري إدريس خيري يقول يحيى عمر غناها في عام 1970م بإيقاع فن الصوت[3].

---

(1) ينظر: شل العجب شل الدان، ص (131).

(2) ينظر: شل العجب شل الدان، ص (150).

(3) تم تدون الأغنية من التسجيل مباشرة.

يحيى عمر قال أنا والقلب غدوا به | والقلب مني سقيم
غزلان ريمٍ لها بالقلب نار اشعلوا به | وباتت أعظامي رميم
أبكي على بعدهم ذا القلب معهم سروا به | في ليل أظلم سهيم
يقول لي الورق يا مفتون خلك مشوا به | خلوك عقبه عديم
لامني في الهوى مجنون وشق ثوبه | ويصبح مثلي غريم
آه من هو تطوّع مطاع على غير توبه | مهواه نار الجحيم

بين كل بيت وبيت يليه تقفيلة (يا الله عساه يلين سرى الليل يا العاشقين).

هذا النص غير موجود في ديوان يحيى عمر، وقد أوردناه هنا بسبب الجملة (يحيى عمر قال) التي تمثل علامة تدل على شاعرنا، وقد كتبت النص من التسجيل المنزل من اليوتيوب، كما سمعته من المطرب.

أغنية محمد عبده لك الله يا غريب[1]:

يا الله تحل العقود المبهمه | يا رازق الخلق يا رب الأنام
عبدك درك بجودك واكرمه | واغفر لعبدك وسلم يا سلام
يحيى عمر قال ذا العاني لمه | يبخل علينا بردان السلام
..... أنه معذب مغرمه | ما بان له إني متيم مستهام
فقلت له يا ذا الحمام الحائمه | بلغ سلامي إلى حالي القوام
خو علوي اليوم ضيفك فاكرمه | وكرامة الضيف من طبع الكرام
الختم صلوا على بو فاطمه | المصطفى خاتم الرسل الكرام

الاستبدال:

أغنية (دمعي سال)[2]، تتكون القصيدة من (11) مقطعًا، وكل مقطع يتكون من (6) أبيات، بنيت أشطر الأبيات الثلاثة الأولى على روي واحد، ثم يأتي ببيت على تقفية

(1) غير موجودة في الديوان.

(2) شل الدان، شل العجب، ص (111 - 114).

التقفيلة وهو تمهيد لها. والبيتان الأخيران (التقفيلة) يترددان في كل مقطع، والتقفيلة الثابتة تقول:

لا حول لا حول من ذا الحال ما حد يخلي لحد حاله

يا راعي الحجل والخلخال خلي ليحيى عمر حاله

غنى المرشدي منها (3) مقاطع، معتمدًا على البيت الثاني من التقفيلة:

يا راعي الحجل والخلخال خلي ليحيى عمر حاله

الذي يردده الكورال بعد أن ينهي كوبليهاته.

وحين غناها الفنان الكويتي سلمان العماري اعتمد المقطع الأول مع تغييرات طالت بعض الأشطر، فمثلًا البيت الأول يقول:

يحيى عمر قال دمعي سال ما تنظروا دمعتي ساله

إذ غيّر الشطر الأول قائلًا:

اليافعي قال كيف الحال ما تنظروا دمعتي ساله

وكذلك في البيت الرابع من المقطع الأول؛ حيث يقول البيت حسب ديوان شل الدان:

بحق من زينك بالخال يا عاكف الفل والواله

فقد استبدل الشطر الثاني بشطر من البيت الرابع في المقطع الثاني، فصار عنده البيت:

بحق من زينك بالخال يا من لك أعيان قتاله

الإضافة:

أغنية (شليت العجب)[1]، غناها مدين القعيطي، وحذف منها، وأضاف. غنى الثمانية الأبيات الأولى، وهي تتكون من (28) بيتًا، وأضاف أبياتًا ليست من النص المدون، وهي:

(1) شل العجب شل الدان، ص (140 – 141). اسمها في الديوان (شليت العجب).

وقلت يا خل قلي ما الطلب	وانا موافي لك لأمرك مستجيب
يا صاحبي كنت من خير الصحب	تعيب فيَّ وأنت أغلى حبيب
بالأمس ذوقتني طعم العنب	واليوم تبخل علي بالزبيب
يحيى عمر قال سرمد في التعب	(ولا دريت أن بقعا با تعيب)[1]
من قبل عامين عانا كنت شب	واليوم مسكين كن الراس شيب
وأزكى صلاتي على سيد العرب	(محمد المصطفى طه الحبيب)[2]

وكذلك أغنية (أمانة يا هنود)[3]، التي غناها ولحنها الربان عبود الخواجة أضاف لها أبيات غير موجودة في الديوان، حيث غنى منها (6) أبيات مع تغيير طفيف لبعض الألفاظ، لكنه زج بأبيات أربعة ليست في الديون، وهي:

بشراك يا قلب بايام السعود	أيام فيها الحوايج مقضية
والله يعيطيك من جوده يجود	والرزق يأتي مع حسن النية
اليوم با تركك يا ارض الهنود	برجع بلادي بلاد البادية
صلِّ وسلم على زين الوجود	سيدي محمد إمام الناجية

نسبتها لغير صاحبها:

أغنية (والله ما دريت) عدوها «من أشعار وألحان عبدالله الفرج المشهورة، التي غناها بعده عدد من المطربين أبرزهم يوسف البكر، وتقول كلماتها:

والله والله ما دريت إن الهوى هكذا يفعل معي[4].

وهذا سطو واضح على نص أبي معجب[5]. وهناك أيضًا نص آخر في أغنيات الليوا

---

(1) الشطر الثاني في البيت (27)، الديوان، ص (141).

(2) الشطر الثاني في البيت الأخير، الديوان، ص (141).

(3) شل العجب شل الدان، ص (154). اسمها في الديوان (أمانة يا هنود).

(4) محمد بن فارس: المبدع في فن الـ (الصوت) الشعبي، خالد عبدالله خليفة، الثقافة الشعبية، فصلية بحرينية، السنة (4)، العدد (13)، ربيع 2011م، ص (147).

(5) ينظر: شل العجب شل الدان، ص (153).

الخليجية هو: (اغنم زمانك أمانه يا حبيب اغنم)، تغنى هذه القصيدة في اليمن أساسًا على لحن صنعاني[1].

3) **محاسن الهجرة:**

أولًا، الانتشار:

انجزت وزارة الإعلام في مملكة البحرين في العام 2008م عملًا توثيقيًّا لأعمال الفنان محمد بن فارس ضمن مجموعة شاملة من الأعمال أحتوت على أسطوانات مدمجة لعدد من أعلام الطرب البحريني، وقد اشتملت الأسطوانة المدمجة الخاصة بالفنان محمد بن فارس على عشرة أصوات تعد نموذجًا لأهم إبداعاته في فن الصوت:

على دمع عيني، مال غصن الذهب، قريب الفرج، إن العواذل، الله اليوم، يا واحد الحسن، إغنم زمانك، لمع البرق اليماني، دمعي جرى، يقول بو معجب[2].

وضمن الأغنيات العشر ثلاث أغانٍ للفنان يحيى عمر (الله اليوم، إغنم زمانك، يقول بو معجب).

ثانيًا، التوثيق:

أول من سجل ليحيى عمر فهو الفنان المغمور سيد محمد اليمني وذلك على آلة القنبوس في مبنى الممثلية الهولندية في جدة بالحجاز في مطلع القرن العشرين وبالأسطوانات الشمعية على فونغراف أديسون. وقامت شركة أديون بالتسجيلات الآتية[3]:

(1) الرقصات الأفرو - يمنية/ بحث في افريقانية اليمن الموسيقية، نزار عبده غانم، الثقافة الشعبية، فصلية علمية متخصصة، البحرين، العدد (5).

(2) ينظر: محمد بن فارس: المبدع في فن الـ (الصوت) الشعبي، خالد عبدالله خليفة، الثقافة الشعبية، فصلية بحرينية، السنة (4)، العدد (13)، ربيع 2011م، ص (151).

(3) لمعرفة ما ورد في الجدول ينظر: الغناء اليمني القديم ومشاهيره، محمد مرشد ناجي (المرشدي)، جامعة عدن، ط1، 1983م، ص (181 - 187).

قال ابن جعدان	إبراهيم محمد الماس	أديون	١٩٣٨م
خلي الحال مجهولا	إبراهيم محمد الماس	أديون	١٩٣٨م
بالله ما شان الجفا	إبراهيم محمد الماس	أديون	١٩٣٨م
ما شان المليح	عمر محفوظ غابة	أديون	١٩٣٨م
يا الله يا من على العرش	عمر محفوظ غابة	أديون	١٩٣٨م
أسالك بمن أركانه	عمر محفوظ غابة	أديون	١٩٣٨م
من كم هذا العسل	أحمد عوض الجراش	التاج العدني	١٩٣٩م

غنى على أسطوانة (أوديون) محمد جمعة خان مجزوءات من القصيدة الطويلة (بسم الله أول كلامي في الله)[1]. كما سجَّل ليحيى عمر الفنان المرحوم محمد، زويد والفنان المرحوم ضاحي بن وليد. ومع بدء ازدهار عصر الأسطوانة في الخليج، فقد قام الفنان محمد بن فارس في الأعوام (1932م – 1938م) بتسجيل عدد من الأسطوانات، حملت معظمها نصوص شعراء يمنيين، ومن بينهم يحيى عمر. من بينها نصوص أغنياته الآتية: يالله يا رباه، يقول أبو معجب نهار الأحد، يحيى عمر قال ما شان المليح. وفي مطلع الأربعينات، سجل الفنان محمد بن فارس عدداً من الأغاني لإذاعة البحرين، مع بدء إرسالها الإذاعي. ثم أخذت كلمات وألحان يحيى عمر تتوالى بأصوات العديد من فناني دول الجزيرة والخليج العربي[2]. وأغنية (يا مركب الهند)، سجلها عام 1941م المطرب البحريني ضاحي بن وليد على إسطوانة، وسجلت بصوت المطرب العماني سالم راشد الصوري»[3].

(1) مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر (أبو معجب اليافعي)، د. سعودي علي عبيد، دار جامعة عدن، ط1، 2005م، ص (16).

(2) شل العجب.. شل الدان، ديوان يحيى عمر اليافعي (أبو معجب)، ودراسة عن حياته وأشعاره، د. علي صالح الخلاقي، ط3، ص (56).

(3) الأغنية الخليجية بين التراث والمعاصرة، خالد محمد القاسمي، د. نزار غانم، دار الثقافة العربية (الشارقة)، والفلاح للنشر والتوزيع (بيروت)، ص (136).

ثالثًا: تنوع اللحن:

بعض الأغاني لحنت بأكثر من لحن:

الأغنية	اللحن
قف يا زين	لحنان: إيقاع يافعي وفن الصوت.
يا طرفي لمه تسهر	لحنان: إيقاع يافعي وفن الصوت.
اغنم زمانك	لحنان: إيقاع يافعي وفن الصوت.
ما شان المليح	لحنان: إيقاع خليجي وفن الصوت.
دمعي سال	لحنان: إيقاع يافعي وفن الصوت.
بعد الآن	لحنان: إيقاع يافعي وإيقاع خليجي.
أمانة يا هنود	ثلاثة: دانة، يافعي، صوت.
قال الفتى خو مسلم	خمسة: يافعي، ليوه، لحجي، بدوي، صوت.

بعض الإيقاعات لأغاني يحيى عمر التي تم توثيقها:

الأغنية	الإيقاع
قف يا زين	المقام: حجاز اليمن (على درجة النوى)، الإيقاع: (يافعي ٤/ ٦)[1].
يقول يحيى عمر من كم؟	المقام: الحجاز على درجة النوى، الإيقاع: (يافعي ٦/ ٨)[2]
أغنم زمانك	كويتي[3]، وميزانها الإيقاعي (٦/ ٤)[4].

(1) مدونة جمال السيد، تعنى بالأدب اليمني عاميّه وفصيحه، صوت يافعي: يحيى عمر قال قف يا زين، 20/ 8/ 2013م.

(2) مدونة جمال السيد، تعنى بالأدب اليمني عاميّه وفصيحه، صوت يافعي: يقول يحيى عمر من كم؟، 16/ 7/ 2017م. ينظر: من الغناء اليمني، عبدالقادر قائد، ص (397).

(3) مدونة جمال السيد، تعنى بالأدب اليمني عاميّه وفصيحه، صوت يافعي: أغنم زمانك، 28/ 8/ 2015م.

(4) ينظر: من الغناء اليمني، عبدالقادر قائد، ص (388).

الأغنية	الإيقاع
يا طرفي لَمَهْ تسهر	المقام: الحُسيني على درجة النوى مع جنس راست على درجة الكردان، الإيقاع: (يافعي ٤/ ٦)[5].
يا رب سالك بمن أركانه	المقام: جنس بياتي على الدوكاه، الإيقاع: (يافعي ٦/ ٨)[6]

ثانيًا: صدى الهجرة في الأغنية اليافعية المهاجرة:

إن «حب الرحيل والسفر والمغامرة كان جزءًا لصيقًا بحياة يحيى عمر، وصاغ وجدانه وأحاسيسه، فلقد عاش عاشقًا مرتحلًا بين عدد من مدن وموانئ»[7]، والمحطات الرئيسة في حياته حضرموت وهو «ينتمي لأحد الأسر اليافعية القادمة إلى حضرموت»[8]، فحضرموت مثلت «محطة هامة في حياة وانطلاقة يحيى عمر الفنية والشعرية، بعد مسقط رأسه يافع، ومما لا خلاف حوله أنه عاش هناك فترة من الزمن»[9]. «وهكذا ظلت الهجرة إلى الهند أملًا يداعب مخيلة الشباب اليافعي ومثله الحضرمي وهدفًا سعى إليه الكثيرون ممن ضاقت بهم سبل العيش في بلادهم لعوامل الاضطراب السياسي والفتن والحروب القبلية والجفاف والمجاعات. وفي الهند وجد المهاجرون بغيتهم وحصلوا على أعمال كـ (عساكر)»[10]. ويتجلى صدى الهجرة في الأغنية اليافعية من خلال الموضوعات الآتية:

---

(5) مدونة جمال السيد، تعنى بالأدب اليمني عاميّه وفصيحه، صوت يافعي: يا طرفي لَمَهْ تسهر، 10/ 11/ 2015م. وينظر: من الغناء اليمني، عبدالقادر قائد، ص (394).

(6) من الغناء اليمني، عبدالقادر قائد، ص (392).

(7) إبحار في أشعار يحيى عمر اليافعي، بدر بن عقيل، مؤسسة الثورة للصحافة، صنعاء، 1999م، ص (37).

(8) الاغتراب والانتماء في شعر المهاجر الحضرمي، أ.د. محمد عبدالله بن هاوي باوزير، ط1، 2018م، ص (44).

(9) شل الدان شل العجب، ص (27).

(10) شل الدان شل العجب، ص (36).

الشوق:

حالة الفقد للوطن ومراتع الصبا حالة إنسانية تعتري النفس البشرية كلما غادرت موطنها، وأبو معجب ليس استثناءً في هذه الحالة الشعورية، فقد طبع مشاعره تجاه معشوقته يافع في كثير من المواطن حتى غدت ظاهره فنية:

يا مسقط الراس دايم فيك قلبي مولع مطرح حلالي جبل يافع بها الشمخ ارفع(1)

فعن طريق التمني أراد توزيع الجغرافيا وتشكيلها كما هي في نفسه، لا على الواقع، يقول:

يحيى عمر قال ليت الهند في يافع — أو ليتكم بارض يافع يا اهل هندستان
ما كان أنا شي من أهلي والوطن ضائع — وان سبتكم قال لي ذا القلب عُود الآن(2)

ويافع مخلوطة في دمه وتعيش فيه:

يافع حلالي له الوجه الحسن — حلاوة اسمه حلا يملأ فمي
وكيف با انساه وحُبَّه قد سكن — داخل فؤادي ويجري في دمي(3)

وتعبث الذكرى بقلبه كثيرًا، فتهيج لواعجه ليافع، ذاكرًا وواصفًا:

ذكرت واشتاق قلبي لا جبل يافع — مشتاق للأهل والأحباب والخلان
للأرض ذي حلّها كمّن نمر شاجع — لضيفها نور أما للعداء نيران(4)

لهفة السؤال:

الحوار حالة نفسية تعكس حالة المهاجر ولهفته؛ إذ أن فضول السؤال يدل على انقطاع وغيبة أدت لهذا الجهل، فينهض الديالوج ليغطي هذه المساحة المنقطعة:

---

(1) شل الدان شل العجب، قصيدة (من ماتت أمه تقنع)، غناها علي صالح اليافعي، ص (107).
(2) شل الدان شل العجب، قصيدة (ليت الهند في يافع)، غناها عبود الخواجة، ص (110).
(3) شل الدان شل العجب، قصيدة (إلى بندر عدن)، غناها علي صالح اليافعي، ص (106).
(4) شل الدان شل العجب، قصيدة (ليت الهند في يافع)، غناها عبود الخواجة، ص (110).

يحيى عمر قال ترعين	في حد من يا رويعيه	ما هي لكم ذا المراعي
قالت لنا الحيد والطين	با كون للأهل داعيه	لو با تحاول نزاعي[5]

المكان:

تعدد المكان يمثل تغيير في ثقافة الذات، ولها فوائد شتى له، فكان الرحيل «جزءًا لصيقًا بحياة يحيى عمر، وصاغ وجدانه وأحاسيسه، فلقد عاش عاشقًا مرتحلًا»[6]. فقد تراءى المكان في شعره متعددًا يشي بتعدد ثقافته وكثرة تنقلاته:

ما همني ذي يقولوا كم جنيت بالهند والشام وأرض الشافعي[7]

وقوله:

حلفت ما انساك يا زين الخرد	**لو يعرضوا لي عدن والا زبيد**
والا بلاد اللحية والعند	**والا المراسي محلات العبيد**
أو خيروني يهر والا كلد	**وساحل أبين وبندر بن فريد**[8]

والناظر لعنوانات النصوص في الديوان يجدها تشير للمكان وتعدده:

عنوان النص	رقم الصفحة
قصة جرت لي في المخا عظيمة	١٠٢
يا باشة حلب	١٠٣
إلى بندر عدن	١٠٦
ليت الهند في يافع	١١٠
ظبي عيديد	١٤٩
أمانة يا هنود	١٥٤
ذا الهندي عليه العلامة	١٥٥

(5) شل الدان شل العجب، قصيدة (يا رويعيه)، غناها عبود الخواجة، ص (117).

(6) إبحار في أشعار يحيى عمر اليافعي، بدر بن عقيل، ص (37).

(7) شل الدان شل العجب، قصيدة (والله ما دريت)، ص (153).

(8) شل الدان شل العجب، قصيدة (المحبة رضا ما هي زنيد)، ص (120).

الهندي الفتان	١٩١
بندر عدن والمكلا قسم ذا	١٦١
هائم في عمان	١٨٢
يا قمري تعز	٢٠١

فوائد السفر:

للسفر فوائد في حياة الإنسان، تغيّر ثقافته التي نشأ فيها، ويبدأ التصادم بين الثقافات المتلاقحة عند أبي معجب من خلال الدهشة بثقافة (المدينة):

يحيى عمر قال يا طرفي لمه تسهر — وإن شُفت شي في طريقك واعجبك شلّه
وإن كان عادك غريب ما تعرف البندر — إذا دخلت المدينة قول بسم الله[1]

ويلعب الشرط - المتكرر ثلاث مرات - دورًا في تقييد الريفي الجاهل بقانون المدينة من الإنزلاق في مهاوي الثقافة الوافد إليها (إذا دخلت المدينة قول بسم الله).

وعشقه للعيون الحمراء مظهر جديد مستقى من الهجرة:

وأعيان حمرا كما جمر اللهب — لمع النظر برق يلمع بالخصيب[2]

والبحث مع الرأي القائل بسبب حمرة أعيان طائفة من الهند[3]،

كما أفرزت الهجرة تعدد ألوان النساء، البيضاء والخضراء والسمراء والحمراء:

اتبع هوى البيض جُمله واعشق الأخضر — وساير السمر والأحمر كذاك خلّه[4]

فيهوى الألوان جميعها ويأنف من الحمراء، وهو اللون الذي أحبه في العيون.

وسيلة السفر:

اتخذ أبو معجب البحر طريقًا له في أسفاره، فتكون لديه معجم بحري يشير إلى صدق التجربة الشعرية، يقول:

---

(1) شل الدان شل العجب، قصيدة (يا طرفي لمه تسهر)، ص (116).
(2) شل الدان شل العجب، قصيدة (شليت العجب)، ص (140).
(3) ينظر: شل الدان شل العجب، ص (48).
(4) شل الدان شل العجب، قصيدة (يا طرفي لمه تسهر)، ص (116).

وعجزه الفلك في الباحة يكوس ... عاده وصل ذا السنة من منبسي
شاحن قرنفل ومن غالي الجنوس ... والنوخذة فيه يرطن فارسي[5]

العجز هو مؤخرة السفينة ومقدمته الصدر، وقد شبه عجز معشوقته بمؤخرة السفينة، ولفظة (النوخذة) مصطلح بحري تعني (الربان). ومعرفته بأحجام السفن البحرية فالمركب أكبر من الساعية:

ومركب الميل حوّل مال ذا ... أما السواعي تخرّج مال ذاك[6]

ومعرفته بالدقل وهو عمود خشبي يثبت شراع السفينة:

عاد عجزه كما مركب في البحر سباح ... بو ثلاثه دقالي[7]

قد خاض بحر الهوى يحيى عمر واشرع وجاوش البحر من سيحون لا جيحون[8]

ومعرفته بالخن وهي مستودع السفينة:

يا ادخل بك الشام والبحرين ... واحمّل المال في خانك[9]

مظاهر يافعية

إن «تأثير يافع جلي وواضح ليس فقط في أشعار يحيى عمر المعجونة بتراب أرضه ومياهها وروائحها، بل في ألحانه التي كان لها الفضل الكبير في نشر وذيوع أغانيه وإعطائها صفة الديمومة والاستمرارية والانتشار الواسع»[10]، وتجلت مظاهر يافعية كثيرة، منها اللهجة اليافعية التي كانت قانونًا في بعض تجلياتها لم يستطع معها المطربون التصرف بها حسب لهجاتهم وأبرز مثال الفنان الكويتي سلمان العماري:

---

(5) شل الدان شل العجب، قصيدة (الغزال اليفرسي)، ص (88).
(6) شل الدان شل العجب، قصيدة (بندر عدن والمكلا قسم ذا)، ص (161).
(7) شل الدان شل العجب، قصيدة (شفت خلي بدا لي)، ص (72).
(8) شل الدان شل العجب، قصيدة (معادن الناس)، ص (105).
(9) شل الدان شل العجب، قصيدة (قف يا زين)، ص (137 – 138).
(10) شل الدان شل العجب، ص (26).

اليافعي قال كيف الحال ما تنظروا دمعتي ساله
بحق من زينك بالخال ياعاكف الفل والواله

لم يقل (ما تنظروا دمعتي سالت)، بل أجبرته القافية أن يغنيها هكذا (ساله)، تماشيًّا مع اللهجة اليافعية.

ونجد في شعره ظاهرة يافعية تتمثل في توثيق الأرض التي تكاد تكون عند اليافعي أهم مصادر معرفة التاريخ:

واهلش شفيهم مساكين ما معاهم اسجال شرعيه ولا لهم حد زراعي[1]

ومن مظاهر الزينة:

وإن طوّل الوقت كحَّل عيونه وسا
شفني للمحب راجع نقطه على الأوجان[2]

وتمثل في شعره بقايا الفكر القرمطي من تمجيد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

لوّله منهن خيلة علي حين تربع من الوزع والحجل بساق ينزل ويطلع

تجود ذاكرة شعره بمخزون تراثي يافعي بقي عالقًا فيها رغم الهجرة، ومنها ذكر بعض الأطعمة:

ما شا قوت منك ولا ذقت القوت
شا فرتوت من مبسمك ذا الياقوت
و ا لملتو ت على مصفى زبدي[3]

ومن عجب أبي معجب أنه حتى حين وثق للأطعمة، ذكر الملتوت الذي يعد من أطعمة ليلة الزفاف، تماشيًّا مع حاله العاشق المدنف.

(1) شل الدان شل العجب، قصيدة (يا رويعية)، غناها علي صالح اليافعي، ص (117).
(2) شل الدان شل العجب، قصيدة (ليت الهند في يافع)، غناها عبود الخواجة، ص (110).
(3) شل الدان شل العجب، قصيدة (يحيى عمر شل الدان)، ص (148). الملتوت: خلطة من السمسم المحمص والعسل يقدم للعريسين، ويسمى (لتيت).

نجد يافع من خلال القند (قصب السكر):

رد حسّـك	وقِـرَّ بـها في نفسـك
مُـد خمسك	ومـن عـذابي بسّـك
قـوم إمسك	حلـوى وسـكر قنـدي[1]

وهنا تتجلى هدية العشاق التقليدية (الحلوى)، وسكر قندي (قصب السكر).

تعدد اللسان:

اختلاف اللهجات واللغات في النص يشير إلى أن «شاعرنا كان قادرًا على التكيف السريع مع المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه»[2]. فجاءت اللهجات متعددة ومنها:

جي بكـره	شـا افعـل لزوجـي مَكـرَه
فـي السّـكره	نسـمر ونرقـد دفـره
فـي الحجـره	واعوضـك يـا جنـدي[3].

كما نجد مثل هذه المزاوجة بين اللغتين العربية والأوردية الهندية، قوله:

حـاضر بـاش	هنـدي برابـر شـاباش
مثـل الشـاش	أبيـض منقـرش نقـراش
عقـلي طـاش	مسكين انـا مـا جهـدي[4].

(1) شل الدان شل العجب، قصيدة (يحيى عمر شل الدان)، ص (148). وأخذت الكلمة candy من الكلمة العربية (قند) المشتقة أصلًا من الفارسية التي تعني (سكر).

(2) مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر، د. سعودي علي عبيد، ص (83).

(3) ينظر: شل الدان شل العجب، قصيدة (يحيى عمر قال شل الدان)، ص (147).

(4) ينظر: شل الدان شل العجب، قصيدة (يحيى عمر قال شل الدان)، ص (146).

الخلاصة

الأغنية اليافعية غنية بعناصرها، فقد ارتكزت على عناصر تراثية أصيلة، فالرقصات الشعبية في يافع لها إيقاعات مسماة، وهي ما تكوّن إيقاع الأغنية اليافعية، لذا نلخص في عجالتنا هذه بعض التوصيات الجديرة بالتنفيذ إيمانًا بعظمة هذا التراث وحفاظًا عليه من الاندثار:

- ♦ دراسة الإيقاعات الخاصة بالرقصات الشعبية اليافعية دراسةً علمية على وفق الموازين العالمية المعروفة.
- ♦ دراسة الأغنية اليافعية ورسم نوتاتها الموسيقية، وتسمية إيقاع كل أغنية على وفق النمط الذي بنيت عليه، فبدلًا من القول العام: (إيقاع يافعي)، نخصصها بإيقاع من الإيقاعات اليافعية المشهورة: (إيقاع شوبلية، إيقاع برع، إيقاع سفيخ، إيقاع بنائية، إيقاع مخموس إيقاع موحسي.......إلخ).

مظان البحث

المراجع:

- إبحار في أشعار يحيى عمر اليافعي، بدر بن عقيل، مؤسسة الثورة للصحافة، صنعاء، 1999م.
- أعلام الشعر الشعبي في يافع، د. علي صالح الخلاقي، مركز عبادي، صنعاء، ط1، 2009م.
- شل العجب شل الدان، ديوان يحيى عمر اليافعي (أبو معجب)، ودراسة عن حياته وأشعاره، د. علي صالح الخلاقي، ط3.
- مضامين القصيدة عند الشاعر الغنائي يحيى عمر (أبو معجب اليافعي)، د. سعودي علي عبيد، دار جامعة عدن، ط1، 2005م.

المصادر:

- الاغتراب والانتماء في شعر المهاجر الحضرمي، أ.د. محمد عبدالله بن هاوي باوزير، ط1، 2018م.
- الأغنية الخليجية بين التراث والمعاصرة، خالد محمد القاسمي، د. نزار غانم، دار الثقافة العربية (الشارقة)، والفلاح للنشر والتوزيع (بيروت).
- الأواصر الغنائية بين اليمن والخليج، خالد محمد القاسمي، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1988م.
- الغناء اليمني القديم ومشاهيره، محمد مرشد ناجي (المرشدي)، جامعة عدن، ط1، 1983م.
- كتاب الحلقة النقاشية لمهرجان التراث الثامن (فن الصوت)، بندر الشريف، 2000م.

◆ مقالات ودراسات عن مديرية يافع وتاريخها، كتبها مجموعة من الكتاب الصحفيين، دار الفارابي، بيروت، 1985م.

◆ من الغناء اليمني، قراءة موسيقية، عبدالقادر قائد، إصدارات وزارة الثقافة، صنعاء، 2004م.

◆ النور الساطع والدر اللامع في أخبار يافع، مسعود طالب جبران، مركز عبادي، صنعاء، ط1، 2009م.

الدوريات:

◆ الرقصات الأفرو - يمنية/ بحث في افريقانية اليمن الموسيقية، نزار عبده غانم، الثقافة الشعبية، فصلية علمية متخصصة، البحرين، العدد (5).

◆ محمد بن فارس: المبدع في فن الـ(الصوت) الشعبي، خالد عبدالله خليفة، الثقافة الشعبية، فصلية بحرينية، السنة (4)، العدد (13)، ربيع 2011م.

التسجيلات والتواصل الاجتماعي:

◆ حفلة صوت الريان قطر.

◆ صفحة الدان الحضرمي، الفيس بوك، ستجد النص الشعري كاملًا مع سرد لحياته.

◆ فن الصوت البحريني، محمد جمال، محاضرة في مركز عبدالرحمن كانو الثقافي، البحرين، 29 أكتوبر 2013م.

◆ فن الصوت.. موسيقى هارمونية إلهية، محمد العبيدلي، الأدب والفن (مدونة)، 8/ 7/ 2007م.

◆ مدونة جمال السيد، 29/ 4/ 2014م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الهجرة اليافعية في القرن الثالث عشر الهجري: عواملها المعيشية والعسكرية ومخاطرها - دراسة وثائقية

نادر سعد عبادي حلبوب

مقدمة

للبيئة المحيطة بالإنسان أثرها في تكوين شخصيته، وفي الاتجاه الذي يسلكه في حياته، وفي نوازعه الشخصية. ومن طبيعة البشر الذين يعيشون في البيئات الوعرة التضاريس القوة والصلابة والقدرة على تحمل شظف العيش، وهذه البيئات تكون طاردة للسكان أكثر من غيرها، فلا يستقر فيها إلا واحد من اثنين: إما قادر على تحمل أعبائها ومشقاتها أو عاجز عن الهجرة منها، فيقنع بما قل وسدّ الحاجة من خيراتها المحدودة.

ومعلوم أن المنطقة الجبلية من بلاد سَرْو حِمْيَر (يافع) الواقعة في الأطراف الجنوبية للمرتفعات الغربية من شبه جزيرة العرب المعروفة بجبال السروات، هي من أشد المناطق وعورةً في تضاريسها في جنوب الجزيرة العربية، تتميز بارتفاع جبالها، وعمق أوديتها، ووعورة مسالكها، مما جعلها بيئة مغلقة وغير جاذبة للسكان، ودفع بكثير من أبنائها للهجرة منها عبر أجيال كثيرة موغلة في القدم.

وهذا البحث يسلط الضوء على الهجرة اليافعية في القرن الثالث عشر الهجري (1786 – 1883م)، ويدرس عواملها المعيشية والعسكرية ومخاطرها باستنطاق ما ورد في خمس وثائق انتقاها الباحث من بين مئات الوثائق المشابهة، هي مراسلات

وردت من مهاجرين يافعيين، أربع منها تتعلق بحضرموت، موزعة في تواريخها بين السنوات: (1220، 1246، 1284، 1285هـ)، وواحدة وردت من الهند مؤرخة سنة 1228هـ. وقد ذكر الباحث مصادر تلك الوثائق في محلها من البحث، شاكرًا للإخوة الكرام الذين أتاحوها للباحثين بعد أن ظلت محفوظة بأيدي آبائهم وأجدادهم أزمنة طويلة.

وقد اختار الباحث القرن الثالث عشر زمنًا للبحث؛ لأنه كان زاخرًا بالهجرات اليافعية التي اتخذت من بلاد حضرموت وجهة رئيسة لها، ومنها كان يهاجر بعض أهل يافع إلى المهاجر الأخرى كالهند والحبشة والأرخبيل الإندونيسي؛ ولأن وثائق المراسلات التي كانت ترد من المهاجرين إلى ذويهم في هذا القرن كثيرة ومحفوظة ويمكن الاعتماد عليها في دراسة ظاهرة الهجرة اليافعية.

وقد تناول البحث كلًّا من العامل المعيشي والعامل العسكري للهجرة، وما يلحق ذلك من مخاطر الهجرة في ذلك الزمان، مستدلًا على كلامه بنصوص منقولة من الوثائق الخمس، وقد قام الباحث بإعادة كتابة الوثائق، ومحاولة فك بعض كلماتها المستغلقة، وشرح ما يحتاج إلى توضيح في الهامش، بعد قراءة موضوعية لما ورد فيها من نصوص تخدم موضوع البحث، وسيجدها القارئ في الملاحق، مع صور لهذه الوثائق.

المطلب الأول: العامل المعيشي في هجرة أهل يافع في القرن الثالث عشر الهجري

العامل المعيشي هو العامل الأساسي في الهجرة اليافعية، وقد توفرت لذلك عدة دوافع طبيعية وبشرية جعلت من الإنسان اليافعي طائرًا مهاجرًا يقطع الآفاق باحثًا عن رزقه بجهده وسعيه.

فأما الدوافع الطبيعية: فهي تتمثل في التكوين الجيولوجي الوعر لبلاد يافع، وجغرافيتها العنيدة المنعزلة عما حولها في سلاسل جبلية شاهقة، وأودية عميقة ملتوية، وقرىً متناثرة بين رؤوس الجبال وبطون الأودية، وأراضٍ زراعية محدودة

أنشأها الأقدمون في مدرجات تحتضنها الشعاب وجوانب الأودية، لا تكاد تفي بحاجة السكان من القوت الضروري للعيش، فضلًا عن خسرانهم لمحاصيلهم في بعض السنوات نظرًا للقحط الذي يضرب البلاد في بعض المواسم، أو لغارات الجراد التي لا تنقطع، أو للسيول الجارفة للأراضي الزراعية أو لهطول أمطار مصحوبة بالبَرَد تتلف تلك المحاصيل.

وأما الدوافع البشرية: فهي العصبية القبلية المستحكمة، التي أدت إلى تقسيم هذه الأرض المحدودة الشحيحة الثروة تقسيمًا قبليًّا صارمًا بين عشرة مكاتب، لكل مكتب منها حدوده، ثم تقسيم أراضي كل مكتب بين الفخائذ والعصائب والبيوت، فكانت عصبية اليافعي لبني قومه من أهل يافع في وجه الغرباء، ثم لبني مكتبه في وجه أبناء المكاتب الأخرى، ثم لبني فخيذته في وجه الفخائذ الأخرى من المكتب نفسه، ثم لأهل بيته وقرابته في وجه البيوت الأخرى من فخيذته نفسها؛ فلا ينقطع النزاع، ولا تهدأ الحروب القبلية والثارات، وكثيرًا ما كان الانتقال من قرية إلى أخرى، أو الخروج إلى الأرض الزراعية خطرًا يهدد الحياة في مثل هذه الأوضاع، ولولا بعض الأعراف القبلية التي كانت تنظّم السلوك القبلي في السلم والحرب لكانت الحياة مستحيلة في هذه البيئة الصغيرة المنقسمة والمتنازعة.

وقد اتخذ اليافعيون من حضرموت وجهة لهجرتهم منذ أزمنة بعيدة[1]، وقد زادت تلك الهجرات بدءًا من القرن العاشر الهجري لأسباب معيشية وعسكرية هي محل هذا البحث، فضلًا عن المكانة الروحية التي تبوأها مولى عَيْنات[2] الشيخ أبو بكر

---

(1) للاستزادة عن هجرة أهل يافع إلى حضرموت ينظر: الناخبي، عبدالله بن أحمد: الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1999م، ص20 وما بعدها؛ الموسطي، طارق سالم سعد، وآخرون: الموسوعة اليافعية، ط1، دار الوفاق للدراسات والنشر، 2015م، ج12، ص45 – 58.

(2) عَيْنات: بلدة قديمة في وادي حضرموت، تقع على مسافة 8 كم شرق مدينة تريم، أسسها أهل كثير سنة 629هـ. ينظر: ينظر: المقحفي، إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط4، دار الكلمة، صنعاء، 2002م، ج2، ص1158.

بن سالم[1] وأبناؤه وأحفاده في نفوس أهل يافع، فكانت تهدى إليهم العشور والنذور والهدايا كل عام من كل بيت في يافع، وكانت الزيارات من يافع إلى عينات لا تنقطع تبركًا بمناصب عينات وبقبورهم وآثارهم. ونلحظ في الوثيقة (1) هذا الأثر في استهلال الرسالة الذي يصل إلى قرن اسم موالي عَيْنات باسم الله تعالى، بقوله: «والأعلام سارة بالله وسيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم وصاحب الوقت الحبيب الشيخ أحمد بن الحبيب الشيخ سالم نفعنا الله وإياكم بهما آمين[2]» وهو استهلال يتكرر في رسائل كثيرة من رسائل ذلك العهد.

ويمكن تلخيص العوامل المعيشية الفرعية الدافعة للهجرة إلى حضرموت في أربعة عوامل، هي:

1 - التقليد والمنافسة في الهجرة الجماعية نحو حضرموت ومنها إلى غيرها:

وهذا أدى إلى أن يلتحق القريب بقريبه، وأن يحذو ابن القبيلة حذو بقية أبناء جلدته، وأن يسلك مسالكهم ويعمل أعمالهم ذاتها؛ ليكون مثلهم على الأقل. وكان بعض هؤلاء المهاجرين إلى حضرموت يتجه منها إلى وجهات أخرى كالهند، وبعضهم يعود إلى يافع بعد مدّة، وبعضٌ منهم يستقر في حضرموت ويصير له فيها أهل وذرية، ولا يعود إلى مسقط رأسه.

وعادة التقليد والمنافسة في المجتمعات القبلية ظاهرة اجتماعية ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا[3]؛ وهذا يفسّر -مثلًا- اتجاه أهل يافع للاغتراب في دول الخليج العربي

---

(1) هو أبو بكر بن سالم بن عبدالله السقاف الحضرمي: شيخ متصوف له تصانيف. ولد في تريم سنة 919هـ، وتعلم فيها، وسكن عَيْنات، فكانت له فيها زعامة، تنشر أمام موكبه الأعلام، وتضرب بين يديه الطاسات، إلى أن توفي هناك سنة 992هـ. ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج2، ص64.

(2) ولا يخفى ما في هذا التعبير من التجاوز والغلو، ولكنها كانت ثقافة ذلك العصر.

(3) ومن العبارات الشائعة بين أهالي يافع: (رُوْح حيث يروح الرجال)؛ أي: سافر حيث يسافر الرجال، ولا تبق ملازمًا لمسقط رأسك!

في هذا العصر، واتجاه كثيرين منهم حاليًّا للاغتراب في الصين أو غيرها من الدول الأجنبية. ونلحظ هذا العامل في الوثائق محل البحث في مثل هذا النص في الوثيقة (1): «ولا تقطعنا كتابكم لحيث المسافرين كل يوم»، وفي الوثيقة (2): «ونعلمكم بوصول الولد عبد أحمد بن عبدالحبيب بن عامر بن فرج المنصوري إلى عندنا إلى نَقَر»، فهو هنا يتحدث عن وصول مهاجر يافعي جديد إلى مدينة اسمها (نقر) في الهند، ونلاحظ في الفقرة نفسها مقدار الترابط الاجتماعي بين المهاجرين اليافعيين، فقد ذكر أن هذا المهاجر الجديد وصل مدينًا بمبلغ من المال، وأن رفاقه من المهاجرين اليافعيين القدامى لم تطب نفوسهم بتركه هناك مدينًا والسفر دونه، وأنهم قاموا تجاهه بما قدروا عليه.. حيث يقول كاتب الوثيقة: «ونحن كنا في بَرَوْدة[1] وخرجنا لسبتة، وجينا وهو مديون عليه ثلاثين قرش، وكلمناه قلنا له باتخرج بر وقال إننا مديون، ولا سَهَل علينا نخرج ونخلّيه في الهند بوجه متخرب ومحتاج خَلْفنا، اللي هو قلنا إن شاء الله نشلّه من الهند ولا في يدنا شي الذي نبري الدين الذي عليه...».

2 – الالتحاق بالعمل العسكري في حضرموت والهند طلبًا للأجور المالية:

لقد كان الاكتتاب في المجال العسكري والالتحاق بالحاميات اليافعية التي سيطرت حينئذ على معظم أنحاء حضرموت من أهم عوامل الهجرة إلى حضرموت، وإن كان العامل العسكري يبدو عاملًا رئيسًا في هجرة أهل يافع إلا أن دوافعه معيشية بحتة؛ حيث وجد المئات من أبناء يافع في الالتحاق بتلك الحاميات فرصة للحصول على المال والسلاح، والوثيقة (4) توضح لنا بجلاء اكتتاب خمسمئة مهاجر من يافع في جيش القعيطي بحضرموت سنة 1284هـ في مهمة عسكرية مدفوعة الأجر مدتها أربعة شهور، وتحدد قُلْمة (أجور) هؤلاء المقاتلين وقادتهم حسب رتبهم، وتحدد مستحقات القتلى منهم أنها لا تتعدى الأجر المحدد في الاتفاق، ولا تتجاوز مدة الشهور الأربعة المتفق عليها. وسيأتي بيان لهذا الأمر لاحقًا في ثنايا هذا البحث.

(1) برودة: مدينة هندية.

وهذه الأجور المالية التي يكسبها هؤلاء المهاجرون يدّخرون جزءًا مما يفضل منها عن معيشتهم لشراء السلاح الذي يعده اليافعي شيئًا من أهم الأشياء التي يعتز باقتنائها، وما فضل عن ذلك يرسله لأهله في يافع؛ لإنفاقه في أمور المعيشة، ونلحظ في الوثيقة (2) حرص المهاجر اليافعي على سلاحه وعدم سماح نفسه ببيعه في أشد الظروف: «وأصلحنا له بالبيسات[1] الذي معنا سَلَب[2]، ولا عاد سَهِل علينا السَلَب نبيعه»، ونلحظ في الوثيقة نفسها حرص المهاجر على إرسال الهدايا مع المسافرين رغم بعد المسافات، وتأكيده على العناية بالنساء من أهله: «وبيد العبّادي إليكم في حفظ الله بيد الصنو[3] عوض عبدالله بلّصور اليافعي الساكن طِسَة[4]، وذلك موسين وفوطة حرير، خلس[5] حرير لك يا ولد زيد، وفتقتين[6] واحدة بيضا جديد والثانية صفراء ملبوسة للمكالف[7] فاطمة وأمها حليمة بنت فرج، والقرشين المذكورة لفاطمة بنت أحمد علي، وأمها فاطمة بنت علي، عرفنا عوض يوخذ بالقرشين ثوب كبير من الشِّحر إن قد خذ شي هو للحُرمة فاطمة بنت علي والقصد صحيح، تفضلوا بقبول ذلك ولا هُم من قَدْركم، ولا تخلّي شي يقصر على المكالف، ونحن نوفي ما سلمته عليهم»، وفي ختام

---

(1) البيسات: النقود. وقد كتبت في الوثيقة (2) هكذا: الباسات.

(2) السَّلَب: السلاح.

(3) الصنو: النظير والمثل. ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط2، المكتبة الإسلامية، إستنابول، د. ت، مادة (صنو)، ص526.

(4) طِسَة: وادٍ كبير، من أودية مكتب الناخبي في يافع بني قاصد، يبدأ انحداره جنوب بلاد أهل حميقان، ويتجه مجراه عبر سلسلة من الجبال الشاهقة إلى الجهة الجنوبية حتى يصب في سبّاح بأعلى وادي سُلُب، ويجاوره من الشرق والشمال الشرقي وادي حَدَق الغُبران، ومن الغرب وادي العِرْقة، وفيه عدة قرى، ويتبع مديرية سبّاح في محافظة أبين. ينظر: العُمَري، نادر سعد حلبوب: الموسوعة اليافعية، ط1، دار الوفاق، عدن، 2015م، ج6، ص83 – 92.

(5) خلس: يبدو انه نوع من الملابس.

(6) فتقتين: قطعتين من الملابس.

(7) المكالف: جمع مَكْلَف، وهي صفة للنساء في معظم بلاد اليمن، لأنها محل النفقة والكلفة على الرجل.

هذه الوثيقة ينبه مرسلها على مبلغ من المال أرسله من الهند، ويحدد قيمته بالقرش (الريال النمساوي) ويؤكد على نفقة النساء من أسرته، معللًا ذلك بأنهن لا يمتلكن بقرة، والبقرة من مصادر العيش المهمة عند أهل يافع في ذلك العصر: «...وأنت سيدي حال ما يصل عوض عبدالله تسير لا عند عبدالصفي يطلق عليك الباسات، وهي ثنتين وثلاثين رُبّية جات بأربعة عشر قرش وثلث قرش، وبعد ختم الكتاب قد القروش عند عوض عبدالله أمانة، وقد قلنا له لا (لو) اعتازين[1] المكالف فاطمة وأمها يطلق عليهن عوض، وقلنا له إن ما شي معاهن بقرة ولا يوجد لهن بقرة».

3 - التجارة:

ارتبطت يافع مع المدن الساحلية والبلدان البعيدة بعلاقات تجارية منذ القدم، وكانت التجارة عاملًا معيشيًّا دافعًا للهجرة بحثًا عن الرزق، وإن كانت التجارة محدودة الأثر في هجرة أهل يافع في القرن الثالث عشر الهجري، فلم يبرز حينها تجار كبار من المهاجرين اليافعيين. وتوجد وثائق كثيرة توثّق للتبادل التجاري الداخلي (مع المدن الساحلية اليمنية مثل عَدَن وشُقْرة[2] والمكلاّ والشِّحْر والمَخَا)، أو الخارجي (الهند)، وسيبذل الباحث جهده مع بقية الباحثين في إخراج هذه الوثائق إلى النور، وتقديمها في دراسات علمية تسلط الضوء على ما تتضمنه من معلومات.

وسيعرض الباحث شاهدًا على هذه النقطة في وثيقة كُتبت في أواخر سنة 1285هـ (ينظر الوثيقة 5)، حيث رَصَد فيها التاجر اليافعي الشيخ عبدالله زيد بن عُلاية المنصوري الناخبي البضائع التي اشتراها من بندر المكلّا، وحدّد أسعارها وأسماء التجار والحرفيين الذين تعامل معهم، وتكلفة نقلها بحرًا إلى بندر شُقرة، ومبيعاته في شقرة، وأسماء الأشخاص الذي تعامل معهم هناك، وتكلفة إقامته هناك وأجرة نقل

---

(1) اعتازين: انتقصن، واحتجن.

(2) شُقرة: مدينة ساحلية معروفة، تقع في أبين، شرق مدينة زنجبار، وفيها ميناء صغير وقديم، كانت عاصمة للسلطنة الفضلية إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري. ينظر: المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج1، ص873.

حمولته على ظهور الجمال إلى يافع. ويلاحظ أن البضاعة المجلوبة من حضرموت تتنوع بين ألبسة وهي الأكثر، وأدوات زينة، وأسلحة، وأطعمة، وأن التاجر اعتنى عند شراء الأقمشة على تفصيلها وتزيينها وحدّد كل التكاليف تفصيلًا؛ مما يلقي الضوء على أوضاع الأسواق الشعبية في المكلا وشقرة في ذلك العهد. والعلة في التركيز على هذه البضائع سهولة حملها ونقلها على ظهور الجمال، وحاجة الناس إليها في يافع، بينما يمكن الحصول على الأطعمة من الأسواق الداخلية أو من المناطق المجاورة كالبيضاء وأبين.

4- البحث عن الأمان:

يلجأ بعض الناس إلى الهجرة بحثًا عن الأمان هربًا من مجتمع قبلي لا تهدأ فيه موجات الصراع، إما خوفًا من ثأر يطارد القبيلة كلها، أو انعتاقًا من استضعاف سببه قلة الرجال وعدم القدرة على الدفاع عن النفس والمال. وقد ورد في الوثيقة (2) استحسان مرسلها، – وهو اليافعي المهاجر – للهند؛ لوجود نظام عادل فيها يعاقب الجناة ويقتص للمظلومين، حيث قال بعد أن وصف بعض القوانين النافذة هناك: «والحاصل أن الهند عروس تنعش محنية لمن بايهون واللي بايلحقه بخس وإلا عليه دم ولا عاد في جنبه رجال.» فشبّه الهند بالعروس الجميلة المخضبة بالحناء لمن لحقه الهوان والبخس في بلده، أو عليه ثأر (دم) وليس لديه رجال يحمونه ويقاتلون معه في أرضه؛ لأنه سيجد فيها الأمان.

المطلب الثاني: العامل العسكري في هجرة أهل يافع في القرن الثالث عشر الهجري

يولد اليافعي جنديًا، وينشأ مقاتلًا، تجذبه ساحات النزال، وتسلب لبّه هيعات الوغى، في مجتمع منقسم قبليًا، لا يهدأ فيه النزاع، ولم تنطفئ منه نيران الفتن إلا بعد الاستقلال الوطني وقيام الجمهورية في 30 نوفمبر 1967م[1].

(1) للاستزادة عن هواية اليافعي للجندية، ينظر: الناخبي: الكوكب اللامع، ص24.

لقد كانت الطبيعة العسكرية للإنسان اليافعي عاملًا من عوامل الهجرة؛ للالتحاق بالجيوش والحاميات العسكرية في حضرموت والهند وغيرهما، وقد بلغت هذه الهجرة ذروتها في القرن الثالث عشر الهجري؛ وكان لها دوافعها، ويبقى الدافع المعيشي هو الدافع الأول كما سبق بيانه. ومن هذه الدوافع:

1 - نشوء إمارات وحاميات عسكرية يافعية في حضرموت:

فقد شهدت حضرموت نشوء عدة إمارات وحاميات عسكرية يافعية بدءًا من القرن الحادي عشر الهجري، مثل إمارة ابن غرامة البعسي[1] في تريم، وإمارة ابن عبدالقادر البعسي[2] في تريم، وإمارة ابن هُمام الناخبي[3] في تريم أيضًا، وإمارة الكسادي[4] في

(1) آل غرامة: أسرة يافعية تعود أصولهم إلى لبعوس، أقاموا إمارة صغيرة في الناحية الشرقية من مدينة تريم في حدود سنة 1044هـ/ 1634م، وناصر بعض أمرائهم الدعوة الوهابية عند دخولها إلى حضرموت، ودخلوا في نزاعات مع الحاميات اليافعية وآل كثير، حتى انتهت تلك الإمارة سنة 1262هـ/ 1846م. ينظر: الموسطي وآخرون: الموسوعة اليافعية، ج12، ص141 - 153.

(2) آل عبدالقادر: إحدى الحاميات اليافعية في تريم بحضرموت في القرن الثالث عشر الهجري، ويعود نسب آل عبدالقادر إلى آل عَمْرو في لَبْعوس، وكان لهم حصن النُّوَيْدرة شمال مدينة تريم، وقد دخلوا في تنافس شديد مع آل غُرامة البُعسيين، وانتهت إمارة آل عبدالقادر سنة 1263هـ/ 1847م. ينظر: الموسطي وآخرون: الموسوعة اليافعية، ج12، ص67 - 68.

(3) آل بن هُمام: أسرة يافعية، تعود أصولهم إلى ذي ناخب، كانوا حكامًا لناحية الخليف في مدينة تريم، ولهم حصن الرَّنَاد أحد الحصون الكبيرة هناك، وقد انتهت إمارتهم بتسليم حارة الخليف في تريم إلى سلاطين آل عبدالله الكثيريين سنة 1262هـ/ 1846م. ينظر: الموسطي وآخرون: الموسوعة اليافعية، ج12، ص73.

(4) الإمارة الكسادية: إمارة تأسست في المكلا سنة 1115هـ/ 1703م، وامتد نفوذها إلى بعض المناطق الواقعة في ساحل حضرموت، مثل بروم والحامي وشرمة، وكان انتهاء السلطنة سنة 1299هـ/ 1881م، وتعود أصول أمراء آل كَسَاد إلى مكتب ذي ناخب في يافع. ينظر: مرجان، سامي ناصر: الإمارة الكسادية في حضرموت، ط1، دار الوفاق للدراسات والنشر، 2012م، ص80 - 317.

المكلا، وإمارة آل بن بُرَيْك الناخبي[1] في الشحر، وأخيرًا قيام السلطنة القعيطية[2] التي وحّدت كل الإمارات والحاميات اليافعية في كيان واحد شمل معظم بلاد حضرموت. وكانت هذه الإمارات والحاميات بحاجة مستمرة إلى الرجال المقاتلين؛ ونظرًا لأنهم من أصول يافعية، فقد كانوا حريصين على استقدام مقاتلين من أبناء يافع لضمان ولائهم، وأدى هذا إلى هجرة أعداد كبيرة من أبناء يافع إلى حضرموت، ومنها إلى الهند وغيرها من البلدان التي كان للحضارم ارتباط بها، واستمرت هذه الهجرة إلى سقوط السلطنة القعيطية سنة 1387هـ/ 1967م.

وفي الوثائق محل البحث نلاحظ أثر هذه الإمارات والحاميات في هجرة أهل يافع في القرن الثالث عشر الهجري.. ففي الوثيقة (1) يخبر مرسلها أن النقيب عبدالرب بن صلاح الكسادي[3] أمير المكلا استقبلهم عند وصولهم إلى بندر المكلا، وكانوا قد قل زادهم وارتكبهم دَين بسبب طول مسافة السفر من يافع، فقام بضيافتهم وإكرامهم وسداد ما خسروه في الطريق من أموال، وأنه زودهم بالمال والرصاص والبارود عند انطلاقهم من المكلا إلى سيؤون، حيث يقول: «ومع وصولنا إلى البندر التقانا النقيب

---

(1) إمارة آل بن بريك: إمارة تأسست في مدينة الشحر سنة 1165هـ/ 1751م، ودامت إلى أن سقطت على يد آل عبدالله الكثيريين سنة 1866/ 1283م، وتعود أصول أمرائها إلى ذي ناخب في يافع. ينظر: الجوهي، خالد حسن: إمارة آل بن بريك في الشحر، ط1، دار الوفاق، عدن، 2010م، ص49 – 102.

(2) السلطنة القعيطية: أسسها الجمعدار عمر بن عوض بن عبدالله بن عامر القعيطي اليافعي بدءًا من سنة 1265هـ/ 1849م، وتعاقب عليها أبناؤه وأحفاده، وتوسعت حتى شملت معظم بلاد حضرموت حتى سقطت سنة 1387هـ/ 1967م. ينظر: البكري، صلاح بن عبدالقادر: تاريخ حضرموت السياسي، ط1، مركز عدن للدراسات التاريخية، عدن، 2019م، ج2، ص7، 26، 29، 43، 81؛ الموسطي وآخرون: الموسوعة اليافعية، ج12، ص165 – 309.

(3) هو عبدالرب بن صلاح بن سالم بن أحمد الكسادي، النقيب، تولى الإمارة قبل سنة 1227هـ/ 1812م، ودخل في صراع طويل مع إمارة بن بريك في الشحر، وتوفي في المكلا سنة 1258هـ/ 1842م. ينظر: مرجان: الإمارة الكسادية، ص101.

عبدالرب بن صلاح، وعَزّ نحنَ[1] وجَبَر نحنَ، ومع وصولنا إلى عنده وصل القوم دَين وقِل أزواد، وأعطى نحنَ ما خسرناه في الساحل، وزوّد نحنَ إلى حضرموت بميتين قرش وباروت ورصاص وجميع ما طلبناه ويغذّنا من المكلا»، ويتحدث في الوثيقة نفسها عن إكرام صاحب رتبة سيؤون لهم عند وصولهم: «وحال الأرقم التقى نحنَ صاحب سيؤون وعزّ نحنَ جَم جَم جَم»[2]، ويشير في الوثيقة نفسها إلى نفوذ أهل يافع وسيطرتهم الكاملة على مدن سيؤون وتريم وأنهم أصحاب الكلمة فيها، فلا يدخل عليهم غيرهم دون إذنهم: «والأرض لهم، لا يدخل عليهم داخل إلا قبيلي وإلا مجير في سيؤون، هذا كذلك حال...[3] نافذين عُقّال إلى تريم، وبغوا شور سيؤون وتريم وحوارجها[4] واهدة وساكنة».

2 - استمرار الصراع في حضرموت في سبيل الحكم:

وقد دام هذا الصراع بين يافع وآل كثير، أو بين الإمارات والحاميات اليافعية بعضها ضد بعض منذ القرن الثاني عشر حتى قيام السلطنة القعيطية، حيث تحول الصراع إلى قعيطي -كثيري، إلى أن عُقدت معاهدة سنة 1336هـ/ 1918م[5] التي أنهت الصراع بين الجانبين، وبقي الصراع بعد ذلك بين الجيش القعيطي ذي الكثرة اليافعية وبعض القبائل المتمردة بين حين وآخر. وأدى هذا إلى الحاجة المستمرة لاستقدام مقاتلين من يافع.

---

(1) عز نحن: عزنا، وجبر نحن: جبرنا، جريًا على لهجة أهل حضرموت، حيث يقيمون الضمير المنفصل محل الضمير المتصل.

(2) أي: وحال كتابة الأرقم (حروف الرسالة) التقى صاحب رتبة سيؤون بنا وأعزنا وأكرمنا كثيرًا كثيرًا كثيرًا. وتكرار كلمة (جم) بمعنى كثير شائع في لهجة حضرموت، وتتكرر في الرسائل الواردة من حضرموت.

(3) كلمة غير واضحة في الوثيقة.

(4) حوارجها: حواريها، ومدينة تريم مشهورة بحاراتها التاريخية إلى الآن.

(5) باسمير، حسن علي: السلطنة القعيطية في حضرموت، ط1، دار الوفاق، عدن، 2012م، ص59 وما بعدها.

وتشير بعض الوثائق محل البحث إلى لمحات من هذا الصراع، ففي الوثيقة (1) يخبر مرسلها عن مناوشة حدثت بين جنود السلطان جعفر بن علي بن عمر الكثيري[1] والرتبة اليافعية التي في سيؤون استمرت أربعة أيام في خلاء سيؤون، وأدت إلى سقوط قتلى وجرحى من الجانبين: «ومع وصولنا إلى المكلا حصل بين جعفر بن علي ورتبة سيؤون حرب وحف في خلا سيؤون أربعة أيام، وانقطعت القوم من غير وجه، وقُتل من عندنا من يافع عبد، وصوّب سهل بابكر في أحد من عيال الرتبة، وقتل كثيري وصوّب سهل»، وفي الوثيقة (3) يخبر مرسلها عن فتنتين نشبتا بين أهل يافع، إحداهما في سيؤون بين أهل الشرفي وأهل الشيخ علي بن هرهرة، سببها مقتل رجل من أهل الشرف اسمه ابن عبدان، قتله أحد أهل المرفدي، لكن أهل الشرف اتهموا أهل الشيخ علي بالوقوف وراء مقتله، فتدخل مناصب عَيْنات ذوو المكانة الروحية عند أهل يافع للتهدئة والصلح بين الطرفين؛ لكنهم لم يستجيبوا لذلك، واستمرت الفتنة بينهم إلى حين كتابة الوثيقة، حيث يقول واصفًا لها: «وأخبار حضرموت الحوادث لم تزال، وأخبار الشيخ علي والشرَّفَ[2] الفتنة[3] قائمة بينهم على سبّة[4] بن عبدان، قتله المَرْفَدي، قالوا الشرف ما قتله إلا بن يحيى بن عمر[5]،

(1) تولى السلطنة بين سنة 1218، وفي عهده استولى على شبام ووادي عمد وبعض من دوعن وحورة والكسر، وحاول الاستيلاء على سيؤون فعجز عن ذلك وتصالح مع الحامية اليافعية فيها، ودخل في حرب مع منصب عينات حتى قبيل وفاته سنة 1223هـ. ينظر: الكثيري، سالم بن أحمد بن مرعي: آل كثير: فصول في الدول والقبائل والأنساب، ط1، د. ن، 2011م، ص149.

(2) مقصوده آل الشيخ علي هرهرة وأهل الشَّرَف. واسم الشرف اسم لعدة قرى، ولقب (الشَّرَفي) يطلق على عدة قبائل في يافع.

(3) يراد بالفتنة الاقتتال في لهجة يافع.

(4) سُبّة: أي: بسبب.

(5) آل يحيى بن عمر: أسرة من آل الشيخ علي بن هرهرة في حضرموت، كان لها شأن هناك، ينتسبون إلى جدهم الأعلى يحيى بن عمر هرهرة الذي كان قائدًا للفرقة الثانية في الجيش اليافعي بموقعة بَحْران التي قادها السلطان عمر بن صالح هرهرة سنة 1118هـ. ينظر: السلفي، سالم عبدالرب (د): معجم أعلام يافع، ط2، عدن، 2013م، ص471.

ووصل الحبايب[1] سالم بن أحمد[2] وسقاف بن الحبيب بوبكر[3]، وطَرَّبوا[4] بعرضه، ودخلوا يسعوا، وحصل غدور[5] من الشَّرَف على عبد الشيخ علي وقتلوه، ونقدوا الحبايب[6]. ولما سلخ رمضان دخل ولد الشيخ عمر قاسم عبدالله بين مراتب أهل الشرف وطَرَّب، وظل يوم والليل نَطَف[7]، وحال صدرت[8] كلما دخلت واسطة ما جاءوا سوى بن يحيى بن عمر بقول الحق، والشرف يقولون إما يقر وإلا يعطي نحن عشرة حلّافة وبَشْعة[9]، وحال صدرت والهَدّة[10] بينهم». والفتنة الأخرى التي تحدث عنها صاحب الوثيقة نشبت في تريم في رمضان سنة 1246هـ بين حامياتها الثلاث: آل غرامة، وآل بن همام، وآل عبدالقادر، وكلها حاميات

(1) الحبايب أو الأحباب: لقب يُطلق على مشايخ الهاشميين من آل باعلوي في حضرموت.

(2) هو: سالم بن أحمد بن سالم بن أحمد بن علي، من ذرية الشيخ أبي بكر بن سالم، توفي في عَيْنات سنة 1277هـ. ينظر: محمد بن سقاف بن أبي بكر: بستان العجائب في ذكر إخوان وأعمام المناصب، ط1، الدار الفخرية، جاوة، د.ت، ص222 – 223.

(3) هو سقاف بن أبي بكر بن أحمد بن سالم، منصب عينات في زمنه، من ذرية الشيخ أبي بكر بن سالم، عاش في القرن الثالث عشر الهجري، وكان معظَّمًا عند أهل يافع. ينظر: ابن أبي بكر: بستان العجائب، ص224.

(4) طَرَّبوا: نادوا، والتطروبة بلهجة حضرموت: المناداة. والمقصود أنهم دعوهم إلى الصلح.

(5) أي: غدر.

(6) أي: واستنكر الحبايب هذا الغدر. وتحتمل قراءة الكلمة: ونفدوا الحبايب، أي: رجعوا.

(7) نطف: يراد به في لهجة يافع العناد، واستثارة المشاكل لأي سبب، وعدم القبول بالحلول.

(8) أي: حال صدور الرسالة وإرسالها.

(9) البَشْعة: طريقة قديمة من قبيل الشعوذة، يقصد بها معرفة الجاني بإدخال قطعة من الحديد عليها رموز وطلاسم وهي مسخّنة بالنار لدرجة الاحمرار إلى لسان المتهم، فإن كان بريئًا فلا تؤثر فيه النار، وإن كان أثيمًا فتحترق لسانه كما يعتقدون، ويقوم بها حكم معروف من فخيذة محددة من أفخاذ القبائل، ويتوارثونها بينهم؛ ويبدو أن للعامل النفسي أثره في احتراق اللسان من عدمه. ينظر: الشاطري، محمد بن أحمد: أدوار التاريخ الحضرمي، ط3، دار المهاجر، المدينة المنورة، 1994م، ص343.

(10) الهدّة: المعركة.

يافعية، كانت تتقاسم النفوذ على مدينة تريم في ذلك العهد، واستمرار الحرب فيما بينهم إلى تاريخ كتابة الوثيقة في أوائل ذي القعدة من السنة نفسها، وإلى سقوط قتلى من العبيد، مما يشير إلى الدور العسكري الذي كان يقوم به العبيد في صراع الحاميات اليافعية في حضرموت، وتشير الوثيقة في الفقرة نفسها إلى التفاف آل كثير حول السلطان (بن عيسى بن بدر) ويقصد به السلطان منصور بن عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري[1] ضد الوجود اليافعي، ويخبر أنه لم يصدر منهم أذى إلى تاريخ كتابة الوثيقة، وهو بهذا يتوجس منهم الشر والخطر، وقد صدق توقعه حيث بدأ الصراع بين السلطان المذكور وأهل يافع في حضرموت بعد تاريخ الوثيقة بثلاث سنوات، سنة 1249هـ[2]. يقول صاحب الوثيقة: «وأخبار الشق الحِدْري[3]، لبعوس، بن غرامة شَق[4]، وبن عبدالقادر وبن همام شَق، يحتربون[5]، وحصلت هدّة في رمضان، وقتلوا عبدين على غرامة[6]، وعبد على بن همام وعبد على بن عبدالقادر، وحال صدرت وهم يحتربون، كذلك آل كثير يتعصبون بن عيسى بن

---

(1) هو ثاني سلاطين أسرة آل عيسى بن بدر الكثيري، كان حكمه بين سنتي (1243 - 1274هـ). ينظر: محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ط1، تريم للدراسات، 2002م، ص188 - 216.

(2) ينظر: محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ص189.

(3) ينقسم وادي حضرموت في عُرف أهله إلى شقين (قسمين): علوى وحِدْري، فالعلوى: أعلاه، وهو الجهة الغربية منه، والحِدْري: أسفله، وهو الجهة الشرقية منه، والكلمة مأخوذة من الانحدار، ومدينة تريم تقع في الشق الحِدْري.

(4) شق: جهة.

(5) أدى التنافس بين الحاميات اليافعية في تريم إلى انقسام المدينة لثلاث مناطق نفوذ، فكان ابن هُمام الناخبي في الخُلَـيْف وعِيديد في الغرب والجنوب الغربي من المدينة، وبيدهم حصن تريم الشهير المسمى بالرَّنَاد، وابن غرامة البعسي في الحوطة والسُّحَيل والرضيمة في الوسط، وابن عبدالقادر البعسي في النُّوَيْدرة في شمال المدينة. ينظر: السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله: بضائع التابوت، مخطوط، عندي مصورة منه، ج2، ص171؛ الموسطي وآخرون: الموسوعة اليافعية، ج12، ص73.

(6) أي: على ابن غرامة.

بدر ولا بعد شي ظهر منهم».

وعندما تأسست السلطنة القعيطية تدفق اليافعيون بأعداد كبيرة إلى حضرموت، جنودًا يقودهم عرفاؤهم ونقباؤهم، في عقود واضحة محددة الزمان والمهمة والأجر والرُّتَب، والوثيقة (4) التي كتبها ووقعها الجمعدار عوض بن عمر بن عوض القعيطي[1] المؤسس الثاني للسلطنة القعيطية تحدد بوضوح هذا الأمر، حيث حددت عدد الجنود بخمسمئة جندي يافعي، يقودهم الشيخ عبدالله زيد بن علاية المنصوري الناخبي، وحدد لكل درجة من درجات الجيش قُلْمتهم (راتبهم الشهري)، ومدة العقد بأربعة شهور قابلة للتمديد، وحددت المهمة بأن يكونوا مرتبين في رتب (حاميات) إما في الشحر أو حضرموت (الوادي)، واشترط عليهم التُّبْعة والسُّمْعة (السمع والطاعة) والوفاء بالعقد.

3 - وجود قيادات عسكرية يافعية كبيرة في الهند:

فكان اليافعيون يسافرون إلى هناك من حضرموت للالتحاق بالجيش تحت قيادة ضباط يافعيين من المهاجرين القدامى، حتى بلغ المهاجرون إلى هناك أعدادًا كبيرة، ومعظم هذه الهجرة كانت في القرن الثالث عشر الهجري، ويوجد الآن في بعض مدن الهند جاليات كبيرة من ذوي الأصول اليافعية، لم يسلِّط الضوء عليهم أحد بالدراسة العلمية إلى الآن. وقد كشفت لنا الوثيقة (2) اسم قائد عسكري يافعي برتبة جمعدار[2] اسمه أحمد بن محسن، حيث يقول صاحب الرسالة: « ويسلمون عليكم الجمعدار أحمد بن محسن»، وبما أن المرسِل والمرسَل إليه من مكتب الناخبي، فأغلب الظن

---

(1) هو: عوض بن عمر بن عوض بن عبدالله بن عامر القُعَيْطي، السلطان، ولد في حيدر أباد بالهند سنة 1216هـ/ 1801م، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه عام 1282هـ/ 1865م، وتوفي في حيدر أباد في الهند سنة 1328هـ/ 1910م. ينظر: باوزير، سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي، ط3، دار الوفاق، عدن، 2012م، ص289 - 313.

(2) الجمعدار: كلمة أوردية تتألف من كلمتين: (جمع - دار)، بمعنى صاحب او قائد. وهي رتبة عسكرية تمنح لقائد ألفين من الجنود. ينظر: باسمير: السلطنة القعيطية، ص29.

أن يكون هذا القائد من مكتب الناخبي أيضًا. وقد وجد الباحث أسماء قواد عسكريين آخرين من يافع في الهند نالوا هذه الرتبة، في وثائق أخرى وردت من بني بكر، سيكشف عنها في دراسات قادمة إن شاء الله.

ونجدُ في الوثيقة نفسها خبراً عن وجود سبعمئة عربي في مدينة اسمها (كش) في الهند، كلهم من طالبي الالتحاق بالجندية، وأن القائمين على تسجيل الجنود في الجيش طلبوا قدر خمسمئة جندي فقط مع عريف بيرق؛ وأخبر أن النظام السابق للجيش هناك كان يقبل تحت البيرق الواحد (بمنزلة الكتيبة) قدر سبعمئة جندي، لكن تصرفات الجنود العرب جعلت القائمين يخفضون العدد إلى خمسمئة!، حيث يقول: «عن أخبار كش فتح محمد طلب العرب قدهم كش قدر خمسمية وعريف بيرق، والعرب قدر سبع مية، عسى الله يطول عمره ويهدي العرب ما يخربون الركانة، وقد سبروا يغيرون الخاوند في كش، قد كان البيرق بسبع ميه وحال الكتاب قد البيرق في خمسمية ونصف، والسبب العرب عسى الله يهديهم بحق محمد وآله أجمعين».

4 - سعة الأرض في حضرموت وإمكانية التملك والسلطة والنفوذ:

فقد انتشرت القبائل اليافعية في ربوع حضرموت وعمروا الحصون وامتلكوا مساحات واسعة من الأرض وكونوا كياناتهم السياسية والعسكرية وصاروا أصحاب النفوذ والقوة، حتى صار يطلق عليهم في حضرموت لقب (العسكر). وهذا يمكن الاستدلال عليه بما ورد سابقًا في ثنايا البحث من الكلام عن الإمارات والحاميات اليافعية التي استوطنت حضرموت.

المطلب الثالث: مخاطر الهجرة

إذا كانت العوامل المعيشية والعسكرية دافعة للهجرة، فإن الهجرة بذاتها محفوفة بمخاطر جمّة، كان المهاجرون في العصور الماضية يكابدونها، ومن تلك المخاطر التي يمكن استنباطها من الوثائق محل البحث:

1 - مشقة الطرق وأخطارها:

فالطرق المسلوكة كانت غالبًا في البر، وأحيانًا في البحر، وكلها محفوفة بالأخطار، من بُعد المسافات، وتعرض المسافرين للمرض، وقطاع الطريق، وتعنت القبائل التي يسلك المسافرون أراضيها، ونفاد النفقة، والضياع، ونلاحظ وصفًا لشيء من ذلك في الوثيقة (1) حيث يقول مرسلها واصفًا طريقه من يافع مرورًا بساحل البحر إلى المكلا: «ومع نفوذنا[1] من عندكم كان مرادنا طريق بحر، وما قدَّر الله، ورجعتْ طريقنا ساحل البحر، وحصلت علينا تعاويق[2] في الطريق من فضلي ومن عولقي[3]، مراده بكلام قَبْوَلة[4] وبشرع وافي، وعَبَرْنا وأجزنا إلى المكلا اثنين وعشرين نهار، ولا خرب علينا حال، بل السفر قدكم عالمين به، قطعة من النار»، ثم يقول واصفًا ما اعترضتهم من صعوبات في طريقهم من المكلا إلى سيؤون: «وحصلت تعاويق علينا من جابري[5] وغيره في قطع طريق، يضربون من رؤوس الجبال ومن حصونهم ضِرَاب جو، لحيث قد عليهم كلام...[6] على أن القوم ألا نعبر عرض أحد منكم».

2 - الموت في المهجر:

وهو كثير الحدوث، إما موتًا طبيعيًّا، أو قتلًا في الحروب التي يخوضها المهاجرون اليافعيون مع الجيوش أو الحاميات التي يلتحقون بها في مهجرهم، وكان أهلهم في يافع

---

(1) نفوذنا: خروجنا.

(2) تعاويق: معوّقات وصعوبات.

(3) أي: من قبائل أهل فضل في أبين ومن العوالق في أَحْور وما يليها من بلاد العوالق السفلى الساحلية.

(4) قَبْوَلة: أي: أعراف قبلية.

(5) جابري: نسبة إلى آل جابر، وهم بطن من آل كثير في حضرموت، وتقع بلادهم في أعلى هضاب وادي بن علي، ويفصلها من الجنوب ريدة الجوهيين، ومن الشرق وادي عِدِم، ومن الغرب وادي مَنْوَب. ينظر: البكري: تاريخ حضرموت السياسي، ج2، ص100 - 101.

(6) في هذا الموضع من الوثيقة كلمة غير واضحة.

لا يعلمون بموتهم إلا بعد مدة طويلة بوصول الخبر مع مسافر أو في رسالة. وفي الوثائق محل البحث نلقى أمثلة على ذلك، ففي الوثيقة (2) يخبر مرسلها عن أشخاص من أبناء منطقته (العِرْقة)[1]، سافروا إلى المهجر الهندي للعمل جنودًا في جيوشها، وتوفوا هناك، حيث يقول: «وأنت يا ولد زيد تكلم مع عيال عبدالحبيب: عبدالكريم وسالم أخوه، بوفاة صنوهم أحمد عبدالحبيب بن سالم عامر، توفي في بهار نقر عند عطا بهي، ووصّى على يد عوض أحمد المرفدي بن علي عامر»، ويقول: «ونعلمكم بوفاة الوالد عبدالقادر بن هُمَام توفي إلى رحمة الله – عظم الله أجركم – وأحسن عزاكم ولد جابر، نقص على الأخيار وعلى أصحابه قرى بكَش[2]، أعلِموا الصنو علي محسن أن خاله توفي رحمه الله».

3 – فقدان الهوية والذوبان في الثقافات الجديدة:

وهذا يحدث في المجتمعات المختلفة في ثقافتها مع الثقافة العربية الإسلامية كالهند، حيث ينصدم المهاجرون العرب بواقع جديد لم يألفوه، فيندفع كثير منهم إليه، ويفقدون هويتهم وأخلاقهم تدريجيًّا، وهذا يسبب ألمًا للغيورين من المهاجرين العرب هناك. ونلاحظ الشكوى من ذلك الواقع في الوثيقة (2)، حيث يصف مرسلها الوضع في الهند وحال العرب المهاجرين هناك قائلًا: «وفي الهند أمور ثانية ما هي مليحة.. فسق وخمر وزنا وضياع دين ودنيا، أقل العرب الذي عاد يصلي ويذكر الله. الخلق في غفلة عن الله وعن الآخرة، ما ندري أيش تقع الخاتمة»، ويقول في الوثيقة نفسها مستشهدًا على شكواه بآيات من القرآن الكريم: «والعروبية قَدْها في التراب... رحمهم الله ويرحم العروبية. أما اليوم والله إن العرب لا عاد يهابون الفضيحة ولا العار

---

(1) العِرْقة: وادٍ كبير، من أودية مكتب الناخبي في يافع بني قاصد، يبدأ انحداره جنوب شرق جبل العُر، ويتجه انحداره جنوبًا حتى يصب في وادي سَبّاح، وتحيط به سلاسل جبلية عالية، ويجاوره من الشرق وادي طِسة، ومن الغرب وادي ذي ناخب. وفيه قرى كثيرة، وهو يتبع مديرية سَبّاح. ينظر: العُمَري: الموسوعة اليافعية، ج6، ص58 – 75.

(2) يبدو أنه اسم المكان الذي توفي فيه هذا المذكور في الهند.

غير اللي قال الله: ﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[1]... قال سبحانه وتعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2]».

4 - الحنين إلى الوطن والقلق على الأهل والمال:

كانت الهجرة انقطاعًا طويلًا عن الأهل والوطن، لا يصله من أخبارهم إلا ما يأتي به المسافرون، ومن طبيعة الاغتراب الحنين إلى الأهل والأوطان والشوق إليهم والقلق عليهم. ونلحظ هذا في الوثيقة (1) حين يقول مرسلها: «ونحن علينا الليلة مثل سنة، لحيث الشوق إليكم جَم جَم لساعة هذا الذي نحن فيه، ونحن واكنين وراكنين إلا على الله وعليكم ومستأمنين، لحيث من قد غاب من عياله وماله ذلح العار على غيره. الله الله الله[3] في عيالنا ومالنا وما يعوز نحن ما عاد نوصيكم بحال»[4]. ونلحظ في الوثيقة (3) حرص مرسلها على نتاج أرضه، ومطالبته بتحقيق مقداره، في قوله: «وقد صَدَرْنا لكم ثلاثة خطوط ولم يرجع جواب، فحسبنا منكم من كل الكتب قدكم تحققون[5] لنا ما هو لنا؛ حيث عندكم لنا ثَمَر خمس سنين، الله الله في التحقيق».

الخاتمة

بعد أن استعرض الباحث العوامل المعيشية والعسكرية لهجرة أهل يافع في القرن الثالث عشر الهجري، ومخاطرها؛ بناء على الوثائق التي انتقاها محلًّا للبحث، فقد

---

(1) الأنعام: 49. وقد ورد في الأصل (بما كانوا يكفرون) وهو خطأ في كتابة الآية.

(2) المجادلة: 19.

(3) الله الله: تكرار لفظ الجلالة يراد به التأكيد في التوصية.

(4) معنى هذه العبارة: ونحن تمر علينا الليلة مثل سنة كاملة، حيث إن الشوق إليكم شديد، إلى هذه الساعة التي أكتب فيها رسالتي إليكم ونحن معتمدون على الله ثم عليكم، ومن غاب عن أهله وعياله فقد استأمن عاره (عرضه) على غيره، نؤكد عليكم الوصية في أهلنا ومالنا فلا تقصروا في حقهم.

(5) الكتب: الرسائل. تحققون: توضحون.

استخلص جملة من النتائج والتوصيات، يوجزها فيما يلي:

أولًا: النتائج:

1. هناك دوافع طبيعية وبشرية للهجرة اليافعية في القرون الماضية، فمن الدوافع الطبيعية التكوين الجيولوجي الوعر لبلاد يافع، وجغرافيتها العنيدة المنعزلة عما حولها. ومن الدوافع البشرية: العصبية القبلية المستحكمة، التي أدت إلى تقسيم هذه الأرض المحدودة الشحيحة الثروة تقسيمًا قبليًّا صارمًا بين عشرة مكاتب، مما أدى إلى محدودية الأرض والثروة.
2. كانت حضرموت هي المهجر الأساسي لأهل يافع في القرن الثالث عشر الهجري، ومنها ينطلق المهاجرون أحيانًا إلى الهند وغيرها.
3. العامل المعيشي هو العامل الرئيس للهجرة اليافعية في القرن الثالث عشر الهجري، ويتخلص هذا العامل في أربعة عوامل فرعية:
   - التقليد والمنافسة في الهجرة الجماعية نحو حضرموت ومنها إلى غيرها.
   - الالتحاق بالعمل العسكري في حضرموت والهند طلبًا للأجور المالية.
   - التجارة، وهو عامل محدود الأثر.
   - البحث عن الأمان من الثارات القبلية.
4. العامل العسكري عامل مهم في فهم ظاهرة الهجرة اليافعية في القرن الثالث عشر الهجري، وإن كانت دوافعه معيشية، إلا أن الطبيعة العسكرية لأهل يافع تدفعهم للهجرة إلى الأماكن التي يمكنهم فيها العمل في هذا المجال. ويمكن تلخيص العوامل الفرعية للعامل العسكري في أربعة عوامل:
   - نشوء إمارات وحاميات عسكرية يافعية في حضرموت ثم قيام السلطنة القعيطية.
   - استمرار الصراع في حضرموت في سبيل الحكم بين يافع وآل كثير من جهة، والحاميات اليافعية بعضها ضد بعض.

♦ وجود قيادات عسكرية يافعية كبيرة في الهند.

♦ سعة الأرض في حضرموت وإمكانية التملك والسلطة والنفوذ.

5. للهجرة أخطارها، ومن مخاطر الهجرة التي دلت عليها وثائق القرن الثالث عشر الهجري:

♦ مشقة الطرق وأخطارها.

♦ الموت في المهجر بعيدًا عن الأهل والوطن.

♦ فقدان الهوية والذوبان في الثقافات الجديدة.

♦ الحنين إلى الوطن والقلق على الأهل والمال.

ثانيًا: التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

1. دراسة ظاهرة الهجرة اليافعية دراسة معمقة من النواحي المختلفة: التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، وتتبع المهاجر التي يتواجدون فيها، والكتابة عن أوضاعهم هناك.
2. الاهتمام بالوثائق التي تخص ظاهرة الهجرة من تراث القرون الماضية، واتخاذها منطلقًا للدراسات العلمية لظاهرة الهجرة في تلك الأزمنة، سواء الوثائق الموجودة في يافع أو الموجودة في البلدان التي كانت مقصدًا للهجرة.
3. الاهتمام بدراسة الوجود اليافعي في حضرموت والهند وجنوب شرق آسيا، باعتبارها مقاصد تاريخية للهجرة اليافعية في القرون الثلاثة الماضية.
4. توثيق الهجرات الجديدة المعاصرة إلى دول الخليج العربي وأوربا وأمريكا والصين؛ نظرًا لأن كثيرًا من المهاجرين القدامى ما زالوا على قيد الحياة.

الملاحق:

1 - نصوص الوثائق[1]

وثيقة رقم (1)[2]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

سادتي الأجلاء الكرام الماجدين الوالد السنيدي بن الوالد أحمد والصنو أحمد أبو بكر أبناء أحمد الحطيبي والوالد بوبكر بن عبدالله الواقعي والصنو أبوبكر بن محمد الحطيبي والولد محمد الخضر بن عبدالله الحطيبي[3] حفظهم الله أبد وخصهم منا ومن أصحابنا ومن يلوذ بنا جزيل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، صدرت العيودية من بلاد سيؤون، جهات حضرموت والأعلام[4] سارّة بالله وسيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم وصاحب الوقت الحبيب الشيخ أحمد بن الحبيب الشيخ سالم نفعنا الله وإياكم بهما آمين. وأخبار الجهة ساكنة غير ساكنة والأمور قادرة، والأحوال مستمرة. وإن تفضلتم بالسؤال عنا وعن أصحابنا وعمن سار سيرنا فنحن بخير وفي خير، وإلا جرت علينا من الأحوال، ومع نفوذنا من عندكم كان مرادنا طريق بحر، ما قدَّر الله ورجعت طريقنا ساحل البحر وحصلت علينا تعاويق في الطريق من فضلي ومن عولقي مراده بكلام قَبْوَلة وبشرع وافي، وعبرنا وأجزنا إلى المكلا اثنين وعشرين نهار، ولا خرب علينا حال، بل السفر قدكم عالمين به قطعة من النار.

ومع وصولنا إلى البندر التقانا النقيب عبدالرب بن صلاح، وعز نحن وجبر نحن، ومع وصولنا إلى عنده وصل القوم دَيْن وقِل أزواد، وأعطى نحن ما خسرناه في الساحل

---

(1) كثير من الكلمات الواردة في الوثائق سبق توضيحها في ثنايا البحث فلم أكررها هنا.

(2) مصدرها من أرشيف أهل الشيخ محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله الحطيبي العُمري البكري، بلدة بني بكر، حصلت على صورة منها بتاريخ 5 مايو 2019م.

(3) اسمه الكامل: محمد بن الخضر بن محمد عبدالله الحطيبي، من أجداد آل الحطيبي العُمري من بني بكر، ومرسِل الرسالة أبوه، وقد ورد اسمه كاملًا في آخر هذه الوثيقة.

(4) الأعلام: الأخبار.

وزوّد نحن إلى حضرموت بميتين قرش وباروت ورصاص وجميع ما طلبناه ويغذنا من المكلا، وحصلت تعاويق علينا من جابري وغيره في قطع طريق، يضربون من رؤوس الجبال ومن حصونهم ضِرَاب جو، لحيث قد عليهم كلام... [1] على أن القوم ألا نعبر عرض أحد منكم، ووصلنا إلى سيؤون ليلة النصف في شهر جماد أول على جناح السلامة والكرامة، ولا خرب علينا حال فلله الحمد.

وحال الأرقُم التقى نحن صاحب سيؤون، وعز نحن جم جم جم، ومع وصولنا إلى المكلا حصل بين جعفر بن علي ورتبة سيؤون حرب وحف في خلا سيؤون أربعة أيام، وانقطعت القوم من غير وجه، وقُتل من عندنا من يافع عبد، وصوّب سهل بابكر في أحد من عيال الرتبة، وقتل كثيري وصوّب سهل، والخلق بعد ذلك بخير وفي خير، وإلا بد وشي خطاب بن جعفر بن علي ويافع على ما يعز الجميع، والأرض لهم لا يدخل عليهم داخل إلا قبيلي وإلا مجير في سيؤون، هذا كذلك حال... نافذين عقّال إلى تريم، وبغوا شور سيؤون وتريم وحوارجها واهدة وساكنة.

وأما أخبارنا نحن وما نحن فيه من أغراض فمن تقصّى ما تفصّى يا والد السنيدي، وكل حال صالح، وطيب خاطرك تزين الأحوال الجميع، واعط كل وقت حكمه، ولا بعد فَتَشْنا ولا غطينا، وأحوالنا زينة وما كبر...[2] خواطركم منا، ونحن علينا الليلة مثل سنة، لحيث الشوق إليكم جم جم، لساعة هذا الذي نحن فيه ونحن واكنين وراكنين إلا على الله وعليكم ومستأمنين، لحيث من قد غاب من عياله وماله ذلح العار على غيره. الله الله الله الله[3] في عيالنا ومالنا وما يعوز نحن ما عاد نوصيكم بحال، ولا تقطعنا كتابكم لحيث المسافرين كل يوم... [4] وسلموا منا ومن الفقيه عبدالحبيب وعبدالله

---

(1) كلمة غير واضحة.

(2) عبارة غير واضحة.

(3) الله الله: تكرار لفظ الجلالة يراد به التأكيد في التوصية.

(4) عبارة غير واضحة.

أحمد حيدر وعبدالحبيب بن أحمد وحسين وعوض أحمد وبني بكر الجميع كل باسمه غريب وتليد.

وسلموا لنا على الأصناء والأولاد والوالد أحمد جابر وعبدالله أحمد وعلي أحمد وعبدالحبيب الزمري وبوبكر السنيدي ومحمد أحمد وعلي أبوبكر وحسين والصنو بوبكر حسين وأصناؤه و... [1] وعياله وسالم حسين وعلي منصور وعبدالكريم بن محمد عبدالله وكافة أهل بني عمر[2] وكافة أهل المحلة[3].. يا ولد محمد ادعو عيال سَبْهان، شي[4] أطلق عليهم إلى يد عبدالله فاضل؟.

ولدك المملوك: الخضر بن محمد عبدالله الحطيبي.
يوم الثلوث فاتحة شهر جماد آخرة سنة ١٢٢٠هـ

وثيقة رقم (2)[5]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، حرس الله ورعى وتولى أحوال وأقوال وأفعال سيدي ذي الأخلاق الرضية والشمائل المرضية والهمة العالية العلوية من له في القلب محل مكين قرّة العين الأجلّ الأمجد الأكرم المحترم المقامي العالي السامي ذات وصفات الصنو العزيز البار التقي الصالح المربي بهجة فؤادي وقلبي ومُقَلي الولد المبارك المحفوظ الملحوظ بعين العناية والرعاية والسعادة زيد بن الوالد علي بن عوض المنصور بن غرامة سلمه الله آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت من نَقَر[6] وكل علم خير وعافية، إن سألتوا عنا وعن الولد عبد

---

(1) قطع في الوثيقة بمقدار كلمتين.

(2) بنو عمر: يقصد بهم عصبة العُمَري، إحدى عصائب بني بكر السبع.

(3) المحلّة: حي من أحياء بلدة بني بكر في يافع، ومعظم سكانه من عصبة العُمَري.

(4) شي: هل.

(5) مصدرها من أرشيف الشيخ عبدالله صالح عبدالله بن عُلَاية المنصوري الناخبي - وادي العِرْقة، حصلت عليها بتاريخ 19 أبريل 2019م.

(6) نقر: مدينة هندية.

أحمد بن عبدالحبيب بن عامر فرج وعن الإخوان والحبايب والمحبين الجميع بعافية، جعلكم الله كذلك أنتم والحبايب والعيال الجميع بعافية طافية.

أخبار الهند ما نقدر نَصِف لكم القول الذي فيه، يوخذون[1] القِصاص فيه، من قتل قتلوه، ومن سرق قتلوه، ومن شرَد قيّدوه، وإلا قتلوه على موجب الذنب، ومن أخطأ حما الله العسكرة قدم عليه نصف أوقية حديد عند الدَّرَك وإلا عند واحد من الإخوان، وحُمِل عليه بحسب الذي يخليه يسير في الطريق سِيْره بثقل وإلا خف، ولا ولد يقدر يقول لبوه أنت والدي إلا بالخشمي حقه، ولا حد يقدر يقول يا فلان رُحت في أين؟، واللي يخرج بغير رخصة من البرادلي[2] قنحوه[3] قرشين ثلاثة، ومن أخرج سيفه من غمده خسّروه عشرين رُبّية، والحاصل أن الهند عروس تنعش محنية لمن بايهون واللي بايلحقه بخس وإلا عليه دم ولا عاد في جنبه رجال.

وفي الهند أمور ثانية ما هي مليحة فسق وخمر وزنا وضياع دين ودنيا، أقل العرب الذي عاد يصلي ويذكر الله. الخلق في غفلة عن الله وعن الآخرة، ما ندري أيش تقع الخاتمة. ومن طرف السراديل[4] في بوقة[5] قدهم يشوفون السادة إلا ذُبّان، ولا عاد يعرفون قدر السادة، ولا عاد ينظرون إلى عزيز وإلى رجّال أعمى وإلى رجل ما هو حق عسكرة، عاد السادة يحصلون قليل كثير، وأما الرجل العزيز ما عاد يشوفون إليه، غير خذهم الكبر والفسق والضياع وكل سردال عنده كسبية بسبع مية في الشهر، وقدهم مثل السفن تغرق بغير شراع. عسى الله يخارج أولاد الحلال.

أخبار كش[6]: فتح محمد طلب العرب، قدهم كش قدر خمسمية وعريف بيرق،

---

(1) يوخذون: يأخذون.

(2) البرادلي: مدينة هندية.

(3) يبدو من السياق أن هذه الكلمة بمعنى: خسّروه وأخذوا منه.

(4) السراديل، ومفردها السردال: يبدو أنه اسم لطائفة من الجيش في الهند.

(5) يحتمل أنه اسم مكان في الهند.

(6) كش: مدينة هندية.

والعرب قدر سبع مية، عسى الله يطول عمره ويهدي العرب ما يخربون الركانة، وقد سبروا يغيرون الخاوند في كش، قد كان البيرق بسبع ميه وحال الكتاب قد البيرق في خمسمية ونصف، والسبب العرب عسى الله يهديهم بحق محمد وآله أجمعين.

والعروبية قدها في التراب الذي يربون السباه[1] والضعيف والمسكين والصغير والكبير يربونهم ويشلونهم[2] فوق رؤوسهم، رحمهم الله ويرحم العروبية. أما اليوم والله أن العرب لعاد يهابون الفضيحة ولا العار غير اللي قال الله: ﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[3]... قال سبحانه وتعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[4]. أخبار الفرنجي[5] خذ بَرَوْدة[6] و (ضيبى/ ضبى)[7]، وعَمّال[8] وهو يسير في الملك، والسبب تلك السراديل الخامرة والسير القبيحة معصية الله والسلام.

ونعلمكم بوصول الولد عبد أحمد بن عبدالحبيب بن عامر بن فرج المنصوري إلى عندنا إلى نَقَر ونحن كنا في بَرَوْدة وخرجنا لسبتة[9] وجينا وهو مديون عليه ثلاثين قرش، وكلمناه قلنا له باتخرج بر وقال إننا مديون، ولا سَهَل علينا نخرج ونخلّيه في الهند بوجه متخرب ومحتاج خَلْفنا، اللي هو قلنا إن شاء الله نشلّه من الهند ولا في يدنا شي الذي نبري الدين الذي عليه، ويصلي... ونحن عَرَيْنا له بندق وعِدّة ومحفظة

---

(1) لم يتبين معنى هذه الكلمة.

(2) يشلونهم: يحملونهم.

(3) الأنعام: 49. وقد ورد في الأصل ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ وهو خطأ في كتابة الآية.

(4) المجادلة: 19.

(5) الفرنجي: يقصد بهم الإنجليز.

(6) برودة: مدينة هندية.

(7) قراءة الكلمة تحتمل الاحتمالين، ويبدو أنه مكان في الهند.

(8) عَمّال: يبدو أنها كلمة حضرمية تعني الاستمرار في العمل.

(9) سبتة: يبدو انه مكان في الهند.

محلي وقرّ لنا أن ما عليه دين، وأصلحنا له بالبيسات الذي معنا سَلَب، ولا عاد سهل علينا السَلَب نبيعه، ونرجو من الله الهداية لنا وله، ادعو له ولنا، إن جاء في يدنا وهداه الله قد نحن وإياه في مخرجنا، وإن ما جاء في يدنا - مَن لا أهداه الله ما نقدر نهديه - وخارجين برسم كبير ادعو لنا وله. وأنت يا ولد زيد تكلم مع عيال عبدالحبيب: عبدالكريم وسالم أخوه، بوفاة صنوهم أحمد عبدالحبيب بن سالم عامر، توفي في بهار نقر عند عطا بهي، ووصى على يد عوض أحمد المرفدي بن علي عامر، وسرنا إلى عنده وكلمناه في الذي خلّفه أحمد، يا قليل يا كثير[1]، ومنع ما يطلق علينا، وقال لنا ما أطلق الشيء إلا بوكالة شرعية، قدكم تصدرون وكالة شرعية، ويطرحون مَشَاهِد[2] أخيار الخلق الذي يمشون في الهند، لعاد تكتبون إليّ وكالة شرعية إلى بغيتوا[3] الشي بيدنا، وأما غيرنا ما بايطلق عليه المرفدي الذي لكم، وأنتم على قياسكم[4]. والوكالة تكون إلى عند محسن سعيد ينفذها مع خطوط صالح سعيد، الله الله لا شي يقصركم والسلام.

وسلموا لنا على الحبايب وعلى الصنو شايف علي والصنو بابك والصنو محسن عامر والولد محسن بن زيد بن علي والصنو علي محسن بن همام والصنو علي عوض بن عوض علي وعياله والولد ناصر محمد بن علي والصنو ناصر سالم والصنو محمد حسين الشرفي وحسين ولده وعُبيد شيخ وعبد أحمد سالم، وأحمد خوه والصنو طربان والصنو (رجب/ رحب/ رخي) [5] والصنو صالح علي بن علي محمد بن دَبَاج وسماعين أخوه وعلي ناصر عوض وعبد أحمد سالم وأحمد خوه عبسان وعمر بن محمد عامر وولده وعلي إبراهيم ولده عبد أحمد وعبد موسى ومحمد أخيه الحلاصي

---

(1) أي: قليلا أو كثيرا.

(2) مشاهد: شهود.

(3) أي: إذا أردتم.

(4) أي: على رأيكم.

(5) قراءة الاسم تحتمل الاحتمالات الثلاثة.

وأحمد عوض المنصور وعيال الصنو علي محسن وعلي سعيد بن سعيد عمر وناصر خوه وبوبكر سعيد وعلى من حضر مقامكم العزيز من الإخوان وعلى الوالدة عليا بنت عوض بن غرامة، الله الله بفاطمة قولوا لها، لا تخلّي عليها قاصر، ونحن نصدر ما سلمته عليها، والكرايم آمنة بنت الوالد علي وبناتها سعدية وسلمى وعلى الوالدة قماش بنت عوض الشرفي وعلى البنت فاطمة بنت أحمد وحُسن بنت أحمد وعلى جميع أهل الجبل الجميع من كبير وصغير من وجب له السلام علينا وعليكم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ونعلمكم بوفاة الوالد عبدالقادر بن همام توفي إلى رحمة الله – عظم الله أجركم – وأحسن عزاكم ولد جابر، نقص على الأخيار وعلى أصحابه قرى بكش، أعلموا الصنو علي محسن أن خاله توفي رحمه الله.

[إضافات في ظهر الرسالة]

ويسلمون عليكم الجمعدار أحمد بن محسن وصالح سعيد وسالم وطاهر أبناء سعيد بن همام. وتكلمنا مع سعيد شيخ يعطينا شيء لمكالفه جوّب علينا أن ما معي حتى بيسة حبة. ومن الإخوان والمعارف، ومن عبدالله عياش، وللدعا يوصيكم بصلاح الأمور ظاهر وباطن.

وبيد العبّادي إليكم في حفظ الله بيد الصنو عوض عبدالله بلّصور اليافعي الساكن طِسَة، وذلك موسين وفوطة حرير خلس حرير لك يا ولد زيد، وفتقتين واحدة بيضا جديد والثانية صفراء ملبوسة للمكالف فاطمة وأمها حليمة بنت فرج، والقرشين المذكورة لفاطمة بنت أحمد علي وأمها فاطمة بنت علي، عرفنا عوض يوخذ بالقرشين ثوب كبير من الشِّحر إن قد خذ شي هو للحرمة فاطمة بنت علي والقصد صحيح، تفضلوا بقبول ذلك ولا هُم من قَدْركم، ولا تخلِّي شي يقصر على المكالف، ونحن نوفي ما سلمته عليهم.

مستمد الدعا ولدك المملوك أحمد علي بن علي فرج المنصوري عفا الله عنه.

تاريخ الخميس ٢٢ شعبان ١٢٢٨

[ملاحظة بقلم مختلف]

كذلك صدرت فتقة حرير للبنت فاطمة بنت أحمد بيد عوض عبدالله لصور.

وسلم على عبدالصفي ابن الخضر علي من طرف عبد أحمد بن علي أبو صالح وقل له إن الباسات الذي حولت بها لاحمد علي اثنين وثلاثين رُبّية الذي حول بها إلى عند عبد موسى على إن رحنا جينا وقد حولها لعوض عبدالله لصور، وتكلمنا مع عوض عبدالله يطلق الباسات على أحمد علي وعلى عوض عبدالله يقول إن عبدالصفي وكله على الباسات، والباسات عادها عند عوض عبدالله بايبلغها لا عند عبدالصفي، وأنت سيدي حال ما يصل عوض عبدالله تسير لا عند عبدالصفي يطلق عليك الباسات وهي ثنتين وثلاثين رُبّية جات باربعتعشر قرش وثلث قرش وبعد ختم الكتاب قد عليّ القروش عند عوض عبدالله أمانة، وقد قلنا له لا اعتازين المكالف فاطمة وأمها يطلق عليهن عوض، وقلنا له ان ما شي معاهن بقرة ولا يوجد لهن بقرة.

[عنوان الرسالة في الطُرّة]

إلى جبل يافع إلى وادي العرقة المعزبة[1] ليد سيدي الجناب الأكرم الولد السامي زيد بن علي عوض المنصوري سلمه الله آمين.

وثيقة رقم (3)[2]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم - حفظ الله حال سيدي وسَنَدي ومعتمدي وقرة عيني الأخلاق الرضية والشمائل المرضية من عز الله ذاته وأبقى لنا حياته الأجل الأكرم الصِّنْو محمد بن أحمد علي بيبك والصنو حيدر بن الوالد علي بن سعيد بن علي حيدر البكري سلمه الله وطال بقاه بحق القرآن ومن تلاه آمين. وخصهم جزيل السلام عليكم ورحمة الله.

---

(1) المعزبة: إحدى قرى وادي العِرْقة. وهناك قرىً كثيرة في يافع تحمل الاسم نفسه.

(2) مصدر الوثيقة: حصلت على نسخة مصورة لها من الشيخ علي محمد صالح البيبكي البكري، في يناير 2019م.

بعد السلام صدرت الأحرف من بلد سيؤون، والأعلام سارة، وأخبار الجهة مستمرة، وإن سألتم عنا وعن أصحابنا وكافة المعارف بأتم الصحة والعافية، جعلكم الله كذلك، بل أزيد من ذلك في خير وعافية.

وأخبار حضرموت الحوادث لم تزال، وأخبار الشيخ علي[1] والشرف[2]: الفتنة قائمة بينهم على سُبّة بن عبدان، قتله المَرْفَدي، قالوا الشرف ما قتله إلا بن يحيى بن عمر، ووصل الحبايب سالم بن أحمد وسقاف بن الحبيب بوبكر، وطَرَّبوا بعرضه، ودخلوا يسعوا وحصل غدور من الشَّرَف على عبدالشيخ علي وقتلوه، ونقدوا الحبايب.

ولما سلخ رمضان دخل ولد الشيخ عمر قاسم عبدالله بين مراتب أهل الشرف وطَرَّب، وظل يوم والليل نَطَف، وحال صدرت كلما دخلت واسطة ما جاءوا سوى بن يحيى بن عمر بقول الحق، والشرف يقولون إما يقر وإلا يعطي نحن عشرة حلّافة وبَشْعة، وحال صدرت والهَدّة بينهم.

وأخبار الشق الحدري: لبعوس بن غرامة[3] شق وبن عبدالقادر[4] وبن همام[5] شق يحتربون، وحصلت هدّة في رمضان، وقتلوا عبدين على غرامة[6]، وعبد على بن همام وعبد على بن عبدالقادر، وحال صدرت وهم يحتربون، كذلك آل كثير يتعصبون لبن عيسى بن بدر ولا بعد شي ظهر منهم.

وكتابك يا صنو محمد وصل، والمرسال[7] الذي بيد الهدّار وصلت، والوَرْس[8]

---

(1) أي: عيال الشيخ علي.
(2) أي: وأهل الشرف.
(3) بن غرامة: يقصد إمارة آل غرامة في تريم.
(4) بن عبدالقادر: يقصد إمارة آل عبدالقادر في تريم.
(5) بن هُمام: يقصد إمارة آل بن همام في تريم.
(6) أي: على ابن غرامة.
(7) المرسال: الشيء المرسل إلى جانب الخطاب، من مأكول أو ملبوس أو غيره.
(8) الوَرْس: شجرة، يؤخذ من زهرتها صباغ وردي اللون، تستخدمه النساء للزينة، وقد كانت يافع

والمسابح الذي بيد علي أحمد سوّاد وصلت، وقد صدرنا لكم ثلاثة خطوط ولم يرجع جواب، فحسبنا منكم من كل الكتب قدكم تحققون لنا ما هو لنا؛ حيث عندكم لنا ثمر خمس سنين، الله الله في التحقيق. ومن شان الوالد عبدالحبيب ذكر... [1] عنده لنا اثنين وأربعين قرش فإن شي يخلص[2]...[3] من أربعين قرش والقرشين...[4] تسليم في قبض الأربعين، وترسلونه إلى عندنا مع... [5] والله الله في المرسال وَرْس وجَفَل[6] ولحافين[7] وفتيل[8]؛ لحيث نحن معتازين[9] الله الله...[10]، ومن شان المرسال فهو بايصلكم مع الصنو عبدالله أحمد جابر الذي بغيتوه، والكتب غير منقطعة. والسلام من راقم الأحرف صالح بن سالم هرهرة، وسلموا لنا على الفقيه عبدالحبيب أحمد حيدر وعلي حيدر وعبدالحبيب حيدر وولده وعبدالحبيب بن عبدالله وأولاده، وسلموا لنا على محسن بن أحمد وسالم وعبدالصفي وجابر وأحمد وصالح وعلى الوالد عبد موسى وبوبكر علي وكافة بنيبك[11]، ويسلِّمون عليكم الأصناء حيدر عبدالله وعبدالله أحمد جابر وصالح وعبدأحمد أحمد صالح ومن الشيخ عبدالحبيب بن طاهر

مشهورة بزراعة الورس إلى عهد قريب.

(1) نقص في الوثيقة.

(2) يُخَلِّص: يسدّد الدَّين.

(3) نقص في الوثيقة.

(4) نقص في الوثيقة.

(5) كلمة غير واضحة.

(6) جَفَل: هو اسم للبن قبل تحميصه، وينطقه الحضارمة: (يَفَل) واذا حُمّص سمّي بُن.

(7) اللحاف: رداء ثقيل، يُفرش في النهار بدلًا عن الحصير ويتغطى به في الليل من البرد.

(8) الفتيل: خيوط يضم بعضها إلى بعض، وتطلى بمادة سريعة الاحتراق، كانت تستخدم لتفجير البارود في البنادق الرومية القديمة (أبو فتيل)، وتسمى أيضًا: البنادق العربية.

(9) معتازين: محتاجين، من العَوَز وهو النقص والحاجة.

(10) كلمتان غير واضحتين.

(11) بَنِيْبَكْ: بني بكر، تحذف الراء تخفيفًا من كلمة (بكر) في لهجة كثير من مناطق يافع، فيقال: بوبك =أبو بكر، بيبك= أبي بكر.

والسلطان...[1] وكافة المشايخ، وسلموا لنا على الصنو ناصر سعيد ويسلمون عليه أحمد وسعيد أبناء علي سعيد.

يا صنو محمد: الحذر الحذر تقبض من العبّادي إلا اثنين وأربعين قرش برؤوسها، وعندما تقبض الاثنين والأربعين القرش أطلق على الوالد عبدالحبيب بن أحمد حيدر أربعين قرش واقبض منه تسليم بقبض الأربعين القرش يوم الفلاني في عدة شهر الفلاني؛ حيث الصنو حيدر أطلق علينا أربعين قرش يثقّل في كل شهر لحتى يقبض والده الدراهم، خفف الثقل من على ظهورنا، الله الله في... بقبض الدراهم ليد[2] الوالد عبدالحبيب بن أحمد حيدر.

هذا والسلام منا ومن الصنو حيدر عبدالله وولده علي حيدر، وصدر... [3] الوالد من حيدر عبدالله ما ذكرها صدر في خطوط والده... [4]

تاريخ يوم الخميس ٢ القعدة سنة ١٢٤٦

وثيقة رقم (4)[5]

الحمد لله

وبعد لما كان بتاريخ فتوح شهر الحجة الحرام سنة 1284هـ الأربعة والثمانين والمائتين وألف فأقول وأنا الجمعدار عوض بن عمر بن عبدالله القعيطي بأني شلّيت إقرار للشيخ عبدالله زيد عُلاية على مدة القُلْمة[6] أربعة أشهر وهم خمس مائة نفر، وتفنيد القُلْمة: للنفر سبعة قروش ونصف، وعلى المائة النفر عاقل بثلاثين ريال، وتحته

(1) كلمة غير واضحة.

(2) ليد: إلى يد.

(3) كلمتان غير واضحتين.

(4) كلمة غير واضحة.

(5) مصدرها من الشيخ عبدالله صالح عبدالله بن عُلَاية المنصوري الناخبي، وادي العِرْقة، حصلت عليها بتاريخ 19 أبريل 2019م.

(6) القُلْمة: تطلق على الكَتْبة في الجيش، اشتقاقًا من القلم الذي يُكتب به، وتطلق على الأجر الذي يتقاضاه العسكري أو العامل.

عاقلين من خمسة عشر ريال، وفي الخمسين النفر عاقل بخمس عشرة ريال، وفي المائة النفر عشرة عَوّادة، وفي كل مائة نفر مَرْفَع وحامله بخمس عشر ريال، والقُلْمة كل شهر بشهره، والتاريخ المقوم من الساحل، وعند وفاء مدة الأربعة الأشهر المذكورة فالخيرة للجمعدار عوض بن عمر إن يريد بقاء القوم بملازمة حرب فالقُلْمة المذكورة أعلاه، وإن يريدها رتبة لحضرموت[1] بقاعدتها والشحر بقاعدتها، والرتب بالمراضاة. وقُلْمة المقتول تجري إلى غلاق الأربعة الأشهر المدة المذكورة، وعلى الشيخ المذكور وقومه التُّبْعة والسُّمْعة للجمعدار عوض بن عمر أو من يقوم مقامه على كائن من كان، لا يخالفوه، والوفا من الجانبين على ما ذُكر، والله خير الشاهدين، مراد ذلك بالتراضي بشهادة الجمعدار سعيد بن علي سعيد والسلطان محمد بن محسن فضل.

صحيح/ عوض بن عمر بن عوض القعيطي

وثيقة رقم (5)[2]

[الوجه الأول]:

تعين الذي اشتريت من المكلا بتوريخ...[3]

◆ من باحكم امبارك عوض ثلاث ملاحِف مزبّرات صبّان[4] طول بسبع وثلاث إلا

(1) عندما تطلق حضرموت يراد بها الوادي.

(2) مصدرها من الشيخ عبدالله صالح عبدالله بن عُلَاية المنصوري الناخبي - وادي العِرْقة، حصلت عليها بتاريخ 19 أبريل 2019م.

(3) تاريخ الوثيقة مقطوع من الصورة التي معي، وأغلب الظن أن الوثيقة كتبت في أواخر سنة 1285هـ عند عودة الشيخ عبدالله بن زيد بن علاية المنصوري من المكلا؛ بناء على قرائن من وثائق أخرى. وأنوّه هنا بالشكر للأستاذ الفاضل أحمد صالح الرباكي الذي أعانني على توضيح معاني بعض الكلمات الواردة بلهجة أهل حضرموت.

(4) الملاحف: سبق توضيحها، والمزبّرات: المخيطة الأطراف، وصبّان: إن كانت بكسر الصاد فهي بمعنى مغسول، لأنهم كانوا يغسلون الألبسة بعد صباغتها، وإن كانت بفتح الصاد فيحتمل أنها منسوبة إلى تاجر اسمه صَبّان.

ثلث، وملحفتين مقصورات بسبع طول وذراعين عرض. القيمة عشرة قروش (10) وذلك عند سالم عبدالله شمّاخ والصغار عند مبروك الحظّاي[1].

- عندي لسالم عبدالله شماخ نص فراسلة[2] مبسل[3] ووقية صرف[4] ومعي من سالم عبدالله خمس ملاحف عربي[5] صبان طوله، والقيمة ثمانية ونصف رهن عند علي المدكّن ذي قبل عَرَشة[6] ناجي ذان بيصلح لهن حظي مسلم الملاحف من الحظاي ومسلم معه قرش أجرته.

[ملاحظة جانبية]: مسلم قرش مع مبروك ولحق قرشين مع مبروك.

- ومن علي رحيم خمس ملاحف سبع وثلاث إلا ثلث صبان طول قيمته عشرة قروش عند سالم عبدالله شماخ ملحفتين وباقي عند الصباغ ثلاث.
- مسلم ليد سالم عبدالله شماخ عشرين قرش قيمة كساء باحكم وبن رحيم وثمانية عنده أمانة ومشترى خمس ملاحف من صاحب شماخ بثمانية ونصف.
- اشتريت طاسة نحاس مطهر من بن عمر قيسان عبدالله بنصف وثمن وسلمت له قرش ربع وثمن من شقا المسادر[7]، وقرش جَلَبَة[8]، وقرش... [9] وقرش خذنا

---

(1) الحظّاي: أي الخياط الذي يخيط الحِظِي، وهي أشرطة أو خيوط ملونة تكون في أطراف الألبسة والألحفة للزينة.

(2) الفَرَاسِلة: وحدة وزن مقدارها 20 رطل إنجليزي.

(3) المَبْسَل: صباغ يستخدم لصباغة الملابس وللزينة.

(4) الصرف: صباغ غالي الثمن يستخدم للزينة كالورس.

(5) ملاحف عربي: أي نسج محلي.

(6) أي صاحب الدكان الذي قبل العَرَشة في السوق.

(7) المسادر: جمع مَسْدَرة، وهي نوع من الملابس، يطلق عليها في بعض مناطق حضرموت اسم (المنزرة) أو (الشميز).

(8) الجَلَبة: الواحدة من الغَنَم.

(9) كلمة غير واضحة.

به حلوى، عنده لي ثمان مسادر وله أربعتعشر حرف[1] شقاهن، وأربعة حروف إلا ربع قيمة (البفت/ اليفت)[2] حقهن، مسلم مع حسابه، لحق ربع للمصلب[3].

- اشتريت من أحمد عوض شماخ كورجتين[4] براكيل[5] باثنين وثلاثين، والبز باقي عنده 32 مسلم بيد أحمد بن عوض أربعين قرش لحق مشترى من سالم بن عوض شماخ ثلاث كوارج براكيل كبير قيمة الكورجة 17 صح. جملة قيمة الثلاث الكوارج واحد وخمسين مسلم بيد سالم بن عوض خمس وخمسين المذكور وثلاثة باقي البز الأول، وقرش حق دهن ومسدرة حمراء صح معاهم سابق ولاحق خمسة وتسعين قرش. وقرش مع محسن طاهر.
- مسلم بيد جابر عبدالحي عشرة قروش لمحمد عبد أحمد المدوري ولزمت ذمة جابر العشرة القروش وبريت ذمتي.
- ومن أحمد بن عوض شماخ أربع ملاحف هندي مربوع[6] صبان طول نيل حضرموت طول سبع وعرض ثلاث ونصف والقيمة بحدعشر قرش وهن باقيات عنده والقيمة ما بعد معه شي. مسلم الملاحف عند محفوظ الحطاي واحدة منهن.
- وعند سالم عبدالله شماخ مسبحة مرجان كبير سلطاني عددها مئتين وخمسة وستين حبة وميزانها اثنين وعشرين قرش بيد عمر باشراحين. وقيمة المرجان تغلقة معه قبضة المرجان.

---

(1) الحَرْف: من العملات المتداولة في ذلك العهد.

(2) قراءة الكلمة تحتمل الوجهين، ولم يتبين معناها.

(3) المصلّب: يحتمل أنه الذي يعمل على تصليب الأواني النحاسية.

(4) الكَوْرَجة: وحدة عدد، مقدارها عشرون، فالكورجة البراكيل: تعني عشرين بركال، والكورجتان: أربعون.

(5) البراكيل: جمع بَرْكال، وهو من ألبسة النساء قديمًا.

(6) أي: منسوج في الهند على شكل مربع.

- اشتريت من البانيان[1] اثنين وعشرين ذراع أطلس[2] أخضر وتسعة أذرع أطلس أحمر قيمة ستعشر قرش إلا ثمن مسلمة ليده، لحق مشترى درع[3] وطاقة كار[4] خمسين قيمة ريال.
- سلمت للبانيان أربعة إلا ربع صلاح فضة النِّمَش[5]، سلمت للمصلّب قرش إلا ثمن، ولمولى الهراميز[6] قرش إلا ثمن، وخياط المسادر قرش، لحق ربع وثمن لمولى السكاكير[7].
- ومشترى من الشحر شَوْذَر[8] ومعجر[9] ونصف كَوْرَجة براكيل ونصف كورجة مصاون[10] ومعجر وبوتيه[11] وملحفة صبان حضرموت هندي بأربعين قرش قاصر قرش.

مسلم بيد صالح أحمد ثلاثة قروش باقي حسابه وقلمة العبد.

[الوجه الثاني]

- الذي سافرت من المكلا ومعي فلوس أربعمائة واثنين وتسعين قرش ما خرج منها إلا المرقوم.

---

(1) البانيان: طائفة من الهند، كانوا يشتغلون في التجارة.

(2) الأطلس: نوع من الملابس الملونة.

(3) الدرع: نوع من الملابس.

(4) الطاقة: اللفة من القماش، والكار: هو القماش الأبيض الصافي، كانوا يستخدمون لصنع الملابس المصبوغة بالنيل، أو لتكفين الموتى.

(5) النِّمَش: جمع نَمْشة، وهي سكين طويلة دون السيف، تستخدم لأغراض قتالية، وقد كانوا يزينون قبضتها بالفضة.

(6) يبدو أن الهراميز اسم لطائفة من تجار الهند أو الفرس، نسبة إلى (هرمز)..

(7) لم يتضح لي معنى السكاكير.

(8) الشَّوْذَر: مادة صبغية كانت تستخدمها النساء لزينة الأطراف كالحناء.

(9) المَعْجَر: يبدو أنه نوع من الأسلحة.

(10) المصاون: جمع مَصْوَن، وهو نوع من الألبسة، كانت تطلى بالنيل ويتعممون بها.

(11) لم يتضح لي معنى هذه الكلمة.

- بيدي وداعة لمحسن حيدرة اثناعشر قرش حافظتها فوقها (مسلم مع محسن حيدرة وداعته).
- خرج قرش ونصف مع زيد بيد البحار وثلاثة ونصف معه نوال وقرش جَلَبَة مع أهل البحر وثلاثة حلوى وخمسة مع السيد بوبكر.
- بيد السيد بوبكر وأحمد بن سالم عشرة أواق مرجان بخمسة وثلاثين قرش، منها عشرة لأحمد بن سالم وخمسة وعشرين باقي لي عندهم.

وعند السيد بوبكر ثلاثين قرش برؤوسها للبكير.

وعندي له تسع إلا ناصفة جلجل[1] ما بعد قطع بسعرها.

- مشترى من الشحر باسم عبدالله زيد نصف كورجة براكيل ونصف كورجة مصاون قيمة سبعتعشر ونصف مرصود بوجه البيان.
- مشترى ملحفة هندي قيمة 2 ريال مرصودة بوجه البيان.
- مشترى بوتيه قيمة 3 ريال مرصودة بوجهه.
- مشترى من بن همام نمشة ومنجد[2] قيمة 31 ريال.
- مشترى معجز قيمة (1).
- مشترى شوذر كبير قيمة 14 ريال مرصود بوجه البيان.
- مشترى نمشة أهل بريك قيمة 40 ريال.
- مشترى نمشة عبدالقادر قيمة 24 ريال.
- مشترى نمشة حسين سالم وسنسلة[3] ومذخر[4] وشوذر ومسدرة جوخ[5] قيمة

---

(1) الجلجل: السمسم.

(2) المنجد: يبدو أنه نوع من الأسلحة.

(3) سِنْسِلة: سلسلة.

(4) المَذَخر: نوع من الأسلحة.

(5) الجُوْخ: القماش الثقيل.

33 ريال.

- مشترى فردة بركالة من شبام مسادر من شبام قيمة 1 قرش.
- مشترى جنبية[1] قيمة 20 ريالات.
- الذي خرج بشقرة أربعة قُلْمة، ثلاث جلب وجلبة ببيت السيد بوبكر[2] وأربعة قروش مع بهجة[3] وقرش خرج.

والذي خرج من الكساء وغيره الجنبية وشقة[4] هندي وسباعية[5] القعيطي مع حسين بن أحمد[6] وملحفة هندي مع الأمر[7] وملحفة مع حيدرة[8] وملحفة مع بهجة هندي ودرع عبدالله خان مع بهجة وثنتين قوارير بقرش وبنص حلوى وبربع وثمن زنجبيل ووزن قرشين ونصف مرجان مع بهجة وملحفة عربي ودراعة جوخ مع السيد أبوبكر وحبة مرجان ميزان نصف وخمسة قروش مع أحمد بن سالم، وثلاثين قرش مع السيد بوبكر.

- خرج دراهم بناعب[9] ثمانية وعشرين مع بن علي مزاحم وقرشين كراء وخرج.

---

(1) الجَنْبية: الخنجر.

(2) السيد بوبكر من وجهاء شقرة وتجارها في أواخر القرن الثالث عشر الهجري. ولم أجد معلومات تفصيلية عنه.

(3) يبدو أن بهجة امرأة تاجرة من شقرة.

(4) الشقة الهندية: نوع من الملابس.

(5) السُّبَاعية: هي نوع من الملابس الملونة، يضعها الأمراء والهاشميون (السادة) والمشايخ على الكتف للزينة.

(6) من أمراء آل فضل.

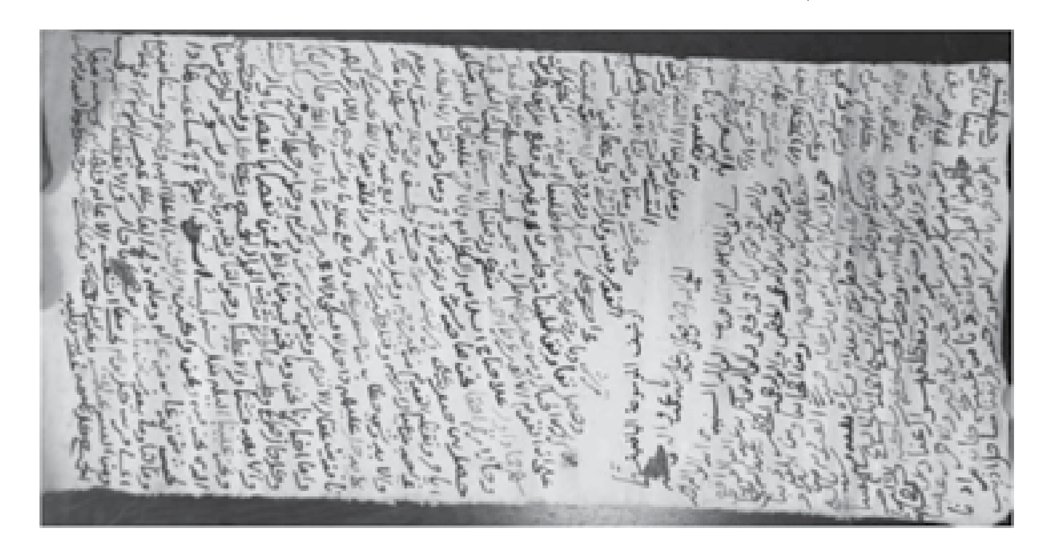
(7) لقب الأمر يطلق على السلطان، ويطلق على وزيره

(8) يبدو أن حيدرة من أمراء آل فضل كذلك.

(9) ناعب: قرية في لَوْدَر من بلاد العواذل، يبدو أنها كانت في طريق القوافل المتجهة من شقرة إلى ذي ناخب وبعدها تسلك القوافل وادي السيلة البيضاء. وينظر: المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج2، ص1711.

2 – صور الوثائق:

1 - وثيقة رقم (1)

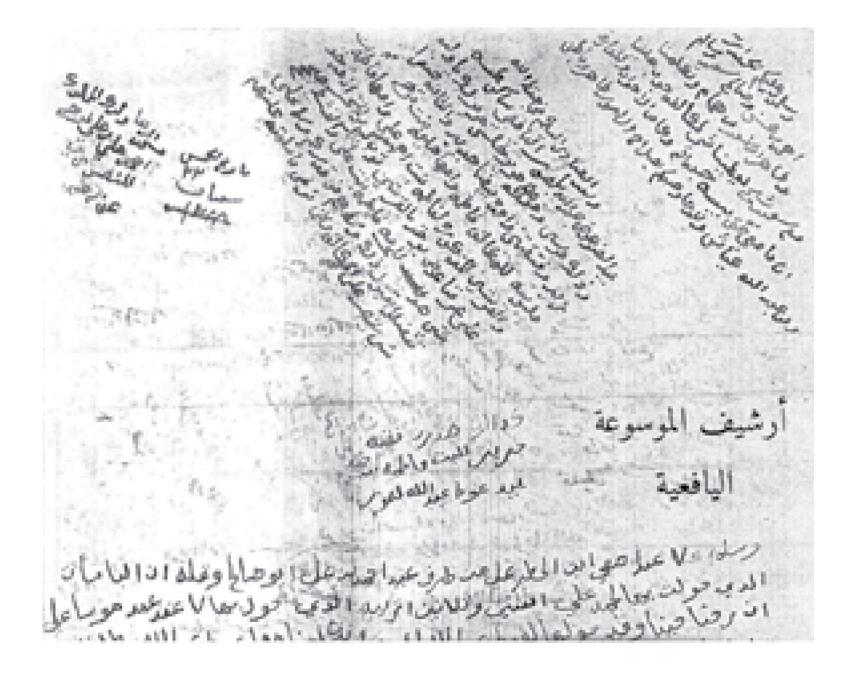


2 - وثيقة رقم (2)، تقع في وجهين، مقطعة في أربع صور نظرًا لكبرها:



أرشيف الموسوعة اليافعية

أرشيف الموسوعة اليافعية

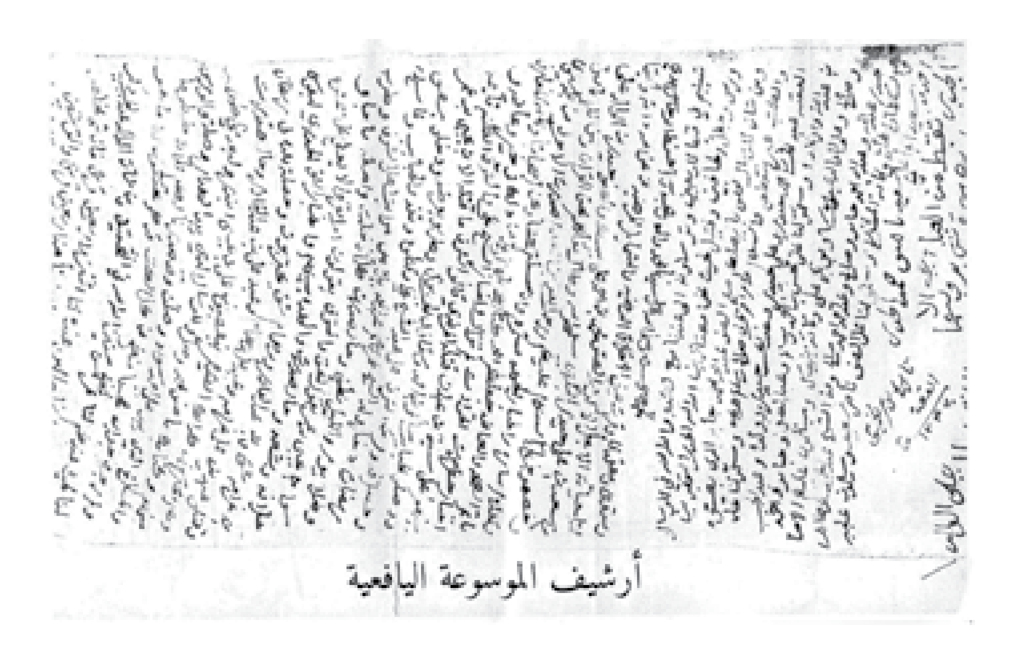


أرشيف الموسوعة

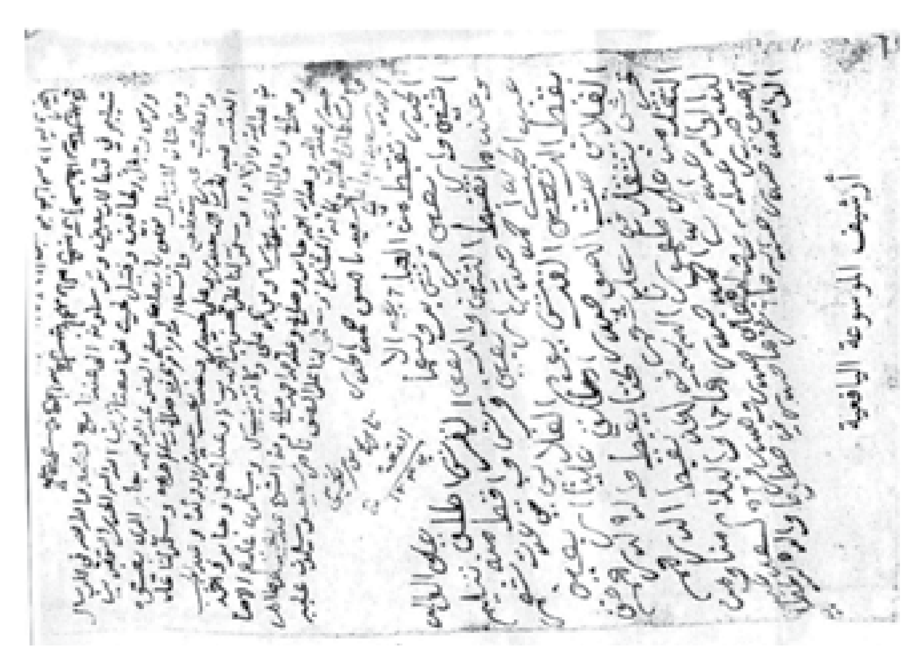
اليافعية

الموسوعة اليافعية

3 - الوثيقة رقم (3)، وتقع في وجهين:

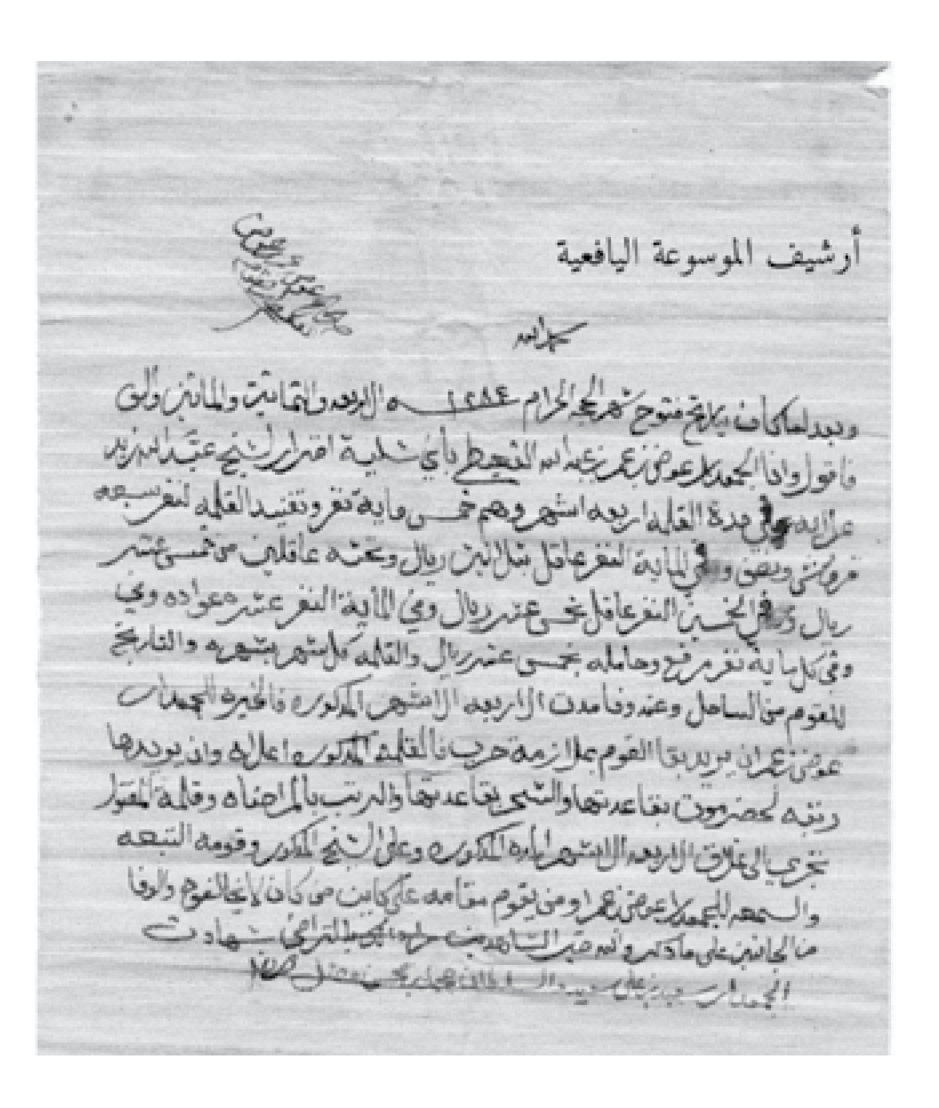


أرشيف الموسوعة اليافعية



أرشيف الموسوعة اليافعية

4 - وثيقة رقم (4):



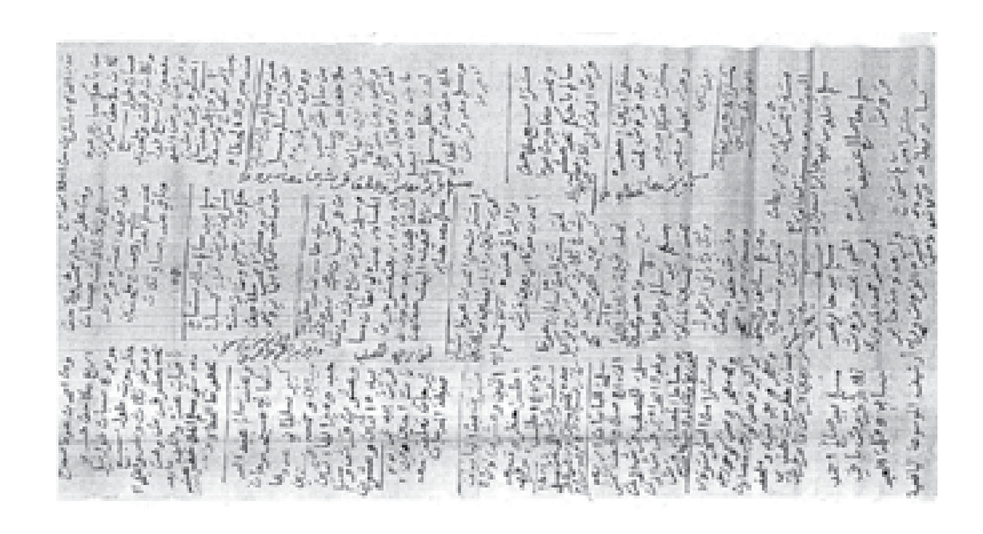
أرشيف الموسوعة اليافعية

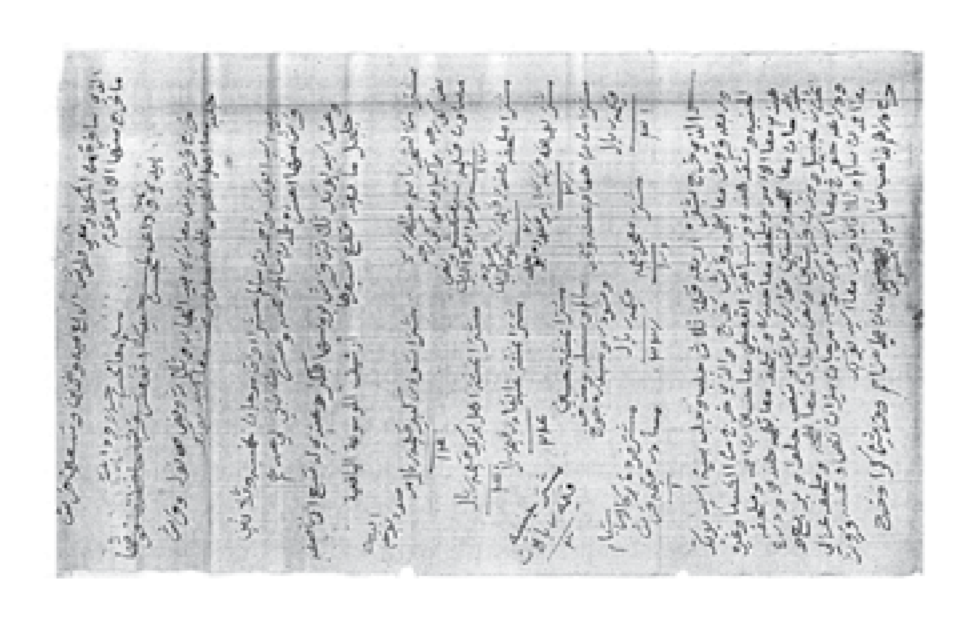
وبعد لما كان بتاريخ مفتوح شهر محرم الحرام عام [illegible] الربعه والثمانية والمائتين والف

فاقول وانا الجمعدار عوض بن عمر بن عبد الله القعيطي [illegible]

[illegible]

5 - **وثيقة رقم (5) وتقع في وجهين:**





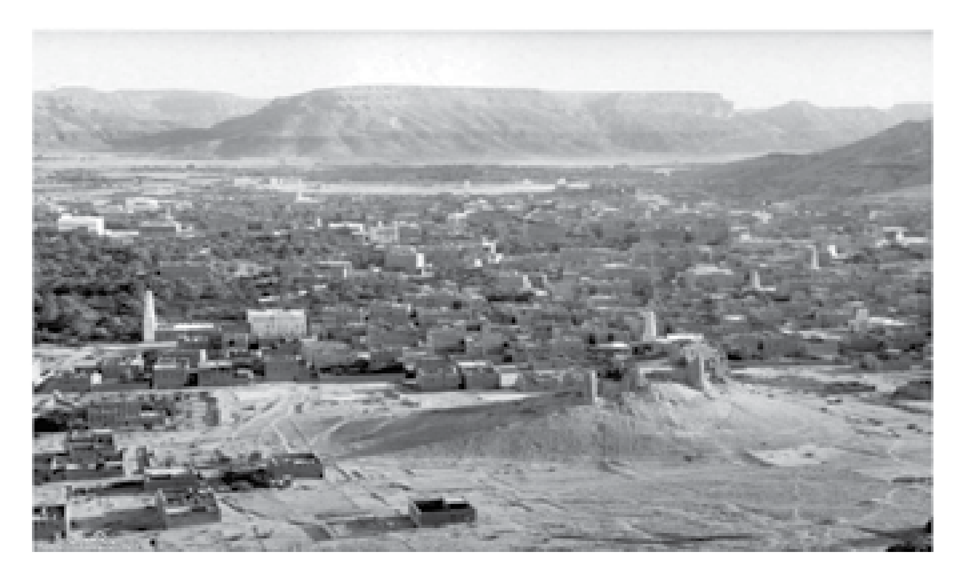
قائمة المصادر والمراجع

1. ابن أبي بكر، محمد بن سقاف: بستان العجائب في ذكر إخوان وأعمام المناصب، ط1، الدار الفخرية، جاوة، د.ت.
2. باسمير، حسن علي: السلطنة القعيطية في حضرموت، ط1، دار الوفاق، عدن، 2012م.
3. باوزير، سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي، ط3، دار الوفاق، عدن، 2012م.
4. البكري، صلاح بن عبدالقادر: تاريخ حضرموت السياسي، ط1، مركز عدن للدراسات التاريخية، عدن، 2019م.
5. الجوهي، خالد حسن: إمارة آل بن بريك في الشحر، ط1، دار الوفاق، عدن، 2010م.
6. الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
7. السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله: بضائع التابوت، مخطوط، عندي نسخة مصورة منه.
8. السلفي، سالم عبدالرب: معجم أعلام يافع، ط2، عدن، 2013م.
9. الشاطري، محمد بن أحمد: أدوار التاريخ الحضرمي، ط3، دار المهاجر، المدينة المنورة، 1994م.
10. العُمَري، نادر سعد حلبوب: الموسوعة اليافعية (ج1 – 11)، ط1، دار الوفاق، عدن، 2015م.
11. الكثيري، سالم بن أحمد بن مرعي: آل كثير: فصول في الدول والقبائل والأنساب، ط1، د. ن، 2011م.
12. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط2، المكتبة الإسلامية، إستنابول، د. ت.

13. محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ط1، تريم للدراسات، 2002م.
14. مرجان، سامي ناصر: الإمارة الكسادية في حضرموت، ط1، دار الوفاق للدراسات والنشر، 2012م.
15. المقحفي، إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط4، دار الكلمة، صنعاء، 2002م.
16. الموسطي، طارق سالم سعد، وآخرون: الموسوعة اليافعية (ج12)، ط1، دار الوفاق للدراسات والنشر 2015م.
17. الناخبي، عبدالله بن أحمد: الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1999م.

الهجرة اليافعية
ودورها في الدويلات والحاميات اليافعية بحضرموت

(دراسة في الأرشيف الوثائقي لإمارة بن عبد القادر
(١١١٨ - ١٢٦٣هـ/١٧٠٦ - ١٨٤٦م) أنموذجاً)



أسفل اليمين قصر بن عبدالقادر العمري البعسي بمدينة تريم تصوير فاندرميولين ١٩٣٤م

الباحث

أحمد بن صالح الرباكي اليافعي

مقدم إلى ندوة الهجرة اليافعية عبر العصور سبتمبر 2019م

مقدمة

إن الحديث عن العلاقة بين يافع وحضرموت (الأرض والإنسان) سيكون حديثًا عن علاقة تاريخ متكامل، تمّ صنعه على مدى التاريخ البشري الطويل في جنوب شبه الجزيرة العربية، هو حديث عن هجرة بشرية عكسية متبادلة بين قطرين إلى اليوم، بكافة أسسها وتأثرها وتأثيراتها، ناهيك عن القواسم المشتركة الأخرى كالنسب والدين والمذهب واللغة والعادات والتقاليد والأرض والمصير المشترك.

وفي هذا التاريخ الطويل المشترك كانت هناك محطات مهمة، كالقرن العاشر الذي كان محطة فارقة في تاريخ حضرموت الحديث سياسيًا واجتماعيًا، ففي هذا القرن عادت اللحمة الحضرمية وشهد إعادة ميلاد الدولة الحضرمية بميلاد السلطان بدر بن عبدالله الكثيري (أبو طويرق)، وشهد كذلك حضورًا بارزًا لقبيلة يافع الحميرية في المجتمع الحضرمي، والتي أصبحت في حضرموت جزءًا لا يتجزأ من التركيب الاجتماعي، بل جزءًا مهمًّا من فصول نسيج هذا القطر، وجزءًا من تركيبته الثقافية والاجتماعية، وصارت حضرموت لهم وطنًا وهوية وانتماء، كيف لا وقد صهرتهم بوتقة الأخلاق الحضرمية، وشربوا من مائها، وأكلوا من زرعها، وسكنوا في حصونها، حامين للديار وقاتلوا من أجلها، وارتوت أرضها بدمائهم، وتواروا في ثراها، وذابت يافعيتهم فيها، ولم يكن شيء يربطهم بمرابع آبائهم إلا الاسم الذي يدل على المنبع، ولا يشير إلى الهوية والانتماء، فقد انتسجوا فيها وصاروا منها ما كانه أهلها تمامًا بتمام، فامتثلوا عادات أهلها وسلوكهم وقيمهم وأخلاقهم وهيئات لباسهم وحركات مشيهم وطرائقهم، وغاصوا في أحلامهم وآمالهم وخيباتهم وإحباطاتهم حتى صاروا منهم ما هو الدمُ من شرايين الإنسان[1].

واليافعيون جزء لا يتجزأ من مجموع القبائل الحضرمية التي تشكل التركيبة

(1) البار: عبدالله حسين، علوي صالح المفلحي هوية الانتماء وانتماء الهوية، مجلة (المكلا)، مكتب وزارة الثقافة، المكلا، العدد (18) أكتوبر - ديسمبر 2013م، ص22.

الاجتماعية للمجتمع الحضرمي، فهم يجتمعون نسبًا مع بعض القبائل الحضرمية ذات الأصول الحميرية، ويشكلون إلى جانب القبائل الكندية ومن ينتسبون إلى حضرموت القبيلة، أو حضرموت البلد، كيانًا واحدًا، كما أن هناك الكثير من الأسر الحضرمية التي استوطنت يافع قديمًا، بل كوَّنت لها مكانة اجتماعية متميزة، من تلك الأسر آل العمودي مشايخ مكتب السعدي، وآل العبادي (باعباد) من مشائخ يافع وقضاتها، وأسر من السادة بني علوي والكثيري وغيرهم، بل إن هناك مكتب من المكاتب العشرة الرئيسة يسمى مكتب الحضرمي، كما ارتبطت حضرموت بيافع روحيًّا من خلال ارتباطها بالتصوف الحضرمي لاسيما الشيخ (أبوبكر بن سالم مولى عينات وذريته، ولعل هذا ما يفسر عدم تواني يافع في نصرة حضرموت والاستبسال في الدفاع عنها.[1] وارتبطت ارتباطًا اقتصاديًّا فكانت سواحل حضرموت انطلاقة لكثير من تجار يافع إلى الهند والسند والملايو، وارتباطًا سياسيًّا بتكوينها إمارات وسلطنات وهو حجر الزاوية في تلك العلاقات.

وهكذا أدَّت يافع حضرموت - كما صار اسمها - دورًا رياديًا بارزًا منذ القرن العاشر الهجري، وأصبح واضحًا في القرون الثلاثة التي تلته، ومثّل هذا الدور منعطفًا تاريخيًا في تشكيل التاريخ الحضرمي الحديث.

أطلق المؤرخون الحضارمة على أفراد قبيلة يافع بحضرموت عدة أسماء منها اسم (العسكر)، وذلك لوظيفتهم العسكرية أمراء وحاميات وجنودًا، وكذلك أطلق على جزء منهم بيافع (التلد) أي القدماء، وهم الذين تواجدوا في حضرموت منذ القرن العاشر بالأخص وما قبله، وجزء منهم أطلق عليه يافع (الغربة) أي الغرباء، وهم الذين تواجدوا في حضرموت في القرون التالية وبالأخص القرن الثالث عشر الهجري.

وكانت الهجرة هي جسر العبور لأداء هذا الدور الحضاري، فقد أنتج المهاجرون

---

(1) الموسطي: طارق وآخرون، الموسوعة اليافعية -يافع حضرموت - ، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، ط 1، 2015م، م 8، ج 12، ص 45.

من جبل يافع دورًا حضاريًّا سياسيًّا واجتماعيًا وثقافيًا واقتصاديًا، قام بأدائه مجموعة كبيرة من المهاجرين سواء الجيل الأول أو من الأجيال اللاحقة، توج بقيام أعظم سلطنات جنوب شبه الجزيرة العربية في التاريخ الحديث الدولة القعيطية الحضرمية، ولم ينتهِ بأفول نجمها، بل استمر إلى اللحظة، وسيستمر مادامت حضرموت.

قسم الباحث هذه الدراسة إلى مقدمة وخاتمة وملاحق وثلاثة مباحث هي:

- الهجرة اليافعية إلى حضرموت عبر العصور
- تكوين الإمارات والدويلات والحاميات اليافعية
- دراسة في الأرشيف الوثائقي لإمارة ابن عبدالقادر أنموذجًا

المبحث الأول: الهجرة اليافعية إلى حضرموت

عرفت ظاهرة الهجرة منذ ظهور البشرية كمجموعات على وجه الأرض، وكما هو الحال في هجرات الشعوب القديمة الضاربة بجذورها في عمق التاريخ فإننا لا نعرف على وجه الدقة والتحديد بداية واضحة لهجرة اليافعيين من أراضيهم، إلا أن التغيرات الطبيعية والاجتماعية والسياسية أسهمت في حركة الهجرة كالجفاف، والفيضانات، وانهيار السدود، والحروب، والرغبة في التوسع التجاري أو السياسي، ولهذا على الرغم من أن التواجد الموغل في القدم للعنصر اليافعي في حضرموت إلا أننا لا نعرف بالتحديد أول تواجد لهم بحضرموت، غير أن الأمر المؤكد أنها كانت أسرًا خرجت على شكل أفراد، إما للتجارة، وإما هروبًا من الثأر، وغير ذلك ودخل البعض منها في تحالفات مع قبائل حضرمية، وأصبحوا جزءًا من هذه القبائل، ولم يحتفظوا بأنسابهم[1].

ويافع كغيرها من الشعوب حملت عصا الترحال وانطلقت شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، ولا شك أن الكثير من هؤلاء لم يعودوا إلى يافع بل انخرطوا في بوتقة تلك

(1) باحاج: عبدالله سعيد، قراءة جغرافية وتاريخية في دوافع الهجرة اليمنية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2002م، ص 15.

المجتمعات وامتزجوا بها. ويافع عبر تاريخها الطويل داخل حضرموت قد مرت بمراحل عدة وقديمة قدم حضرموت، وأدَّت قبائلها وأفخاذها وأفرادها أدوارًا كثيرة ومتباينة، جعلت من يافع داخل حضرموت أنموذجًا للشجاعة قبيلةً وأفرادًا، إضافة إلى تمددها وانتشارها الواسع، وسيطرتها على معظم حضرموت جعل منها قوة ذات بأس شديد ونفس طويل. فاليافعي كما يشير بامطرف (لديه الاستعداد للإشراق حيث تتوافر له الفرص للبروز والسمو والتفاعل في المحيط الذي يستقر به، ولذلك دخل يافع التاريخ في حضرموت من أوسع أبوابه، ولسوف تبقى معالمهم التاريخية هنا ما بقى لحضرموت تاريخ يدون ويتلى)[1]. وتعد يافع أصل في القبائل ذات الأصول الحميرية في حضرموت؛ بل تعد رأسًا فيها، مما جعل الكثير في حضرموت يسهبون إسهابًا كبيرًا في إرجاع الكثير من القبائل ولاسيما (نوّح وسيبان) إلى قبائل حمير[2].

ومن أهم الأسباب التي جعلت هجرتهم تتجه شرقًا نحو حضرموت ما يلي:[3]

- جفاف بلاد يافع في بعض السنوات، واعتمادهم كليًا على مياه الأمطار، مما يجعل الهجرة أمرًا لا مفر منه، ومثلت حضرموت وجهة مناسبة؛ لمساحتها الواسعة، وقلة سكانها، وتنوع تضاريسها الجغرافية، وتوافر ضالة كل طالب هجرة.
- يافع (أرض طاردة) حضرموت (أرض جاذبة)
- التجارة الدائمة أو الموسمية، فقد شكلت حضرموت سوقًا تجاريًا لحاصلات كل بلاد اليمن، ووجد اليافعيون فيها مكانًا لتسويق منتجاتهم الزراعية والحيوانية،

---

(1) الناخبي: عبدالله بن أحمد، رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط1، 1990م، ص 192.

(2) ابن جندان: بدر الدين سالم بن أحمد بن الحسين، الدر والياقوت في بيوتات المهجر وحضرموت، مخطوط ج4، ص225. ونقل ابن عبيدالله السقاف في بضائعه عن الشيخ علي باصبرين عند كلامه عن العمودي أن المناهيل والحموم ويافع من حمير بن سبأ. ينظر: السقاف: عبدالرحمن بن عبيد الله، بضائع التابوت نتف من تاريخ حضرموت، مخطوط، ج2، ص125.

(3) الناخبي: رحلة إلى يافع...، ص 88 – 89، الموسطي: الموسوعة..، ص 315.

ومبادلتها بمنتجات أخرى من أسواق حضرموت، وشكل البن والورس أهم المنتجات التجارية.

- الرحلات العلمية لطلاب العلم ومريدي التصوف إلى قبلة العلم وكعبة الطلاب وبالأخص تريم وعينات.
- وجود بها الكثير من الأهل والأقارب ومن له صلة بالقبيلة والمكتب.
- الحروب المستمرة وما يتبعها من ثأرات وتعطيل الأعمال والبحث عن موضع آمن ومستقر.
- استعانة السلاطين والأمراء برجال يافع لحفظ الأمن وحماية البلاد والعباد، لما يتميز به اليافعي من شجاعة وقوة ونخوة، والسمع والطاعة لقادتهم.
- ازدحام بلاد يافع بالسكان في أرض حاصلاتها لا تكفي للعدد الكبير.

ولعل هناك أسبابًا كثيرة جعلت حضرموت قبلة ليافع جماعات وأفرادًا منها:

- القرب الجغرافي لبلاد يافع من حضرموت جعلها إحدى الخيارات والوجهات لهم.
- النزعة النفسية والاجتماعية ليافع كالحضارمة ومحبة الهجرة وعلى امتداد التاريخ، سجل لهم حضورًا في عهد الفتوحات الإسلامية في مصر والعراق والشام وإفريقيا والهند وغيرها، وقبيل الإسلام.
- اعتبار حضرموت محطة للهجرة إلى عمان والهند وجنوب شرق آسيا وجنوب شرق إفريقيا، حيث تتوافر بحضرموت الموانئ والسفن الحاملة إلى تلك المهاجر.
- الشخصية الحضرمية المتقبلة للغير، فقبل الوجود اليافعي كان هناك وجود لكثير من القبائل كنهد والسادة بني علوي وآل كثير وغيرها التي أصبحت من أركان المجتمع الحضرمي.

♦ وفرت حضرموت مكانًا جاذبًا للسكنى أو التجارة وأصبحت قبلة للكثير منهم.

ونتج عن هذه الهجرة إضافة عنصر مهم في التكوين البشري لحضرموت فقد أدَّت يافع دورًا بارزًا في التاريخ الحضرمي؛ وذلك لما كانت تتمتع به من قوة وشجاعة جعلتها محلَّ أنظار سلاطين حضرموت الذين كانوا يبحثون عن قوة تثبِّت لهم نظام حكمهم، ولكن عجلة الزمن دارت، واعتلت يافع سدة الحكم في حضرموت لم تجد بُدًّا من الوقوف في وجه كل من يحاول أن يبعدها عن حضرموت، أو يصنفها جزءًا خارجًا عن حضرموت؛ بل دفعت بالغالي والرخيص، والطيب والنفيس، في تحقيق نسبتها لحضرموت، وأحقيتها بالأرض التي نمت وترعرعت في أحضانها، وسقت أرضها بدمائها، وكانت المعركة بين آل يافع وبين آل كثير مسألة مصير وتحقيق ذات، فآل كثير قادمون من الشرق، ويافع قادمون من الغرب[1].

وإذا تحدثنا عن يافع حضرموت فإننا نتحدث عن قبيلة واحدة دون اعتبار بالتوزيع القبلي اليافعي في يافع الجبل، بل تعد في مضمونها كتلة واحدة بجميع فصائلها لا تتجزأ، ويتوزعون في معظم مناطق حضرموت ساحله وواديه، وتوزيعهم القبلي يخضع للعرف الحضرمي القبلي، ولا ينفك عنه بحال من الأحوال، فهم من نسيج هذا البلد. وإذا أردنا أن نحدد بداية وجود يافع بحضرموت وقدومهم إليها فلربما تعسر ذلك؛ لأن الوجود قبلًا كان فرديًا ومن أزمان قديمة.

أولًا: الوجود اليافعي في حضرموت (قبل القرن العاشر الهجري):

إن الوجود اليافعي في حضرموت موغل في القدم، ورغم ذلك لم تذكر كتب التاريخ تحديدًا للزمن الأول الذي نزحت فيه قبائل يافع إلى حضرموت، وأسباب هذا النزوح ومنعطفاته التاريخية، واندماجها مع القبائل الحميرية الأخرى.

(1) بامؤمن: كرامة مبارك، الفكر والمجتمع في حضرموت، دار التيسير للنشر والتوزيع، صنعاء - مكتبة الثقافة، عدن، ط 3، 2006م، ص 63.

وهناك إشارات في كتب التاريخ ذكرت بعضًا من ملامح هذا الوجود اليافعي في حضرموت، منها ما جاء عند المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف أن الوجود اليافعي كان في حضرموت منذ العهد الثاني للدولة الحميرية قبيل الإسلام، وهو الوفد الذي قدم به (سيف بن ذي يزن) ومعه الجيش الفارسي لتحرير اليمن من الأحباش[1]، وقد أبرمت يافع معاهدات التحالف وحسن الجوار مع القبائل المجاورة لمنطقتهم القطن، ولعل من هذا الوفد تلك العائلات القديمة التي تنسب أصولها إلى يافع كـ(آل بامعس، وآل باجبع، وآل الجريدي، وبو زيدان، والبكيلي) وغيرهم، وهؤلاء قبائل قديمة موغلة في القدم، وبعض اليافعيين اندمجوا مع القبائل الحضرمية، وأصبحوا جزءًا من هذه القبائل، ولم يحتفظوا بأنسابهم، فإن التاريخ شاهد على بقاء النسب اليافعي كقبيلة، رغم اتحادهم وتحالفهم مع القبائل الحضرمية والمهرية كالجدياني وباجبع وآل يزيد في المشقاص، وآل سنان في منطقة (صور) العمانية، وبيت زياد (آل بن عفرار) في المهرة، وغيرهم[2].

كما تشير المصادر إلى أنه في سنة 858هـ لجأ وفد من كلد إلى الشِّحْر بقيادة الشيخ مبارك الكلدي[3] مستنجدًا وطالبًا المساعدة من محمد بن سعيد الكندي (أبو دجانة) أمير الشِّحْر إثر الخلاف الذي حصل بين كلد وبني عمومتهم آل أحمد في عدن المحالفين للدولة الطاهرية، وقد حثوا الأمير الكندي الحضرمي على التوجه إلى عدن

---

(1) بامطرف: محمد عبدالقادر، الشهداء السبعة، دار الهمداني، عدن، ط2، 1983م، ص25 – 26.

(2) الناخبي: عبدالله بن أحمد، حضرموت، فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب أو شذور من مناجم الأحقاف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 1997م، ص68 – 208؛ الناخبي: عبدالله بن أحمد، الكوكب اللامع فيما اهتمل من تاريخ يافع، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 1999م، ص14 – 20؛ ابن جندان: الدر والياقوت..، ج4، ص110؛ الموسطي: الموسوعة...، ص 48.

(3) بامطرف: محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ط1، 2001م، ص81.

والاستيلاء عليها فأعد الكندي جيشًا خليطًا من قومه المهرة ويافع والحموم، وانطلق بهم في تسع سفن شراعية وهاجم بهم عدن، لكن عاصفة بحرية شتتت أسطوله حول عدن، فهزمه الطاهريون وأسروه، وكان ذلك سنة 862هـ[1].

ويذهب ابن عبيدالله إلى أن وجود مبارك اليافعي مستشارًا للأمير أبي دجانة في الشِّحْر، يُعلم به تمكن يافع من الظهور على المسرح السياسي بحضرموت منذ القدم[2].

ثانيًا: الوجود اليافعي في القرن العاشر:

لدينا إشارات في المصادر التاريخية لوجود يافع وقبضهم لزمام الحكم في حضرموت قبيل تولي بوطويرق الحكم، ففي سنة 910هـ توفي بالشِّحْر السلطان عبدالله بن جعفر الكثيري (والد السلطانين محمد وبدر أبو طويرق)، فتولى حكم الشِّحْر من بعده ابنه محمد، وكانت غيل باوزير تابعة له، وينوب عنه فيها القائم مقام النقيب (أحمد بن النقيب)، ويبدو أن هناك خلافًا بين الأخوين السلطان محمد وبدر على شؤون الحكم، وقد انتهى بإبعاد الأول عن حكم حضرموت بما فيها الشِّحْر لصالح السلطان بدر حاكمًا لحضرموت الداخل والساحل، وكان من بين إجراءاته السياسية قيامه بإلقاء القبض على حاكم الغيل أحمد بن النقيب متهمًا إياه بالتواطؤ مع أخيه محمد ضده وزج به في السجن، ومن ثم عزله عن الخدمة وذلك في عام 927هـ[3].

(1) بامخرمة: الطيب بن عبدالله بن أحمد، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق محمد عبدالنور، وزارة الثقافة، صنعاء، ط1، 2004م، ج3، ص3612 - 3614؛ البكري: صلاح عبدالقادر، تاريخ حضرموت السياسي، مكتبة الصنعاني، ط2،بدون ت..، ج1، ص93؛ البكري: صلاح عبدالقادر، حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، مكتبة الإرشاد، جدة، 1960م، ص75؛ بامطرف: المختصر..، ص96 - 97؛ باوزير: سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، ط3، 2012م، ص151 - 152.

(2) السقاف: بضائع..، ج2، ص126.

(3) بامطرف: الشهداء السبعة، ص76 - 79.

كما حرص السلطان بدر بن عبدالله أبو طويرق الكثيري (ت 976هـ) على أن يكون جيشه خليطًا من أجناس وقبائل متفرقة: من يافع وزيود وأتراك وغير ذلك[1]. وفي سنة 925هـ اتخذ السلطان بدر أبو طويرق جيشًا، وانتخب من يافع خمسة آلاف فيه[2]، وسار بهم إلى حضرموت، ولما وصلوا إلى الشِّحْر تخلف عنه جماعة من يافع وأقاموا فيها، وسار بالبقية إلى دوعن وأبقى فيها جماعة من آل البكري واليزيدي والبطاطي، ثم سار إلى شبام وعلمت قبائل نهد بقدومهم فاحتشدت في بحران[3] لصدهم، والتقى الفريقان، وكانت معركة عنيفة، وكان النصر حليف بدر ومن معه، وتخلف في بحران جماعة من بني بكر، ثم سار إلى شبام وسيطر عليها في شهر رجب 926هـ وحصَّنها بالموسطة، ثم سار إلى تريم وضمها سنة 927هـ، واتخذ تريم مركزًا لدولته، وجعل عليها آل البعسي، وجعل في سيؤون آل الضبي، وسار إلى هينن وضمها، وبهم أعاد أبو طويرق ملكه، وثبت سلطانه[4]، وأطلق عليهم لقب (النقباء)، وهي رتبة عسكرية، ووظيفة سياسية لممارسة السلطة، (حكم مطلق) نيابة عنه[5].

ثالثًا: الوجود اليافعي في القرن الثاني عشر:

جاء السلطان بدر بن محمد المردوف الكثيري يطلب النصرة والمؤازرة والمدد من يافع ضد منافسيه من الأسرة الكثيرية والمد الزيدي الذي بدأ ينتشر في حضرموت،

---

(1) باوزير: سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة، عدن، بدون تاريخ، ص120، 181.

(2) البكري: تاريخ حضرموت..،ج2، ص97.

(3) بحران: فضاء واسع معروف غرب وادي حضرموت وصفها ابن عبيدالله بقوله: « فيها كان انهزام السلطان بدر بن عبدالله الكثيري من جيش الصفي أحمد بن الحسن سنة 1070هـ، وفيها كان انهزام السلطان عمر بن جعفر الكثيري من يافع آخر سنة 1117هـ ». السقاف: عبدالرحمن بن عبيدالله، معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق محمد باذيب، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م، ص462.

(4) البكري: تاريخ حضرموت..، ج2، ص98؛ البكري: حضرموت وعدن..، ص77.

(5) الموسطي: الموسوعة..، ص 52.

فلم يجد اليافعيون بدًّا من نجدة من استنجد بهم ولاذ بهم دون غيرهم، واختارهم من بين قبائل اليمن قاطبة، وقدم بهم السلطان بدر بن محمد (المردوف) الكثيري بوساطة دينية من قبل آل الشيخ أبي بكر بن سالم، واستطاع المردوف أن يقنع سلاطين يافع بإرسال مقاتلة من عشيرتهم إلى حضرموت، للمكانة التي يكنُّها اليافعيون لآل الشيخ أبي بكر، وبين الشروع القبلية السائدة عندهم؛ فاقتنعت يافع بذلك، ولم تجد يافع بُدًّا من قبول طلب الأمير الكثيري، ولا ردًا للوساطة الروحية[1]، أضف إلى ذلك صراع يافع المرير مع الزيود، وإجلائهم من يافع وعدن وأبين والضالع.

بلغت الأنباء إلى السلطان عمر بن جعفر بوصول يافع، فغادر الشِّحْر إلى سيؤون وحشد أربعة آلاف مقاتل من الزيود وغيرهم، واتجه إلى بحران لصد الزحف القادم، وقد أرسل السلطان عمر بن هرهرة كتابًا إلى السلطان عمر بن جعفر أخبره أنهم لم يأتوا للقضاء على سلطته وإنما جاؤوا للقضاء على الزيود، فإذا انتهوا من ذلك عادوا إلى بلادهم، فرد عليهم أنه لا يسمح لهم بالتدخل في شؤون بلاده، والتقى الفريقان وبدأت المعركة في 1 محرم 1118هـ استخدمت فيها الأسلحة النارية والخناجر والسيوف، وقبيل غروب الشمس انسحبت فلول السلطان عمر بن جعفر مهزومة، بعدها زحفت يافع وأنصارها إلى شبام[2].

وبعد وفاة المردوف شهدت الساحة السياسية في حضرموت انقسامًا بين الأسر الكثيرية، واستمر حتى النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، ثم ازداد الأمر تخلخلًا بعد أن دخل المعترك السياسي وافد جديد متمثل في القوة القادمة من جبل يافع، وقد كان لاستقرارهم في أغلب مناطق حضرموت دور كبير في تقوية نفوذهم، إلى جانب الوفود القديمة من يافع التلد الذين يعدون في نظر الحضارم قبيلة حضرمية، لها

---

(1) الناخبي: رحلة إلى يافع..، ص70.

(2) الرباكي: أحمد صالح، رحلة السلطان عمر بن صالح إلى حضرموت، بحث غير منشور، ص26.

ما لهم، وعليها ما عليهم، وقد كانوا يتمركزون بكثرة في القطن[1].

بعد معركة بحران وما تلاها انتهى الوجود الزيدي بحضرموت، وبدأت يافع تنمو ويتسع نطاقها، ولما قام بالأمر السلطان جعفر بن عمر الكثيري نافسه في الحكم السلطان جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري، واشتد الخلاف بينهما، وكان الأخير له توجسات من سيطرة يافع على المشهد السياسي، فناوشهم في شبام وغيرها، فانتهز السلطان جعفر بن عمر هذا الحال وتحالف مع يافع ونهد والجعدة سنة 1145هـ، وتواجه الطرفان في موقعة الغطيل، وهزم جعفر بن عيسى، وبموته انكمشت الدولة الكثيرية، ووجدت يافع نفسها بيدها أمر حضرموت، وكانوا موزعين على كل نواحي حضرموت، فقام كل فريق منهم بأمر ما تحت يديه، فآل أمر المكلا إلى بني ناخب، وريدة المعارة لكلد، وغيل بن يمين للشناظير، وتريم للبعوس، وسيؤون للظبي، وجفل للرباكي، وتريس وحورة وشبام للموسطة، ومريمة لبني بكر، ولحروم للقعيطي، والهجرين لليزيدي، والقزة للبطاطي، وغيرها[2].

رابعًا: الوجود اليافعي في القرن الثالث عشر:

في الربع الأخير من القرن الثالث عشر تأسست السلطنة القعيطية اليافعية في حضرموت بمقابل عودة السلطنة الكثيرية، فعمل الجَمَعْدَار عمر بن عوض القعيطي على استقدام أعدادًا من اليافعيين علاوة على من بحضرموت لرد هجمات آل كثير والتوسع في حضرموت سنة 1283هـ. وهذا الوفد الذي يعد النواة الأولى لقيام السلطنة القعيطية في حضرموت، والذي يتكون من:

1. مقاتلة من يافع الهند المسرحين من جيش النظام في حيدر أباد.
2. مقاتلة من جبل يافع[3].

---

(1) بامطرف: الشهداء السبعة، ص12.

(2) البكري: حضرموت وعدن..، ص99.

(3) بامطرف: محمد عبدالقادر، في سبيل الحكم، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ط1، 2008م، ص51.

إلا إن هذا الوفد لم يكن الأخير وإنما استمر التواصل بين جبل يافع وحضرموت بتوافد أعداد وجماعات وأسر طوال سنوات الدولة القعيطية، وفي جميع المراحل التي تلت هذه المرحلة حتى اليوم لأسباب متعددة. وتعد هذه المرحلة أهم مراحل التحول اليافعي داخل حضرموت، حيث حرص اليافعيون على تثبيت مكانتهم داخل الإطار الحضرمي، لا أن يكونوا بعيدًا عنه.

وقد نتج عن هذه الهجرات تغييرات ديموغرافية في التركيبة العامة وتمدد بشري ومكاني ليافع في حضرموت[1]..

القسم الأول: التمدد البشري:

من خلال التواجد المتكرر على مراحل تاريخية مختلفة تكونت تكتلات بشرية مهاجرة صغيرة وكبيرة، اختلفت توجهاتها واختلفت الظروف التي أتت فيها، وبذلك اختلفت البوتقة التي انصهرت فيها، فهناك عائلات شبه منقرضة ذريتها ونسبتها كتب التاريخ ليافع، مثل: الجدياني بالمكلا وغيرهم. وهؤلاء عائلات لم يبق إلا رسمهم، قصدت حضرموت وأسس بعضهم شبه حكم لم يتجاوز مكان استقراره، وهناك عائلات يافعية امتزجت بالأصول الحضرمية الحميرية أو الكندية كما مر معنا، وهذه الأسر قد انقطع اتصالها بأرضها الأم، غير أنها تنادى بانتسابها اليافعي، إضافة إلى عائلات تتردد بين الأصلين اليافعي والحضرمي، ولها أحلاف في قبائل حضرمية مثل: بيت يزيد في المشقاص دخلت في ثعين، وآل سنان في منطقة (صور) العمانية، وبيت زياد (آل بن عفرار) دخلت في ثعين، وابن مقيص لحمدي بتريم، وغيرهم، وهؤلاء قبائل قديمة موغلة في القدم[2].

القسم الثاني: التمدد المكاني:

ويقصد بالتمدد المكاني للوجود اليافعي في حضرموت تحركاته المكانية داخل أرض حضرموت، والتكتلات التي شكلها، فقد حددت أوقات هجرتهم أماكن

(1) الموسطي: الموسوعة...، ص 316

(2) الموسطي، السابق، ص317.

سكناهم، إضافة إلى ظروف حضرموت في زمن الهجرة:

أولًا: مرحلة النقباء:

النقيب: كالعريف على القوم، والمقدم عليهم، يتعرف وينقِّب على أخبارهم. والنقيب في اللغة الأمين والكفيل، وقيل النقيب الرئيس الكبير، وهي رتبة عسكرية، وقد عرفت بها أغلب القبائل اليافعية بحضرموت منها: آل النقيب الموسطي، وآل النقيب الكسادي، وآل النقيب الكلدي وغيرهم[1]، فقد وضعوا نقباء على مدن وقرى سيطروا عليها بحكم مناصبهم (نقباء لدى الدولة الكثيرية) وذلك منذ قدومهم حضرموت، ويعرفون كذلك بـ (أصحاب العدالة) ([2])، وهي رتبة عسكرية، ووظيفة سياسية لممارسة العدالة والحكم المطلق في نطاق الوظيفة المكلف بها كل نقيب في المنطقة التي وُضع فيها[3]، واستمرت حتى بداية القرن الثاني عشر الهجري.

ثانيًا: مرحلة الحاميات:

وهي مرحلة التحرك شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا ساحلًا وواديًا وهضبة، ففي سنة 1118هـ تم توزيع القبائل اليافعية على مدن وقرى حضرموت كحاميات عسكرية، إضافة إلى بقايا النقباء السابقين في مواقعهم، وخلال قرن ونصف بسطت الحاميات على ما تحت يدها، وتطور بعضها في شكلها السياسي والعسكري إلى شكل الإمارة، وأصبح سمة هذه السنوات الصراعات الطويلة الأمد، وهذه الصراعات على قسمين بين يافع أنفسهم وبين يافع وآل كثير، أدى ذلك إلى أنه قتل الكثير منهم، وانتشر أبناؤهم

---

(1) ناصر: سامي ناصر مرجان، الإمارة الكسادية في حضرموت، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، ط1، 2012م، هامش ص97.

(2) العدالة: وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن موارد تصريفه، وحقيقتها القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين الناس، وتولي الدفاع عن حقوقهم، والمطالبة بها، وسائر أعمالهم ومعاملاتهم، وتذكر التواريخ الحضرمية أنه يقال: عدّل المدينة الفلانية حكمها جعلها وثيقة على الوفاء لحاكم آخر بالوفاء والسمع والطاعة، أو عدم الاعتداء. (بامطرف: المختصر..، ص75).

(3) الموسطي: الموسوعة..، ص52.

ونقلت الحروب قيادتها إلى أماكن أخرى ومواقع غير التي سكنوها أولاً، وسكنت في مواقع جديدة، وتخلت عن مواقعها الأولى كما فعل آل بن هرهرة وبقية آل الضبي، فقد تخلو عن موقعهم الأول في سيؤون واشتروا لهم مواقع ومثاوي جديدة في القطن وضواحيها في نهاية هذه المرحلة.

ثالثًا: مرحلة المثاوي:

وهي المرحلة التي استقرت فيها يافع في (القطن)، وقد بدأت إبان الدولة الحميرية الثانية كما يشير إلى ذلك بامطرف[1] والناخبي[2] وذكرناه عند حديثنا عن الوفد الأول، فقد احتضنت القطن أقوامًا من يافع لم يعد لهم وجود بها اليوم، كذلك احتضنت القطن عائلات قليلة خصصت لها مثاوي قديمة كالمرفدي، والرباكي، والمداشلة...إلخ، بينما نجد توزيعًا متأخرًا في مناطق شرق القطن سميت بالعقد كفروع الضبي حيث إن توزيعهم في القطن لم يكن إلا عقب خروجهم من سيؤون في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وكذلك أغلب فروع الموسطة من شبام، وتكونت مثاوي العقد إلى جانب المثاوي القديمة التي بقيت ولم تمس، مثل مثاوي القطن ومثاوي الوديان في واديي عمد ودوعن، وفي ساحل حضرموت في غيل باوزير والريدة.

نلاحظ كذلك أن وجود يافع وقوتها في القطن تضاعف بعد أن اتخذتها يافع خط رجعة ومركز للانطلاق، وعزز ذلك ظهور السلطنة القعيطية عندما اتخذت القطن نواة لدولتها الجديدة، ومعلوم أن القعيطة كانوا من قبل ضمن الموسطة بشبام وفي لحروم.

ويختلف التوزيع المناطقي للقبائل اليافعية اليوم في حضرموت، فهناك مثاو وهي قرى تتمركز فيها عائلة يافعية أو عدة عائلات، أو بمشاركة آخرين من يافع أو غيرهم، ولها النفوذ الاجتماعي كقرية (خشامر)، التي يوجد فيها تجمع كبير لآل علي جابر، وقرية (القزة) التي يوجد فيها تجمع كبير لآل البطاطي، وقرية (الحدبة) التي يوجد فيها تجمع كبير لآل اليزيدي في الساحل وغيرهم.

---

(1) بامطرف: الشهداء السبعة، ص12.

(2) الناخبي: الكوكب اللامع..، ص20.

وتنتشر هذه المثاوي غالبًا في حضرموت الداخل ولا سيما في القطن، والتي يوجد بها أكبر تواجد يافعي وهذا التواجد الكبير في القطن له عوامله الاجتماعية والسياسية، منها:

- ♦ كون القطن أكبر منطقة تجمع قبلي في حضرموت، وبها أكبر تجمع يافعي، تمتد من الفرط غربًا حتى خشامر مثوى قبيلة آل علي جابر شرقًا، وحتى المصنعة - المحاذية لمنطقة خشامر - مثوى آل هرهرة شمالًا.
- ♦ كون القطن أول منطقة احتضنت التجمع اليافعي منذ أول وصول لهم إلى حضرموت.

رابعًا: مرحلة الانتشار:

عقب تأسيس السلطنة القعيطية استقرت الأوضاع الأمنية وانتهت الصراعات السابقة، وأصبحت الحاميات العسكرية السابقة في نطاق السلطنة مكونات رسمية في جيش السلطنة، وبدأت مرحلة الانتشار في مناطق أخرى فتوزعت يافع في قرى ومدن ومثاوي قد تفصلها عن من يشترك معها في التقسيم المكتبي مسافات طويلة فلا ترتبط القبائل بالمغرم والمخصم، بل الرابط الاجتماعي لها في حضرموت النسب، فتباعدت مثاويها، ناهيك عن طبيعة البلاد الحضرمية وبنيتها القبلية، وتركيبها الاجتماعي؛ فانصهرت هذه القبائل في البوتقة الثقافية الحضرمية نفسها، وشكَّلت جزءًا من هذا المجتمع، فأصبحت البعض منها تنسب مباشرة إلى المكتب، ولا يعلم أصحابها إلى أي فرع من فروع المكتب ينتمون بسبب بعد الزمان والمكان؛ وان كان تواجدهم في المهجر الحضرمي أوفر حظًّا في تماسكهم واحتفاظهم برابطتهم فحضرموت شعب متعدد القبائل ومترابط في وحدته القبلية.

ونظرًا لطبيعة العمل الجديد والظروف الجديدة المفروضة، انتشروا في القرى والمدن الرئيسة؛ كالمكلا والشحر والغيل وشبام وسيؤون وتريم وغيرها من القرى الأخرى كغيل بن يمين وبروم وميفع والعليب ودوعن، بل امتد إلى بعض مناطق الصحراء، واستقرت مجاميع بتلك المناطق حتى هذه اللحظة، إلى جانب عوامل أخرى

كالعمل الوظيفي والتجارة، والبحث عن مناطق استقرار ومناطق تواجد الخدمات المعيشية، وكذلك عامل التزاوج في مناطق أخرى، إضافة إلى أن التوافد من جبل يافع لم ينقطع خلال تلك السنوات وإلى اليوم، مما شكل انتشارًا جديدًا للتواجد اليافعي في حضرموت.

المبحث الثاني: الدويلات والحاميات

شهدت حضرموت خلال القرن الثاني عشر الهجري وما بعده حكم الحاميات اليافعية أو ما أطلق عليها إمارات أو دويلات المدن[1]، وهي دويلات كثيرة ومتعددة تنهض إحداها وتنخفض أخرى، وأدَّت دورًا كبيرًا في الصراع السياسي داخل حضرموت، وهذه الحاميات الصغيرة توزعت على معظم القرى والمدن الحضرمية، ثم تدرجت بعض هذه القبائل ضمن الحاميات الصغيرة بدءًا بالحارة وانتهاء بالإمارة.

لم نتطرق في هذه الدراسة إلى السلطنات والإمارات الكبيرة والشهيرة الثلاث، الإمارة البريكية بالشحر، والإمارة الكسادية بالمكلا، والسلطنة القعيطية بحضرموت، فقد تم التطرق إليهن في دراسات ورسائل جامعية وأبحاث علمية أكاديمية من قبل الباحثين، وإنما تطرقنا إلى الإمارات والحاميات الصغيرة من أجل تسليط الضوء عليهن والتعريف بهن.

بعد انتصار السلطان عمر بن صالح بن هرهرة في معركة بحران 1محرم 1118هـ كان من نتائجها أن أعاد للسلطان بدر بن محمد المردوف الكثيري كرسي حكمه، وصفت له كل المدن والبلدات ووفى بطلبه، ولتأمين تلك الانتصارات فقد أعاد بن هرهرة توزيع القوى اليافعية على مدن وقرى حضرموت التي كانت موجودة سابقًا في حضرموت، ومن دخل معهم من الأقوام التي جاءت معه، ولهذا قام بتوزيعهم توزيعًا عسكريًا في أساسه، وتوزيعًا أمنيًا في مهمته، حيث وزعهم كحاميات لنشر الأمن واقتسموا البلدان

---

(1) بامطرف: في سبيل..، ص11.

ثلاثة أقسام: شبام وهينن بثلث، وسيؤون ومريمة بثلث، وتريس لابن النقيب شيخ يافع وعاقلهم، وتريم بثلث لكونها ركيكة في ذلك الزمن[1].

ومن ناحية التوزيع العسكري فكان حسب المكاتب وهو تقسيم عسكري معقد ساد في بلاد يافع على أساس المغنم والمخصم، ومازال معمولًا به إلى هذا اليوم فخرجت مناطق حضرموت كالتالي:

1 – شبام وتريس وهينن لمكتب الموسطة.

2 – وسيؤون ومريمة لمكتب الضبي.

3 – تريم لمكتب لبعوس وفوقها بنادق غرامة المشهورات إلى جانب آل همام الناخبي الذين بها من سابق.

وهؤلاء جميعًا من مكاتب يافع بني مالك، وأما يافع بني قاصد فقد خرج في هذا التجهيز منهم خلق قليل، فكانت الهجرين وبلدة القزة لمكتب اليزيدي وعاقلهم البطاطي، ومنطقة الريدة وغيل بن يمين لمكتب كلد ومكتب يهر، والمكلا صارت للكسادي من مكتب الناخبي[2]. بل وجدت يافع نفسها بيدها أمر حضرموت، وكانوا موزعين على كل نواحي حضرموت، فقام كل فريق منهم بأمر ما تحت يديه، فآل أمر المكلا إلى بني ناخب، وأصبح أمر غيل باوزير لبن همام، وجفل للرباكي، ومريمة لبني بكر، ولحروم للقعيطي، وسدبة للجهوري والبكري، والهجرين لليزيدي، والقزة للبطاطي، وغيرها.[3]

وفيما يلي جدول يوضح توزيعات القبائل اليافعية في مدن حضرموت وقراها ساحلًا وواديًا وهضبة كحاميات عسكرية، والتي مارست دور الحاكم في مناطقها عقب سقوط

(1) ابن الشيخ أبي بكر بن سالم: محمد بن سقاف، بستان العجائب ومطلب الراغب في مناقب المتأخرين من المناصب والحبائب، مخطوط بمركز النور بتريم برقم 41، نسخة بحوزة الباحث ص 183/ 182

(2) نفسه ص 183

(3) البكري: حضرموت وعدن..، ص99.

الدولة الكثيرية، وتطور البعض منها إلى شكل إمارة، حتى بدايات الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري عندما تكونت السلطنة القعيطية والسلطنة الكثيرية ثانية، واتخذت البعض منها قرى خاصة بها لا يسكنها غيرهم أو يمثلون هم الغالبية العظمى، أو يكون لهم الكلمة الأولى بالمكان الذي يسمى المثوى، وينقسم إلى قسمين مثوى عام ومثوى خاص[1].

اسم القبيلة	المنطقة	موقع الحامية	المثوى الحالي
الجدياني	المكلا	المكلا ٩٨٠هـ - ١١١٤هـ	----
آل الشيخ علي هرهرة	الشحر - الساحل سيؤون -الوادي	تبالة شهارة - عفاك	الشحر غنيمة والمصنعة - القطن منذ ١٣١٤هـ
بن عاطف جابر	الشحر	حي الجزيرة	الشحر
بن معوضة	الشحر	حي الحوطة والخور في الكودة فوق البحر جنوب مقبرة عبد الرحيم	الشحر
البطاطي	الشحر	حي الرملة في الكودة فوق البحر جنوب السجن الحالي	الشحر
بن عياش	الشحر	حصن بن عياش	----
البياني	الشحر	دار البياني شرقي الجمرك القديم	----
بن بريك	الشحر	بدأ كجزء من حكم المكاتب السبعة بالشحر وموقعه بحارة المجرف ثم أصبحت إمارة ١١٦٥هـ - ١٢٨٣هـ	الشحر

(1) البطاطي: عبدالخالق بن عبدالله بن صالح، إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت، مطابع دار البلاد، جدة، ط1، 1989م، ص 9 - 10؛ الموسوعة 324 - 465

اسم القبيلة	المنطقة	موقع الحامية	المثوى الحالي
الكسادي	المكلا الحامي والديس الشرقية	إمارة بالمكلا ١١١٥هـ - ١٢٩٩هـ	الحامي والديس الشرقية
آل زياد البعسي	الديس الشرقية		الديس الشرقية
آل همام	غيل باوزير	الحصون شمال المدينة حصن الرقيمي جنوب المدينة حصن بن جابر غرب المدينة	منطقة الحصون
اليزيدي	الريدة الشرقية	الحدبة	الحدبة
النشادي	الشحر	وادي عرف	وادي عرف - الشحر
الغالبي	الشحر		- - - - - -
الشنظوري	غيل بن يمين	من وادي عيقور حتى حرو	حصن الشنظوري
الكلدي	ريدة المعارة	العليب	العليب
الخلاقي	شحير - شبام	شحير - فوة -شبام	شحير بالساحل - الحصي - القطن بالوادي
الرباكي	شحير - فوة بالساحل القطن -شبام بالوادي	المرقدة بالقطن ويفل بوادي بن علي بشبام	شحير - المكلا - المرقدة -تريم
آل الشرفي	سيؤون	سيؤون	الديس الشرقية
آل مساوى	سيؤون	سيؤون	الديس الشرقية
عبدان	سيؤون	سيؤون	الديس الشرقية
آل داعر	سيؤون	بور - سيؤون	الشحر
المصلي	سيؤون	سيؤون	عقدة المصلي - القطن

اسم القبيلة	المنطقة	موقع الحامية	المثوى الحالي
الشعموطي	سيؤون	سيؤون	الديس الشرقية
المرفدي	سيؤون	سيؤون	----
آل عفيف الطفي	سيؤون	سيؤون	عقدة آل عفيف – القطن
الفضلي	سيؤون	سيؤون	العقد – القطن
السييلي	سيؤون	خلا سيؤون	عقدة بن داؤود – القطن
البكري	سيؤون وادي العين	مريمة سدبة	بابكر – القطن الشحر والديس الشرقية
بن غرامة المنصوري	تريم	وسط المدينة وشرقها	------
بن عبدالقادر العمري البعسي	تريم	شمال المدينة	-------
بن لحمان آل همام	تريم	حافة الخليف وعيديد	تريم
الضباعي	تريم	تريم – سيؤون	----
بن متاش	تريم	شعب بن متاش	----
آل بلغيث	تريم	حصن بلغيث	----
آل بن شاطر	تريم	حصن بن شاطر	----
الزغلدي (السقلدي)	تريم	حصن عوض	----
بن مطهر بن هرهرة	تريم	حصن مطهر	----
بن مقيص الأحمدي	تريم	حصن مطهر	دحامة آل مقيص

اسم القبيلة	المنطقة	موقع الحامية	المثوى الحالي
بن نقيب	شبام -تريس	الجانب الغربي من مدينة شبام - حصون تريس	عقدة بن نقيب - القطن منذ ١٢٦٤هـ
القعيطي	وادي عمد	لحروم - عندل/ شبام	الريضة - القطن
الدهري	شبام	شبام والحمة	الحمة
آل حمود مبارك	شبام	شبام والحمة	الحمة
آل علي جابر	شبام	شبام	خشامر - شبام منذ ١١٦٧هـ
آل جابر احمد	شبام	عرض آل جابر احمد	عرض آل جابر أحمد - شبام
الشاؤوش القرعدي	هينن	منطقة العدان	عقدة الشاؤوش - القطن
آل مخارش	القطن	دار الراك	
آل الشيخ علي هرهرة	سيؤون	سيؤون	المصنعة وغنيمة
الحدادي	القطن	حذية	حذية القطن
السعيدي	هينن	منطقة العدان	الخرابة - القطن
الخلاقي	شبام		الحصي
آل أحمد القعيطي	هينن	العدان	ديار آل أحمد -القطن
بن مدشل	القطن	ساحة المداشلة	ساحة المداشلة - القطن
الجهوري	شبام - هينن - وادي العين	نخرو عمرو بشبام - هبري والرملة والعدان بهينن - سدبة بوادي العين	ساحة الجهاورة - القطن

اسم القبيلة	المنطقة	موقع الحامية	المثوى الحالي
آل علي الحاج الحوثري	القطن	ساحة آل علي الحاج	ساحة آل علي الحاج - القطن ولهم انتشار كثير في الديس والمكلا والريدة ودوعن
الحضرمي	سيؤون	سيؤون	ساحة الحضارم - القطن/ غيل باوزير
النقيب القعيطي	القطن	حصن بكرية	منطقة بكرية -القطن
الرشيدي	شبام	شبام	حوطة الرشيدي - القطن منذ ١٢٥٠هـ
لرضي	القطن	الفرط - ضبعان	الفرط وضبعان
اليزيدي	دوعن	الهجرين	جول اليزيدي بالهجرين
البطاطي	دوعن	منطقة القزة	القزة
العمري	وادي عمد	الرحب	الرحب
الذيباني	حريضة ووادي عمد	الشعبة ومخية	الشعبة ومخية بوادي عمد/ زيد بالضليعة/ شرق بدوعن
الضريبي	شبام - تريس	الجانب الغربي من شبام - حصون تريس	دار العشرة بوادي عمد
بن شعبان النقيب	تريس	حصون تريس	تريس
السعدي	وادي عمد	الجدفرة	الجدفرة
الصانبي	حجر	محمده	----

اسم القبيلة	المنطقة	موقع الحامية	المثوى الحالي
بن زيد البعسي	وادي عمد		------
بن صادق البعسي	المكلا	المكلا	------

المبحث الثالث: إمارة بن عبد القادر بتريم 1118 – 1263هـ/1706 – 1846م

تعد هذه الإمارة من الإمارات اليافعية التي أنشئت خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، في جزء من مدينة تريم التي انتهت سنة 1263هـ، وقد تولى أمراؤها حكم منطقة (النويدرة) بـ (تريم) في شمال المدينة، وكان حصنهم ومقر حكمهم في أعلى جبل – قارة – تتوسط منطقة (النويدرة) غربي موضع (ضريح مولى العرض) ويسمى حاليًا بحصن بن عبدالدائم، ضمن حكم الرتب والحاميات البعسية التي توزعت على المدينة، إلى جانب ابن همام الناخبي وكان له الأمر النافذ بتريم عن غيرهم من يافع، ولعل وجود حصن تريم المعروف بالرناد بأيديهم حتى انتهاء إمارتهم له دلالة كبيرة على أهميتهم، وعلو نفوذهم. وقد سيطر آل بن لحمان بن همام الناخبي على حارة الخليف وعيديد في جنوب تريم وغربها، وقد قاسمهم أمر مدينة تريم إخوتهم من لبعوس متمثلًا في أسرة غرامة وابن عبدالقادر، وبقية فخائذ لبعوس (بن متاش –بن شاطر – الزغلدي – الضباعي) فانقسمت بذلك تريم إلى ثلاث مناطق حكم، فكان ابن همام في منطقة الخُلَـيْف، وعيديد في الغرب والجنوب الغربي من المدينة، وبيدهم حصن تريم الشهير المسمى بالرناد، وابن غرامة وله الحوطة والسحيل والرضيمة في الوسط، وابن عبدالقادر في النويدرة في شمال المدينة[1].

وكان هناك تنافس بينهم لاسيما بين آل بن عبدالقادر وآل غرامة، وقد ترك ذلك أثره السيئ في اضطراب الأمن داخل المدينة الواحدة[2].

---

(1) السقاف: بضائع..، ج2، ص171.

(2) بامؤمن: الفكر والمجتمع..، ص198.

وقد خلط بعض المؤرخين في نسب آل بن عبدالقادر وانها تنتسب إلى قبيلة الناخبي من بني قاصد[1]، وهو مخالف لما هو مشهور في نسبتهم وما أظهرته الوثائق والرسائل فهم ينتسبون إلى مكتب لَبْعوس لا إلى مكتب الناخبي، وإلى قبيلة (العَمْري) على وجه الخصوص للأسباب الآتية:

1. خصوصية مدينة تريم لمكتب البعسي دون المكاتب الأخرى، فكان نصيب آل البعسي منطقة تريم مع آل همام الناخبي، بحسب التقسيم الذي وضعه السلطان عمر بن صالح سنة 1118هـ.
2. وجود شواهد قبورية لقبيلة من مكتب البعسي هي (العَمْري) في مقبرة تريم، ولم يعد لهم وجود حاليًا، ولم تذكر مصادر أخرى دورًا لهم باسم العمري، والظاهر أن اسم عبدالقادر هو اسم جد، ثم اندرج على الألسن أكثر من العمري، فمثلًا شاهدة أحدهم جاء فيها ما نصه: «الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، فقد انتقل إلى سعة رحمة الله تعالى الموفق محمد بن عبدالقادر بن علي بن عمر بن علي بن أحمد العمري البعسي اليافعي ثالث.....».
3. أن المؤرخين ينسبون ابن عبدالقادر إلى البعسي، يقول ابن عبيد الله: «وأما تريم - يحرسها الباري عز وجل - فقد كانت مفرقة بين قبائل لبعوس اليافعيين، ومنهم آل غرامة، وكانت لهم رئاسة عامة ثم لم يبق لهم إلا الحوطة والسحيل والرضيمة، ومنهم آل همام، ولهم الخليف وعيديد، ومنهم ابن عبدالقادر، وله النويدرة»[2] رغم أنه خلط إذ جعل آل همام من لبعوس أيضًا وهم من الناخبي.

الإمارة:

لا تتوافر لدينا معلومات كافية عن هذه الإمارة والشخصيات التي تولت الحكم فيها، ولعل أشهر من تولى الحكم من هذه الأسرة هو النقيب صالح بن حسين بن عبدالقادر، الذي ارتبط عهده بالتنافس الشديد بينه وبين ابن غرامة البعسي - الحاكم

(1) البطاطي: إثبات ما..، ص93.

(2) السقاف: بضائع..، ج2، ص172.

في وسط المدينة – أدى في الأخير إلى أن ينضوي ابن عبدالقادر تحت إمارة ابن غرامة ولعل الأرشيف الوثائقي الذي حصلنا عليه يكشف لنا شيئًا من أسرار هذه الإمارة الذي ينشر لأول مرة في هذه الدراسة.

نهاية إمارة ابن عبدالقادر:

ذكر ابن عبيدالله السقاف في بضائعه أن من أسباب زوال سلطة ابن عبدالقادر تلك الحادثة التي وقعت بين ابن عبدالقادر وبين السيد الثري حسين بن عبدالرحمن بن سهل، الذي يعد من أعيان تريم وأثريائها ومن المقربين لدى ابن غرامة البعسي ومن رعاياه، فقد خرج حسين بن سهل ذات يوم إلى منطقة النويدرة مقر ابن عبدالقادر، لزيارة خاله العلامة أحمد بن علي الجنيد، فشعر به ابن عبدالقادر فأرسل عبيده للقبض عليه، وساروا به إلى حصنه، ولم يطلقه إلا بمال جزيل قدر ما يتوهم أنه أعان ابن غرامة بمثله، فأظهر ابن سهل التجلد والرضا بالحبس حتى اطمأن صالح بن حسين بن عبدالقادر، وفيما هما يتحادثان استأذنه ابن سهل لدخول الخلاء، وربط عمامته بنافذة، وتدلى بها إلى الأرض، وأمعن في الهرب، ولم يشعر ابن عبدالقادر إلا بعد وصوله المأمن فناداه وتهدده، وقيل: إنه لما شعر بغفلة عبيد ابن عبدالقادر خرج من باب النساء، وعليه ثياب إحداهن، وذهب على الفور إلى ابن غرامة، وقال له: اطلب منك أن تساعدني بما أحتاجه من الجِمال للانتقال إلى الشِّحْر في هذه الليلة، فقال له ابن غرامة: لا تستعجل، وعلينا أن نفعل كل ما يشفي غليلك في ابن عبدالقادر، فقال: لا يرضيني شيء إلا أن تأخذ حصنه وتأسره، وإلا فلا بد لي من الهجرة، فاستمهله ريثما يعد العدة ويأخذ الأهبة، فلم يرض إلا بالمعاجلة[1].

ولما ظهر لابن غرامة جدية ابن سهل في سفره وهجرته، قال له: سأرسل إليك عبيدي واقترح عليهم ما شئت، وأنا سوف أساعدهم بكل ما أقدر عليه، فساروا إلى عند ابن سهل، وقالوا: لا نقدر على أسره إلا بمضايقته، ولا بد من بناء مخافر ليلًا على مقربة من حصنه، غير أنه لابد من اللِّبن، وهي غير موجودة، فقال لهم: هل هناك غير

---

(1) السقاف: بضائع..، ج2، ص201 – 203.

اللِّبن مطلوب؟ قالوا لا، قال: ما عليكم، أنا أتعهد بذلك، ولا عليكم إلا أن تحضروا حراسة بالليل على العمال، وحشر لهم العمال من آل عمير وأخرج لهم 400 قوصرة من التمر، وقال: احملوها وابنوا بها أكواتًا حيثما يحب العبيد، ومتى فرغتم من أمر ابن عبدالقادر ردوها إلى محلها بدون تفريط في شيء منها، وقال للعبيد: من أتى بسدة حصن ابن عبدالقادر له مائة ريال[1]، ومن أتى بنافذة أو باب فله عشرة ريال، ولم يكن إلا أن بنوا المخافر من قواصر التمر على حين غفلة من ابن عبدالقادر؛ إذ لم يخطر له ولا لغيره مثل ذلك على بال، ولم يجد بدًا من النزول على حكم ابن غرامة الذي كان كريمًا معه، وكانت له خؤولة من ابن عبدالقادر فلم يضيق عليه، بل تركه يمشي بسلاحه تحت مراقبة عبيده مدة من الزمن، حتى بدا منه التعرض ثانية لابن سهل في حادثة أخرى انتقامًا منه، فما كان من ابن غرامة إلا أن نزع سلاحه، وشدد المراقبة عليه دون سجنه، رغم إلحاح ابن سهل، إلا أنه رغم هذا كله لم يرض ابن عبدالقادر بهذه الوضعية، وفكر مرارًا في التخلص من الإقامة الجبرية المفروضة عليه، وذات يوم استأذن غرامة في الذهاب إلى ضاحية الحاوي، فأذن له تحت المراقبة، وكان له حمار فاره، فلما انتهى إلى الحاوي دفع للعبيد شيئًا من الدراهم وقال لهم: خذوا لكم قهوة وتنباكًا وانتظروني ريثما أخرج من عند الحبيب الحداد، فقبلوا، وأخذ عنهم طريقًا إلى حصن فلوقة، ومنها إلى الغرف جنوب تريم، حيث بدأ آل كثير يؤسسون فيها قاعدة لاستعادة حكمهم الضائع[2].

زوال ابن عبد القادر من تريم:

وفي الغرف بدا ابن عبدالقادر بالمفاوضة بين آل كثير وبين آل همام، وصاحب الأمر فيهم يومئذ النقيب همام بن النقيب عبدالحبيب بن همام الناخبي؛ نكاية بابن غرامة،

---

(1) كان لابن سهل هذا عملة خاصة به سكها في تلك المدة سميت بعملة ابن سهل، وانتشر إلى جانبها الريال النمساوي المشهور بـ(ريال ماريا تريزا) سنة 1258هـ. (الشاطري: محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، المدينة المنورة، ط1،3، 1994م، ص397).

(2) السقاف: بضائع..، ج2، ص204 - 207.

وعقب ذلك حصلت المفاوضات بين ابن غرامة وبين ابن عبدالقادر، وسمح للأخير بالعودة إلى داره، ودخلا في مفاوضات صلح مع آل كثير عقبها حرب بين الطرفين انتهت بخروج ابن غرامة من تريم، ولم يبق من يافع بها يومئذ إلا آل همام والزغالدة والضباعي.

كان خروج ابن عبدالقادر وأهله وحاشيته من مدينة تريم في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة 1263هـ، كما يرى من رسالة من العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي، والذي كان من أكثر المحرضين لخروج يافع من تريم مرسلة إلى السلطان عبدالله بن محسن الكثيري[1] ولم يعرف الوجهة التي سار إليها ابن عبدالقادر ومن معه.

الأرشيف الوثائقي للإمارة:

شهدت السنوات الأخيرة من عمر الإمارة صراعًا شديدًا بين القوى الحاكمة في المدينة، توِّج بصراع من خارجها، انتهى بزوال الأسرة الحاكمة، وفقدت الكثير من الوثائق والأسرار، لكن شاءت الأقدار أن تبقى نسخًا من المراسلات التي كانت بين أفراد الأسرة في جبل يافع وفي تريم حضرموت[2]، في مجملها مكاتبات ورسائل شخصية، وقد اشتملت إلى جانب الأحوال الشخصية على قدر كبير من شرح للحالة السياسية والاقتصادية في نطاق حكمهم في مدينة تريم حضرموت، وأغلب الوثائق التي حصلنا عليها تعود إلى القرن الثالث عشر الهجري من أوله إلى الربع الثالث منه، ووثيقتان تعودان إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري.

أولًا: الأحكام الشرعية والفتاوى الدينية:

بالرغم من صغر إمارة ابن عبدالقادر وتقوقعها في ناحية في شمال مدينة تريم، إلا أنها قامت ببعض التنظيمات الإدارية، وكمدينة كتريم تعد قاعدة العلم والفقه والتصوف

(1) بن يحيى: عبدالله بن عمر، مكاتبات بن يحيى، مخطوط، ص38.

(2) وصلتنا عدة وثائق بواسطة الأخ العزيز أبو جابر عبدالله علي العمري أحد أحفاد آل بن عبدالقادر العمري بجبل يافع، في مجملها مكاتبات ورسائل شخصية بين أسرة آل عبدالقادر في تريم وأهلهم بالهجر لبعوس بجبل يافع، وقد اشتملت إلى جانب الأحوال الشخصية على قدر كبير من شرح للحالة السياسية والاقتصادية في نطاق حكمهم في مدينة تريم حضرموت.

في حضرموت بل في كل المناطق المجاورة، فتعيين قاضي للبلاد أو كما يطلق عليه خادم الشرع الشريف من أولى الأمور وأهمها، ولا يوجد لدينا ما يؤكد تعيين قاضي بعينه للإمارة، إلا أنه لدينا مجموعة من الأحكام الشرعية والفتاوى الدينية الصادرة من قضاة مدينة تريم أو كما نصت عليه (وثيقة ابن عبدالقادر – تريم 2) «مجلس الشرع الشريف النبوي المحمدي المطهر أعزه الله وعز من أعزه بالغناء تريم المحروسة»، وكان القاضي المسؤول عنه هو العلامة علوي بن أحمد بن علي بن سالم بن سميط، وصفه الجنيد بالـ (القاضي الإمام العالم الفقيه الورع المدقق المحقق، تولى قضاء تريم وأحسن السيرة). وأرخ صاحب كتاب مرهم السقيم عن الروض المزهر وفاته بسنة 1174هـ[1]، ووقفت على شاهدة قبره بمقبرة تريم ووجدتها 1179هـ، وقد وصف نفسه مذيلًا هذه الأحكام بـ (خادم الشرع الشريف المحمدي النبوي وحاكمه بالغناء تريم الفقير إلى عفو ربه المحيط السيد علوي بن أحمد بن علي بن سميط باعلوي).

الوثيقة الأولى من الأحكام الشرعية (ابن عبدالقادر – تريم1) تعد من أقدم الوثائق الواصلة إلينا من عهد الإمارة التي تخص أسرة ابن عبدالقادر العمري البعسي من مقر إمارتهم في مدينة تريم حيث يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري وتحديدًا 1150هـ.

والوثيقة في الأساس حكم شرعي صادر من القاضي علوي بن سميط (ت 1174هـ)، وصيغة عقد بيع وشراء بين مجموعة من أفراد الأسرة لأرض بجبل يافع، وتمت البيعة وكتابة وثيقة البيع بمدينة تريم بثمن مبلغه وقدره واحد وأربعون قرشًا فضة نقية تامة الوزن بميزان تريم مقبوضًا جميعه ليد البائعين المذكورين، حيث اشترى ثلاثة أشخاص منهم اثنان من أربعة هم أولاد عبدالقادر بن علي – رأس فرع الجد الجامع لآل عبدالقادر – وهما محمد وجابر وثالثهم ابن عمهم وفي طبقتهم (سعيد بن عمر بن عبيد) من البائع إليهم بالوكالة عن آخرين أخ الأخير (عامر بن عمر عبيد)

---

(1) الجنيد: أحمد بن علي، مرهم السقيم في زيارة تربة تريم، تحقيق محمد عبدالنور، دار تريم، تريم، دار العلوم الإسلامية، جاكرتا، ط1، 2016م، ص 36.

بشهادة اثنين حضارمة من سكان مدينة تريم هما: (سالم بن محمد بافضل) و (سالم بن بريكان باشامخة).

حفظت لنا الوثيقة أسماء عشرة من الأعلام الذين ترد أسماؤهم لأول مرة، مما ساعد في وضع سلسة مشجر أسرة آل عبد القادر في تريم، كما أعطت الوثيقة صيغة وأنموذجًا من نماذج الأحكام الشرعية لقاضي مدينة تريم الفقيه علوي بن سميط يمكن أن تُقدَم للباحثين في المجال الفقهي لدراستها.

ومن وثيقة أخرى (ابن عبد القادر – تريم2) بدون تاريخها إلا أنها تعود إلى ما قبل سنة 1174هـ، وهي سنة وفاة القاضي بن سميط، وهي عبارة عن خارج قسمة لبعض أفراد الأسرة لما خلفه أحدهم بجبل يافع، وقد حملت الوثيقة مصطلحات يافعية خاصة لا تستخدم بحضرموت مثل (.... ثم اتفقوا وتصادقوا جميعا على أن ما خلفه المرحوم (جابر بن عبدالقادر) المذكور في جبل يافع من بلد[1] ودين وسَلَب وديار وعَرَصٍ[2] وحُدْوَد[3] ونحاس ومسكن ودين وأثاث وعقار[4] ومنقول على اختلاف أنواع ذلك وأجناسه الكائن ذلك بجبل يافع ويخصه من جميع ما ذكر مما خلفه..إلخ) واختتم القاضي عريضة الحكم بأنه (.... ثبت لدى الشرع الشريف أعزه الله....... ما ذكر بهذا المحضر الشرعي ما بين المذكور... والمذكورين فيما ذكر....... وبالله التوفيق، قال ذلك خادم الشرع الشريف أعزه الله بتريم المحروسة السيد (علوي بن أحمد بن علي بن سميط باعلوي) لطف الله به والمسلمين).

ثانيًا الأوضاع السياسية:

منذ تأسيس إمارة ابن عبد القادر في سنة 1118هـ، كنتيجة من نتائج معركة بحران،

---

(1) البلد: الأرض الزراعية.

(2) عرص: جمع عرصة وهي: قطعة الأرض الصالحة والمعدة للبناء (الموسوعة،ج2، ص79).

(3) حدود: الحديد مثل المحراث والخنزرة.

(4) وربما عتار أو عتر وهو النبات الذي لا يسقى بماء الآبار والغيول، أو عفار الثمار والحب بالخصوص. (الموسوعة،ج2، ص79).

وإخراج الزيدية من حضرموت، وتوزيع القبائل اليافعية على المدن والقرى الحضرمية كحاميات عسكرية لحفظ الأمن حتى نهايتها سنة 1264هـ، وخلال هذه السنوات التي قاربت القرن ونصف كانت سنوات عصيبة ومليئة بالصراعات السياسية.

وبالرغم من فقد أغلب الأرشيف الوثائقي للإمارة، إلا أن هناك العديد من الوثائق المهمة التي حفظها لنا الزمن بجبل يافع، لأنها كانت عبارة عن مراسلات بين أفراد الأسرة، تناولت أخبارهم وأوضاعهم ومنها الأوضاع السياسية الدائرة بحضرموت، فالوثيقة (ابن عبدالقادر - تريم3) وتاريخها يوم الاثنين 26 ذي الحجة سنة 1161هـ الموافق 16/ 12/ 1748م، ومرسلها من تريم محمد بن علي بن عبدالقادر العمري، تعد الأهم في مجموعة الوثائق؛ كونها الأقدم تاريخًا، وكونها تقدم أحداثًا سياسية في منتصف القرن الثاني عشر لا نجد لها تفصيلًا في كتب التاريخ الحضرمي، وهي مدة الرمق الأخير للدولة الكثيرية الأولى عهد آخر سلاطينها السلطان جعفر بن عمر بن جعفر، وفي ذات السياق يتحدث ابن عبيدالله في كتابه المخطوط (بضائع التابوت) أن السلطان جعفر في هذه الفترة مازال يهاجم ويقاتل ويحالف ويصالح، وفي ذلك يقول الشاعر علي بن زامل باجري:

يقول بن زامل نظمت ابيات منظومة عجاب * من وقع هاجس حلو مثل الطش من روس السحاب
فيه العجب وين العرب لجواد قد هم في التراب * رواس بلعجم وزيمة لي يذلون الصعاب**
القبولة من بعدهم في الحزن قلدت كل باب * وبعد ياعاني توقف لي من المغرب هباب**
باعطيك مني قول ولا خذ مني في كتاب * ابلغ الما جعفر السلطان عساف الرقاب**
قل له وزد قل له خطاك العقل وافرطت الصواب ** اقبل وصادق يافع الثقلين شف يافع طياب
هم يعذرونك وانت تعذرهم اذا خاطرك طاب ** طريق مابين الطرق تحصل اذا الشيطان غاب[1]

(1) السقاف: بضائع..، ص 447.

تذكر الوثيقة الوضع السياسي الصعب الذي يعيشه وادي حضرموت (وبعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وان سألتم عن خبر يافع والسلطان (جعفر بن عمر)[1] الحراب قائم والسلطان (جعفر) في حيو[2] كبير ويخطب يرجع ماهو كان، الحبيب (أحمد)[3] وأصحابنا (لبعوس) وما عده باقي... ويسعو على الحبيب (أحمد) الشور له، ومنعو (يافع)، والسلطان في ضيق كبير، ومسهنين الجميلة قريب)

وكثيرًا ما توصف العلاقة بين قبائل يافع بتريم بأنها علاقة خالية من الوئام وتعيش في صراع داخلي يعود ضرره على الرعية إلا أن هذه الوثيقة تعكس لنا جانبًا آخر من العلاقة التي تحكم أمراء تريم وحالة الوئام والتحالف الذي تعيشه يافع بتريم بكافة قبائلها ومكاتبها، حيث يذكر مرسل الرسالة وهو بعسي: «ومن شان أصحابنا (لبعوس) و (أهل همام)[4]، مقدر خمسين نفر وددوا إلى تحت (ذي صبح)[5]،... نحوهم أهل كثير مقدر... ميات نفر، وجرى خراب بينهم، وكسروا أهل كثير وقتلوا ستة أنفار من أهل كثير، وخمس تعشر مصاب، يافع ولا حد أن فيه شيء غير عبد همام ولد (سعيد بن صالح همام)[6]، وأصحابنا والله ثم والله ما جرى أحد فيه شيء ورسول الله ومولانا الحبيب (أحمد)».

---

(1) السلطان جعفر بن عمر بن جعفر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق الكثيري رجل همة ونشاط كأبيه، قام بالسلطنة بعد عمه علي بن جعفر، وعدل بين الرعية وضبط الأحكام إلا أنه كان آخر سلاطين الدولة الكثيرية الأولى. ابن هاشم: محمد، تاريخ الدولة الكثيرية، دار تريم للدراسات والنشر، تريم، ط1، 2002م، ص 137 – 138.

(2) حيو: حصار

(3) الحبيب المنصب: أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، تولى المنصبة سنة 1142هـ وتوفي سنة 1177هـ. السقاف: إدام القوت..، ط المنهاج، ص 982.

(4) أهل همام الناخبي من حكام تريم أيضا أمراء حصن الرناد.

(5) ذي أصبح: من قدامى بلدان حضرموت إلى الغرب من سيؤون.

(6) النقيب: سعيد بن صالح بن أحمد بن علي بن لحمان بن همام الناخبي، نقيب إمارة آل همام في عصره، ورد ذكره في حوادث سنة 1119هـ. (الموسوعة اليافعية م 8 ج12 ص 542).

النفس الصوفي واضح بين أسطر الرسالة لما لتريم - قاعدة التصوف في حضرموت - من أثر عليهم، وكذلك التبجيل والاحترام الذي يكنونه للمنصب من آل الشيخ أبي بكر بن سالم الذي يذكره بعد الله ورسوله، وهو هنا المنصب الحبيب أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، تولى المنصبة سنة 1142هـ، وتوفي سنة 1177هـ، ومعروف لدى الجميع الصلة والعلاقة بين يافع وآل الشيخ أبي بكر بن سالم.

كذلك ورد اسم (جابر ضباعي) وهو أحد أفراد قبيلة الضباعي البعسية اليافعية، وكانت ضمن قبائل يافع لبعوس بتريم، والذين بقوا بتريم مع الزغالدة وآل همام عقب خروج لبعوس من تريم فيما بعد.

ومن وثيقة (ابن عبدالقادر - تريم6) بدون تاريخ ومبتورة من آخرها صادرة من تريم من الأمير صالح بن حسين بن عبدالقادر يصف فيها الوضع السياسي الذي تعيشه المدينة: «صدرت الأحرف من تريم، والأعلام خير، أخبار حضرموت ساكنة غير ساكنة، أخبار ولد (عبدالله عوض[1]) بحضرموت أبوه[2] انطرح لنا وكتب عهد بينّا

---

(1) عبدالقوي بن عبدالله بن عوض غرامة البعسي، خلف أباه في حكم تريم سنة 1255هـ، لم يستطع الاحتفاظ بحكم تريم؛ نظرًا لضعف حنكته السياسية وتهوره، فقد كان قصير النظر والفكر طائشًا مستبدًا ظالمًا، استطاع آل كثير الاستيلاء على تريم، وارتحل هو وحاشيته إلى الشِّحْر ثم عاد إلى سيؤون مع إخوته آل الظبي، وبقي في تريس إلى جانب آل النقيب في حربهم، ثم خرج إلى حضرموت مرة أخرى على رأس جيش أرسله القعيطي سنة 1285ه من الشِّحْر إلى الوادي وقتل في طريقه في موقعة الغييضات. ينظر: البكري: تاريخ حضرموت..، ج1، ص116؛ السقاف: بضائع..، ج2، ص208 - 214.

(2) عبدالله بن عوض غرامة البعسي من أمراء آل غرامه بتريم، وصفه ابن هاشم بقوله: «هو من أمثل من اقتعد أريكة الحكم بتريم، وأقواهم شوكة، وأبعدهم صيتًا، وكانت قبائل آل تميم المجاورة بضواحي تريم تهابه وترتكن إليه، والرجل على صرامته وفظاظته كان واسع الصدر عظيم الاحتمال». ويصفه ابن عبيدالله بقوله: «كان صارمًا شهمًا شجاعًا، لا يملأ الهول صدره قبل موقعه، ولا يضيق به ذرعًا إذا وقع، ولا يقتضي حاجته من حملة السلاح إلا بالسيف، صادق

وبينه، وقام بينّا وبينه عهد الله الوثيق على يد السيد (عبدالله بن شهاب) ولا علمنا إلا بقفزته في دار حامد، وكوت مؤمّنة، وفيها السيد (أحمد جنيد[1]) عنده بالبلاد، وسيارته صلح عهد و (آل همام) و (زغالد) وعبيد غرامة في صلح نحن وهو عهد الله وعصب جملت (آل تميم)، وثار البادي بينا وبينه، ونحن بعينات، وصلنا وثار البادي ولبادي شهر سفر لثلاث أيا (م) عبرت، وقال بغا... فالبلاد و (بن همام) سكت و (زغلدي) كذالك وسنكبر والع... وقايسوه انه بايزول نحن لحتا شافوا نحن إلى زايد و (غرامه) إلى قاصر ومن عندهم زبيدي متعسكر رجال ونعم، وحال الكتاب دخل سعو[2] منهم، وعاد نحن غالبين من السعو، ونحن لا زايد وهم لا قاصر والله معنا، وهم مكسورين ونحن جبال وشداد،... رجعوا يوصلون لنا لي هو (عوض بن محمد زغلدي[3]) ثار معنا بعد سبعة أشهر و (بن همام) طلب دراهم منا وعملناه سبعة مية وعاده إلا بايثور البادي منه و (غرامه) خذاه العهد ولعاد وقع منه زايد على ما فعله فالعيب، وقتل من عندنا عبد ولد (محمد حسين كرب) من مرتبة زقر ولد ثمان سنين».

ويظهر من خلال الرسائل المتداولة أن الطرفين على اطلاع دائم بكافة الأحوال في المنطقتين، فالكتب والرسل في تواصل دائم، فهنا لدينا الوثيقة (ابن عبدالقادر – تريم8)

اللهجة، عاش حياته شديدًا على الأعداء، لين العريكة للضعفاء سهل الجانب لهم». ويعد عهده من أزهى العهود في إمارة غرامة بتريم، كما اتصف الأمير عبدالله بحسمه للأمور مباشرة دون تأجيلها أو مساواتها. حتى وفاته يوم الجمعة آخر أيام شهر شعبان سنة 1255هـ وترك أولادًا، منهم الأمير عبدالقوي الذي ولي الأمر من بعده. ودفن بمقبرة (زنبل) ابن هاشم: تاريخ الدولة..، ص146؛ السقاف: بضائع..، ج2، ص173؛ السقاف: إدام القوت..، ط المنهاج، ص949 – 950.

(1) أحمد بن علي الجنيد من علماء تريم وأغنياها.

(2) سعى إلى صلح.

(3) عوض بن محمد الزغلدي (السقلدي) أمير حامية الزغلدي شرق تريم، وما زالت البقعة التي كان بها تسمى حصن عوض وهي الآن منطقة كبيرة من مناطق تريم بذات الاسم، وآل الزغلدي لم يعد لهم وجود في تريم. السقاف: بضائع..، ج2، ص172.

بدون تاريخ صادرة من المكلا في أثناء زيارة للأمير صالح بن حسين بن عبدالقادر إليها في عهد النقيب محمد الكسادي نقيب الإمارة الكسادية (1258 - 1268هـ)، وهنا سيكون تاريخ الوثيقة من 1258هـ - 1263هـ أرسلها إلى علي بن جابر العمري بجبل يافع (صدرت من بندر (المكلا): «ولعلام خير، إن سالت عنا نحن وكافة العيال بعافية، جعلكم الله كذلك، أخبار حضرموت ساكنة ومرحومة ورخية، نحن والقبايل ساكنين، نحن وصلنا...». ثم يشرح له أحوالهم السياسية في مدينة تريم في إطار الصراع الدائر هناك: « (عبدالله عوض) تبرا (عبدالقوي) ولده وهو ولد ونعم وزين ونجيب إلا فالصلاح، ونحن وهو جبر غاية، وذاهنين في جميع الأحوال، ومن شان نحن في فتن ولعاد بينا [صار] منا كتاب لا تزعل علينا». ويعود إلى شرح مقصده من زيارة المكلا وما جرى لهم فيها: «وحال الكتاب نحن بندر (المكلا) قد..... نحن (غيل بن يمين)[1] خذوه قبايل، وطلعنا عند (الكسادي) وطرح العار علينا، وحكينا فالغيل نحن والولد (عبدالقوي) وخذناه، وحال الكتاب نحن خارجين (بغيل شنظور) وطارحينهم بالغيل، ونقيب (محمد) مازان فينا كما ينبغي بهيا لحوال قصر لاكن الدايره كبير ودنيا ما تكون شي، وأنتم حققوا لنا أخباركم وأحوالكم وما أنتم عليه».

ومن أخرى أيضًا الوثيقة (ابن عبدالقادر - تريم11) صادرة من تريم بتاريخ الخميس 4 ذي القعدة 1257هـ الموافق 18/ 12/ 1841م. وبالرغم من البتر في بدايتها إلا أنها أعطت صورة عن الوضع الدائر بالمدينة «... ونحن حال الساعة بسيؤون ونافذين بحال الساعة لا عند (بن همام) وإن شاء الله تجيكم أخبار زينة، وكتابكم وصل». وتخبر الرسالة بوصول بعض المواد من يافع: «والفتيل وصلت والمغراه، ولا يقطع نحن كتابكم، وعند قضاء الفتنة يصلكم الواقع».

بسبب تلف الوثيقة في أولها لم يتبين لنا اسم المرسل ونعتقد أنها من صالح حسين لأنها أشارت إلى أولاده (عبدالقادر وسعيد ابنانا)، واسمه لم يورد من ضمن المبلغين السلام إضافة إلى توقيتها في زمن الفتنة سنة 1257هـ.

(1) من مناطق هضبة حضرموت كانت تحت حكم الشناظير من يهر.

ثالثًا: الأوضاع الاجتماعية (الهجرة):

تناولت المراسلات المتبادلة بين أفراد أسرة آل بن عبد القادر العمري مواضيع شتى، وحملت طلب المشورة، والنصح في أحيان أخرى في مواضيع اجتماعية ومنها الهجرة، حيث تعد حضرموت منطقة وسطى بين طريق الهجرة من يافع إلى الهند، ومنطقة عبور بسبب الهجرة الحضرمية الكثيفة إلى الهند، وشكلت موانئ حضرموت مواقع انطلاق نحو المهجر الهندي.

لدينا الوثيقة (ابن عبدالقادر - تريم4) لا نعلم زمنا لهذه الوثيقة إلا أننا من الممكن أن نضعها أولا في المدة ما بين سنة 1177هـ - 1211هـ وهي مدة عهد المنصب (سالم بن أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم) المذكور بالوثيقة، والأقرب أنها في أول عهده؛ لأنها ذكرت أحد أفراد الأسرة المرحوم (سالم)، وهو توفي في الغالب في سبعينيات القرن الثاني عشر في عهد القاضي بن سميط المتوفى سنة 1174هـ كما تبينه وثائق أخرى.

نميل إلى الاعتقاد أن الرسالة موجهة من تريم إلى الهند، حيث المهجر الذي يرغب فيه الكثير من الحضارمة والعرب، فقد أوردت الوثيقة أخبار حضرموت وكذلك أخبار جبل يافع التي تهم المرسل إليه، وهنا هما الأخوان (عبيد وناصر ابنا عبادي.. فضل بن شجاع البعسي)، فقد نصت على: «صدرت من تريم ونحن بعافية جعلكم الله... أزيد وأنعم خير وعافية، أخبار الجهة ساكنة ببركات الله، وسيدنا (الفقيه المقدم) وبركات سيدنا إلى المالك الشيخ (سالم بن الحبيب الشيخ أحمد بن الشيخ علي)[1] نفعنا الله بهم وإياكم آمين. اسألوا عن أخبار حضرموت ساكنة غير ساكنة، والرحمة عامة، والرخام أجود، أخبار جبل يافع كذلك صالح وساكن ومرحوم، والقوت... ما تنقطع الأمطار منهم ويذكرون الناس بعافية والفتن واهدة وبعد سادتي كنا بكم العزيز... حمدنا الله على عافيتكم التي هي القصد والمراد من رب العباد، وما ذكرتوه تحققنا الجميع،

(1) المنصب سالم بن أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم 1177هـ - 1211هـ.

والصنو (عبدالحبيب بن سالم) وصل إلى بندر الشحر ونفذ إلى جبل يافع، وذكرتم مرادكم نبتل[1] البندق إلى جبل يافع عند الصنو (عبدالحبيب بن سالم) هوا... إن شاء الله يتم المقصود، وطيبوا خواطركم حيث نحن ما ننساكم ولا... والذي تعهدونه فينا نحن الأحقون وأمرنا نافذ على الجميع».

النفس الصوفي يتواجد هنا كذلك حيث يضيف اسم الفقيه المقدم قبيل اسم المنصب ابن الشيخ أبي بكر بن سالم «أخبار الجهة ساكنة ببركات الله، وسيدنا (الفقيه المقدم) وبركات سيدنا إلى المالك الشيخ (سالم بن الحبيب الشيخ أحمد بن الشيخ علي)». والفقيه المقدم هو الإمام محمد بن علي باعلوي المتوفى بتريم سنة 653هـ وهو مؤسس الطريقة العلوية الصوفية بحضرموت.

وفي ذات السياق لدينا وثيقة أخرى (ابن عبدالقادر - تريم5) تاريخها 15 صفر سنة 1211هـ الموافق 20/ 8/ 1796م مرسلة من عوض بن أحمد بن عوض غرامة المنصوري البعسي، ورغم أن ما بقي من الرسالة بضع أسطر إلا أننا نستشف منها عدة أمور منها:

- أنها مرسلة من أحد أفراد إمارة ابن غرامة إلى أهل ابن عبد القادر وتبين عمق العلاقة الاجتماعية بينهما من حيث النسب المشترك والدم والصهارة، وتظهر جانبًا آخر غير الذي نعرفه بين الطرفين في أواخر إمارتهما.
- حملت عدة نصائح وتوجيهات من المرسل إلى المرسل إليه منها:

1 - تقعون رجال لأنفسكم،

2 - والسيرة المليحة تذكرون بها عند خاص وعام،

3 - والحذر الرغبة في أرض الهند أنتم تطلبون بها في مال وهي تطلب في أرواح،

4 - الخروج مبادرة الله ويكون خروجكم إلى تريم عندنا،

---

(1) نبتل: نبعث نرسل.

ومن وثيقة أخرى (ابن عبدالقادر – تريم12) بدون تاريخ ومبتورة من آخرها صادرة من المكلا إلى لبعوس، من بوبك علي جابر العمري إلى والده علي جابر بجبل يافع، يشرح فيها أحواله، ويصف رحلته من يافع إلى تريم بوادي حضرموت لزيارة أهله آل عبدالقادر، ثم سفره إلى المكلا لأجل السفر إلى الهند: «صدرت الأحرف من بندر المكلا بعد وصولنا من حضرموت[1]، وكل علم خير وعافية إن –شاء الله–، أخبار حضرموت ساكن وغير ساكن، أخبار (بن غرامة) وأصحابنا (أهل عبدالقادر) الفتنة قيمة بينهم، ولكن مكانت... من قل الرحمة... وتفقنا في عبد الرحمان بن... وعلي عبدالله... يزونا ان باقي... وعزمنا بكم و،،، الهند لحيث... الهند زين...»

وشرحت لنا الوثيقة (ابن عبدالقادر – تريم9) بعضًا مما يعانيه المهاجر في أثناء سفره من يافع إلى حضرموت، فحال وصولهم إلى مدينة تريم أرسل عبدالله أحمد جابر بيبك البكري بلسان المجموعة المهاجرة رسالة إلى الهجر لبعوس بتاريخ الأول من شهر جماد الثاني سنة 1240هـ الموافق 25/ 9/ 1824م، ومما تبقى من الرسالة حيث يقول: «وصلنا الشحر حصلت في الولد (جابر) قل معذرة وحال إلى غاية ما وصل حضرموت – أي وادي حضرموت تريم – وحصلت عافية...». كما ألحقها بتطمينات حول الإمارة: «شان الصنو (أحمد علي) قله من شان الدولة باتقع معنا فتوح إن شاء الله».

رابعًا: الأوضاع الاقتصادية:

لم تخلو الوثائق المتبادلة بين أفراد الإمارة بحضرموت وبيافع إشارات للأوضاع الاقتصادية بوادي حضرموت، ورغم أنها لم تتطرق لمجمل الحالة الاقتصادية، إلا أن المحاصيل النقدية من الحبوب، وكذا حالة الأمطار وتدفق السيول بمختلف الأودية قد طغت على مجمل الأخبار التي تخص الحالة الاقتصادية، ومن الطبيعي أن هذه الحالة لها علاقة بالوضع السياسي والأمني.

(1) أي من وادي حضرموت، حيث إن أهل الساحل يطلقون على الوادي اسم حضرموت.

الوثيقة (ابن عبدالقادر – تريم7) بدون تاريخ والصادرة من تريم، وإن كان يعتريها بعض النقص في نهايتها، إلا أن أول فقرة فيها تحدثت عن الوضع الاقتصادي بتريم: «صدرت الأحرف من تريم وكل علم خير وعافية، وإن سألتوا عن أخبار حضرموت صالحة ما في حادث، وأسعارها رخية جم جم، بُن من عشرة أرطال بقرش، وطعام من خمسة مصري بوقية، وبر أربعة مصري بوقية، وجنزبيل من خمسة أرطال بقرش، ومن شان البز المسود غالي ما يجد من قل الحور، والبز البيض رخيص...). ومن فقرة أخرى تتحدث عن شراء بندق وزانة: «ومن يوم وصلنا بندر الشحر خذنا له بندق بثلاثة قروش وربع وربع وثمن وزانة بقرش...».

وإلى جانب البن كمحصول نقدي أيضًا الورس اليافعي المباع في حضرموت: «ومن شان الورس فنحن بعناه في الشحر خمسة عشر أوقية جملت الورس الذي مائة وثنتين وثلاثيين أوقية مخرج هدية... بر علي لصحبه ثنتين وعشرين أوقية و... أواق معًا عمر مع محسن محمد».

ومن أخرى (ابن عبدالقادر – تريم10) بدون تاريخ صادرة من تريم إلى الشخص نفسه بيافع علي بن جابر بن محمد العمري، وبعد شرح الأحوال السياسية تحدث عن الحالة الاقتصادية وقيمة المواد المباعة بالأسواق: «وإن سألتوا عن أخبار ابن عبدالقادر وابن همام ومتاش وابن... وابن... شق وغرامه وابن قملا... وابن قصير معا بن عبدالقادر. والرحمة ماشي... أسعارها... رخية جم جم... من أربعة بوقية، وتمر بثمن قرش... بوقية و... مصرف...، وبن عشرة قرش، والبز غالي جم جم من قل الحوير ما يجد،... والمحصول ماشي ما جابته...، والمحصول.... والمصروف ماشي. وبعد... والخريف بانطلع نحن والولد (بوبك علي) والولد (سالم) يعلم يطلع يا مايطلع».

ويلحقها ببعث تطميناته بأحوال الإمارة: «ومن شان الصنو (أحمد علي) قله من شان الدولة فهيا معنا باتصل إن شاء الله تعالى، طيّب خاطرك في الز...، ومن شان

المحصول يا صنو (علي) الذي مع العيال (جابر) و (بوبك) حال الرقم... ثنعشر... وبندق... في ستة قرون (أو قروف) ونصف، هذا سيدي وماشي مصروف غير قوت الخلق وقوت... وقال حبي الزمان.... قتيل بعد حذار. وقدك ياوالد توكل لنا ثنتين خنز...».

المصادر والمراجع

المخطوطات

1. ابن جندان: بدر الدين سالم بن أحمد بن الحسين، الدر والياقوت في بيوتات المهجر وحضرموت، مخطوط ج4.
2. ابن الشيخ أبي بكر بن سالم: محمد بن سقاف، بستان العجائب ومطلب الراغب في مناقب المتأخرين من المناصب والحبائب، مخطوط بمركز النور بتريم برقم 41، نسخة بحوزة الباحث.
3. ابن يحيى: عبدالله بن عمر، مكاتبات بن يحيى، مخطوط بحوزة الباحث.
4. السقاف: عبد الرحمن بن عبيد الله، بضائع التابوت نتف من تاريخ حضرموت، مخطوط، ثلاثة أجزاء، نسخة بحوزة الباحث.
5. وثائق إمارة آل بن عبدالقادر العمري البعسي 1118 – 1264هـ تريم حضرموت، نسخة بحوزة الباحث.

المطبوعات

1. باحاج: عبدالله سعيد، قراءة جغرافية وتاريخية في دوافع الهجرة اليمنية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2002م.
2. البار: عبدالله حسين، علوي صالح المفلحي هوية الانتماء وانتماء الهوية، مجلة (المكلا)، مكتب وزارة الثقافة، المكلا، العدد (18) أكتوبر – ديسمبر 2013م.
3. بامخرمة: الطيب بن عبدالله بن أحمد، (ت 947هـ/ 1540م)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق محمد يسلم عبدالنور، وزارة الثقافة، صنعاء، ط1، 2004م، ج3.
4. بامطرف: محمد عبدالقادر، الشهداء السبعة، دار الهمداني، عدن، ط2، 1983م.

5. بامطرف: محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ط1، 2001م.

6. بامطرف: محمد عبدالقادر، في سبيل الحكم، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ط1، 2008م.

7. بامؤمن: كرامة مبارك، الفكر والمجتمع في حضرموت، دار التيسير للنشر والتوزيع، صنعاء - مكتبة الثقافة، عدن، ط 3، 2006م.

8. باوزير: سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة، عدن، بدون تاريخ.

9. باوزير: سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، ط3، 2012م.

10. البطاطي: عبدالخالق بن عبدالله بن صالح، إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت، مطابع دار البلاد، جدة، ط1، 1989م.

11. البكري: صلاح عبدالقادر، حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، مكتبة الإرشاد، جدة، 1960م.

12. البكري: صلاح عبدالقادر، تاريخ حضرموت السياسي، مكتبة الصنعاني، ط2، بدون ت، ج1.

13. ابن هاشم: محمد، تاريخ الدولة الكثيرية، دار تريم للدراسات والنشر، تريم، ط1، 2002م.

14. الجنيد: أحمد بن علي، مرهم السقيم في زيارة تربة تريم، تحقيق محمد عبدالنور، دار تريم، تريم، دار العلوم الإسلامية، جاكرتا، ط1، 2016م.

15. الرباكي: أحمد صالح، رحلة السلطان عمر بن صالح إلى حضرموت، بحث غير منشور.

16. السقاف: عبدالرحمن بن عبيدالله، معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق محمد باذيب، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005م.

17. الشاطري: محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، المدينة المنورة، ط1،3، 1994م.

18. الموسطي: طارق وآخرون، الموسوعة اليافعية -يافع حضرموت- ، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، ط:1، 2015م، م 8، ج 12

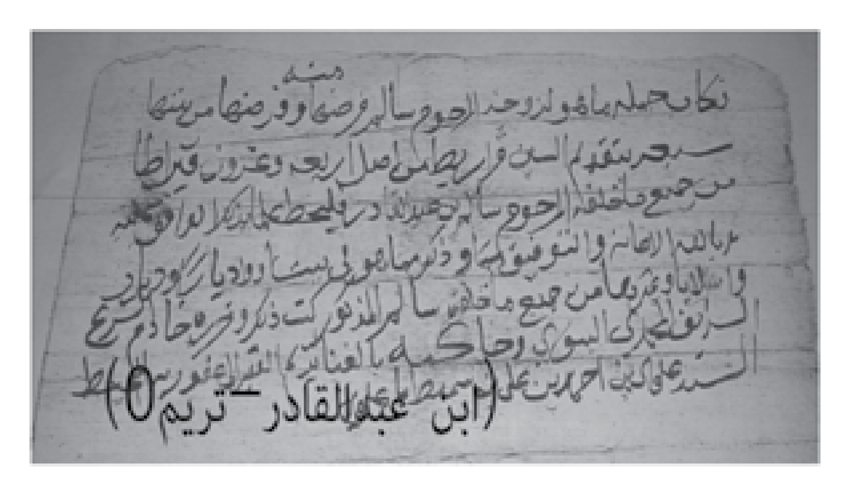
19. الناخبي: عبدالله بن أحمد، رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط1، 1990م.

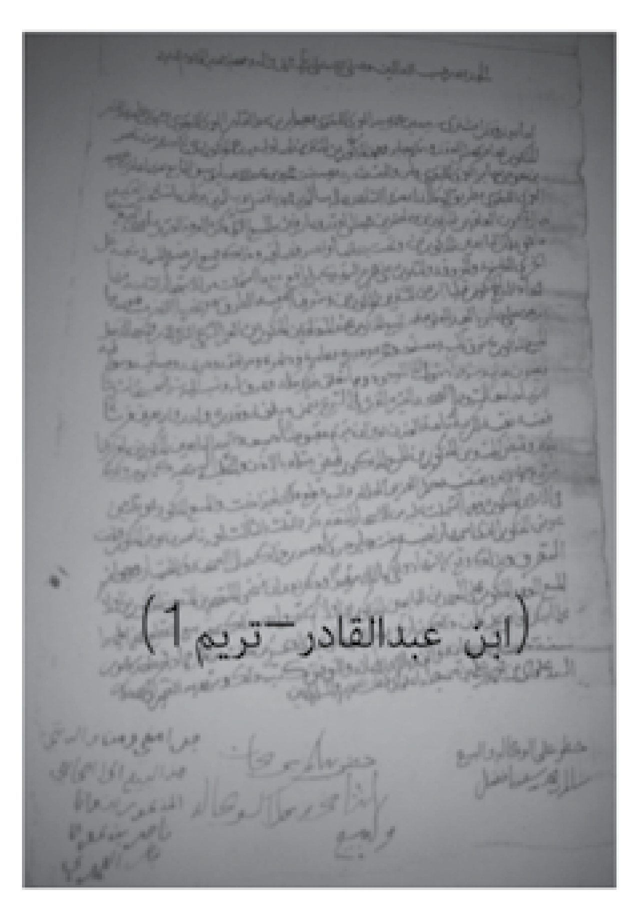
20. الناخبي: عبدالله بن أحمد، حضرموت، فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب أو شذور من مناجم الأحقاف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 1997م.

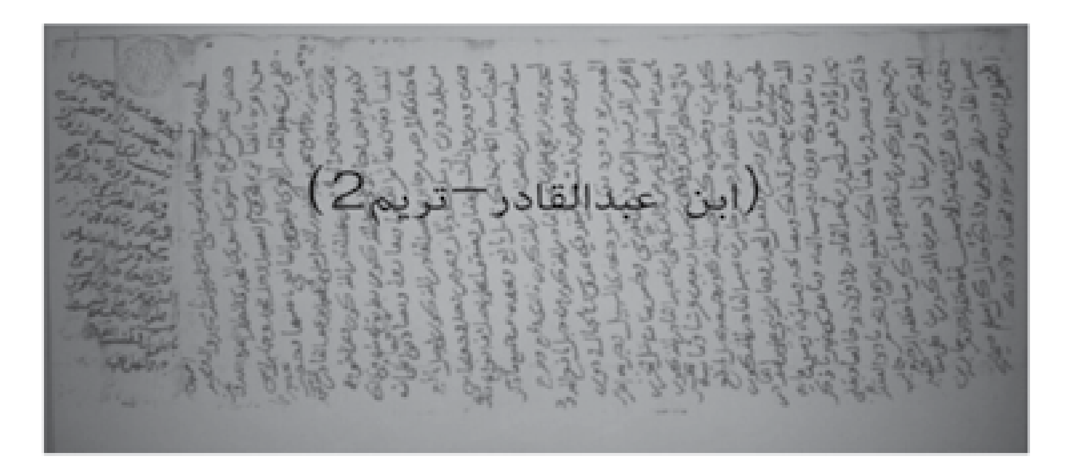
21. الناخبي: عبدالله بن أحمد، الكوكب اللامع فيما اهتمل من تاريخ يافع، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 1999م.

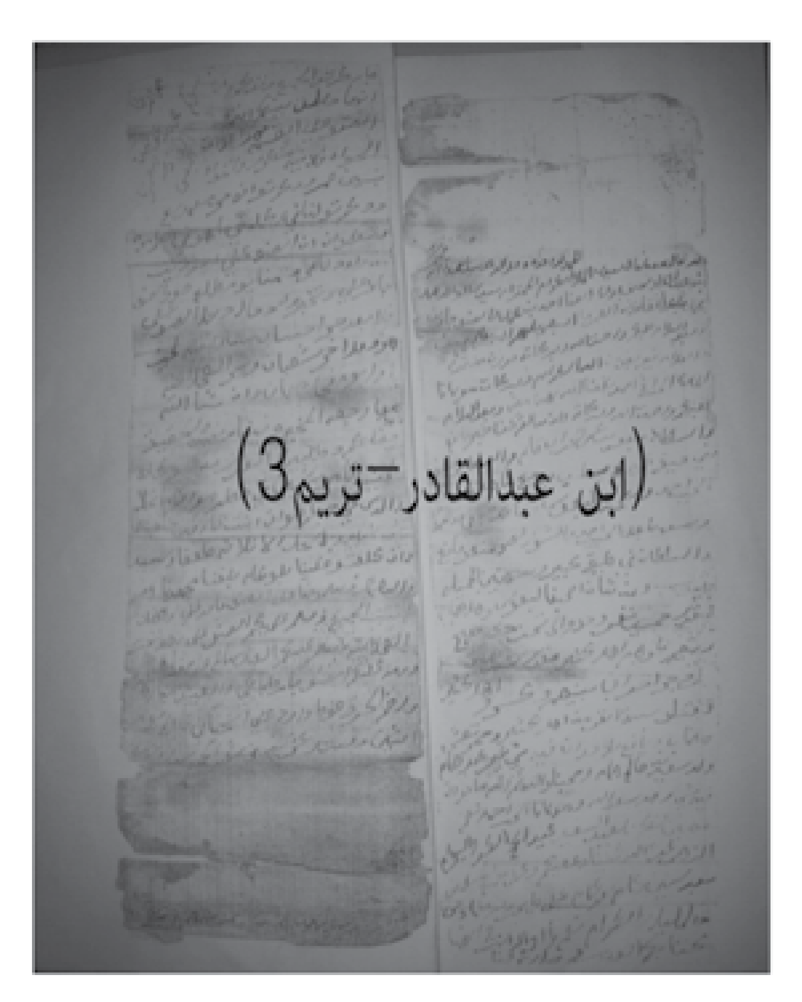
22. ناصر: سامي ناصر مرجان، الإمارة الكسادية في حضرموت، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، ط1، 2012م.

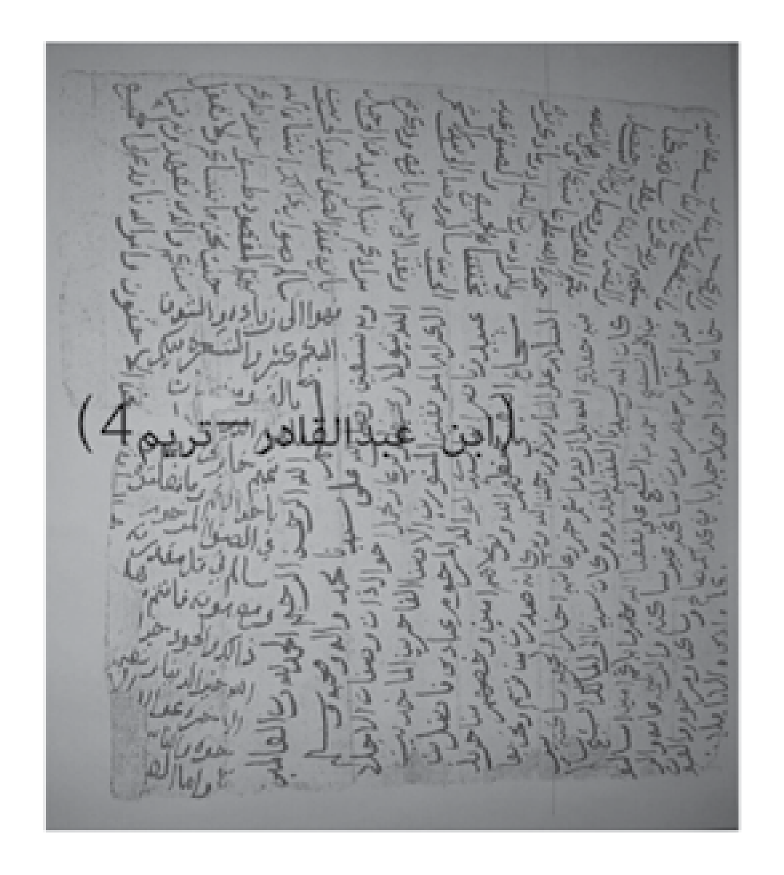
الملاحق:



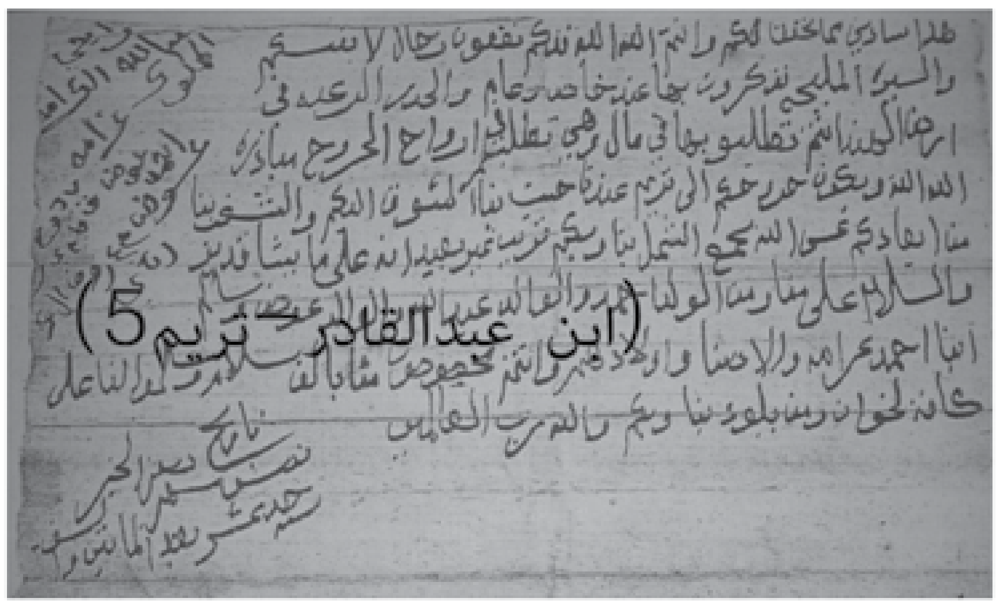



(ابن عبدالقادر-تريم2)


(ابن عبدالقادر-تريم3)



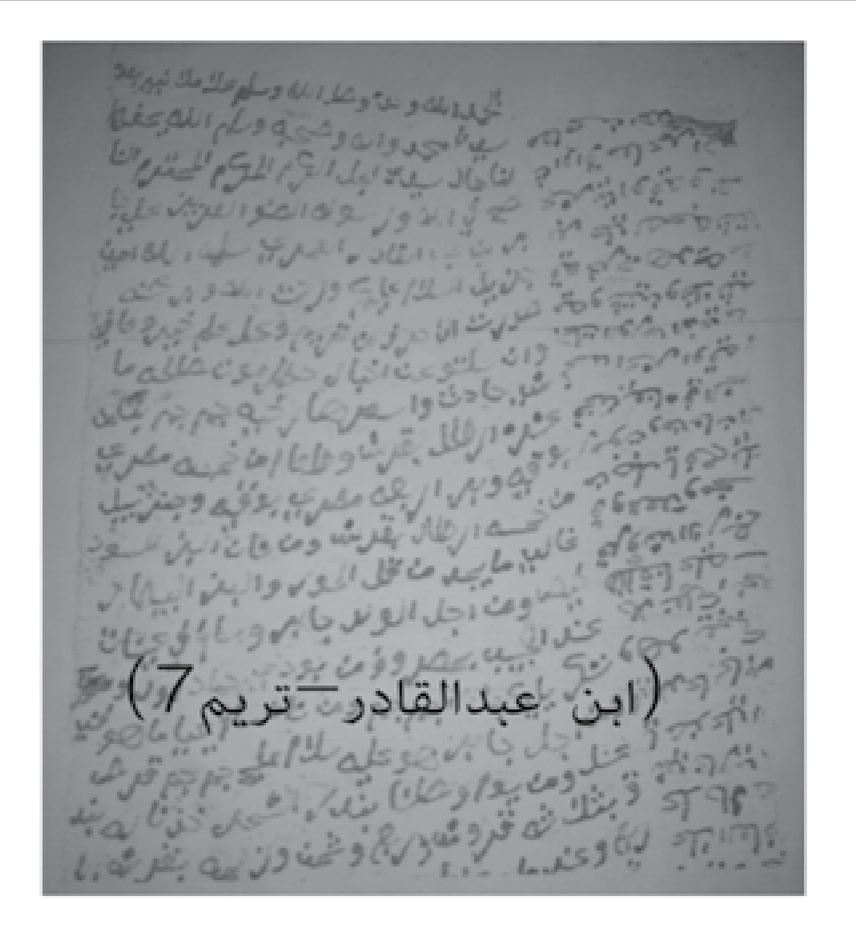
(ابن عبدالقادر – تريم 4)

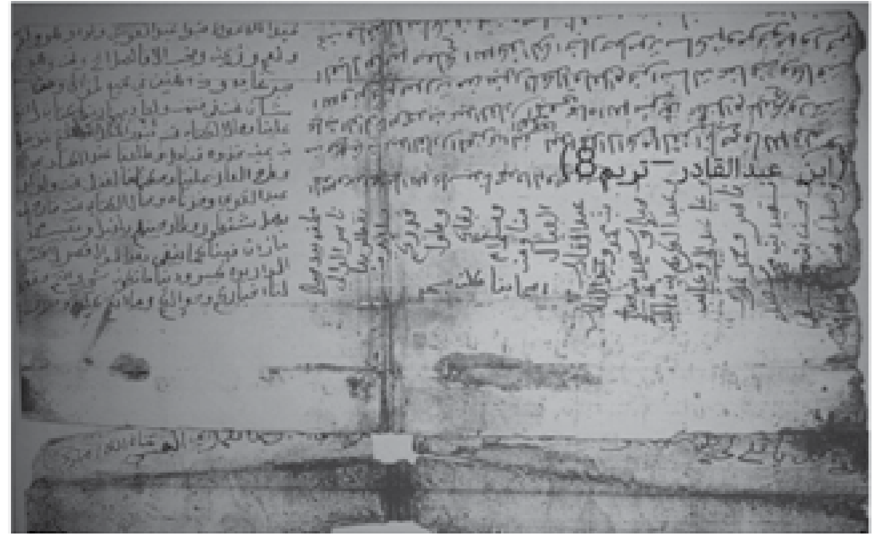


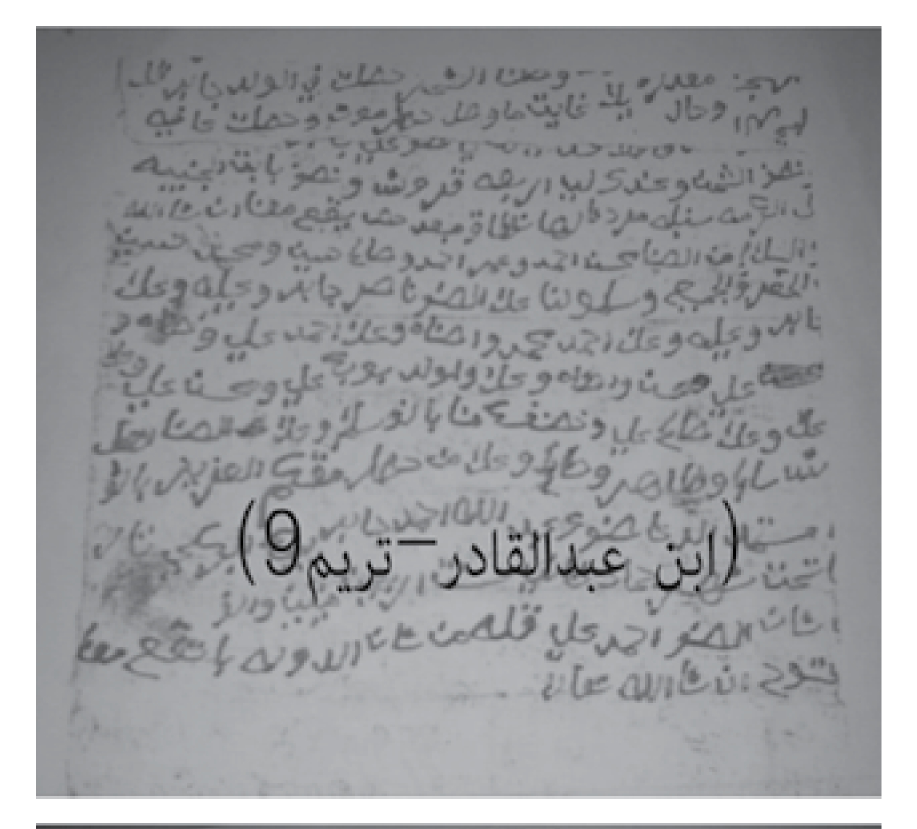
(ابن عبدالقادر – تريم 5)



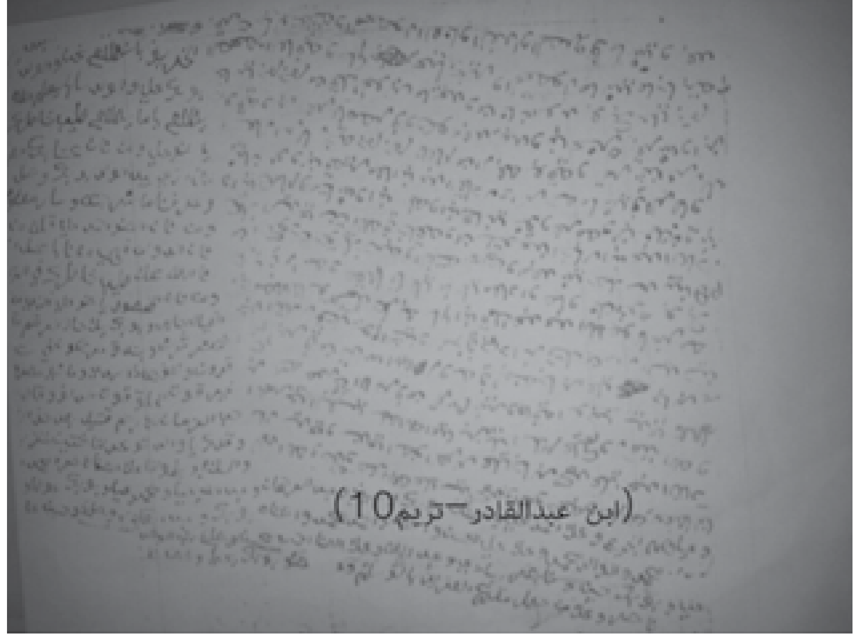
(ابن عبدالقادر – تريم 6)


(ابن عبدالقادر—تريم 7)

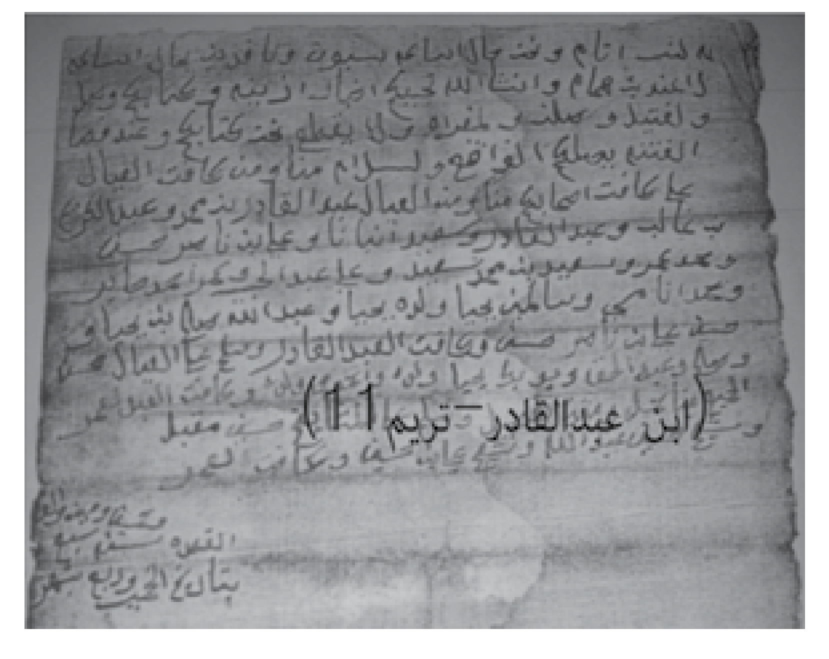

(ابن عبدالقادر—تريم 8)



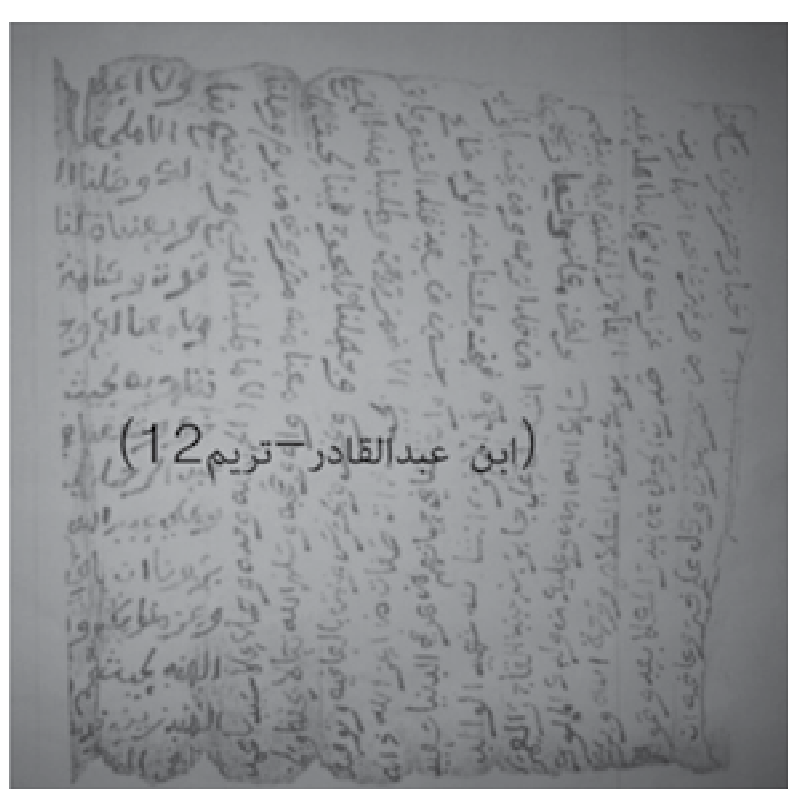
(ابن عبدالقادر–تريم 9)



(ابن عبدالقادر–تريم 10)



(ابن عبدالقادر– تريم 11)



(ابن عبدالقادر– تريم 12)



اليمين شاهدة ضريح الأمير محمد بن عبدالقادر بن علي بن عمر العمري البعسي بمقبرة تريم
اليسار شاهدة ضريح الأمير عبدالله بن عوض بن أحمد غرامه المنصوري البعسي بمقبرة تريم

(تصوير الباحث)



رقصة البرع اليافعي في مدينة عينات حضرموت في عام ١٩٣٨م



عملة تريم (بن سهل) في عهد الإمارات اليافعية ضربت سنة ١٢٥٨هـ



الحرس اليافعي في مدينة شبام عام ١٩٣٨م

شخصيات يافعية مهاجرة رائدة

أ.د.علي صالح الخلاقي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة عدن

- الشيخ عمر قاسم العيسائي (1919 - 2008م)
- الشيخ علي عبدالله العيسائي (1921 - 2016م)
- الشيخ قاسم عبدالرحمن الشرفي

الشيخ عمر قاسم العيسائي (1919-2008م)

توطئة:

الناس معادن منهم الكريم، وهو النادر، ومنهم شبه الكريم، وهو الأقل ندرة، ومنهم النافع وغير النافع. والشيخ عمر قاسم العيسائي، أحد كرام القوم وأنبلهم، وستمضي الأيام وتمر الأشهر والأعوام، وتظل ذكراه متألقة في ذاكرة الأنام، فهو من الرجال العظماء ممن تركوا بصمات متميزة في حياتهم وفي ثمار أعمالهم الجليلة التي تذكرنا بهم، بعد رحيلهم، وتجعلهم أكثر حضورًا بيننا وتخلد أسماءهم في صفحات التاريخ بأحرف من نور..

إنه رجل عصامي، بدأ من الصفر، لكنه استطاع أن يجعل من اسمه شيئًا مذكورًا، في عالم المال والأعمال وفي فعل الخير والبر والإحسان، فبنى إمبراطورية تجارية ضخمة، والأهم من ذلك أنه امتلك حب الناس كرجل باذل للخير والعطاء وسبّاق في أعمال الخير وتنمية المجتمع.

الميلاد والنشأة:

ولد في قرية (القُمع) سنة 1919م، في سِيَل العياسئ بيافع، وعاش طفولته في أحضان سلاسل الجبال العالية وبين مدرجاتها الزراعية، وأحب تسلق وصعود تلك الجبال، ومارس بقية ألعاب الطفولة التقليدية مع أترابه مثل السباحة وتعلم الرمي بالحجارة على الأهداف وغيرها من الألعاب التي لا صلة بها بالألعاب الإلكترونية المعاصرة، والتحق بالكُتَّاب (المعلامة) التي كانت الشكل الوحيد السائد حينها من التعليم، وفيها يتعلم الأطفال قراءة القرآن، وهو ما حصل عليه، ونشأ في محيط أسري يجل القيم النبيلة كالمروءة والكرم والشجاعة ومساعدة المحتاج، وكان لتلك القيم أثرها في تكوين شخصيته.

حلم بمغادرة القرية مثل بقية الفتيان والشباب الذين يرون في عدن وبلاد المهجر الأفق الذي يستوعب طموحاتهم. وحينما استدعاه الشيخ علي عبدالله العيسائي مع غيره من الشباب بعد أن برز نجمه في المجال التجاري بعدن قرر اهتبال هذه الفرصة السانحة واللحاق به في عدن الجاذبة لكل باحث عن فرص للعمل.

وخرج من بلاد العياسئ في يافع هاربًا من سطوة جدته المحبة والحريصة عليه من مسايرة الأشقياء، ولما كان حلمه الكبير اتّبَاع خُطى أقرانه في الهجرة لتحقيق الذات، فكان أن أفلت في لحظة غفلة من جدته الصارمة ليلحق برَكْب زملائه ليصل عدن بعد أيام من الجوع والعطش والإنهاك والتعب المضني[1].

عدن بداية النجاح:

في عدن التي أثارت دهشته بألقها وبصخبها وببحرها الواسع وبعمرانها وتجارتها وجد نفسه جنبًا إلى جنب مع صاحب الفضل بعد الله في وصوله إلى عدن صديقه الشيخ علي عبدالله العيسائي الذي كان قد سبقه في القدوم إلى عدن وأحرز نجاحًا مكنه

---

(1) إلى الفقيد الغالي الخالد فينا الشيخ عمر قاسم العيسائي ، تأليف: سالم صالح محمد، فضل علي النقيب، علي صالح محمد. مقال: علي صالح محمد:» العم عُمَرْ: وصور من الذاكرة«.

أن يتحول من عامل في تجارة الأقمشة إلى تاجر يمتلك محله الخاص، فجاء تلبية لطلبه مع آخرين ولم يبخل الشيخ علي في تقديم المساعدة التي وعدهم بها لتكوين أنفسهم فأدخلهم في شراكات مُيسَّرة دون أن يأخذ منهم أموالًا، بل منحهم فرص مفتوحة حتى تتحس أحوالهم، وكانت تلك البداية الطيبة في علاقة الثنائي (علي وعمر) النموذجية التي زادتها الأيام رسوخًا ونجاحًا في عالم المال والأعمال ومجالات الخير، حتى يظن كثيرون أنهما شقيقان، ومثلما تجاوروا في مسقط رأسيهما قرية «القُمع» وقرية «القَود» في سِيَل العياسئ، فقد كان مقدرًا لهما أن يتجاورا في عدن التي كانت حينها هي الوجهة التي يتجه إليها الكثيرون بوصفها الميناء الرئيس والمركز التجاري الأهم على مستوى الجزيرة العربية وشرق أفريقيا ومن أهم الموانئ العالمية.

وفي عدن بدأ نشاطه التجاري من الصفر، ممتطيًا صهوة جواد الحظ في العام 1945م، في محل صغير لتجارة الأقمشة والمنسوجات، في حافة الشيخ عبدالله في حي كريتر التجاري الشهير حينها، وكان محله التجاري بجوار محل رفيق دربه الشيخ علي عبدالله العيسائي، الذي استدعاه إلى عدن وقدم له يد المساعدة منذ البدء وشجعه على المضي في عمله التجاري وربطتهما صحبة شخصية، حتى كان الشيخان والمحلان أقرب لبعضهما من حبل الوريد.

توسع الشيخ عمر بعد ذلك في نشاطه التجاري، ففي النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي عزَّز الشيخ مركز بيع الجملة الرئيسي في شارع الشيخ عبد الله بكرتير بفتح معرضه الأول للسجاد في شارع العسقلاني أمام مقهى فارع الشهير وكان آية في جاذبية العرض والتلطف إلى المشتري تعبيرًا عن الذوق الحديث الذي كانت المخازن القديمة تجافيه. وبنى واحدةً من أجمل عمارات الشارع الرئيسي بالمعلا، أجمل شوارع جزيرة العرب آنذاك، واتخذ من الدور الأرضي الفسيح معرضًا لبيع الزجاج الذي كان يستورده من أوروبا لتغطية السوق اليمنية ودول الجوار إلى جانب عرض السجاد الحديث، وفي وقت لاحق الأجهزة الكهربائية. وتحول

بعدها مباشرة إلى تجارة السيارات وحصل على وكالة سيارات «ميتسوبيشي» اليابانية وألحقها بوكالة «كرايسلر» الأميركية.

ودخل مع الشيخ علي بشراكة لم تنفصم في منسوجات الشام العالية الجودة، وفي صناعة المشروبات «كندادراي»، وفي تجارة وإصلاح السيارات «الشركة العربية»، وغير ذلك من المجالات، وأصبحا في فترات متلاحقة شريكين متنافسين لا يشق لهما غبار.

وكان مصنع « كندا دراي » في جولة « كالتكس» قد اكتسح سوق المشروبات الغازية ويعمل بكامل طاقته، فيما الشركة العربية للسيارات قريبًا من « كندا دراي» توسع حصتها في السوق النامية، هذا بجانب الشراكة في المنسوجات الشامية التي كانت تتفوق على اليابانية في الجودة والاستجابة لحاجات السوق، قبل أن تصاب بالسكتة القلبية بقرارات التأميم[1].

ويُحسب له- رحمه الله – كيف كان يعتز ويفتخر ببداية تجارته المتواضعة والبسيطة في بداية مشوار أعماله التجارية، إلى أن وصل إلى ما وصل إليه بفضل الله ثم حسن التعامل والوفاء مع الناس.

المرحلة السعودية:

أخذ الشيخ عمر يوزع أعماله بين عدن وجدة ذهابًا وإيابًا منذ مطلع الخمسينات، مقتفيًا أثر صاحبه وصديقه الشيخ علي. ومنذ منتصف الخمسينات الميلادية من القرن الماضي بدأ الفصل المهم في مشوار حياة الشيخ عمر وفي قصة نجاحه المتواصل منذ انتقاله حينها إلى السعودية واكتسابه جنسيتها واستقراره الدائم فيها، بمدينة جدة، فغدت وطنه الأثير، ومسرح نشاطه ونجاحه المثير ومثواه الأخير، ومنها كانت انطلاقته الكبرى في نشاطه التجاري الواسع الذي وصل إلى العديد من دول العالم. وبحسب أحد مرافقيه في سفراته التجارية الطويلة لمعظم بقاع الأرض تقريبًا يشتاق إلى مدينة جدة ويعلن بحزم بأنها الأجمل، ويجعلها مقرًا لإمبراطوريته التجارية الكبيرة.

---

(1) نجوم عدن .. عمر قاسم العيسائي (2)، فضل النقيب، صحيفة «الأيام» العدد4625، تاريخ 30/ 10/ 2005م.

ولا شك أن اختياره للسعودية بعد عدن ينم عن بُعد نظره في تنويع أماكن الاستثمارات وعدم اقتصارها على مكان واحد، حتى إنه حينما جاءت إجراءات التأميم الجائرة وصُودرت أملاكه، وأملاك الشيخ علي في عدن لم يتلاشَ وجودهما التجاري، كما هو حال البعض من رجال المال والأعمال ممن ركّزوا كل ما لديهم في عدن فقصمت تلك الأحداث الاقتصادية الجسام ظهورهم وفقدوا كل شيء وأصبحوا من جماعة «عزيز قوم ذل»، وبفعل تلك القرارات المتطرفة التي ألحقت ضربة قاصمة بالاستثمار والمستثمرين تحولت عدن المدينة الدولية اللامعة إلى (قرية تنام مثل الدجاج مع غروب الشمس)، على حد وصف الكاتب فضل النقيب[1]، بعد أن فقدت حيوتها وحركتها التجارية وغادرها التجار وأصحاب رؤوس الأموال إلى خارج عدن بحثًا عن مواطن جديدة آمنة.

وإلى بلاد الحرمين حمل الشيخ عمر أمواله ليواصل من هناك قصة نجاح أكبر وأوسع مدى، وقد كانت هذه الخطوة ملهمة وببعد نظره هذا والإرادة الفولاذية والتوفيق من المولى جل وعلا تجاوز خسارات عدن العبثية وتحملها كأنها قرصة بظهر جمل، فما عند الناس ينفد وما عند الله ليس له من نفاد.

استطاع الشيخ عمر قاسم العيسائي أن ينتهز فرص العمل الجديدة بالسعودية، وكل مزايا مرحلة الطفرة والنمو الاقتصادي المتسارع ليخوض غمار مشروعات جديدة في كل مرة ومجالات مختلفة، وبالاعتماد على فراسته وحدّة ذكاءه وقدراته العالية في صنع العلاقات المتعددة مع كل الأطياف كرجل متميز من الطراز الرفيع خلقًا وذكاءً وبداهةً، أصبح اسم الشيخ عمر قاسم العيسائي عبر السنين يشار إليه بالبنان في المملكة العربية السعودية. فبكفاحه وعمله الدؤوب ونظرته الثاقبة للأمور تدرّج في مراقي النجاح بتُؤَدَة وتمهُّل، واثق الخطوة يمشي ملكًا، حتى وصل إلى ذرى النجاح والمجد، وكوَّن مجموعته التجارية التي تضم 75 شركة في كل مجال من تجارة سيارات ومواد غذائية ونشاط عقاري...إلخ.

---

(1) المصدر السابق.

وقبيل أن يودع الشيخ عمر قاسم العيسائي هذه الحياة كانت مجموعته قد أعلنت عن إطلاق مشروع برج العيسائي، الذي يعدّ أحد المعالم المستقبلية في مدينة جدة ويقع المشروع بمنطقة البلد على شارع الملك عبد العزيز وسط مدينة جدة. ويتكون (البرج) من 24 طابقًا تجاريًا منها ثلاثة طوابق سفلية عبارة عن مواقف سيارات مساحة كل منها 1280مترًا مربعًا ويعلوها الأراضي والميزانان اللذان يضمان معارض تجارية في حين يضم الجزء الأساس من البرج 21 طابقًا تجاريًا مساحة كل منها 408 أمتار مربعة[1].

مدرسة في العمل التجاري:

يُحسب للشيخ عمر أنه كان مدرسة في العمل التجاري والوفاء والإخلاص، إذ تمكن خلال سنوات من تطوير أعماله التجارية والصناعية ودفعها إلى ساحة المنافسة بقوة في السوق السعودية والإقليمية والدولية، الأمر الذي مكنه من الحضور بين الشركات العالمية، ليحظى بثقتها وجدارتها في تسويق العديد من الماركات العالمية في السوق المحلية. وليس العمل التجاري هو المقياس فقط لحضوره الكبير في المجتمع، بل أخلاقياته وتعامله مع كل الناس وسعيه في الخير والصلاح بين الناس ورجال الأعمال، والتي شكلت بصمة واقعية أفرزتها تجارب الأيام والسنين، رسمت له الصورة الحقيقية لأخلاقيات الرجل المكافح في الحياة[2].

واستحق صفة رائد الأعمال التجارية والصناعية واحد رجال الأعمال العصاميين، حيث وصل بمجموعته التجارية إلى مصاف الشركات الكبيرة الرائدة، وبلغت شركاته أكثر من 75 شركة يراوح نشاطها بين مختلف قطاعات التجارة والزراعة والصناعة والمقاولات والاستثمار في مختلف المجالات داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

---

(1) المقربون يروون تفاصيل اللحظات الأخيرة من حياته: صحيفة «عكاظ»، العدد 2398، 10 يناير 2008م.

(2) انظر: وفاة عمر قاسم العيسائي رائد الأعمال التجارية والصناعية، «الاقتصادية» العدد 5201 ، 7/ 1/ 2008م.

كل هذا بسبب عصاميته ومثابرته التي استطاع من خلالها تكوين مجموعته التجارية التي يشار إليها بالبنان، وهي تنشط في مجالات متعددة أهمها: الاستثمار والتطوير العقاري، والسياحة والفنادق، والتجارة العامة، وتجارة الإلكترونيات، ووكالات السيارات، وقطع الغيار، والملابس، والخدمات الصحية والصناعية، والخدمات المالية، والخدمات الهندسية. وقد ترأس الفقيد الشيخ عمر العيسائي مجالس إدارة هذه الشركات لمدة طويلة إلى أن عهد إلى أبنائه: سعيد وعبدالله ومحمد بمباشرة إدارة تلك الشركات تحت إشرافه وتوجيهه المستمر في كل ما يهم مصلحة المجموعة.

تطورت أنشطته على مدى العقود السبعة، وأكثر ما اشتهر به هي صفقاته العقارية والتطويرية الناجحة التي أبرمها وكانت مثار استغراب في حينها، ولكن سرعان ما كان هذا الاستغراب ينجلي عندما يتأكد الآخرون أن قرار العيسائي بتلك الصفقة جَرَاءةٌ يغبطه عليها الآخرون، فلم يتوانَ في شراء مواقع عقارية مميزة ومبان لها تاريخ وأخرى تحتاج إلى ضخ أموال جديدة لإعادة الحياة فيها، وكأن هذه القرارات الجريئة من العيسائي كانت العامل الرئيسي الذي دفع عشرات رجال الأعمال والتجار والصناعيين السعوديين والعرب إلى التشارك معه في تأسيس عشرات الشركات في داخل البلاد وخارجها وهي الثقة التي حفزت مئات الشركات العالمية لأن تمنح العيسائي صفة وكيل وممثلها في السوق السعودي من أقصى شرق اليابان إلى أمريكا وأوروبا. وكان نشاط الشيخ عمر قاسم العيسائي في المواد الغذائية هو الأبرز منذ أن بدأ هذا النشاط، قبل أكثر من نصف قرن قبل وفاته، بتأسيس قسم المواد الغذائية في شركة عمر قاسم العيسائي بالشراكة مع الشيخ عبدالرحمن هائل سعيد أنعم أحد أقطاب مجموعة هائل سعيد أنعم التجارية التي تمثل واحدة من أكبر المجموعات التجارية والصناعية في اليمن. وتوسعت الأخيرة في أنشطتها وامتدت من اليمن إلى دولة الإمارات العربية المتحدة في السبعينيات من القرن المنصرم ثم إلى المملكة المتحدة ودول الشرق الأقصى وجمهورية مصر العربية فيما بعد[1].

---

(1) انظر: رحل العيسائي (شيخ الصفقات الناجحة)، حسن الصبحي فهد المشهوري، « المدينة» السعودية، في 2008/ 1/ 7م.

وتدير مجموعة العيسائي خمس شركات تصنيعية وهي الشركة الوطنية لصناعة البسكويت والحلويات NBCC، والشركة المتحدة لصناعة الكرتون المحدودة، والشركة الوطنية للصناعات الغذائية المحدودة NFIC، وشركة التوفيق لصناعة البلاستيك والأكياس المنسوجة المحدودة APWS، والشركة المتحدة للأعلاف. وفي الوقت الذي توجه العيسائي إلى المواد الغذائية لم يغفل القطاع العقاري، الذي كان الأكثر شهرة بالنسبة للعيسائي، إضافة إلى قطاع السيارات من خلال وكالة سيارات ميتسوبيشي اليابانية وأكملها بوكالة كرايسلر الأمريكية ليكمل بعد ذلك العقد التجاري وليستثمر في أهم أركان المجتمع وهو السكن، فأسس شركاته العقارية وأهمها شركة عقارات للتطوير والتنمية، والشركة السعودية للتطوير العقاري، والشركة السعودية لخدمات التقسيط، وقد صنفته الغرفة التجارية لمدينة جدة بين أكبر 100رجل مال وأعمال في المملكة العربية السعودية.

يقع المركز الرئيسي لـ 42 من شركاته في السعودية ولشركتين في مصر، ولشركتين في لبنان، وعدّة شركات في اليمن. ولهذه الشركات مئات الفروع في معظم مدن السعودية، والإمارات، ومصر، ولبنان واليمن وبريطانيا وفرنسا. وتمتد علاقات شركاته إلى معظم دول العالم ، حد القول أنه إذا رفعت حجرًا ستجد الشيخ عمر العيسائي تحته، في إشارة واضحة إلى حضوره الاجتماعي الكبير والتجاري القوي.

عوامل نجاحه:

«مغامر جسور، وذكاء متوقد» يضاف إليهما «الكثير من الحظ».. شيخ الصفقات الناجحة والرائد في الأعمال التجارية والعقارية، والأهم من ذلك أنه مجموعة من الصفات التي يجمع أصدقاء رجل الأعمال عمر قاسم العيسائي على أنها المعطيات الأساسية التي أسهمت في نجاحه. فقد كان ذكيًا، وحَسَن الحظ، إلى جانب كونه عصاميًا بدأ من الصفر، وكان النجاح حافزه الأكبر، أكثر من هدف تكوين ثروة كبرى وهو ما يدل عليه جوابه لأحد الصحافيين السعوديين حين سأله عن حجم ثروته الفعلية فأجابه بعد تفكير وبابتسامة هادئة قائلًا: «لا أدري على وجه الدقّة».

اتسم بصدق تعامله وحسن نواياه، واختار من فيهم الذكاء وكسب احترام الكثير وثقتهم، ولم يكن أنانيًّا مع كل من تعامل معه، وكان نجاحه التجاري وبصيرته الثاقبة في مجال الاستثمارات حافزًا قويًا للعديد من رجال الأعمال والتجار والصناعيين الذين دخلوا معه في شراكات ناجحة غالبًا، وباعثًا لشركات أخرى عالمية ناجحة قررت أن تمنحه صفة الوكيل والممثل في السوق السعودي من أقصى شرق اليابان إلى أميركا وأوروبا. ووجد في ولاة الأمر افتخارهم بمن له طموح وتوجه اقتصادي ينال منه الوطن خيرًا وشجعه ذلك على البحث عن المهارات وأحب الخير للوطن وللناس أجمعين. ولأنه كان نموذجًا للصدق والوفاء وحب الخير وشرف الكلمة في كل معاملاته التي كان يعامل فيها الله قبل الناس، فقد رزقه الله من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب. وإن شاء الله فإن صالح أعماله ستبقى في عقبه، طالما أدركوا سر نجاحه وساروا على منواله.

حبه للخير والبِّر والإحسان:

اقترن اسم الشيخ عمر قاسم العيسائي بالبر والإحسان والعطاء السخي النابع من أصالته وحبه للخير، لذلك نراه أمامنًا حاضرًا متألقًا في كل موضع ومكان ترك فيه أثرًا يخلده.. إنه نهر عطاءٍ دافق ينهل من منبعه الفقير والمحتاج واليتيم والأرملة، وسيظل هذا النبع في سيرة أبناءه من بعده، الذين لن يكونون إلا خير خلف لخير سلف.

ترك الشيخ عمر سجلًّا ناصعًا في صفحات عمل الخير، وتميز بأياديه البيضاء، وعطائه المنقطع النظير، وكرمه الواسع، فقد ظل بيته مفتوحًا لجميع من يؤمّه، ففي ديوانه تجد رجل الدين والعالم والبسيط والكبير والصغير، وكان حنانه دائمًا على أقاربه وأصدقائه، ومشهود له بمساعدة الفقراء والمحتاجين. وكان يفتح صدره للناس ويستمع لهمومهم، وحينما يعرف عن حالات تحتاج للمساعدة يقدم لها المساعدات حتى دون أن يصل إليه أصحابها.

كان ذلك ديدنه منذ بداياته في عدن، ففي شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، كان يقيم موائد الخير للفقراء القادمين من التهائم

والجبال كأنما هي موائد المن والسلوى، وكان المحتاجون يذهبون إليها زرافات ووحدانا من مسجد الشيخ عبدالله إلى مستقر الشيخ عمر على بعد أمتار قليلة منه وينتظرون «حق الله»، وكان حقًا مضمونًا مصانًا لا سؤال فيه ولا جواب[1].

ومن صور تواضعه وحبه للخير أنه لم ينسَ الفقراء والمحتاجين بعد إن مَنّ الله عليه من فضله وتنامت ثرواته وأملاكه، حتى إنه فضّل البقاء في منزله الأثير إلى نفسه في أحد الأحياء الشعبية الفقيرة بجدة الأم الحنون، ورفض الانتقال إلى قصر آخر أكثر أناقة رغم امتلاكه للكثير من البيوت والعقارات في شمال جدة ومناطقها الأكثر فخامة. ولسبب ظل يعلنه لكل من يسأله قائلًا: «أفضل أن أبقى في المكان الذي سكنته وعرفت أناسه، وأن أكون بجوار الفقراء والمساكين لأحس بهم وبمعاناتهم»[2]. ومثل هذه القناعات لا تنبع إلا من وجدان رجل أعمال آمن بأن الحياة رسالة وأمانة في عنقه.

إنَّه وبحق رجل الخير والبر والإحسان، فقد أسس إدارات متخصصة بأعمال الخير، اتجهت بنشاطاتها الخيرية إلى تلك المجالات التي يمكن من خلالها معالجة مشكلة الفقر بشكل جذري، بحيث يتمكن الفقير من الحصول على عمل يعيل أسرته، ويرفع كرامته، ويكسب منه المال (بعرق الجبين)، دون حاجة للاستجداء أو الاعتماد على الغير. واشتهر بمبادراته الخيرية العديدة التي أثمرت بناء المستشفيات والمدارس والمساجد...إلخ.

وفي مجال التعليم، أنفق وبسخاء على تعليم مئات الطلاب المتفوقين في الخارج لنيل شهادة البكالوريوس أو الماجستير، منطلقًا من إدراكه لقيمة التعليم في بناء الإنسان والأوطان، وحينما استضاف الطلاب الدارسين على نفقته في لندن، كان

---

(1) نجوم عدن 00عمر قاسم العيسائي (2)، فضل النقيب، صحيفة «الأيام» العدد4625، تاريخ 30/ 10/ 2005م.

(2) العيسائي.. من دكان صغير إلى عواصم العالم التجارية، منال حميدان، الشرق الأوسط، 8 يناير 2008 العدد 10633.

من ضمن ما قاله بالمختصر المفيد: «يا أولادي تعلموا ففي العلـم منجاة وخيرًا كبيرًا لكم ولأولادكم من بعدكم، وإذا كان أحدنا قد نجح بلا علم فما ذلك إلاَّ صدفة، لهذا لا تخيـبوا ظننا فيكم، تعلموا واجتهدوا لتحقـقـوا النجاح في حياتكم»0[1]

وفي هذا السياق نذكر بكل تقدير واعتزاز صنيعه الطيب وبصماته الجلية في تأسيس وتجهيز كلية التربية يافع عام 1998م، وهو الصرح الجامعي الذي نقل التعليم الجامعي إلى يافع لأول مرة وأتاح الفرصة لمئات من طلبتنا وطالباتنا الحصول على تعليميهم الجامعي بجانب بيوتهم وبالقرب من أهلهم، وفضلًا عن ذلك تكفله بتقديم إعانة مالية للطلاب شهريًا ولا زالت مستمرة تساعدهم على مواجهة أعباء الدراسة الجامعية، وتفيض قلوبهم بالدعاء له.

بالنسبة لنا في هيئة تدريس كلية التربية يافع، لن ننسى أن تأسيس هذا المنبر الأكاديمي الرفيع قد ارتبط باسم هذا الشيخ الفاضل، الذي لولا دعمه السخي لظل حلمًا صعب المنال. ولا زلنا نتذكر تلك الأريحية التي تفاعل بها مع اللجنة المشكلة حينها لمتابعة تأسيس الكلية، والتي كُلفت حينها للتواصل مع كبار رجال الأعمال من أبناء المنطقة في الداخل والخارج. ولا زالت كلماته ترن في وجدان أعضاء اللجنة حين تم الاتصال تلفونيًا به شخصيًا لمعرفة مدى استعداده لدعم هذه الفكرة، وحجم وطبيعة الدعم الذي سيقدمه، فجاء رد الشيخ عمر قاطعًا، حينما قال عبر الهاتف: «إن تأسيس منبر جامعي في يافع هو الحلم الذي أحلمه دائمًا، وأنا على استعداد لدعم إنشاء مثل هذا الصرح العلمي من الريال إلى المليار». وهو ما كان فعلًا، فقد تحمل وحده كامل التكاليف التي شملتها الدراسة الخاصة لإنشاء الكلية، والتي بلغت حينها 72 مليون ريال، بما يعادل اثنين مليون سعودي حينها. وبدلًا من أن تتواصل اللجنة مع رجال الأعمال الآخرين، شكرتهم على تجاوبهم وأبلغتهم بأن الشيخ عمر قد أخذ

(1) إلى الفقيد الغالي الخالد فينا الشيخ عمر قاسم العيسائي، مقال: علي صالح محمد :» العم عُمَرْ: وصور من الذاكرة».

على عاتقه مهمة تقديم كامل التكاليف المطلوبة. وعلى الفور سارعت اللجنة لتحقيق حلم الشيخ وحلم كل أبناء المنطقة على أرض الواقع وبتعاون لا يُنسى من قبل رئيس جامعة عدن حينها الدكتور صالح علي باصرة وزير التعليم العالي آنذاك، ومدير عام مديرية لبعوس يافع حينها صالح عبادي عبدالكريم، ولكم هي الكلمات والأشعار التي قيلت عند الافتتاح، وستظل تقال بعد الرحيل، لأن صنيعه ذلك لا يُنسى، بل يظل متجددًا ما بقي هذا المنبر الجامعي مصنعًا لتخريج الأجيال المتسلحة بالعلم والمعرفة، وعرفانًا بإسهاماته تلك فإن القاعة الرئيسة في كلية التربية يافع تحمل اسم الشيخ عمر قاسم العيسائي(1).

ولكم هي أفضال هذا الشيخ كبيرة، ليس فقط في تشييد هذا الصرح العلمي الذي جعل إمكانية مواصلة التعليم الجامعي متاحة لمئات من الطلاب الذين لم يكن بمقدور أسرهم جميعًا تحمل أعباء الانتقال للدراسة الجامعية في المدن، بل وفي دعمه المستمر لطلاب الكلية بمبالغ شهرية تساعدهم على مواجهة أعباء الدراسة الجامعية. ويمتد دعمه إلى بناء وترميم عدد من المدارس، كما يدعم عددًا ليس بالقليل من الجمعيات الخيرية في منطقة يافع وغيرها من مناطق اليمن.

وفي المجال الصحي تكفل الشيخ عمر قاسم العيسائي بعلاج عدد كبير من المرضى الحاصلين على تقارير رسمية أو ممن قصدوه مباشره دون سابق معرفة وبدون وسيط، كما بنى المستشفيات والمدارس والمساجد والأوقاف، ولم يسبق أن دخل عليه صاحب حاجة إلا وكانت مقضية، وظل بيته مفتوحًا دائمًا لكل سائل ومحروم، فكان من دخل عنده خرج مبتسمًا فرحًا ثلج الصدر، فكان إن أعطى أكرم وزاد ولم ينقص، وكرس حياته ليكون اليد التي تعطي قبل أن تُسأل، وبعد أن تعطي لا تذكر مَنْ وكم أعطت، وظل سندًا لكل محتاج.

---

(1) وداعًا رجل الخير الفاضل الشيخ عمر قاسم العيسائي، د.علي صالح الخلاقي، «الأيام» العدد 5292،تاريخ 8 يناير 2008 م.

فكم من الفقراء والجياع الذين أطعمهم، والصائمين الذين أفطرهم، والعراة الذين ألبسهم، ومن برد الشتاء أدفأهم، والمرضى الذين تكفل بنفقات علاجهم، والطلبة الذين ضمن لهم دراستهم على نفقته الخاصة، والشباب الذين دفع نفقات استكمال نصف دينهم، والسجناء والمعسرين الذين دفع دَيْنَهم، والحجاج العاجزين لاستكمال ركن من أركان دينهم، والعطشان الذي ساعده في حفر بئر الماء فأروى عطشه، والعجزة الذين وفر دورًا سكنية لإيوائهم، وعابري السبيل الذين سهل ومهد طريقهم، والمصلين في بيوت الله التي عمرها ابتغاء مرضاة الله وطاعته، وكم من كتاب الله الذي طبعه على نفقته الخاصة، وكم هم أولئك الذين مد لهم يد العون عبر دولهم أو ساعدهم عبر الجمعيات الخيرية حينما تعرضوا للكوارث الطبيعية، فكان من المبادرين في إغاثتهم، وكم من النساء اللواتي قدّم لهنَّ مكائن الخياطة ليعشن عيشة شريفة، ومن الرياضة والرياضيين الذين كان مشجعًا وعونًا لهم على الدوام، والأطفال الفقراء الذي ألبسهم الملابس الجديدة ورسم البسمة على وجوههم في يوم عيدهم، والتلاميذ الفقراء المتوجهين إلى مدارسهم بداية كل عام دراسي جديد حاملين الحقائب والكتب والأقلام المدفوع ثمنها على نفقته الخاصة[1].

ويظل الشيخ عمر قاسم في ذاكرة الأجيال، رجل الاستقامة والأريحية والفضل، وأحد الوجهاء الذين استطاعوا أن يحفروا أسماءهم في جدار الخير في البلد العزيز بلد النقاء والصفاء، بلاد الحرمين الشريفين وفي كثير من بقاع العالم، وكان طوال حياته أحد الفاعلين الذين لا يركنون إلى الدعة وإلى أخذ الأمور على بساطتها اذا ما كانت متعلقة بقضايا الناس البسطاء الذين لهم عنده اهتمام كبير، فلا يهدأ له بال إلَّا إذا قام بما يرضيه من جهد وعمل، وقدم وبذل المال بسخاء وجود لمن هو مستحق له.

---

(1) سلام عليك يا عمر قاسم العيسائي، اللواء: سالم علي بن ناجي حلبوب، صحيفة 26سبتمبر، العدد1369، 07 يناير 2014م.

صفاته الإنسانية:

الشيخ عمر قاسم علَمٌ عنوانه الإنسانية والكرم، عاش للآخرين أكثر مما عاش لنفسه، ويدرك كل من عرفه في حياته أنه قد افتقده بالفعل ويبقى مكانه في القلب خاليًا. فقد كانت للشيخ عمر شخصية «كاريزمية» شديدة الجاذبية، تأسر بألفتها وبعفويتها وتلقائيتها مَن حولها. شخصية فذة لا تتكرر كثيرًا بين رجال الأعمال، تغلبت فيه صفات الإنسان على صفات رجل الأعمال، فهو من صنف الرجال الذين لم يكونوا يعدون التجارة مهنة، بل رسالة وأمانة، ويجوز القول فيه: إنه جعل بعطائه وأخلاقه من سمعة التاجر أقوى وزنًا من أمواله، وهذا قمة الأخلاق، وحس التعامل مع الناس، فلم يكن العمل التجاري هو المقياس الوحيد لحضوره وتأثيره الكبير في المجتمع، بل إن أخلاقياته وتعامله مع كل الناس وسعيه في الخير والصلاح بين الناس ورجال الأعمال؛ جعلت منه شخصية محورية ومثالًا لأخلاقيات الرجل المكافح في الحياة والمحبوب بين الناس.

عُرف بتواضعه، ونقاء سريرته، ومناقبه وسجاياه النبيلة في الكرم والشهامة والأخلاق وحب الخير لا حصر لها، وهي صفات لصيقة به منذ بداياته التجارية الأولى وحتى آخر حياته. فقبل أن يقف على قدميه كان يضع مدّخراته لدى الشيخ صالح حسين بن شيهون الذي كان مستودع الأمانات لأهل يافع ومسكنه في حارة الاتحاد بكريتر. وكان رجلًا جادًا بالغ الصّرامة، وقد طلب منه الشيخ عمر أمانة مودعة لديه، فظن الشيخ صالح أنه قد أخذها، وكان رده كعادته قاطعًا مانعًا، فتبسم الشيخ عمر الذي كان في عنفوان الشباب وأجابه: لعلّني أخذتها ونسيت فسامحني. ثم خرج.. و«لعب الفار في عب الشيخ صالح» فقام بجرد كل الأمانات وتدقيقها حتى وجد أمانة الشيخ عمر فاستدعاه واعتذر له وسلمه ما أودعه، عاتبًا عليه أنه لم يلحّ في طلب حقه لتنبيهه، فقال له: أنا كنت متأكدًا مئة في المئة أنك ستجدها وستستدعيني، فمن يعدل إذا لم تعدل أنت يابن شيهون؟.. جَبَرَ خاطر الشيخ واسترد حقّه[1].

(1) نجوم عدن... عمر قاسم العيسائي، فضل النقيب، صحيفة «الأيام» 30/ 11/ 2005م

الشيخ عمر سيرة ممدودة وسريرة محمودة، وإذا كان كثيرون قد تسابقوا إلى قمم الأعمال ووصلوا إليها فإنه بين قليلين ظلوا على القمة محافظين على توازنهم وعلاقاتهم وحسن تسيير أعمالهم، واجتمعت فيه البساطة والعظمة معًا، فقد كان بسيطًا في كل شيء وعميقًا في كل شيء، ليصبح مدرسة كبيرة بدءًا من التعامل مع البضاعة البسيطة وانتهاءً بعلاقته بالملوك والرؤساء وكبار القوم من المشتغلين في التجارة أو السياسة، ولم يكن يستثني من ذلك البسطاء من البشر بغض النظر عن انتماءاتهم الجغرافية أو مواطنهم على اختلافها، إذ لم يكن يميز المصري عن السوداني عن المغربي عن اليمني عن الياباني عن اللبناني فكانوا جميعهم حوله كخلية نحل تربطهم عُرى المحبة والاحترام ومعاني التقدير الإنسانية، وهذه الأخلاقيات العالية في تعامله مع مختلف طبقات المجتمع شكلت منهجًا متكاملًا لحياته دون افتعال أو تظاهر، وكانت إنسانيته تتدفق كتدفق الماء من الينبوع الصافي الرقراق العميق الغور، بحيث لا ينفد مخزونه أبدًا.

والشيخ عمر رجل عائلي ومحافظ، يحب التمسك بالعادات والتقاليد إلى حد بعيد، ولم يغير نجاحه في هذه الثوابت، وهو أبٌ مرحٌ حنون، له ثلاثة أولاد احترفوا العمل التجاري جميعًا على غرار والدهم، وثلاث بنات آثرن الاستقرار وإنشاء أسر خاصة بعيدًا عن سوق العمل، وقد زرع في أولاده محبة الناس ومساعدتهم قبل كل شيء، فمحبة الناس نعمة من الله لا تشترى بالمال ولا يدرك قيمتها إلا القليل وكان هو منهم[1].

ولعل المثل الأعلى في سيرة هذا الرجل الكبير - ولله المثل الأعلى - هو إحسانه إلى أهله الأقربين، كبارًا وصغارًا رجالًا ونساءً، فأخذ بأيديهم جميعًا ، لا ليكونوا ضيوفًا في مملكة أعماله، أو عالة عليها، وإنما بناهم وقربهم ودربهم وفتح أمامهم المجالات التي

(1) رحيل العصامي المكافح عمر قاسم العيسائي، عبد العزيز عبد الرحمن النعيم، صحيفة «المدينة»، العدد 16346،24/ 1/ 2008م.

يقتدرون عليها، تمامًا كأبنائه وبناته. ثم أفاض من خيره على المحتاجين من الناس وأولئك الموهوبين في دنيا الأعمال، من الأصدقاء والمعارف وحتى الغرباء وكان في نهجه هذا كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء.

ويحسن بنا، والحديث عن صفاته الإنسانية أن نورد بعض ما قيل فيه. فهو علم من معالم الكرم والإنسانية، وخير رمز للبر والتقوى والعطاء والمواقف النبيلة.. أمير الباذلين.. كثير البر والإحسان.. أبُ الأيتام. ومن أجمل ما عرفنا عنه أنه لم يستحوذ أبدًا على حقوق الغير، أو يخطف الوكالات التجارية باستغلال نفوذه وثروته وثقة الشركات به، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خلقه الأصيل ونزوعه لحب الخير للجميع، وهذا ما يفتقده الكثيرون ممن تسيل الأموال بين أيديهم بطرق غير شرعية[1].

نعم.. لله ما أنبله من إنسان أحبه الناس لإنسانيته وسمو أخلاقه وشهامته وتواضعه الجم وطيبته التي لم تبلوها الأعوام، ولم تغيرها الشهرة والثروة، فكان حب الناس له ثروة لا تضاهيها الأموال والثروات.

شوقه لمسقط رأسه:

لم تتح الفرصة للشيخ عمر لزيارة مسقط رأسه يافع ومدينة عدن التي بدأ فيها مشوار نجاحه وشهرته كأحد رجال المال والأعمال منذ أن تعرض وزميله الشيخ علي وغيرهم من رجال المال والأعمال لضربة التأميم القاصمة. لكنه ظل على ارتباط وجداني بوطنه الأم وبأهله وناسه، وكان يتابع أخبار الأهل والوطن أولًا بأول من خلال الاستماع إلى ما ينقله له الزائرون القادمون من الوطن، حيث كان يبادرهم بالسؤال عن حال الناس والأهل، وكان ينصت بشغف وولع إلى الحديث، وبالذات حين يشمل ذكرًا للمواقع التي رسخت بذاكرته ولم تغادرها، فإذا به فجأة وكتعبير عن حالة الحنين الخفي لتلك المواقع التي تركها أيام الصبا، تجده يتجه بتلقائية المحب إلى الصورة الكبيرة التي تزين مكتبه الجميل ليشير بأصبعه إلى المواقع الكثيرة، مستذكرًا بقوة شديدة

(1) انظر: كلمات وفاء في رمز العطاء، د.علي صالح الخلاقي، ص6.

أسماءها وأسماء الناس الذين التقاهم في رحلاتـه يومها، ولطالما تكررت أحاديثه عن ذلك، بل إن أجمل الأحاديث لديه كانت تلك التي يعود فيها إلى أيام الطفولة والصبا، وصور المعاناة التي دفعته نحو الهجرة من أجل أن يعود ببندقية يظهر بها أمام الرجال، معلنًا أنه أصبح رجلًا يستحق الاعتراف به كمقاتل في عُرف القبيلة، إلاَّ أن عزمه وحظوظه حققت مدىً أبعد كثيرًا من أحلامه البسيطة تفوق الخيال0

كان في قرارة نفسه يحمل حنينًا خفيًا وأشواقًا لا تحصى للمنطقة، وكان أصدقاؤه يكررون على مسامعه طلبهم ليقوم بزيارة البلاد، فكان يقول: «مادام في العمر بقية سنزورها بإذن الله»، وشاء الله أن لا يتحقق الوعد ولا الحلم، وهذه إرادته عز وجل[1].

ويكفيه فخرًا أن مسقط رأسه الذي لم تبارح وجدانه وأشواقه قد كانت حاضره في أجندته الخيرية حيث شملتها عنايته في كثير من المجالات، لعل أبرزها تشجيعه الكبير للعلم والتعليم، وموقفه الداعم لتأسيس كلية التربية في يافع، ودعم كثير من المدارس والمراكز الصحية، وتقديم يد العون للمحتاجين كما أسلفنا، ولم يقتصر الأمر على ذلك، فإلى جانب عطاءاته الكبيرة كان في الأعوام الأخيرة قد كلف الأخ سالم صالح محمد[2] بمتابعة إنشاء سد كبير لحصر المياه في وادي «بنا» لتعزيز مشروع المياه القائم بعد أن تناهي إلى سمعه أن هناك صعوبات يواجهها المشروع، وبعد جهود كبيرة بُذلت، وبسبب من تلكؤ جهات الاختصاص بتقديم الدراسات المطلوبة ومرضه الذي داهمه وأقعده طريح الفراش لم يكتب للمشروع النجاح الذي كان يريد أن يقوم به من أجل ضمان مياه الشرب للمنطقة كلها، ويبقى الأمل معقود على أبنائه الكرام لتحقيق ما كان يريد أن يحققه لأهله في آخر حياته.

---

(1) إلى الفقيد الغالي الخالد فينا الشيخ عمر قاسم العيسائي، مقال: علي صالح محمد :» العم عُمَرْ: وصور من الذاكرة».

(2) حسب شهادة علي صالح محمد في مقاله: «العم عُمَرْ: وصور من الذاكرة». ضمن كتاب (إلى الفقيد الغالي الخالد فينا الشيخ عمر قاسم العيسائي).

الشيخ عمر في مرآة محبيه:

شخصيًا، لم أتشرف بمعرفته أو مقابلته في حياته، لكنني سمعت عنه الكثير والكثير من سجاياه ومناقبه وكرمه وجوده وحبه لأعمال الخير وتعلقه بها مما جعله يحتل مكانة طيبة في قلوب كل من عرفه أو سمع عنه أو التمس خيره، وهم كثيرون، وأنا واحد منهم فقد كان لدعمه نصيب في شحذ هممي لنشر ما تيسر من الموروث الشعبي الذي شمله بعنايته ودعمه، وهو ما لا أنساه له ولواسطة الخير الأستاذ المثقف محمد بن محمد الرشيدي. وكما كان منهجه في حياته أن جعل في أمواله حق معلوم للسائل والمحروم ولمشاريع وأعمال الخير، فقد أوصى أن يكون جزءًا مما خلفه صدقة جارية تُنفق في أوجه الخير، ففاز بالذكر الحسن في حياته وبعد مماته، وأجره عند الله كبيرًا[1].

ولعل خير من يصفه ويحسن الحديث عن مناقبه وشمائله هم أولئك الذين عايشوه وعرفوه عن قرب أو عملوا معه، فبحسب صديقه ورفيق دربه رجل الأعمال الشيخ عبد الحي السيلاني: « كان ذكيًا، حسن الحظ، إلى جانب كونه عصاميًا بدأ من الصفر، وقد ساعدته الظروف كثيرًا، كان مغامرًا، ومتفوقًا في مجال العلاقات العامة، وكانت لديه خبرة كبرى بالحياة تعادل أعلى الشهادات العلمية في تحليل الشخصيات وهو ما كان يركن إليه كثيرًا، ومن صفاته التي اشتهر بها كونه رجلًا كريمًا ومرحًا لا يحب أن يظهر غضبه أو همومه للآخرين».

وقال عنه عبد الحكيم السعدي نائب الرئيس لشؤون العلاقات والاتصالات في مجموعة عمر قاسم العيسائي في حديث لصحيفة «عكاظ» عقب وفاته، أن الشيخ عمر يرحمه الله كان يتابع تدفق المساعدات التي يقدمها للمحتاجين ما يدل على أنه يرحمه الله كان إنسانًا يحمل في قلبه حب الآخرين والتواضع والتراحم. ويتذكر قصة شخص فُصل من عمله في أحد البنوك فذهب إلى الفقيد في بيته فاستقبله وأدخله المجلس، وعندما سمع قصته ساعده وأمن له عملًا على الفور في مجموعته.

---

(1) نجم العَيَاسَئ الذي لا يُنسى.. الشيخ عمر قاسم العيسائي، د.علي صالح الخلاقي، عدن الغد، 6/ 1/ 2014م.

ويلخص الأستاذ محمد بن محمد الرشيدي الذي شغل نائب الرئيس للمجموعة سبب نجاح الشيخ عمر في عالم الأعمال في عصاميته ومثابرته التي استطاع من خلالها تكوين مجموعته التي يشار إليها بالبنان.

وأشار عاصم قيسي مدير عام العمليات بمجموعة العيسائي إلى أن الفقيد كان حليمًا وحريصًا على متابعة أعماله وأحوال موظفيه الذين يزيد عددهم عن 25ألف موظف. وأن الفقيد كان يوجه بدراسة تحويل شركاته إلى مساهمة، وله موقف مشرف بخصوص وكالة «ناشونال باناسونيك» اليابانية عندما أرادت الشركة اليابانية عدم تجديد الوكالة مع الدهلوي فقام المسؤولون بالشركة اليابانية بالتفاوض مع الدهلوي، لكن الفقيد قال لابنه محمد: «تفاهم مع الدهلوي وساعدهم في حل مشكلتهم»، لكن الشركة اليابانية لم ترغب في تجديد الوكالة مع الدهلوي وهذا الأمر يجسد حرص الفقيد على تسوية الموضوعات بالحلول الودية ولا يحبذ خطف الوكالات، كما يجسد الرقي في التعامل وأسلوبه الإداري الفريد والمحبب للآخرين والذي يراعي مصالح الجميع بغض النظر عن الربح الذي يمكن أن يتأتى منه[1].

أما صديقه الأستاذ عبد العزيز عبد الرحمن النعيم[2] الذي ارتبط معه بعلاقة صداقة صادقة على مدى أربعين سنة وعرف عنه، كما يقول، مواقف وأخلاق رفيعة وراقية لا تفيها أي كلمات، وكتب عن الفقيد في جريدة (المدينة) السعودية واصفًا إياه بأنه علم من معالم الكرم والإنسانية، وخير رمز للخير والتقوى والعطاء والمواقف النبيلة، صاحب الأعمال الجليلة التي أكسبته الشهرة في العالم على المستوى الشخصي والتجاري.. وكان بيته مفتوحًا دائمًا لكل سائل ومحروم، فكان من دخل عنده خرج مبتسمًا فرحًا ثلج الصدر... وكان إن أعطى أكرم وزاد ولم ينقص، كرس حياته ليكون

---

(1) المقربون يروون تفاصيل اللحظات الأخيرة من حياته: العيسائي كان حريصًا على الاطمئنان على موظفيه ومساعدة الفقراء والمحتاجين، صحيفة «عكاظ»، العدد 2398، 10 يناير 2008م.

(2) انظر مقالة: رحيل العصامي المكافح عمر قاسم العيسائي صحيفة «المدينة» ، العدد 16346 ، 24/ 1/ 2008م.

اليد التي تعطي قبل أن تسأل، وبعد أن تعطي لا تذكر مَنْ وكم أعطت، هو سند لكل محتاج غنيًّا كان أم فقيرًا، يمشي بنفسه للبيوت الفقيرة، ويدق بابها ويعطي مما أعطاه الله بنفس راضية.

وكتب الأستاذ سالم صالح محمد مرثية يخاطب فيها الفقيد يقول: كنت حاضرًا في كل مكان لم تغب أبدًا ولن تغيب؛ لأن بساتين أعمالك الخيرة ستظل تذكِّر بك وتنوب عنك وتتحدث باسمك، وتستفيد من خيراتها أجيال ممن عرفت ومن لا تعرف من القادمين من ظهر الغيب، وحتى عابري الطريق الذين يرفعون أيديهم إلى الله ترحمًا عليك ودعاء لك[1].

وتحدث الأستاذ الأديب والكاتب الكبير فضل النقيب، رحمه الله، عن الفقيد قائلًا: الشيخ عمر قاسم العيسائي الذي رحل عن الدنيا الفانية بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال، كان لا يغيب ذكره عن مدار الأيام والسنين، وكثيرون ممن لا يعرفونه معرفة شخصية تراهم وتستمع إليهم يتحدثون عنه حديث الذين عايشوه واستمعوا إليه، مصداقًا للأثر: «إذا أحب الله عبدًا من عباده حببه إلى الناس». ولست هنا في مجال مآثره والثناء العاطر على سجاياه وشمائله، فقد كان بأخلاقه الرفيعة، وإيمانه الصادق العميق، وتواضعه اللافت لا يحب سماع المديح ولا التظاهر بأعمال الخير، فهو من ذلك النوع من البشر، الذين سخرهم الله، جل وعلا، لقضاء حوائج المحتاجين، دون أن تعرف شمال الواحد منهم ما أعطت يمينه[2]..

أما الشاعر الأديب فاروق المفلحي الذي عرفه عن قرب فقد فكتب يقول عنه: «لم يكن عابرًا في الحياة، بل تموضع فيها بكل بهاء ونقاء وألق، ولم يكن ينام قرير العين إلَّا إذا استشعر أن من حوله في خير وأمان وسلام، كان مثالًا للعطاء والجود والتواضع

(1) انظر مقالة: إليه .. إلى الغالي (أبونا) عمر، ضمن كتاب(إلى الفقيد الغالي الخالد فينا الشيخ عمر قاسم العيسائي).

(2) نستودعك الله يا أبا سعيد، فضل النقيب، ضمن كتاب (إلى الفقيد الغالي الخالد فينا الشيخ عمر قاسم العيسائي).

والنزاهة، كانت الناس تأتي إلى قصره فيلقاهم هاشًّا باشًّا، وكان بيته مفتوحًا، وموائده عامرة لكل الناس، تلجأ إليه الناس في الشدائد. يستيقظ فجرًا يرتل القرآن ويؤدي الصلوات، ويدير شؤونه سائلًا كل مدراء شركاته عن احتياجاتهم ومشاكلهم؛ ليذللها فما كان يعتمد على تقارير تصله بل هي الحاضر في كل تفاصيل شركاته وهمومها، لذا فقد نجحت وازدهرت أعماله والمال المبارك يبارك به الله لشدة التصاقه بأصدقائه، ومنهم الشيخ علي عبد الله العيسائي رجل الأعمال المعروف، لذا كان الكثيرون يعتقدون أنهم أخوة، هنا الوفاء والصدق والشراكات القائمة على الإخلاص والشفافية»[1].

وفاته:

انتقل الشيخ عمر قاسم العيسائي إلى جوار ربه يوم 6 يناير 2008م عن عمر ناهز الثمانية والثمانين عامًا. وقد وافته المنية في أحد مستشفيات العاصمة البريطانية لندن حيث كان يتلقى العلاج، ونقل جثمانه ووري الثرى اليوم التالي في مقبرة العدل، إحدى مقابر مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية الشقيقة.

عم الحزن لوفاته أرجاء واسعة في موطن إقامته المملكة العربية السعودية، وفي مسقط رأسه يافع، وغيرها من المناطق والبلدان التي وصلها خيره، وحزن لرحيله كل من عرفه أو سمع عنه أو ناله شيئًا من خيره، وذرفت أعينهم دموعًا حَرَّى، وتألموا كثيرًا لفراقه، وصلوا من أجله صلوات بقلوب خاشعة مشفوعة بدعوات تَتْرَى أن يجزيه الله خير الجزاء ويسكنه مع خير الوَرَى، في فسيح جناته.

وتجسد الحزن على رحيله بكتابات الوفاء وقصائد المدح أو الرثاء، وقد نُشر ما قيل عنه عقب وفاته في كتابين، أحدهما تأبيني وُزِّع في أربعينيته بعنوان: «كلمات وفاء في رمز العطاء..الشيخ عمر قاسم العيسائي»، أعده الدكتور علي صالح الخلاقي، والآخر بعنوان: «إلى فقيدنا الغالي..الخالد فينا الشيخ عمر قاسم العيسائي»، كتبه كل من: سالم صالح محمد، وفضل علي النقيب، وعلي صالح محمد.

---

(1) من صفحته في الفيسبوك.

ختامًا:

من الصعب تناول سيرة شخصية عظيمة بحجم هذا الرجل أو تلخيص تجربته الغنية ونجاحاته الممتدة على مساحة زمنية قدرها سبعة عقود في حيز كهذا، وفي زمن قصير كهذا، فالحديث عنه يحتاج إلى وقفات طويلة وتتبع دقيق لكل جوانب سيرته وكفاحه ومناقبه، منذ ميلاده حتى وفاته، بما فيها من محطات مهمة حتى وصل إلى ما وصل إليه من مجد وسؤدد، ومثله يحتاج أن تؤلف فيه الكتب، وتنظم الأشعار لتكون في متناول من أراد الوقوف أمام أسرار نجاحاته؛ للاقتداء به، واقتفاء أثره، والتعلم من مناقبه وخصاله النبيلة.

وهذه هي ملامح موجزة فقط من سيرة حياته ونجاحاته في مجالات المال والأعمال، وفي أوجه الخير وعلاقاته وقيمه الإنسانية. وتظل سيرته العصامية المكللة بالنجاح عبرة للطامحين المثابرين لصنع النجاح وحافزًا ومدعاة للساعين إلى الخير، وفي كرمه وبذله في ميادين الخير قدوة للباذلين بسخاء وطيب نفس ابتغاء الأجر من الله، فقد ارتضع ثُدِيّ الكرم، كما يقال في أمثال العرب، ومثله قَمِينٌ أن تُخلّد سيرته العطرة وتسجّل مواقفه بمداد الفخر، لتكون منهلًا تستقي منه الأجيال تلك القيم التي جُبَل عليها، وتبقى زادًا لهم في رحلة الحياة تضيء لهم طريق النجاح وحب الخير والفضيلة.

نماذج من قصائد المدح والرثاء:

ومسك الختام، أورد نماذج مما قيل فيه من أشعار. فمن قصيدة عصماء كان الشاعر الأديب فضل النقيب الذي ربطته بالفقيد الراحل صلاة وثيقة منذ وقت مبكر، قد أهداها إليه قبل بضع سنوات على وفاته بعنوان (يا سيد القوم)، يقول فيها:

سَحَائِبُ الخَيرِ مِنْ كَفَّيْكَ تَنْهَمِرُ	جَزَاكَ ربُّكَ كُلَّ الخَيْرِ يا عُمَرُ
يا سَيّدَ القَوْمِ: مَنْ شَابُوا ومَنْ وُلِدُوا	ومَنْ تَفَتَّوْا ومَنْ غَابُوا ومَنْ حَضَرُوا
فَأَنْتَ تَمْنَحُ مِنْ قَلْبٍ مَشَاعِرَهُ	تَفِيْضُ بِالحُبِّ والأَخْلاقِ تَزْدَهِرُ

عَلَّمْتَنَا أنَّ خَيْرَ الفَضْلِ قَاطِبَةً ... مَا لَيْسَ يُطْلَبُ أو يَسْرِيْ بِهِ خَبَرُ

وأنّ للهِ أَشْخَاصًا على يَدِهِمْ ... تُقْضَى حَوَائِجُ مَن عَفَّوا ومَنْ صَبَرُوا

أَبَا سَعِيْدٍ وَقَدْ كَانَتْ مَنَابِتكُم ... تِلْكَ الجِبَالَ الَّتي بالرِّيح تأْتَزِرُ

أَرْضُ «العَيَاسيء»حيثُ النّسرُ مُنْكَسِرُ ... والخَصْمِ مُنْدَحِرُ، والصَّخْرُ مُنْحَدِرُ

لَوْلاَكَ والشَّيخ»أبوْ بَدْرٍ»بِهمّتهِ ... «عَلِيُّ» فِي النَّاسِ ما كانَتْ لِتُذْكَرُ

وَلاَ ارْتَقَى اسْمُهَا في ألفِ واجهةٍ ... بَهِيَةِ الحَرفِ بالأَضْواءِ تَنْغَمِرُ

عَلَوْتُمَا في سَمَاها فاعْتَلَتْ بكُمَا ... كَمَا عَلا في السَّماءِ النَّجْمُ والقَمَرُ

ومن أجمل ما قيل في رثائه قصيدة بعنوان (أيادٍ بيضاءُ من غير سوء) للشاعر الأديب الدكتور سالم عبدالرب السلفي، ألقاها في أربعينية الفقيد في كلية التربية يافع، قال فيها[1]:

يا أَحرُفي، قومي إلى الشعراءِ ... وخُذي من الأموات والأحياء

صُوغي من الكَلِمِ الجميل قصيدةً ... أرثي بها عُمَرَ النَّدى العيسائي

رَجَلٌ إذا ارتاح الأنامُ بجُودهِ ... تَعِبُوا من التعديد والإحصاء!

رجل إذا امتدت يداه لطالب ... ما قطُّ يومًا أُرجعت لوراءِ

جَرَت العطايا من يديه سَليقةً ... من غير تزييفٍ وغيرِ رياءِ

أحيا يديه بالمكارم والندى، ... يا للحياة تكون في الإفناءِ!

لم يكنز المال الكثير، وإنما ... كَنَزَ الدُّعاءِ في فَمِ الفقراءِ

ما نَفْعُ مالٍ زائلٍ إن لم يَكُنْ ... يبني لأُخراه عظيمَ بناءِ

وهذه الخاطرة الشعرية من كلمات د.عيدروس نصر ناصر نقيب[2]

هرمُ الخير الذي نعرفهُ ... ينشر الخيرَ بشتَّى الصُوَرِ

كان مخزون جمالٍ دائمٍ ... يغرس البرَّ كغرس الشَجَرِ

---

(1) انظر: معجم أعلام يافع، د.سالم عبدالرب السلفي، ط2، 2013م، ص330.

(2) صحيفة الأيام العدد 5294. 10 يناير 2008م.

كان نهـرًا دافقًـا منتـشرًا ... فائضًـا في الحقل طيب الثَمَرِ

قـد فقدنـا قمـرًا مبتسـمًا ... طيِّـب الذكـرِ جميـل الأَثَـرِ

غـير أَنَّـا مـا فقدنـا نبلـهُ ... وسـجاياهُ وحسـن النَظَـرِ

إنـه بـاقٍ هنـا مـا بيننـا ... عبقًـا يزكـو كعطـر الزَهَـرِ

يـزرع الآمـال في أنفسـنا ... يمسـح البؤسَ وحـزن البَشَرِ

يعـزف الحـبَّ لنـا أغنيـةً ... ويـداري سـهدنا في السَّـفَرِ

وهذه الأبيات من قصيدة رثاء للشاعر الشيخ محمد سالم الكهالي يقول فيها[1]:

رحل من الدنيا عمر قاسم رحل ... رحل من الدنيا كثير الخير والإحسان

يا سُعد مَنْ مثله تقدَّم بالعمل ... كم مِنْ مُعَوَّق ذي كفلهم ذلك الإنسان

كم من مدارس، كم مساجد، كم بذل ... وكم مريض أنقذ وكم منَّه شبع جيعان

وكـم طرق ذي شقها، ما شي بخل ... وكـم نفوس أنقذ وكم منّه كسي عريان

وكلية يافع شهادة لم تزل ... على نفقته عادها محسوب حتى الآن

لـو كان من يملك كما فعله فعل ... ما كان باقي باليمن بائس ولا عَطْشَان

وللشاعر الشعبي ثابت عوض اليهري قصيدة رثاء بعنوان(أبو الأيتام) جاء فيها[2]:

في حـزن بالـغ تلقينـا نبـأ فاجـع ... هـز الضمائر وجَفَّـت لـه رِيَـشْ لقلام

مـا أَهْوَلَـهْ مـن نبـأ أُبْهِـتْ لـه السـامع ... وَتَنَكَّسَـتْ له بيارق في السماء وأعلام

---

(1) « كلمات وفاء في رمز العطاء..الشيخ عمر قاسم العيسائي» ، إعداد: د.علي صالح الخلاقي، إصدار كلية التربية – يافع، جامعة عدن، 2008م.

(2) كـلمات وفـاء في رمز العطاء الشيخ عمر قاسم العيسائي، ص 49.

مفـادهُ أن والدنـا عُمـر وادع — دنيـا امتنحتـه ثمانـون وثـمان أعـوام
ألهمكـم الله جميعًـا يـا بنـي يافـع — بالصبر في موت والدكم أبو الأيتام
أبو المريض، أَبو البائس، أبو الجائع — وكل أعمال فيها خير له إسهام
شهمًا كريمًا لفعل الخير بيسارع — وإيتاء ذا القربى، بارًا في صلة لرحام
ولا لـه دون إرضـا الله مـن دافـع — لا يخشى في طاعة الله لائمة لـوَّام

ومن قصيدة رثاء من كلمات الشيخ عبدالرب قاسم العيسائي (أبو طه) نورد هذه الأبيات المختارة:

جاني خبر شهر واحد يومه التاسع — اهتز منه شعوري وقت مذياعه
دمع الأسى والحزن من مقلتي نابع — زفير لحزان بالوجدان نبَّاعه
شامخ جبل طاح مثل العُرّ في يافع — مُذهل خبر له جميع الناس ملتاعه
الأرض تبكي ومن نازل ومن طالع — فرقة عُمَرْ نار كُلّا حَسّ بأضلاعه
كريم يحمل كرم حاتم بطل شاجع — بصمات خيره شواهد شاهد إبداعه
كل المحاسن بها شيخ الكرم بارع — للخير سخَّر طموحاته وأطماعه
يا كم ويا كم بيدّه أطعم الجائع — اقسم قسم في حياته ناس ما جاعه
كلًّا جنا واقتطف من زرعه اليانع — ماظن واحد حُرم كُلًّا مَلا صَاعه
اسمك مخلَّد عمر قاسم أبو يافع — لا باع يافع ولا يافع عُمر باعه
في كل ميدان يذكر اسمه اللامع — من يعتزي به ينال السمع والطاعة
اسمه علم نور يضوي بالسماء السابع — وسيف بالصخر تسمع دَوْيَهْ أصقاعه
هذه تعازي أبو طه لكم جامع — حكم القضاء والقدر ما نقدر إرجاعه
لازال قلبي يراودني ومش قانع — إنه فرقنا وانا مَقْدَرت إقناعه

ونختم بأبيات من قصيدة (وداع الأبرار) للشاعر خالد القعيطي[1]:

«عُمَرُ» تـوارى بـين طيِّـاتِ الثـرى ... وإذا الأسـى بـادٍ بتغريـدِ الطيـور
تبكيـك «يافـع» والأسـى في جوفِهـا ... بمـرارةٍ لم تنطـوِ عنهـا الصـدور
يـا أيهـا الابـن الـذي أحببتهـا ... وصنعـت مجدًا بين صفحات الدهور
سـيظل مـا قدمـت فـوق سـفوحها ... وتظـل فيهـا ذلـك الليـث الهصـور
جسـدٌ تـوارى والمناقـب ترتقـي ... ومحبـة تبقـى عـلى مـر العصـور
هيهـات أن تنسـاك يافـع لحظـة ... فلقـد سـكنت بهـا إلى يـوم النشـور
سـتراك في نظـرات جيـل قـادم ... نَهَلُـوا عـلى أطرافهـا علـمًا ونـور
وتـراك حـين الفجـرُ يرسـل نـوره ... ومع الدُّجى والليـل يحتضـن البـدور
طوبـى لمـن بالخـير أسـعد أهلـه ... وبنـى عـلى الدنيـا المدارس والجسـور
ولقـد صنعـت مآثـرًا لا تنتهـي ... وسـطرت آيـات السـعادة والسـرور
وزرعـت في كل النفـوس مشـاعرًا ... قـد تعجز الأبيات عن وصف الشعور

الشيخ علي عبدالله العيسائي

(١٩٢١ - ٢٠١٦م)

توطئة:

اشتهر رعيل المهاجرين اليافعيين الأوائل في المهجر الهندي ثم في دول الخليج العربي بالالتحاق بالجندية والخدمة في المؤسسات العسكرية بدرجة رئيسة، وكان قلة منهم فقط من اتجه لممارسة التجارة أو التوكيلات التجارية. على عكس الحالة الراهنة للمهاجرين اليافعيين الذين يتجهون في غالبيتهم إلى النشاط التجاري والمال

(1) انظر: كلمات وفاء في رمز العطاء الشيخ عمر قاسم العيسائي، ص 57.

والأعمال حتى بلغوا الصين، فضلًا عن انتشارهم المعروف في دول الجزيرة والخليج وأمريكا وبريطانيا وغيرها من الدول التي لم يصلها الرعيل الأول.

وحين يُذكر أهم رجال المال والأعمال اليافعيين ممن حققوا مرتبة عالية ونجاحات كبيرة في المهجر في عصرنا الراهن، يبرز في المقدمة اسم العصاميين: الشيخ علي عبدالله العيسائي، والشيخ عمر قاسم العيسائي، (رحمهما الله)، إذ بدأ الاثنان مسيرتهما في عدن من الصفر وبدون رأس مال ولا تمويل، وبدون تعليم متخصص أو خبرة مسبقة، ومع ذلك شقَّا طريقهما حتى بلغا مرتبة رفيعة، وحققا العديد من النجاحات الهائلة في ميادين المال والأعمال التجارية والنشاطات الخيرية.

تخصص هذه الورقة للحديث عن أبرز ملامح سيرة الشيخ العصامي علي عبدالله العيسائي وتجربته، بما فيها من محطات مهمة ابتدأها في رحلة شاقة وصعبة بين يافع وحضرموت وعدن والسعودية، فبرز وتفوق وحالفه الحظ بتوفيق من الله تعالى، وأثمر نشاطه وتحقق أمله، حتى وصل إلى ما وصل إليه من مجد وسؤدد في عالم المال والأعمال وفي مجالات الخير والبر والإحسان، لتكون في متناول من أراد الوقوف أمام أسرار نجاحاته للاقتداء به واقتفاء أثره، والتعلم من مناقبه وخصاله النبيلة وحبه للخير والعطاء بسخاء في مجالاته المختلفة.

فمن منا لم يسمع باسم رجل الأعمال الفاضل والمحب للخير، الشيخ علي عبدالله العيسائي، رحمه الله، فقد برز اسم هذا الرجل العصامي وشاع، وملأ الأسماع، كواحد من نجوم عدن المضيئة في عالم المال والأعمال، منذ أن بدأ بها أولى خطوات نجاحه مطلع الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي، حين كانت عدن محطّ الآمال، وإليها يشد الرِّحَال، كل طامح في دنيا العلم أو المال والأعمال، في عصر ازدهارها كواحد من أهم الموانئ العالمية، وفي وقت واحد صعد نجمه في بلاد الحرمين الشريفين التي اكتسب جنسيتها واتخذها موطنًا، وحقق فيها نجاحات تجارية وصناعية، وحلق منها في فضاء أوسع بمشاريعه الاستثمارية شمل العديد من الدول العربية والعالمية.

وحري بنا أن نتعرف على سيرة هذا العصامي الفذ الذي عُرف ليس فقط بنجاحاته في مجالات المال والأعمال فحسب، وإنما في قيمه النبيلة وتواضعه وحبه للبر والإحسان وأعمال الخير التي ترك في ميادينها بصماته بهدوء في كثير من بقاع العالم، بعيدًا عن التظاهر أو ضجيج الإعلام، فقد كان رحمه الله يفضل العطاء بسخاء وبصمت، حتى إن شماله لا تعلم بما تنفق يمينه، وكان ملتزمًا ومتدينًا وصادقًا في علاقاته الاجتماعية، وهو ما يشهد به جميع من عرفه.

الميلاد والنشأة:

ولد الشيخ علي عبدالله العيسائي في9رمضان 1339هـ/ 17مايو1921م[1]في بلاد يافع الجبلية وفي منطقة العياسِئ بمكتب الموسطة بيافع في مسقط رأسه قرية (القَود) من آل الفلاحي، وطغى اسم العيسائي عليه مقترنًا بالنجاحات التي كانت عنوان حياته وعمله. كانت طفولته عادية مثل أترابه في بقية مناطق يافع في تلك الحقبة الزمنية، حيث لا مدارس سوى الكتاتيب (المعلامة) التي يلتحق فيها الأطفال لتعلم قراءة القرآن، وهو ما حصل عليه، ونشأ على القيم النبيلة التي يحرص الآباء على غرسها في نفوس أبنائهم، وكان لها أثرها في تكوين شخصيته منذ طفولته المبكرة. كان يساعد والده في زراعة الأرض التي تعد المصدر الرئيس لمعيشة الأسرة، لكنه مثل كثير من فتيان قريته ومنطقته أخذ يفكر بمغادرة مسقط رأسه بحثًا عن عمل، وكان في قرارة نفسه قد قرَّر ترك الزراعة ومغادرة القرية ضمن أسراب الطيور المهاجرة بحثًا عن عمل، وحاول أن يقنع والده برغبته تلك، لكن والده الشيخ عبدالله علي الفلاحي لم يوافق لسببين:

أولًا: أنه يرى أن ابنه ما زال صغيرًا ولم يشتد عوده بعد، ولهذا يخشى أن يتركه يواجه مصيره بعيدًا عن والده وأهله. وثانيًا: بحكم حاجته له لمساعدته في زراعة الأرض، فقد كان الاهتمام بحراثة الأرض وزراعتها عملًا جماعيًا يقوم به بدرجة رئيسة الذكور.

---

(1) ذكر الشيخ محمد عبدالحافظ بن شيهون، رحمه الله، أنه وجد تاريخ ميلاده مدون في المصحف المحفوظ لديهم بقرية (عرهل).

لكن هاجس الرحيل عن مسقط الرأس ظل مسيطرًا على مخيلة الفتى علي الذي ظل يحلم بتحقيق ذاته مثله مثل الكثيرين من أنداده من أبناء منطقته الذين غادروا قراهم إلى مهاجرهم بحثًا عن عمل يكسبون منه رزقهم لمساعدة أسرهم وبناء ذواتهم، حتى إنه قرر السفر برفقة أحد الأشخاص من أبناء المنطقة فحاول والده أن يثنيه عن ذلك، لكن ذلك الشخص أقنع والده بقوله: «يا عبدالله علي... هذا الولد بتزهمه (تستدعيه) حاجة من اثنتين، إما رزق ينتظره أو موت ينتظره، فوكِّل أمره إلى الله وخلّه يسافر». فاقتنع والده حينما سمع ذلك مفضلًا لابنه الرزق والحياة على الموت ووافق على الفور على سفره[1].

رحلته إلى حضرموت وخيبة الأمل:

بارك والده سفره داعيًا له بالتوفيق والسداد والسلامة، وأعطاه ما يكفيه من مال للانتقال والسفر إلى حضرموت التي اختارها والده وجهةً له، لوجود بعض الأهل هناك ممن سيكونون عونًا له. وسافر ضمن أسراب الطيور المهاجرة التي تغادر أعشاشها للبحث عن مصدر أفضل للرزق لها ولأسرها، وكانت رحلة شاقة قطعها الشاب الصغير بين يافع وحضرموت مشيًا على الأقدام مقفيًا أثر من سبقه، حتى وصل المكلا واستقبله جماعة من أبناء القرية من آل الفلاحي، يسمون أنفسهم هناك الموسطي، نسبة إلى قبيلة الموسطة، لأنهم عادة خارج يافع يكنَّوا بالفرع الأكبر. ومكث هناك مع أصحابه مدة محدودة يبحث عن عمل. ولأن الأعمال محدودة هناك فقد كانت العسكرة هي الخيار المفضل، بل إنها حلم الشباب والأمنية الأولى التي يتمناها الأهل لأبنائهم في تهاني المعاودة بالأعياد (عسكري.. وقاري.. وبتول.. ثم حريو إن كان في سن الزواج.. وأبو غلام إن كان متزوجًا.. وحاج إن كان كبير السن). ولأن طلبات الالتحاق بجيش السلطنة القعيطية كانت كثيرة تفوق ما لديه من مؤهلات، فقد وجد

---

(1) هذه المعلومات وغيرها عن مراحل حياته أخذتها من نجله الشيخ محمد علي عبدالله العيسائي (أبي بدر).

صعوبة في ذلك مما اضطره للبحث عن وسيط أخذ منه مبلغًا ماليًا كبيرًا مقابل ذلك، فتم له الالتحاق بالجيش.

لكن صادف في تلك الفترة الإصلاحات التي بدأ بها انجرامز، المستشار السياسي البريطاني في حضرموت (1934م - 1944م) في جيش السلطنة القعيطية، بتقليص عدد أفراده وبتسريح عدد كبير من الجنود، وقد أرسلت السلطات البريطانية في أبريل 1936م الكولونيل روبنسن قائد جيش الليوي إلى المكلا ليقوم بإسداء النصح في كيفية إعادة تنظيم جيش المكلا النظامي على أسس صحيحة وحديثة، ومن التوصيات التي قدمها: «تسريح الجنود غير الصالحين وغير المناسبين، وتجنيد أشخاص جدد، وزيادة المرتبات..الخ»[1]. ووفقًا لهذه الإصلاحات تم تسريح كبار السن وكذا الصغار ممن تقل أعمارهم عن 18عامًا أو قصار القامة، وكان من نصيب الجندي المستجد علي عبدالله العيسائي التسريح للسببين، الأول لصغر سنه حيث لم يبلغ حينها الثامنة عشرة، وثانيًا لقصر قامته ولم يكتب له البقاء في العسكرة لهذين السببين، وشعر حينها بخيبة أمل كبيرة بعد أن كاد الحظ أن يتبسم له، ولكن مباركة والده ودعواته لم ولن تخيب أمله، فربما ينتظره حظٌ أفضل لا يدري كنهه في قادم الأيام، ولعل ما حدث له في المكلا هو من حسن حظه الذي كان ينتظره في عدن ليتبسم له ويفتح له أبواب النجاح والتوفيق.. وهذا ما كان.

الاتجاه إلى عدن:

لم يكن له من خيار آخر بعد أن شمله قرار التصفية من جيش الدولة القعيطية الذي دخله للتو بواسطة وبرشوة كبيرة إلا أن يقرر السفر إلى عدن ليحقق فيها ما عجز عن تحقيقه في المكلا، وأصبح من المستحيل بالنسبة له أن يعود إلى مسقط رأسه خائبًا، خالي الوفاض.. وهكذا كانت وجهته عدن التي كانت حينها تستقطب المستثمرين

---

(1) انظر تطور المؤسسة العسكرية في حضرموت (1936 - 1944م)، تأليف: د.صادق عمر مكنون، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، ص16 - 19.

ومن يبحثون عن عمل لمكانتها المهمة كواحدة من أهم الموانئ في العالم والمركز التجاري الأهم على مستوى الجزيرة العربية وشرق أفريقيا.

كانت رحلته شاقة ومتعبة بين المكلا وعدن، بدأها مشيًا على الأقدام يطوي المسافات طيًا حتى أعياه التعب وأنهكته الحُمّى التي أصابت جسده النحيل حينها. وفي الطريق رآه صاحب سفينة ينقل البضائع والركاب وهو في حالته المرضية وقد أعياه المشي وأنهكه المرض فأشفق عليه، وكأن العناية الإلهية سخرته لإنقاذه، فسأله إلى أين تنوي المسير، وحينما علم منه أن وجهته عدن أركبه واهتم به وقدم له علاجًا خفف من مرضه حتى وصل عدن سالمًا غانمًا.

في عدن كانت وجهته أولًا إلى عند مانع بن مانع العيسائي وجلس مدة لديه، ثم انتقل لاحقًا إلى صالح بن شيهون والد عبدالمجيد (يرحمهما الله)، وعامله كولده وأعاره عناية كبيرة كواحد من أبنائه. بعدها أخذ يدُور في السوق بحثًا عن عمل، ولحسن حظه وجد بغيته لدى تاجر سوري اسمه زهدي كان شريكًا في تجارة الأقمشة مع بيت العقاد، فبدأ معه أولى خطواته في عالم التجارة عاملًا بسيطًا يبيع له القماش، وكان يعامله هذا التاجر السوري بلطف وكأنه والد ثانٍ له، وبعد أن جرّبه مدة في العمل أُعجب بنشاطه وأمانته، وأتاح له فرصة أن يدرس الحساب بدرجة رئيسة ويواصل تعليمه ويعمل في آن واحد حتى حقق نتائج طيبة باستثماره الوقت بصورة صحيحة ومفيدة سواء في دراسته أو في تصريف البضاعة، وحدث أن باع كميات كبيرة من العمائم وبمبلغ أكبر مما حدده له التاجر السوري، فزاد إعجابه به وأخذ يعتمد عليه بشكل كبير، ويوليه ثقته في كثير من الأمور، حتى بلغ الأمر أن قبَّضه الدكان تحت مسؤوليته الكاملة.

العمل في الحديدة:

حينما أصبح موضع ثقة التاجر السوري «زهدي» أرسله إلى الحديدة ليفتح فرعًا له هناك في عهد الإمام يحيى قبل الحرب العالمية الثانية، فكان عند حسن الظن ومستوى الثقة التي مُنحت له، حيث عمل هناك بجد وإخلاص وكأن المحل ملكٌ من أملاكه،

حتى برز اسمه واشتهر هناك بين التجار، وهذا الأمر أثار حسد بعضهم فحاولوا تشويه سمعته، لكنه كان كعادته يواجه الناس ممن يتكلمون عليه وجهًا لوجه ويوقفهم عند حدّهم بمصداقيته التي عهدها كل من تعامل معه، وارتبط مع كثيرين هناك بأحسن العلاقات التي زادتهم محبة له وتعاملوا معه في تجارتهم حينها وفيما بعد.

عدن والعمل التجاري المستقل:

في أثناء الحرب العالمية الثانية، وتحديدًا مطلع الأربعينيات عاد من الحديدة إلى عدن، وكان الشركاء الذي يعمل معهم قد فكوا شراكتهم وكل واحد منهم يريد أن يظل الشاب علي عبدالله العيسائي معه لما رأوا فيه من الإخلاص والأمانة. وفي هذا الموقف الذي وجد نفسه فيه بين أشخاص يكن لكل منهم الاحترام، ولا يريد أن يغضب أحدًا منهم، استشار العم صالح بن شيهون أبو عبدالمجيد الذي كان يراه بمرتبة الأب، فنصحه أن لا يقيد عمله مع أحد، وأن يتوكل على الله ويبدأ بعمل خاص به، وهذا ما كان.

في ذلك العام انتشر في يافع مرض الجدري المائي (الخامج)، وهو طفح جلدي على شكل بقع حمراء صغيرة بالجلد شديدة الحكة تتحول إلى حبيبات ومن ثم إلى حويصلات مائية، وهو مرضٌ معدٍ ومن يتعرض له تظل آثاره بادية على ملامحه، وحينما بلغه انتشار المرض في مسقط رأسه قرية (القود) وأن أكثر من نصف سكانها قد ماتوا بسبب هذا المرض، قرر زيارة أهله للاطمئنان عليهم، وحاول البعض من أصدقائه إثنائه عن ذلك خشية أن يصاب بالمرض ويفقد حياته، ولكنه قرر السفر، ووصل إلى مسقط رأسه واطمأنّ على صحة والده وأهله وقام بمساعدة المرضى، ولم يتعرض للعدوى، ثم عاد بعد ذلك شاكرًا حامدًا لله مشفوعًا بدعوة الوالدين بأن يوفقه الله ويفتح عليه أبواب الرزق.

وفور عودته إلى عدن مباشرة شرع بفتح أول محل تجاري (دكان) بمشاركه أحد أصحابه، ولكن البداية لم تكن موفقة مع شريكه لعدم ضبط الأمور، فتم إلغاء الشراكة.

ثم بدأ بعد ذلك عمله الخاص به، ففتح الله عليه باب الرزق، وحقق نجاحًا ملحوظًا في وقت قياسي، مستثمرًا علاقاته الطيبة والواسعة التي نسج خيوطها قبل ذلك مع كثيرين في المحيط التجاري، وكذا ثقة الناس به التي ازدادت رسوخًا بمرور الأيام. وسرعان ما أصبح اسم الشيخ علي عبدالله العيسائي من التجار الذين يُشار إليهم بالبنان في عدن، ودفعه هذا النجاح لاستقطاب الكثير من أصحابه ممن طلب مجيئهم من مسقط رأسه يافع، وتشارك معهم دون أن يدفعوا رأسمالًا مباشرة، بل كان يدفع عنهم على أن يتم سدادها من قبلهم بالتقسيط حينما تتيسر أحوالهم فيما بعد، وهذا سر احترامهم له جميعًا، ومن هؤلاء الشيخ عمر قاسم العيسائي وكذلك شقيقه حسين عبدالله علي العيسائي، كما استقطب من كان يتيمًا حينها وفقد والده مثل أحمد غالب العيسائي الذي زوجه ابنته، وكذلك محمد منصر العيسائي وهو الآخر زوجه ابنته، وتطورت تلك العلاقة الأسرية لتتشعب وتمتد إلى العلاقات التجارية الناجحة سواء في عدن أو فيما بعد بالسعودية، وأصبح لكل من أولئك مكانته في عالم التجارة والمال والأعمال.

في بداية عمله التجاري دخل في شراكات مع التجار المحليين في عدن، مثل عاشور والبطاطي..ثم فيما بعد تم الفصل، عقب ذلك دخل بشراكة ناجحة مع الشيخ عمر قاسم العيسائي، وكانت نجاحاتهما المشهودة في عدن وعصاميتهما اللامعة تتردد أصداؤها على الألسنة، فهي قصة نجاح باهر متصاعد من مجال إلى مجال، ومن حال إلى حال، ومن مال إلى مال. وظل بيت الشيخ علي الكبير في شارع الشيخ عبدالله مأوى ومقر عمل للكثير من الناس، وكذلك الزائرين والعابرين والمتطلعين إلى فضل هذا الرجل.

وحينما انتهى مع رفيق دربه الشيخ عمر قاسم العيسائي من بناء عماراتهم في شارع الشيخ عبدالله في كريتر - عدن هنأهم الشاعر شائف الخالدي بهذا الإنجاز وبما شيدوا من مصانع وورش ومحلات تجارية في قصيدة طويلة بعنوان «يهناكم العز»، جاء فيها[1]:

(1) انظر ديوانه (خالديات)، جمع وتحقيق وتقديم: د.علي صالح الخلاقي.

والآن عانـا بـرى الهاجـس دَحَـش ... طـاب السـمر يـا ذه الليلـه سـقاش
يهناكـم العـز وا كمّـن حنـش ... سـيتوا مصانـع وفكَّيتـوا وراش
مـن حبّـه الله لـه النعمـه فـرش ... صَرَبْ ولقَّـس مـن اطـراف الجـراش
واهـل الحسـد والنميمـه والحـرش ... مَـلَّا العمـى بـا يلاقـوا والطُـراش
بـا قـول مـا خـاف يَنكُـش مَـن نَكَـش ... تشـلّه الريـح مـن جيـز القشـاش
مـن ضـاق منـي يقـع راسـه مِطَـش ... والّا يبنِّـد علـي بـاب المعـاش
وا خالـدي عـاد لـك ليلـه تمـش ... خُـذ لـك مـن البـز نظـره والقمـاش
قـدِّم فطـورك وبالتـالي تعـش ... واسـمُر مـع ذي لهـم صـوره بشَـاش
هـم ذي يغـيروا علـى ذي بالحَـوَش ... علـي وعمريـن تربيـه الخنـاش
قـل يـا محبـين مـن جـور الونـش ... مـا عـاد باصيـح كـم مثلـي ونـاش
قـد يدخُـل الـبُر لا اتسَـيَّع نَخَـش ... تاليـه للسُّـوس يصبـح والقُـراش
مـن سـار مثلـي يـرى السـهله دهـش ... لكـن علـى الله مـن لـه عُمـر عـاش

كانت مكاتب الشيخ علي في الطابق الأرضي مع الموظفين الرئيسيين، وكان على رأس هؤلاء محمد علي الهندي، الخبير بالمراسلات والحسابات ومسك الدفاتر، وكان رحمه الله على جانب كبير من الخلق والبشاشة والإخلاص في العمل، وكان يساعد الشيخ علي أخوه حسين وكان بمثابة الدينامو، ويلتقط الجميع إشاراته كأنما بـ«الريموت كنترول»، وكانت «طاقات» القماش تتدفق من اليابان وعليها صور الحسناوات، والسوق متعطش لكل جديد، فلم تكن عدن آنذاك هي السوق وإنما بوابته امتدادًا إلى الداخل اليمني والجزيرة العربية وشرق أفريقيا، وذلك قبل مدة وجيزة من زمن «جرين ليف» ذلك القميص الأنيق الوثيق الذي ضرب الماركات الفاخرة برخصه وموثوقيته، فأصبح حديث المدينة، وكان الشيخ علي وكيله الحصري يصرفه من محلّه في «الميدان»، الذي كان مقرًّا قبل ذلك لشركة سورية مشتركة تضم في عضويتها الشيخين عمر وعلي واثنين من تجار سوريا، وكان للشيخ علي ناجي النقيب حصة صغيرة إضافة إلى عمله كمدير تنفيذي مسؤولًا عن المبيعات والقيود، وكان

الإنتاج السوري متفوقًا على الياباني في مجال النسيج بمراحل قبل أن تضربه صاعقة التأميم الناصرية فيصاب بعجز مزمن يعانيه حتى اليوم، وقد تخلف عن الزمن الذي لا ينتظر أحدًا، ولا أظن أن بيتًا في اليمن قد خلا من مبيعات تلك الشركة.. عقب ذلك دخل الشيخ علي بشراكة لم تنفصم مع الشيخ عمر في صناعة المشروبات «كندادراي»، وتجارة وإصلاح السيارات «الشركة العربية»، وغير ذلك من المجالات ينمو بعضها من بعض، حتى جرى القضاء عليها بضربة لازب بقرار التأميم الأعمى، الذي نقل الثقل الاقتصادي إلى عواصم أخرى كما هي سنن الله في الكون، وأفقر عدن بعد أن دخلت في نفق مظلم من الكساد والّا إنتاج[1].

اقتحامه المجال الصناعي:

بالتدريج تطورت مجالات عمل الشيخ علي التجارية، وخطى بعد ذلك خطوات متقدمة وطموحة باقتحامه المجال الصناعي، وكانت بدايته المشجعة في صناعة المشروبات الغازية (كندا دراي)، وقد كان أول رجل أعمال أدخل صناعتها في الشرق الأوسط. وهذا النجاح قوبل منذ البدء بمحاولات من آخرين لإعاقته ومحاولة الوصول إلى إفلاسه، لكن ذلك الموقف كان حافزًا له للإصرار على النجاح، ففرغ نفسه للعمل والمضي بثبات حتى حقق النجاح المرجو، وتمكن أن يغطي ما نسبته 70 ٪ من حاجة السوق المحلي وهو نجاح فاق توقعاته. وظلت ماركة كندا دراي وما زالت حتى اليوم مرتبطة باسم رجل المال والأعمال الشيخ علي عبدالله العيسائي، ولها حضورها القوي بمنتجاتها المتنوعة والجودة المشهود لها.

وبذل الكثير من الجهود في الصناعة والتجارة والإطارات، وكان دائمًا يتنقل ويبحث عن الشيء الجديد، وبدأ عام 1958م مع اليابان في وكالته لإطارات السيارات، ثم تبعها فيما بعد مع شركات في تايوان وفي الصين والهند. وهناك وكالات أخرى من الثمانينات، وما زال التعامل مع جميع هذه الشركات قائمًا حتى الآن.

(1) انظر: نجوم عدن.. علي عبدالله العيسائي، فضل النقيب (آفاق فضل النقيب 2005/ 3/ 7م)

المرحلة السعودية:

حل الشيخ علي عبدالله العيسائي، بجدة واستوطنها وحصل على جنسيتها منتصف أربعينات القرن الماضي، ثم اتخذها موطن إقامته الدائمة بعد إجراءات التأميم، وحقق هناك نجاحاته المتواصلة والانطلاق إلى آفاق أرحب عالميًّا.

ولا شك أن اختياره للسعودية بعد عدن، مع رفيق دربه الشيخ عمر قاسم العيسائي، كان نتاج رؤية مستقبلية نافذة لانتهاز فرص العمل الجديدة في المملكة العربية السعودية التي تميزت خلال تلك الحقبة بالنمو الاقتصادي السريع، مع الإبقاء على نشاطهما التجاري في عدن الذي ظل قائمًا حتى أصابته نكبة التأميم مطلع السبعينيات التي ألحقت ضربة قاصمة بالاستثمار والمستثمرين وحرفت أنظار التجار ورجال الأعمال إلى خارج عدن.

وفي السعودية اتسم نشاط الشيخ علي وعمله بالصدق والأمانة والثقة التي عُرف بها، وهو الأمر الذي دفع رجال الأعمال والصناعيين الآخرين للدخول معه في مجال الاستثمار في شراكات ناجحة غالبًا، ودفع ذلك أيضًا شركات عالمية أخرى أن تختاره وكيلًا لها في السوق السعودي. وتحتل المرحلة السعودية حيزًا في الحديث عن النجاحات المحققة والدرجة العالية الرفيعة في عالم المال والأعمال التي بلغها الشيخ علي. يقول نجله الأكبر محمد عن تلك المرحلة: «أنشأ الوالد في السعودية صناعة مرطبات كندا دراي في جدة (مصنع طريق مكة)، وكان هو أول من أدرج الكثير من العبوات الخاصة في صناعة المرطبات في ذلك الوقت، منها العلبة ذات القطعتين، وكان يستوردها من اليابان ومن بريطانيا. وكانت تجارة الأقمشة هي الشغل الرئيسي الذي بدأ به في السعودية، وفي ذات الوقت كان يركز على الصناعات والتجارة، حتى دخل في بعض الشراكات في السجاد العربي مع الشيخ عمر قاسم ومع البوجري ومع علي بقشان، وكذلك في العديد من الصناعات التي أُسِّست في السعودية منها مصنع الزجاج ومصنع المسْبَك والعديد من المصانع كان هو من المؤسسين فيها وكنت أنا

عضو مجلس الإدارة في أغلبها خلال مراحل التأسيس كاملة وحتى بدء تشغيلها، ثم استقلت منها لارتباطاتي العديدة، لكننا بقينا متمسكين فيها ولم يتنازل عنها الوالد لمدة طويلة، إلى أن تحولّت إلى شركة مساهمة عامة، وتم بيعها بالأسهم في ذلك التاريخ».

كان الشيخ علي عبدالله العيسائي (رحمه الله) من الشخصيات المتميزة والمحبوبة، ويتمتع بذكاء وعقلية اقتصادية أهلته إلى أن يكون خبيرًا اقتصاديًا وصاحب رؤية تنموية، وكان من الشخصيات التي لها دور وطني وإنساني كبير في خدمة المجتمع والتنمية، وحقق من موقعه في العمل الاقتصادي على مدى حياته نتائج دلت بوضوح على أنه أحد أهم رجال الاقتصاد والتنمية، ورجل محب للعطاء الخيري. وأسهمت مصانعه وشركاته في إحداث نقله نوعيه للتنمية الفاعلة للاقتصاد في الشقيقة (المملكة العربية السعودية) التي تعدّ الحاضنة لكل المستثمرين ورجال الأعمال، لاسيما من أبناء الجنوب الذين طالتهم إجراءات التأميم، فكانت «السعودية» بالنسبة لهم بلد الخير والأمن والأمان والموطن الحقيقي لهؤلاء الرجال[1].

وكانت ومازال مصانع وشركات الشيخ علي العيسائي تقوم أيضًا بدورها في الإسهامات التنموية والاقتصادية الناجحة وامتصاص الأيادي العاملة من خلال استيعابها للعديد من الشباب في العمل وقيامها بتدريب العمال وتأهيلهم وتحفيزهم ماديًا ومعنويًّا، وترقيتهم إلى مستوى الكوادر المنتجة من خلال التدريب والتأهيل.

حب عدن..بين التأميم والعودة مجددًا للاستثمار:

كانت عدن هي نقطة البدء لعمل الشيخ علي والانطلاق في الفضاء التجاري الرحب حينما كانت قبلة تتجه إليها أنظار الباحثين عن فرص النجاح في التجارة والاستثمار وغيرها من المجالات، حتى جاءت إجراءات التأميم المتطرفة من قبل النظام الحاكم في الجنوب مطلع السبعينيات بمصادرته الأملاك الخاصة، ونال الشيخ علي وصديقه

(1) الشيخ علي العيسائي: تميز في العمل التنموي والإنساني، فهد علي أحمد، عدن الغد، 1/ 5/ 2014م.

الشيخ عمر ما نالهما من مصادرة أملاكهما، بما فيها شركة المرطبات (كندا دراي) ووكالات السيارات في (كالتكس)، ومحلات تجارية أخرى. فانتقل كل نشاطه وعمله التجاري والصناعي إلى المملكة العربية السعودية، التي كان قد بدأ فيها جزءًا من عمله التجاري منذ وقت مبكر في الأربعينيات، وتوسع نشاطه التجاري تدريجيًا هناك مع النهضة الاقتصادية التي شهدتها المملكة العربية السعودية والتسهيلات التي منحتها للمستثمرين، وبرز بشكل خاص في تجارة الإطارات.

ورغم الظروف التي مر بها الشيخ علي في حياته الشخصية والتجارية في عدن، وما حدث له من تأميم لمصانعه آنذاك، فإنه لم يتحسَّر أو يندم على أية خسارة تعرض لها أو رد سلبي، ولم يغضب على أحد، وكان يعصمه عن ذلك إيمانه القوي بالقضاء والقدر خيره وشره، وأن كل شيء من الله، وهذا ما كان يريحه، وربنا أكرمه وعوّضه عمّا لحق به من خسائر جراء قرارات التأميم الجائرة، وأعطاه ما يريد وأكثر في التجارة والصناعة، ويسّر له أعمال الخير التي كانت مرافقة لكل نجاحاته، وبقي شامخًا لم تنل منه تلك العواصف، وبقوة إيمانه وثقته بالله انطلق إلى العمل التجاري في المملكة وفي العديد من البلدان الأخرى وحقق نجاحات لا يستهان بها في امتلاكه لوكالات أفضل العلامات التجارية العالمية، وستبقى بصماته التنموية والإنسانية يشهد لها التاريخ.

ومع كل ما تعرض له من مصادرة أملاكه في عدن التي أحبها وعشقها وبدأ فيها نجاحاته وعلاقاته التجارية؛ فإنه لم يفقد الأمل في تغيُّر الظروف إلى الأفضل، وكان يتحيِّن الفرصة وبشوق جامح للعودة إليها واستعادة أملاكه التي صُودرت قسرًا في لحظة حماس ثوري متطرف، وما ضاع حق وراءه مطالب، فعاد بعد تحقيق الوحدة، وعادت إليه بعض أملاكه المؤممة وأهمها مصنع كندا دراي، دون أن يخضع لابتزاز المتنفذين الجدد، وشرع على الفور بإعادة ترميمه وتجهيزه وتشغيله بطاقة إنتاجية جديدة ومتنوعة شملت صناعة المياه ومختلف أنواع المشروبات الغازية.

ولم يكتف بذلك بل جاء محملًا بالآمال العريضة، وجرى الاحتفاء بعودته عام 1992م في صنعاء بمنزل الأستاذ سالم صالح محمد عضو مجلس الرئاسة حينها،

ونظم الشاعر الكبير شائف محمد الخالدي أبياتًا ترحيبية بعودته لأول مرة منذ أن غادر عدن كرهًا بعد إجراءات التأميم، وحذر الخالدي فيها بحدسه من سوء الأوضاع التي بدأت تباشيرها خلال المرحلة الانتقالية التي سماها البعض «الانتقامية»، جاء فيها[1]:

حيَّا الله الليله وصول العيسائي	والوفد ذي لا جانبه حيَّا ألوف
شرَّفتوا الليله ربوع العاصمه	ذي شرَّفوها مثلكم شُمّ الأنوف
حيَّا لكم ثاني ومرَّه ثالثه	لا دار سالم ذي يرحب بالضيوف[1]
والشر كامن من يساره وأيمنه	لا ثار عكر القامزي بين الصفوف
ما رحِّب إلَّا بالجِمَال الكُوميه	ذي با تشل أحْمَالها فوق الكتوف
ما ضان مجلوبه تجي بأرخص ثمن	ماهل معي من جلدها رطلين صوف
حيَّا لكم يا ضيف وانتوا حيثكم	ما عاد با نشرح لكم أيش الظروف
قد بُو صلاح اختار حاجز بالوسط	غطَّى علينا ما بغانا با نشُوف
بل إنّما قد عادنا با نتفق	والجو قد عاده مُبَشِّر بالعِيُوف
وعاد رأسي ما صحى من ضاربه	مُشْ مقتنع بَهْدي لكم سته حروف

وبحكم هيام الشيخ علي بمسقط رأسه وبوطنه الأم وتعلق قلب به، قرر الاستثمار فيه من جديد، فبدأ بشركة أقامها تولت تشييد مصنعًا حديثًا وصديقًا للبيئة ينتج الإسمنت التي تزخر بمواده الخام جبال بلادنا، لانعاش المنطقة ودعمها. وفكَّر أيضًا للتوسع في إنشاء مصانع أخرى منها مصنع الورق، حيث والوطن بأمس الحاجة إلى هذا المنتج.

وهكذا أنشأ مصنع الإسمنت في ضواحي عدن أم القرى في جنوب الجزيرة، وتحديدًا في منطقة باتيس بمحافظة أبين، رغم تلقيه عروضًا مغرية من السودان ودول عربية عديدة إلَّا أن لسان حاله كان «الأقربون أولى بالمعروف». وبلغت تكلفته

---

(1) انظر: الزوامل الشعبية للشاعر شائف الخالدي، إعداد وتقديم: د.علي صالح الخلاقي.

(1) سالم صالح محمد (أبو صلاح)عضو مجلس الرئاسة حينها.

220 مليون دولار أمريكي، وبطاقة إنتاجه قدرها مليون طن في العام من أفضل أنواع الإسمنت (البوتلاند) والمقام 42,5، مما يعرفه المقاولون والمختصون، ووظف في أقسامه المختلفة المئات من المتخصصين والعاملين، وكان نجله الشيخ محمد علي عبدالله العيسائي المدير التنفيذي في خطابه في حفل الاحتفال مليئًا بالتفاؤل والأمل في المستقبل، وفي أن هذا المشروع سيكون إضافة خلاَّقة إلى مشاريع البنية الأساسية والاستراتيجية، ويسد جزءًا معتبرًا من حاجة السوق، موفرًا العملات الصعبة. وكان الشيخ علي عبدالله العيسائي الذي نهض بالمشروع لوحده ومن حر ماله متجنبًا الشراكة التي طالما جرّبها وأفسدت المشاريع المشتركة، لأنه في كثير من الأحيان يصح القول «إذا كثر الطباخون احترقت الطبخة»[1].

لكن ما لم تفسده كثرة الطباخين، فقد قامت به عصابات الفساد المستشري في البلاد ممن ترى في هذا الوطن ضيعة بيدها تجيّره لصالحها ومصالحها، فوضعت العراقيل والمعوقات التي تحبط الاستثمار وتحاربه، فما أن استكمل تشييد هذا الصرح العتيد في منطقة باتيس ودارت عجلات الإنتاج في هذا المصنع الحديث الذي يجب أن تفخر المحافظة وأبناء المنطقة بإقامته على أرضها لتوفير مادة الإسمنت العالمي الجودة، وبالمواصفات الأوربية، ويوفر مئات الوظائف؛ حتى تعرض لمكايدات وأعمال تربص تريد أن تحوِّله إلى خردة من الفولاذ، وتحرم أكثر من 1200 موظف وعامل من هذه المشروع ومن فرصة العمل والكسب. ومما كتبه الأستاذ فاروق المفلحي عن ذلك قوله: «هل تصدقون أنني كنت ضمن فريق العمل الخيري والتطوعي الطبي برعاية مصنع الإسمنت، وأننا حصلنا على تبرع عبارة عن منحة مالية كبيرة من لدن الشيخ علي عبد الله العيسائي أطال الله بعمره، لدعم الحملة الطبية، ويشهد الله أننا صرفناها لدعم الحملة الطبية وبكل أمانة، وأعدنا ما لم يصرف إلى الصندوق، وكانت الحملة الطبية، بعد أن تناهى إلى مسامع الشيخ العيسائي أن هناك انتشارا لمرض -

---

(1) انظر: وإنما رجل الدنيا وواحدها، فضل النقيب (آفاق فضل النقيب) 2007/ 5/ 1م

الجذم - في بعض قرى - محافظة أبين - فهب من فوره لدعم الحملة الطبية[1].

وكانت قريحة الشاعر فاروق المفلحي قد فاضت بأبيات رائعة أهداها كما جاء في تقديمه لها: «لشخصية يافعية ورجل أعمال عصامي، وهذه الأبيات المتواضعة لمن لا تفيه معلقات ولا مطولات، فهو سيرة تُتلى في التواضع والزهد والإحسان والشموخ والجد والمجالدة والنجاح. إن الشعر والمقالة والحديث عن الهامة الوطنية ورجل الأعمال المُحسن: الشيخ علي عبد الله العيسائي حفظه الله، وأطال بعمره لا يمكن له أن يبلغ ما في قلوب الناس عامة وأهل يافع خاصة من ود واحترام وإجلال لشخصه المتفرد الكريم المتواضع الزاهد، الذي قط ما أنصت للمديح ولا طرب للثناء»، وهذه أبيات الشاعر[2]:

يَا مَنْ حَملتَ مَعَ أسفارِكَ التَعبَ ... غالبته ويَحوزُ النَصرَ من غَلَبَ

مَضيتَ طفلًا إلى الدُنيا تُكافِحُها ... كَمْ أودَعَ الله فِيكَ الصَبر كَمْ وَهَبَ

يا أيُها - العِيسائيُ - مِنْ شَوامِخِها ... صَعدتَ لِلمَجدِ مِثلَ الحُر إذْ وثبَ

يا شِيخَنا كَم صُروحٍ أنتَ عَامِرُها ... فِي الأرضِ شامخة تُعانقُ الشُهبَ

وَكَمْ دَهتكَ عَواتِيها وكَمْ عَصفَتْ ... وطَّدتَ عزمك إنَّ الحُرَّ مَا اضْطَربَ

سَألتُ رَبي بأن يَحمِيِّكَ أنْتَ لنَا ... خَيرًا وَحُبُّنا للأخيارِ قَدْ وَجَبَ

مدرسة اقتصادية:

الشيخ علي عبدالله العيسائي - رجل الأعمال الكبير - قامة عملاقة من أولئك الذين يولدون وفي أيديهم مقاليد لصنع المعجزات، خصهم الله تعالى بها دونًا عن أناسٍ كثيرين يملؤون جنبات الحياة، وتنهض هممهم بتلك المواهب، فيؤدون حق الحياة على أكمل وجه. فقد بدأ حياته العملية في عدن من الصفر، حينما قدم إليها مطلع

(1) بتصرف من مقال الكاتب والشاعر فاروق المفلحي: مصنع الإسمنت في محافظة أبين والمكايدات،21 مايو، 2016 م

(2) نظمها الشاعر في مقر إقامته - برانتفورد. كندا في تاريخ 17 مارس 2015م

أربعينيات القرن الماضي، ولا رأسمال في جيبه سوى العزم والأمل بالنجاح، معتمدًا على الله وعلى قدراته الذاتية وما يتمتع به من ذهن فطن وبُعد نظر وحيوية متقدة، فهو كأبناء جيله حُرِمَ من التعليم، واكتفى بما كان حينها متاحًا من تعلم القراءة والكتابة في مسقط رأسه، لكنه تعلم في مدرسة الحياة وبرز وتفوق وحالفه الحظ بتوفيق من الله تعالى، فأثمر نشاطه وتحقق أمله، وتُوِّج جهده بالعشرات من الشركات والمصانع العابرة للقارات، حتى أصبح مدرسة مثلى في الاقتصاد ومكارم الأخلاق والتواضع يتعلم منها كل طامح في النجاح، من أولي العزم والهمم، وتتعلّم منها الأجيال في سعيها لتحقيق الآمال، لاسيما بعد تجربة سبعين عامًا من العمل الدائب والمثابر الحافل بالنجاح في عالم المال والأعمال وفي أعمال الخير.

ويشهد له من عرفه أنه رجل أعمال ناجح وإداري من طراز فريد، وصاحب نظر بعيد لا يضع ما يملك من البيض في سلة واحدة، لذلك فإن استثماراته المجزية تتوزع حول العالم، ورغم أنه لم يحظ بأي دراسة نظامية إلا أن عقله مثل (الحاسوب الذرّي) يسجل كل شاردة وواردة، ومن ذا الذي يستطيع أن يفلت من حسابه وتدقيقه، فإذا كان أساتذة الاقتصاد يأخذون رسائل الدكتوراه من جامعات معترف بها، فإنه من يمنح مثل تلك الشهادات. وكان بعض من يعملون معه من حملة الشهادات العليا كَمَن يبدأ من الصفر؛ لأن مدرسة الاقتصاد في الحياة العملية فيها من الرؤية والحدس وحسن المغامرة ودأب الاستكشاف للفرص، وفراسة قراءة الوجوه، ومعرفة النفوس ما يستعصي على كل تعليم في كتاب، أو شهادة في إهاب، وستون عامًا في عالم الأعمال من نجاح إلى نجاح أكبر هي جامعة في حد ذاتها[1].

من القليل أن نجد من رجال الأعمال من يختارون مصارف أموالهم في استثمار الإنسان وبنائه، ويعدّ الشيخ علي من هذه الشخصيات المتميزة بعمق في هذه الأعمال النوعية التي لها خطوط عريضة، وهو من الشخصيات المحبوبة، ويتمتع بذكاء وعقلية

---

(1) وإنما رجل الدنيا وواحدها، فضل النقيب.

اقتصادية أهلته أن يكون خبيرًا اقتصاديًا ورجلًا صاحب رؤية تنموية، ومن الشخصيات التي لها دور وطني وإنساني كبير في خدمة المجتمع والتنمية. وكان الشيخ «علي العيسائي» من موقعه في العمل الاقتصادي منذ سنوات طويلة حقق نتائج دلت بوضوح على أنه أحد أهم رجال الاقتصاد والتنمية، ورجل محب للعطاء الخيري [1].

صديق الكِتَاب وراعي العلم والإبداع:

لا شك أن الحديث يطول ويتشعب عن سيرة كفاح الشيخ علي عبدالله العيسائي، ونجاحاته التي لا تحصى، ومن المهم الحديث عن واحدٍ من أهم جوانب اهتماماته التي يجب الاقتداء بها، لاسيما في الاهتمام بالتعليم وفي دعم التاريخ والتراث وتدوينه وتوثيقه، لما لذلك من صلة بتكريمه لي قبل عامين مضت.

شخصيًا أعترف أنني، قبل تعرفي عليه عام 2009م، كنت أظنه مشغولًا بإدارة أملاكه ومتابعتها، التي لا تحصى من شركات ومؤسسات ومصانع موزعة في عشرات من البلدان العربية والأجنبية، وأنه منشغلًا بذلك العبء الثقيل، ولا يجد وقتًا يخصصه لممارسة أي هواية أخرى، كالقراءة مثلًا، ولا حتى مخالطة الناس، أو مقابلة الأصدقاء وغير ذلك.

ما دفعني لهذا الظن هو ما انطبع بذاكرتي عن بعض من أعرف من المنهمكين كل الوقت بجمع المال والانشغال بالأعمال، ممن لا يستسيغون القراءة ولهم قطيعة مطلقة مع الكتاب، بل وبينهم وبينه عداوة بيّنة، حتى إنهم لا يستأنسون لمن يقرأ كتابًا أو يتصفح جريدة في جلسات القات ونحوها، رغم أنهم لم يبلغوا بعد شأوًا عظيمًا في مجالات عملهم. لكن بعض الظن أثم، فقد كان ظني في غير محله بالنسبة لشخصية الشيخ علي، فقد كان خيط تعرفي عليه هو (الكتاب) حين استضافني لأول مرة في قصره المنيف بـ«تشاريفه» الطاعنة في السماء الذي شيده في قمة (جبل أَحرَم) المقابل لقمة

---

(1) فهد التركي، «الشيخ علي العيسائي» بصمات تنموية وإنسانية يشهد لها التاريخ، عدن، اوبزيرفر، 22 أغسطس 2017م.

(الحُقُب)، هذا الموقع الاستثنائي جغرافيًّا والمثير للذهول بصريًّا وبيئيًّا، بما يحيط به من ارتفاعات الجبال المجاورة ومساقط الوديان العميقة والمطل على هضبة يافع العليا الممتدة من المفلحي إلى لبعوس، كدليل على ارتباطه الحميم بمسقط رأسه، حيث قدمني إليه صديقي الودود الرائع أبو طه العيسائي، المغرم بالشعر والأدب والتراث، وحامل هم يافع والجنوب، رغم جنسيته السعودية، مثله مثل الشيخ علي، وكان قد أهداه بعض إصداراتي من قبل، وجئته أيضًا بنسخ منها إلى ذلك اللقاء، ورأيت بالغ سروره وهو يتصفح تلك الإصدارات المتعددة، يحتضنها بود وحب ويتصفحها باهتمام وفرح كبيرين، وكأنه يتنفس التاريخ ويتنسّم روح التراث.. وقد وجدته شغوفًا بالقراءة، ملمًا بجوانب التاريخ الخاص بيافع والجنوب، بل وأخذ يناقشني في مضمون ما كان قد قرأه من قبل أو خلال تلك الجلسات التي جمعتني به، ولم أستغرب منه ذلك، لاسيما حينما أسعفتني الذاكرة وعادت بي إلى ما قرأته عن اهتماماته ورعايته لتدوين التاريخ ودعمه للتأليف والنشر وتشجعيه للتعليم من خلال تبنيه منذ وقت مبكر لعدد من الدارسين ممن رأى فيهم علامات الذكاء والنجابة فأرسلهم للدراسة على نفقته الخاصة في ذلك الحين إلى مصر أو تشيكوسلوفاكيا، ومن أولئك نذكر الدكتور أحمد حسين الكبوس العيسائي الله يرحمه وآخرين.

كما كان وهو ما يزال في عز شبابه وبداية نجاحه وصعود نجمه، أول من اهتم بدعم كتابة تاريخ يافع، وسيظل يذكر التاريخ بأحرف من نور أنه صاحب السبق في دعم أول كتاب صدر عن يافع، وهو ما ينم عن اهتمامه المبكر في توثيق ونشر كنوز تراثنا وتاريخنا. فقد تحمل على عاتقة تكاليف رحلة المؤرخ صلاح البكري من مصر إلى عدن ومنها إلى يافع في زيارة تاريخية، مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، ما زال الناس من كبار السن يتذكرونها، وقد دون المؤرخ البكري انطباعات زيارته مع شذرات من تاريخ يافع في كتابه الموسوم (في شرق اليمن - يافع) وصدَّر مقدمته معترفًا بدعم الشيخ علي وكرمه وسخائه، قائلا: «إلى الفاضل العصامي الكريم السيد علي عبدالله

العيسائي الذي قام بأعظم قسط في إعداد الرحلة وفي طبع هذا الكتاب». كما يذكُر صلاح البكري، في متن كتابه أيضًا، أنه عند وصوله ومرافقيه إلى البيضاء في طريقهم إلى يافع قد ذهبوا إلى منزل الشيخ سالم حسين الرماح وقدموا له خطاب توصية من السيد علي عبدالله العيسائي، وقد أكرمهم كثيرًا وأصدر أمره بإعفائهم من الرسوم الجمركية بفضل تلك التوصية، كما يذكر المؤلف أنه خلال إقامته في عدن قد ظل نزيلًا في دار آل العيسائي الذين احتفوا به أكثر مما يحتفي الأخ بأخيه، كما سجل ذلك في كتابه.

ولأن الشيء بالشيء يُذكر، يحضرني هنا أيضًا ما قاله الكاتب الأديب فضل النقيب[1] نقلًا عن مدير المدرسة الأستاذ قاسم المصباحي حول زيارة العم علي لطُلاب مدرسة «قعطبة» التي احتضنت المئات من أبناء يافع خاصة ثم أبناء المناطق المجاورة الأخرى مثل الضالع والشعيب وحالمين والأزارق وبقية المناطق الشمالية المجاورة، وكان عددهم حينها حوالي أربعمئة طالب، فطلب من المدير تسجيل طلبات المدرسة، فاحتار لعظم الطلبات فقال له الشيخ علي: «اكتب أربعمئة بدلة، ألف دفتر، ألفا قلم.. إلخ». وما كان لأحد في ذلك الزمن أن يكرم بمثل هذا الكرم، وفوق ذلك خصّ المدير بكسوة نفيسة تبختر بها في زواجه كأنه سلطان زمانه.

كما كان للشيخ اهتمام بالأدب، ويذكر فضل النقيب أنه أنقده مائة جنيه في مصر، وهي ثروة في الستينيات من القرن الماضي عندما اندلق فنجان شاي على الطاولة التي كان يضيفهم إليها في بيت الشيخ عمر على النيل فقال له «وللأرض من كأس الكرام نصيب» فأعجبه ذلك أيما إعجاب واستنشده بقية القصيدة.

ومن خلال تجربتي الشخصية مع هذا الشيخ الفاضل يتوجب الاعتراف بفضله في دعم العديد من إصداراتي هو ورفيق دربه الراحل الشيخ عمر قاسم العيسائي، طيب الله ثراهما، ولولا دعمهما وآخرين، لما رأت العديد من إصداراتي النور، ولما حَظِيتُ بذلك التكريم الرائع الذي جرى لي مطلع عام 2014م في بلاد الحرمين بمنحي النسخة

---

(1) نجوم عدن.. علي عبدالله العيسائي (آفاق فضل النقيب)، 2005/ 3/ 7م.

الأولى من جائزة (أحمد عبدالحكيم السعدي) رحمه الله، للتفوق نظير ما قدمته من أعمال في التأليف والتدوين والترجمة..

وخلال رحلة التكريم تلك استضافني الشيخ علي في قصره العامر في (جدة) مرتين، واحتفى بي وسط الحضور أيّما احتفاء، وأقعدني عن يمينه وقرّبني إليه، وحثني على مواصلة الجهود في استخراج كنوز تراثنا وتاريخنا المجهول والمنسي، وما زال في عُنقي دَيْنٌ لهذا الرجل، للوفاء بما أوصاني به في ذلك اللقاء الخاص بحضور نجله الكريم (أبى بدر)، وأدعو الله أن يوفقني بإنجازه على خير ما يكون.

وفضلًا عن تلك الحفاوة البالغة فاجأني (العم علي) بتكريم كبير لم أكن أتوقعه، حيث منحني هدية ثمينة، هي سيارة صالون جديدة موديل ذلك العام 2014، مع كافة جماركها وموصلة إلى عدن، كل ذلك تقديرًا وتكريمًا منه للعلم والبحث والتأليف، ممثلة بجهودي العلمية والبحثية المتواضعة، التي لقيت إعجابه ونالت رضاه واستحسانه، وكانت سبب التعرف عليه عن قُرب، والجلوس معه أكثر من مرة، ومرافقته في مواقف إنسانية مؤثّره ومعبرة، تنّم عن تواضعه ونُبل أخلاقه وإحسانه ووفائه لأصدقائه القدماء[1].

شهادته في موقف الشيخ النقيب من الإنجليز:

ارتبط الشيخ الفاضل ورجل الأعمال علي عبدالله العيسائي بعلاقة حميمة بالشيخ أحمد أبي بكر النقيب، واستضافه عند نزوله الأخير في عدن، وأدلى بشهادته للتاريخ عن الشيخ الشهيد أحمد أبي بكر النقيب وقال: «إن الشيخ ظل طيلة تواجده في عدن لمدة ستة أشهر على مواقفه العدائية من الإنجليز، ولم يستجب لأيٍّ من شروطهم وكان حرًّا أبيًّا، ولولا توقف الدعم الذي كان يتلقاه من الحكم في صنعاء في عهد الإمام أحمد لما غير خطته، ومعروف أنه بعد علاجه من إصاباته في مستشفى صنعاء، انقطع

(1) الشيخ علي عبدالله العيسائي.. صديق الكتاب وراعي العلم والإبداع، د.علي صالح الخلاقي، عدن الغد، 23 / 01/ 2016م

عنه الدعم فاضطر لبيع سلاحه الشخصي، ثم نزل إلى عدن عن طريق يافع وكان ينزل ضيفًا عندي، وكان ضد بريطانيا قلبًا وقالبًا، وصحيح أنه حصل على بعض المبالغ غير المشروطة وعاد إلى يافع، ولكن الإنجليز كانوا يكنون له العداء، حتى إن والي عدن في كتاب له يعترف أنه قضى على النقيب ويصفه بالمتمرد»[1].

مَضْرِب المثل للتواضع والوفاء:

عُرف الشيخ علي، رحمه الله، بتواضعه الجم وبساطته التي لا تكلُّف فيها ولا تصنُّع، مقتديًا في حياته وسلوكه بقول الرسول الكريم «مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ». ومن تواضعه أنه كان مَضْرِب المثل في الوفاء في زمن قل فيه الوفاء لأقرب الأقرباء، ناهيك عن الزملاء والأصدقاء، لا سيما من قبل بعض من بسط الله عليهم بالرزق وحظوا بالثروة أو بمنصب أو جاه فنسوا أو تناسوا زملاءهم وأصدقاءهم القدامى الذين قاسموهم ذات يوم المر قبل الحلو.

أما الشيخ علي فكلما أدرّ الله الرزقَ عليه ازداد تواضعًا، وظل وفيًا لأصدقاء طفولته وشبابه. وكما نعلم أن كثيرين تسحرهم كلمة (الشيخ) ويتشبثون بها، وقد يغتاظون أو يمتعضون ممن لا يخاطبهم بها قبل ذكر اسمهم، أما الشيخ علي فكان الجميع يناديه أو يخاطبه بالصيغة المجردة بالغة الدلالة (العم علي)؛ توقيرًا واحترامًا له، وهي الصفة التي دَرَج على مخاطبته بها - كما علمت - كل من يعرفه أو يعمل في أي مصنع أو مؤسسة أو فرع من إمبراطوريته الاقتصادية الموزعة في عشرات البلدان، وهي تعكس أرفع مقامات التقدير والتبجيل لهذا الشيخ الجليل.

ومن صور الوفاء المبكرة التي نحتها الشيخ علي ويذكرها له التاريخ بأحرف من نور، التزامه بتعهداته التجارية حتى في الزمن الصعب، زمن الحرب الذي يلغي بسطوته كل الالتزامات والتعهدات، ونذكر هنا أنه نظرًا للكساد الذي أصاب التجارة في مقتل خلال

---

(1) د.علي صالح الخلاقي: الشيخ أحمد أبوبكر النقيب.. حياته واستشهاده في وثائق وأشعار، 2007م. ص 118 و119 و120 و120.

الحرب العالمية الثانية؛ فإن الكثير من تجار الأقمشة لم يلتزموا بطلباتهم وتعهداتهم مع الشركات اليابانية، وأثرت عليهم كثيرًا تلك الشركات اليابانية. أما الشيخ علي عبدالله العيسائي فقد أبدى للوسيط في المكتب الياباني (ماروبوني) التزامه بالعقد المبرم معهم، ولكنه طلب منهم عدم إحضار طلباته من المنتجات لكساد السوق المحلي؛ لكي لا يضطر لبيعها بأسعار متدنية ويخسر فيها، وتوفيرًا لخسارته فوضه أن يبيع تلك المنتجات في اليابان وأي فارق بالسعر، من سعر البيع عليه المنخفض عن الآخرين أصلًا أبدى استعداده لتحويله لحسابهم، وهذا ما تم، وكانوا في الحقيقة متعاونين من جانبهم وأعطوه سعرًا منخفضًا بنسبة كبيرة، وخلال أسبوع أفادوه بالمبلغ فحوله لهم من جانبه على الفور، وكتبوا عنه في الجرائد اليابانية كيف أن هذا التاجر التزم بالعقد خلافًا عن الآخرين[1]. وهذا الوفاء المترسّخ في سلوكياته وقناعاته هو ما أكسبه ثقة واحترام كل من تعامل معه من الأفراد والشركات.

وأذكر هنا بعض مواقفه الإنسانية المؤثّرة والمعبرة، التي كنت شاهدًا عليها خلال مرافقتي له في إحدى رحلاته إلى مسقط رأسه يافع بمعية صديقي الرجل النبيل (أبوطه العيسائي)..وهي الرحلة التي تلت تعرفي عليه واستضافته لي ليومين متتاليين في قصره الجديد المنيف، الذي شيده في قمة جبل (أَحرَم) كعربون محبة ووفاء لمسقط رأسه، يافع عام 2009م، وقد تعرفت خلالها أكثر وعن قرب على أصالة معدن هذا الشيخ الفاضل ونُبل أخلاقه وكرمه وإحسانه ووفائه لأصدقائه القدماء[2].

اعتدنا في مجتمعاتنا العربية أن يتردد الناس على أبواب كبار رجال المال والأعمال أو يؤم بيوتهم ممن يعرفهم من أصدقائهم القدماء أو زملاء العمل غالبا.. ناهيك عمّن يتودد أو يتقرب إليهم لأي سبب.. ومن النادر أن نسمع أن ذوي الشهرة من رجال

---

(1) هذه المعلومات حصلت عليها من نجله الشيخ محمد علي عبدالله، ووعد أن يبحث عن تلك الصحف اليابانية التي كتبت حينها عن موقف والده.

(2) (العم علي)..صور من مواقفه كإنسان،

المال والأعمال يتواضعون ويذهبون بأنفسهم إلى أصدقائهم القدماء، إلا فيما ندر.. والعم علي من ذلك الاستثناء النادر.

إن التواضع تاج المروءة وسُلّم الشَّرف وسمة العظماء، يستوي في ذلك العالم أو السياسي أو رجل الأعمال.. والشيخ علي عبدالله العيسائي أحدهم. فعلى الرغم مما بلغه من مكانة في عالم المال والأعمال ومن صيت طَنَّان رَنَّان، ناهيك عن كبر سنه، فإنه لم يتنكر لعلاقاته وصداقاته القديمة أو يتناسى زملاءه وأصدقائه، بل تجشم في تلك الرحلة وَعثاء السفر وعناء ومشقة السير في طُرق جبلية صعبة المرتقى للوصول بنفسه عن رضا وطيب خاطر إلى أترابه وأصدقائه القدماء ممن لم ينساهم، فعزم على زيارتهم إلى بيوتهم وتفقدهم بنفسه لمجرد السلام والاطمئنان عليهم، بدلًا من أن يأتوا إليه بأنفسهم.. وتلك قمة الوفاء والتواضع.

أتذكر كيف انسابت بنا سيارته من ساحة قصره المنيف نزولًا في طريق معبَّدٍ يتلوى كالأفعى في بطن جبل (أَحرَم)، وفي إحدى القرى المجاورة توقفت السيارة جانبًا ونزل بنفسه وسار مشيًا على الأقدام إلى منزل إحدى الأسر المحتاجة التي يشملها بإحسانه، دون أن يعرفوا أنه هو شخصيًا من يطرق عليهم الباب، ويغادر بهدوء دون أن يعرفوا من هو، تلاحقه دعواتهم له التي لهجت بها وبصوت مسموع ألسنة وقلوب من في ذلك الدار من النساء والأطفال، فتأثرت لهذا الموقف الإنساني وكبر في عيني هذا الشيخ النبيل، الذي يهشّ للخير ويبتهج وينشرح صدرُه فرحًا وسرورًا حين يساعد محتاجًا أو يبني مسجدًا أو مدرسة في أي مكان يحتاج لذلك.

كنت أظن أن وجهتنا إلى عدن مباشرة، لكن السيارة انحرفت بنا عن الطريق المعبد إلى طريق ترابي جانبي غير معبد باتجاه (نجد العياسئ) ثم نزولًا وصعودًا في طريق جبلية ضيقة وشاقة وصولًا إلى قرية (حُقبة) التي تربض في حضن جبل (الحُقب)، وهناك كان اللقاء الذي هزّ مشاعري وأحاسيسي، وجعلني أقف مذهولًا أمام عظمة تواضع هذا الإنسان الوفي.

أنه في زيارة وفاء لأحد أصدقاءه وزملاءه في مرحلة الشباب، ممن قاسمهم الحلو والمر في بداية حياتهم العملية، وعانوا معًا من شظف العيش وصعوبة الحياة، هو صديقه الشيخ صالح غالب السعدي، الذي التحق في شبابه بجيش (الليوي)، فيما اتجه الشيخ علي لممارسة التجارة، فأنعم الله عليه بالرزق والمال وعلا شأنه في عالم المال والأعمال، وظلت صداقتهما حية لم تبلوها الأيام.

أعرف الشيخ صالح غالب السعدي فهو أحد الشخصيات المرموقة في يافع، وقد جلست معه أكثر من مرة وأخذت عنه كثيرًا من معلومات أحداث ووقائع كتابي عن الشيخ الشهيد أحمد أبوبكر النقيب، لأنه كان في قلب الأحداث وصدارتها حينها، وهو شيخ مُسّنٌ ووقور بعُمْر العم علي تقريبًا، وقد لقي ربه مؤخرًا رحمه الله وغفر له.. كان اللقاء مؤثرًا والعناق حارًا، حتى كادت دموع الفرحة أن تنساب من أعين الشيخين الصديقين، وأكبرت للعم علي هذه الروح الإنسانية وكيف كابد وتحمّل صعوبة الطريق، بل وارتقى بمشقة طريقًا جبليًا مشيًا على الأقدام حتى الوصول إلى بيت صديقه الواقع في أعلى القرية.. ولكم كانت فرحة الشيخ صالح كبيرة بتلك الزيارة المفاجئة والسارة، وقابل صديقه بوجهٍ ضاحِك وفرح غامر ومتدفّق، كما تبيَّن من ملامح وقسمات وجهه البشوش. وقد حاول أن يستضيفنا فاعتذر له العم علي بحجة أننا على سفر، وكان الوداع حارًا أيضًا.

موقف مماثل آخر للوفاء مع الأصدقاء كان في لقاء صديق آخر، هو صديق مرحلة الشباب، الضابط القديم في جيش (الليوي) الشيخ عبدالله صالح الجحزري العَمري، حيث واصلنا الرحلة إلى هجر لبعوس – قرية آل عَمْر، حيث مسكنه.. توقفت بنا السيارة بجانب سور منزله، وذهبت لأطرق الباب وأشعره أن عليه الخروج لاستقبال صديق قديم ينتظره في الخارج، دون أن أقول له من هو لتكتمل فرحة المفاجأة، فرأيته يهبط الدرج ببطء وبصعوبة، فعدت إلى العم علي وقلت له: أنت أخف منه، وعليك الصعود إليه.. وعلى الفور أخذ العم علي يصعد دَرَجات السُّلَّم الخارجي المفضي

إلى باب المنزل، وهناك كان لقاءٌ وعناقٌ لا يشعر بحرارته إلا من كان شاهدًا عليه، وكادت أعينهما أن تغرورق بدموع الفرحة الطاغية عليهما.. وهو ما حفظته بعدسة كاميرتي، وقد أثارت تلك اللقطة انتباهي وشدّتني إلى معانيها الإنسانية الرفيعة، فاخترتها لتتصدر غلاف كتابي (الشائع من أمثال يافع) بطبعته الثالثة، كما لفتت ذائقة الفنان زكي يافعي فحولها إلى لوحة فنية بريشته المتميزة[1].

رجل البر والخير والإحسان:

كان الشيخ علي منذ شبابه المبكر وبداياته التجارية الناجحة محبًّا للخير، ويحرص على الإنفاق على المحتاجين ويقدم بسخاء في أوجه البر وأعمال الخير في كثير من أرجاء المعمورة، حيث كان وبحق من رجال الخير والبر والإحسان، ونجد بصماته في بناء المستشفيات والمدارس والمساجد ودعم الفقراء والمحتاجين والإنفاق بسخاء على تعليم الطلاب المتفوقين في الخارج في دراستهم الجامعية. ويذكر الناس له في يافع فزعته الكريمة حينما هددت الحكومة بأنها ستقطع التيار الكهربائي عن يافع في شهر رمضان 2006م بسبب متأخرات الفواتير، فقام بدفعها كاملة مشكورًا مأجورًا، ونال دعوات الناس الطيبة له في ذلك الشهر الفضيل.

وكان رحمه الله لا يحب التظاهر بأفعال الخير الكثيرة التي قام بها، ولا يتعامل مع الصحافة والصحفيين ولا يحب أسئلة الأرقام، لكن بصماته حاضرة في كثير من البلدان تتحدث عنه. عن ذلك كتب فضل النقيب يقول: «اشتقت إلى أخباره مرة وأنا في العراق فوجدتها في مجلة وهو يفتتح مصفاة للبترول في الإسكندرية، ومرة أخرى رأيت صورته في خيمة بجانب بيته المصادر في يافع، لأنه يأبى السكن في مئات البيوت المفتوحة أمامه بالحب والترحاب، لأن له بيتًا وذكريات لن يأخذها منه أحد، ولم أر في حياتي محاربًا في الحقوق مثله. أسأل عنه في صنعاء فيمنحني

(1) الشيخ علي عبدالله العيسائي.. مَضْرِب المثل بالوفاء، د.علي صالح الخلاقي، عدن تايم،17/ 09/ 2016م (بتصرف).

المانحون عنوان المستشفى اليمني الألماني، في تعز يحيلونني إلى الجامع الكبير الذي بناه، في عدن يقولون لي اسأل عنه في جامع البريقة، حيث تنتصب المآذن التي تشاهد من المنصورة، أذهب للسلام عليه في جدة قبل 4 سنوات فأجده قد اشترى أحد القصور السابقة يستقبل المحبين فيه بمناسبة عرس أحد أبنائه، ولتواضعه الجم تشعر أنه يقول لكل ضيف: «نحن الضيوف وأنت رب المنزل». أسأل عنه في بيروت السبعينات من القرن الماضي فيجيبني لبناني يحرس عمارة له في الحمراء: «هيدا شو يا عمي.. والله يعلّم اللبنانيين الشطارة». أراه في يافع وقد شرع في بناء بيت على ذروة جبل «الحقب/ أحرم » الذي يفكر النسر خمس مرات قبل أن يطير إلى هناك.. أسأل الشيخ محمد منصر العيسائي عنه فيقول لي: والله يعمل 18 ساعة في اليوم ثم يرتاح عندما يتعب على هواه. بالصدفة التقيته في مسجده بباب شريف في جدة وقد غبت عنه زهاء عشرين عامًا، تغيرت خلالها وزاد وزني ثلاثين كليو منذ آخر مرة شاهدته، ومع ذلك يقول لي فورًا: فضل علي، ثم يأخذني من يدي إلى الغداء كأنني فارقته منذ ساعة، يا لها من ذاكرة لا تنسى. في القاهرة، كان يأتي في الستينات ويحجز في هيلتون النيل، ولكنه ينام مع الطلاب في شقة أخيه محمد وتكون بيجامته جاهزة تحت البدلة، ثم تأتي المشويات والحلويات إلينا من كل حدب وصوب، ويا ليتك يا عم علي لا تفارقنا أبدًا، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه»[1].

وبالنسبة للعلاقات القبلية والاجتماعية كان مهتمًا إلى حد كبير بما يدور في المنطقة ويعيش همومها أولًا بأول طوال حياته في حله وترحاله، إلى جانب اهتمامه بالعائلة. وكان يعمل مع أهله في حل مشاكلهم دون ضجيج، فقد كان بطبعه كتمان ما يقوم به من أعمال وكانت كل أعماله سريه بشكل كبير، وهذا كان ديدنه طوال حياته، سواء في أعماله للصالح العام أو في أعماله الخيرية التي ظلت سرية وطي الكتمان، فقد كان رحمه الله لا يحب أن تعرف يسراه ما قدمت يمناه.

(1) فضل النقيب، نجوم عدن.. علي عبدالله العيسائي، (آفاق فضل النقيب 2005/ 3/ 7م.

يقول نجله الأكبر محمد أبو بدر: «حتى قبل وفاته طلبنا منه تفصيلًا في بعض الأمور التي كان ينفق عليها شخصيًا في أوجه الخير ومساعدة المحتاجين واليتامى والأرامل لمعرفة ذلك وتقييده في الحسابات من قبلنا، وكأنما تعجب لهذا الطلب وكان ردّه: مالك من هذه الأشياء لا تذكرها؛ لأن ما نقدمه هو لوجه الله تعالى ومرضاته ولا حساب على الله فيما نُقدمه لوجهه الكريم. وكان هذا سلوكه الذي اعتاد عليه، وحتى علمنا ونحن صغارًا حينما يخرج يوزع الصدقات فعلًا وأنت من أبنائه وبجانبه لا تلاحظ ذلك، وكان يتكتم عن الإعلان عن ذلك، وكان يخرج هو للأرياف بشكل رئيسي ويقول لغرض الرحلات (التمشية) كهدف معلن من قبله، لكن الهدف غير المعلن كان قيامه بتوزيع الصدقات أو الزكاة أو غيرها، رحمة الله تغشاه».

كان رحمه الله يشجع روح الآداب والأخلاق والصدقة في العديد من المواقف ويغرس ذلك في أبنائه الذين أحسن تنشئتهم. يضيف نجله الشيخ محمد: «كان يعلمنا ذلك بطريقة لم ندركها ونحن صغار إلا حينما كبرنا، حيث كان يأخذنا ونحن صغار إلى الأماكن القريبة من جدة، بحدود البحرة وحدة ما بين مكة وجدة، وأحيانًا إلى الهدى، وكان يتعمَّد عندما نوصل هناك أن يجمع الأطفال، وكان يحضر معه مبالغ فئة عشرة ريالات، وكانت حينها تعادل قيمة المائة ريال الآن وأكثر، وكان يقوم بتوزيعها عليهم، وإذا رأى احتياج بعض الأسر كان يعطيها مبالغ لا نعرف حجمها لكننا كنا نرى البهجة والسرور في وجوه أصحابها، وإذا رأى احتياجًا قهريًّا لأسرة معينة كان يتواصل معهم بين فترة وأخرى متعللًا بالتمشية معنا نحن الأطفال، ولكن جزاه الله خيرًا هذا أدركناه فيما بعد لما كبرنا وعرفنا فائدته، وإن شاء الله نتعود ليس بقدره وإنما بقدر مما تعود عليه.. بل إن أحد الأشخاص ممن كان يرافق الوالد في رحلاته رأيته مره يبكي حينها فسألته لماذا يبكي؟..فقال: شوف الشيخ والدك الله أكرمه وما بيقصر يصرف على الناس وكل شيء ونحن عندنا الدخل البسيط ما قدرنا نسوي مثله. فقلت له: إن شاء الله ما دام أنت معه بالرحلة يكسبك ربنا من الأجر مثلها، والحمد لله هذا ما حصل فعلًا

مع ذلك الشخص. وفيما قابلته وقال لي: الحمد لله فرج الله علينا ووفقنا الله بالتجارة العقارية. وكان سيدي الوالد يروح يشوف المحلات، وكان يزورهم بشكل رئيسي».

وكان الشيخ علي شخصية اجتماعية محبوبة، واتسم بأخلاقه الحسنة وعلاقاته الاجتماعية الواسعة البعيدة عن المصالح الخاصة، وله علاقات واسعة داخل الوطن وخارجة، نسج أواصرها منذ بدايات عمله التجاري الذي ربطه بتجار وزبائن وشخصيات عامة من مختلف المناطق.

وكان يحب الرحلات كثيرًا للتنفيس والتعرف على أماكن ومناطق سواء في اليمن أو في السعودية، ويعرف عن المناطق والقرى وأسماء القبائل وحدودها وغير ذلك، وحينما يلتقي بالصدفة بأبناء تلك المناطق ويتحدث معهم يندهشون لسعة معارفه وللتفاصيل التي يعرفها عن قراهم وقبائلهم.

مواقف لا تُنسى:

سيذكر التاريخ بأحرف من نور، تلك الفزعة وذلك الموقف النبيل للشيخ علي عبدالله العيسائي في عام 2011م حينما زار يافع وعدن حاملًا هم مسقط رأسه يافع وهمّ وطنه الجنوب العربي الذي أحبه، فسعى جاهدًا لمساعدة أهله وناسه في مواجهة الأوضاع الصعبة والمعقدة التي كانت تمر بها البلاد والعباد حينها جراء فراغ هيبة الدولة وشلل مؤسساتها، في مسعى منه للم الشمل وتوحيد الصف لمواجهة متطلبات المرحلة واستشراف المستقبل.

أراد أن يبدأ بمسقط راسه يافع التي حررت مطلع ذلك العام (جبل العر) من قوات الحرس الجمهوري حيث التقى مشايخ مكاتب يافع العشرة، كبداية لتوحيد الجهود على طريق لم مناطق الجنوب ولكن الخلاف السياسي كان طاغيًا على ذلك اللقاء الذي لم يثمر رغم جهود الشيخ وحرصه الشديد على إنجاحه واستعداده لمواجهة الأعباء المادية لقوات الأمن المحلية في يافع ثم محيطها المجاور لكي تقوم بدورها لحفظ السكينة الاجتماعية وضمان الأمن الداخلي واستقرار حياة المواطنين وطمأنينتهم في ظل الانفلات الأمني وغياب الدولة. وبعد لقاءات ومشاورات وبالرجوع إلى (وثيقة يافع) الموقعة

من جميع مشايخ يافع في 27مايو 1995م، جرى إعداد وثيقة (الرضا والمرتضى) لهذا الغرض وقُدمت لذلك الاجتماع الذي رعاه واحتضنه في بيته في عدن لمشايخ مكاتب يافع القبلية العشرة يوم الجمعة، تاريخ 11 شوال 1432هـ الموافق 9 سبتمبر 2011م، وللأسف لم يكتب لجهوده تلك النجاح، رغم إعطاء الحاضرين فرصة كافية للتشاور والاتفاق على القضايا الرئيسة، ومع كل ذلك باءت محاولته بالفشل بفعل الخلافات السياسية التي طغت على أجندت الحاضرين وولاءاتهم الموزعة والمتناقضة. ويكفيه فخرًا أنه عمل ما بوسعه من منطلق الحرص على إيجاد بدائل لمؤسسات السلطة التي سقطت في يافع بعد تحرير معسكر جبل العر، لتكون أنموذجًا في إدارة شؤونها في بقية المناطق التي يسيطر عليها الجنوبيون عبر مكونات حراكهم السلمي[1]

وهذا الموقف ليس بغريب ولا بجديد على الشيخ علي عبدالله العيسائي، فله موقف مماثل في مطلع خمسينات القرن الماضي حينما أنشأ بعض شباب يافع «جمعية شباب يافع «في عدن، ثم أقام جماعة آخرون من يافع بعدن أيضًا «نادي الاتحاد اليافعي،

---

(1) كنت حاضرًا وشاهدًا في هذا اللقاء بطلب من الشيخ علي وبحضور صديقي الشيخ عبدالرب قاسم العيسائي (أبوطه) الذي كان أكثر تحمسًا وسعيًا لإنجاحه، ثم عبر عن خيبة أمله جراء المواقف المتناقضة للحاضرين في هذه الأبيات التي أرسلها لي بالتلفون:

سلام مني للمكاتب لعشره	يا فخر يافع يا رموز القبيله
كلا يحاورني هنا من محوره	حسب العوائد والأصول الأوله
ماذا نخابر لو أتت واتخبره	يافع وقالت ويش رد المُرجَلَه
ناظر خبر عاجل يصل من مصدره	والا المثل ذي قال عاقل مشاله

وهذا تعقيبي على أبي طه بالتلفون:

حيا بمن يافع بقلبه يذكره	في حل أو ترحال ساكن داخله
من با تحاور يا فتى من لعشره	يا ريتهم مثلك يقيسوا المرحله
ماشي خبر للآن ذي با صَدِّرَه	ويومهم كنَّه سنه قد طوله
عاد العجينه بالوسط يا حدوره	عسى وما خاب الأمل ذي نأمله

وكل من الفريقين يريد إصلاح الذات ورفع مستوى قومهم إلى المكانة اللائقة بهم في المهجر وفي الوطن، ولقد سعى أناسٌ ومنهم السلطان عيدروس بن محسن العفيفي والسيد علي عبدالله العيسائي لجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم ولكن المساعي لسوء الحظ باءت بالفشل[1]..وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد فشلت أيضًا جهوده الأخيرة لتوحيد كلمة مشايخ يافع وذهبت مساعيه أدراج الرياح.

وحينما نكتب عن مناقب هذا الشيخ الفاضل، فإنما نكتب عن القيم الإنسانية النبيلة التي جسدها بسلوكه وزهده وتواضعه، على ما كان له من كعبٍ عالٍ في عالم المال والأعمال، ولهذا فالحديث عنه هو حديث عن مدرسة متميزة بالعمل والنجاح وحب الخير، جعله الله قدوة حسنة يتأسَّى بها أمثاله ممن بسط الله عليهم بالخير العميم، ومنارة ملهمة لنا ولأجيال من بعدنا.

وفاته:

توفي الشيخ علي يوم 15سبتمبر 2016م، بعد أن طوى 95عامًا من عمره. (رحمة الله تغشاه)، وقد وافته المنية في أحد مستشفيات العاصمة البريطانية لندن حيث كان يتلقى العلاج، ونقل جثمانه ووري الثرى اليوم التالي في إحدى مقابر مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية الشقيقة.

خلف تسعة من الأبناء الميامين الذين تربوا في مدرسته وسبع بنات، والأبناء هم: بدر (متوفي)، عبدالله، خالد، محمد، جمال، عادل، هاشم، عبدالعزيز، أمين. وستظل سيرته الحسنة ومناقبه النبيلة مجسدة في سلوك هؤلاء وأحفاده من بعده، الذين لن يكونوا إلا خير خلف لخير سلف، إن شاء الله.

ختامًا:

وحينما نكتب عن مناقب هذا الشيخ الفاضل، طيَّب الله ثراه، فإنما نكتب عن القيم الإنسانية النبيلة التي جسدها بسلوكه وزهده وتواضعه، على ما له من كعبٍ عالٍ في

---

(1) انظر: في شرق اليمن –يافع، صلاح البكري، تقديم وإخراج: د.علي صالح الخلاقي، طبعة جديدة، بدون تاريخ، ص153،152،151.

عالم المال والأعمال، ومن الصعب تناول سيرة شخصية عظيمة بحجم هذا الرجل أو تلخيص تجربته الغنية ونجاحاته الكبيرة والتتبع الدقيق لكل جوانب سيرته وكفاحه ومناقبه، منذ ميلاده حتى وفاته، بما فيها من محطات مهمة حتى وصل إلى ما وصل إليه من مجد وسؤدد، في حيزٍ كهذا، فمثله يحتاج إلى دراسة ضافية لتكون في متناول من أراد الوقوف أمام أسرار نجاحاته للاقتداء به واقتفاء أثره، والتعلم من مناقبه وخصاله النبيلة ومدرسته المتميزة بالعمل والنجاح وحب الخير، جعله الله قدوة حسنة يتأسَّى بها أمثاله ممن بسط الله عليهم بالخير العميم، ومنارة ملهمة لنا ولأجيال من بعدنا.

الشيخ قاسم عبدالرحمن الشرفي

توطئة:

حين تُذكر أسماء رجال الأعمال الجنوبيين في الخارج، أمثال بقشان، وبن محفوظ وعمر قاسم العيسائي وعلي عبدالله العيسائي وآخرين، فإن اسم رجل الأعمال قاسم عبد الرحمن الشرفي، يشِعُّ بين تلك الكوكبة من كبار رجال المال والأعمال، فهو اليوم من أهم رجال الأعمال في دولة الإمارات العربية المتحدة التي اكتسب جنسيتها منذ وقت مبكر، وأحبها وأخلص لها وأسهم في نهضتها بأعماله في المقاولات وفي الاستثمارات التجارية والصناعية وفي أعمال الخير، وذلك بفضل نجاحاته المتتابعه وحُسن بصيرته في كافة مجالات أعماله. وما يميزه كرجل عصامي أنه غادر موطنه دون أن يكون له سابق صلة بالتجارة أو المقاولات والمال والأعمال في موطنه الأم. وفي مهجره وموطنه الجديد دولة الإمارات العربية المتحدة بدأ عمله من الصفر، منذُ أن حط رحاله فيها في ستينيات القرن الماضي، ثم تمكن من صعود مجده مع بدء النهضة التي حمل مشعلها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – طيّب الله ثراه – مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة وباني نهضتها، فشق طريقه في مجال المقاولات العامة والصناعة بتؤدة وثبات مرتقيًا سُلَّم النجاح حتى أصبح من أشهر رجال المال والأعمال

في الإمارات، ويجري اسمه على كل لسان، ليس فقط بما بلغه من شأن في مجالات التجارة والمقاولات والصناعه، والزراعه والاستثمار، وإنما بتواضعه وبساطته كإنسان، وبحبه للخير والبر والإحسان.

الميلاد والنشأة:

ولد قاسم عبدالرحمن أحمد ناصر علي الشرفي الحضرمي اليافعي عام 1944م في قرية (الشرف) أو كما تُسمى (شرف عَوسان) وهو تحوير لـ (شرف أوسان)، ويقال أيضًا (شرف ابن عوسان)، نسبة إلى دولة (أوسان) القديمة التي كانت منطقة يافع ضمن مناطق نفوذها، وهي قرية أثرية موغلة في القدم، فريدة بحصانتها ومناعتها الطبيعية. تقع في مديرية الحد - يافع، وتنتمي قبليًا إلى مكتب الحضرمي أو الحضارم أحد مكاتب يافع العشرة. وقد شُيِّدت حصونها المنيفة على هاوية جبلية، تطل من جهاتها الثلاث على سيلة وادي حطيب الشهير بزراعة البُن اليافعي، ولها طريق واحد فقط من جهة الشمال يفصلها عن باقي القرية القديمة عبر خندق عميق كان المرور فيه بواسطة لوح خشبي متحرك، يُنتزع ليلًا، حين يخلد سكانها للنوم، وهذا ما جعل منها حصنًا منيعًا وآمنًا لساكنيها وفقًا لمقتضيات ومتطلبات الأمن والأمان التي كانت تفرضها طبيعة الأوضاع المحلية السائدة حتى ما قبل عام الاستقلال الوطني.

وتوجد في القرية القديمة، المشيدة على آكام جبلية نائفة، عدد من الخرائب الأثرية مثل «حصن المرخام» و»خربة العن» و«خربة الريد»، وبقايا السدود القديمة وخزانات المياه وعشرات من مدافن الحبوب المحفورة في صميم الصخر، فضلًا عن كتابات كثيرة بخط مسند دقيق وهي خطوط دقيقة محفورة على الصخر وقد انمحت تدريجيًا بسبب تعرضها للشمس والرياح والأمطار والأتربة، ولا يستبعد وجود آثار أخرى في هذه المنطقة. وقد أصبحت القرية الأثرية القديمة، مهجورة الآن، وحصونها المنيعة عرضة للانهيار، بعد أن توسعت المساكن الجديدة في المواقع المحيطة بها ونمت وتوسعت عدة أضعاف خلال العقود القليلة الماضية ضمن النهضة العمرانية.

وفي هذه القرية، التي رأت عيناه فيها النور نشأ وترعرع في مدارجها وتسلق جبالها ولعب ألعاب الطفولة التقليدية التي كان يزجي فيها مع أترابه من الأطفال أوقات فراغهم، وتتنوع تلك الألعاب بتنوع فصول العام، والتحق بالكُتّاب (المعلامة) التي يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة، وبدرجة رئيسة قراءة القرآن، فالتعليم الرسمي حينها كان منعدمًا في مناطق يافع الجبلية التي كانت تعيش في عزلة تامة، ولم تدخل إليها الطرقات والخدمات الطبية والتعليم إلا بعد الاستقلال الوطني عام 1967م. ومنذ طفولته كان والده يصطحبه معه في المواسم الزراعية ليساعده في أعمال حراثة وتقليب التربة أو في مواسم البذار والحصاد مع شقيقه الأكبر، كما هو حال أبناء قريته والمنطقة بشكل عام، لأن الزراعة كانت الحرفة الرئيسة التي يمتهنها الرجال. وقاسم هو واسطة العقد بين شقيقه الأكبر صالح، والأصغر عبدالرب، وله أختان أيضًا.

أبوظبي وبداياته الأولى:

نعرف شغف اليافعيين بالهجرة لمحدودية أراضيهم الصالحة للزراعة، التي تعد المصدر الرئيسي لمعيشتهم، قبل أن تدخل البضائع والمواد الاستهلاكية المستوردة، كما أن أية نجاحات يحققها المهاجرون من الأقرباء في مهاجرهم المختلفة هي عوامل محفزة لبقية الشباب ممن يتطلعون إلى الهجرة واقتفاء أثر من سبقهم والالتحاق بهم. ولم يكن قاسم الشرفي استثناءً، فقد تأثر بمحيطه الاجتماعي، الذي ينظر إلى المهاجرين بتقدير وإعجاب، لاسيما من يعودون وهم في حالة مادية ميسورة، تنعكس على تحسن وضع أسرهم وأقربائهم.

وفي مطلع الستينيات كان الشاب قاسم الشرفي يحلق ضمن أسراب الطيور المهاجرة الباحثة عن العمل والرزق الحلال لمساعدة الأسرة والأهل، أسوة بمن سبقه في رحلة الاغتراب، فوصل عدن التي بهرته من الوهلة الأولى، بكل ما فيها من تطور عمراني وتجاري وأسواق وحركة السيارات حينما كانت تعج بحيوية مينائها وصخب أسواقها المرتبطة بمكانة عدن في حركة تجارة الترانزيت حينذاك كواحد من أهم الموانئ العالمية. ومن عدن كانت وجهته ومحط رحلته (أبو ظبي).

كان على الشاب القادم من ريف منطقة يافع الجبلية إلى أبو ظبي دون تأهيل علمي أو مهني أو خبرة عملية أن يبدأ حياته العملية من الصفر، ويشق طريقه بنفسه في أي عمل يتناسب مع إمكانياته وقدراته، وكان استعداده النفسي كبيرًا للتكيف مع وضعه الجديد، فبدأ العمل سائقًا لدى إحدى الشركات على شاحنة نقل، وهي مهنة مرهقة تتطلب صبرًا وجَلَدًا وحركة لا تتوقف ذهابًا وإيابًا في أجواء مناخية تتقلب حسب المواسم بين الحر الشديد أو البرد القارس وغبار العمل، لكن حيوية الشباب وقوة تحمله جعلت منها مهنة محببة إليه، أكسبته الخبرة والمهارة ليس فقط في إجادة فن القيادة والتحلّي بالصبّر، بل حَفَّزته وقادته إلى التفكير لامتلاك شاحنة خاصة به كهدف أخذ يستحوذ على تلابيب عقله ويشغل تفكيره، لا سيما حينما رأى حجم ومقدار ما كان يحققه من دخل مُغرٍ يذهب لمالك الشاحنة من عائد عمله عليها، ثم ذهب تفكيره إلى أبعد من ذلك وهو أن يتوسع تدريجيًا حتى يملك في المستقبل شركته الخاصة به بعد أن تعرف بنباهته وفطنته وذكائه الفطري على أسرار وخفايا شركات المقاولات والنقل، ووجد فيها مجالًا يمكن أن يحقق فيها أحلامه. وكان يدرك منذ البدء أن الفكرة ليست الشيء الوحيد الذي يحتاجه لتحقيق النجاح، ولذلك قرنها - بعد التوكل على الله - بالعزيمة والمثابرة والإصرار لتحقيق هدفه مهما كانت الصعوبات والعوائق، وكان سر نجاحه هو ثباته على الهدف.

وبعصاميته وحُسْنِ بصيرته أخذ يشق طريقه باقتدار وتدرج في مراقي سُلَّم النجاح صعودًا من الأدنى إلى الأعلى بتأنٍّ وثبات وكان النجاح حليفه. فبعد أن امتلك أول شاحنة نقل بحَرِّ ماله الذي جمعه بجهده وعرقه، شعر أنه يسير في الطريق الصحيح نحو الهدف الذي رسمه وأن الحلم أصبح حقيقة، ثم فكّر بامتلاك شاحنة ثانية، وأصبح الأمر أيسر وأسهل له الآن، بعد أن تنامى دخله من مردود الشاحنة الأولى التي امتلكها، ومكنه ذلك أيضًا من أن يحول مبالغ أكثر لأهله في مسقط رأسه، وأن يعود إليهم في إجازاته بحالة ميسورة كثمرة لجهده وعمله وحُسن تدبيره.

شركته الأولى..مؤسسة الشرفي للنقل والمقاولات العامة:

بعد أن تمكن بالتدريج من امتلاك عدد من شاحنات النقل، وخبرةً في إدارة عمل المقاولات اكتسبها ونمَّاها بالممارسة العملية اقترب من تحقيق الهدف الذي وضعه أمام ناظريه وسعى إليه بإرادة قوية وبمحطات من الجهد والتعب والعمل المتواصل. وكما يقال فإن النجاح يجرُّ النجاح، كما يجرُّ المالُ المالَ، وتعود قصة نجاحه إلى عام 1969 حينما أقدم على تأسيس شركته الأولى «مؤسسة الشرفي للنقل والمقاولات العامة»، والتي كانت انطلاقتها من مدينة أبوظبي في المنطقة الصناعية في (المصفح)، وتعد الشركة الأم لمجموعة الشرفي. وتشمل نشاطاتها مجالات متنوعة ومتكاملة بما فيها النقل والمقاولات المدنية والإنشاءات الصناعية.

والجدير بالذكر أن وحدة النقل تضم أسطولًا من الشاحنات والروافع ومعدات نقل الأتربة. وتعد مجموعة الشرفي لاعبًا أساسيًا في قطاع الإنشاءات في دولة الإمارات العربية المتحدة، ويتم إدارة المجموعة من قبل السيد قاسم الشرفي، والذي يمتلك خبرة طويلة وارتباطات وثيقة في مجال الإنشاءات والصناعة والبنى التحتية في المنطقة. وبفضل طاقمها الملتزم المكون من 14500 موظفًا، اكتسبت مجموعة الشرفي سمعة ممتازة بتفوقها في إنجاز كافة مشاريعها. كما ترفع مجموعة الشرفي شعار الإبداع والالتزام والأمانة في العمل الجماعي مع التركيز الأكبر على مصلحة المستهلك.

الشركات الأخرى:

1. شركة المقاولين الخليجيين

تأسست عام 1988 في أبو ظبي وتعمل في مجال: البنية التحتية، الأعمال المدنية الثقيلة، الأبنية العالية (الأبراج)، الأعمال الميكانيكية والكهربائية، المشاريع الصناعية، وسائل الحماية، الزراعة وتنسيق المناظر الطبيعية.

2. شركة الاتحاد لصناعة الأنابيب

تأسست في عام 1999 كأول شركة في أبوظبي لصناعة الأنابيب البلاستيكية من

مادتي اببولي ايثلين والبولي بروبلين للأقطار من 16مم وحتى 3 أمتار، كما تنتج الوصلات والخزانات والألواح البلاستيكية والطبليات، وخلال 20 عامًا أصبحت من أكبر الشركات العالمية في هذا المجال، حيث تقوم بتوريد منتجاتها إلى أكثر من 40 دولة حول العالم بمختلف القارات مثل أمريكا وكندا وأسبانيا وألمانيا... إلخ، وقامت بتوسعة نشاطها الصناعي بعمل فروع للمصنع في الهند والسعودية وقريبًا في مصر.

وما يميّز شركة الإتحاد أنها تقوم بتنفيذ المشاريع الكبيرة بالكامل بدءً من الهندسة والتصاميم، ومرورًا بالتصنيع والتوريد، وانتهاءً بالتركيب وإنشاء المشاريع، حيث نفذت الشركة أعمال البنى التحتية في مشروع توسعة الكثير من المنشآت النفطية في الإمارات، بالإضافة إلى محطة الطاقة النووية في أبوظبي والعديد من المشاريع الاستراتيجية في مختلف الدول.

كما حصلت شركة الاتحاد على الكثير من الجوائز المحلية والعالمية بالذات في مجال الإبتكارات الحديثة وتقديم الحلول الجديدة، ومن أهم تلك الجوائز جائزة الامتياز في الابتكار من المنظمة الخليجية للبتروكيماويات والصناعات الكيميائية GPCA للأعوام 2012، 2014، 2016

3. شركة الخليج للأنفاق

تأسست في عام 1988وتعد إحدى الشركات الرائدة في مجال شق الأنفاق ذات القطر الصغير لمد الأنابيب في دولة الإمارات العربية المتحدة. وقد أثبتت الشركة نجاحها في التخطيط وإدارة مشاريع أنابيب الصرف الصحي المعقدة، حيث تستخدم تقنية شق الأنفاق ذات القطر الصغير التي تسهم في الإقلال من تحريك طبقات الأرض إلى الحد الأدنى.

4. شركة (إي إس سي) الشرفي للمقاولات العامة

تأسست عام 2008، وهي شراكة بين مجموعة شركات الشرفي وشركة إي إس سي، الشركة الرائدة في أعمال الدعائم المستعرضة. وقد جاءت هذه الشراكة بهدف

تقديم حلول متكاملة في مجال الدعائم المستعرضة في الإمارات العربية المتحدة وكافة أرجاء منطقة الخليج، وقد لاقت هذه الشركة نجاحًا سريعًا، إذ أخذت على عاتقها تنفيذ مشاريع خمسة موانئ رفيعة المستوى في دولة الإمارات العربية المتحدة. وتستمر قصة النجاح هذه بآخر مشروع وهو المبنى الثاني لمحطة بترول الفجيرة.

وأيضًا هناك العديد من الشركات الأخرى العاملة في مختلف النشاطات كالزراعة، والصناعات الأسمنتية، وخدمات التموين والسفريات.

وهكذا فإن رجل الأعمال قاسم الشرفي يقف منذ أكثر من خمسة عقود على تأسيس شركته الأولى كالطود الشامخ وراء العديد من المشاريع الحيوية المهمة التي أسهمت في النهضة المدهشة والتطور المتسارع الذي تشهده الإمارات العربية منذ عهد مؤسسها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وحتى الآن. وما زال نبع عطائه السخي متدفقًا، فقبل عامين أسهم كرجل أعمال إماراتي بدعم «صندوق الوطن»، بثلاثة مليون درهم إماراتي[1] ضمن دفعة جديدة من المساهمات تجاوزت مبلغ 20 مليون درهم، من شركات ورجال أعمال في الدولة الإماراتية، وتجسد هذه المساهمة مبادرته في توفير الدعم لصندوق الوطن لضمان استمرار مسيرته، كتفًا لكتف مع رجال الأعمال الإماراتيين في دعم مسيرة التنمية وبناء وطنهم الإمارات، وتمكين مواهبه وشبابه، عبر توفير الدعم اللازم لهم ورعايتهم، وتبني الأفكار والمشاريع الريادية والمبتكرة.

وفضلًا عن ذلك فإن للرجل قاسم الشرفي مشاريع عديدة خارج الإمارات مشاركًا أو مساهمًا أو داعمًا سواء في اليمن أو في غيرها، رغم ما تواجهه بعض تلك المشاريع من صعوبات في بعض الأحيان بسبب الروتين أو لأسباب أخرى.

إن سر نجاحه والمكانة الرفيعة التي بلغها في عالم المال والأعمال تكمن في شخصيته التي تتميز بذكاء فطري وإدراك وفِطْنة ونظر نافِذ إلى خفايا الأشياء، يضاف إليها حُبِّه لعمله وخبرته المتراكمة على مدى عقود من النجاح المتواصل، فضلًا عن

(1) صحيفة الاتحاد، في 9 أبريل 2017م.

حسن معشره ودماثة أخلاقه وكرمه، وشخصيته المنفتحة على الآخرين، وقدرته على كسب ود، بل وصداقة من يعمل معه أو يتعرف عليه.

صفاته وأعماله الاجتماعية والخيرية:

للشيخ قاسم الشرفي بصمات كثيرة في فعل الخير، عبر الأطر الرسمية والجهات الموثوقة المجربة والمتصفة بالنزاهة، سواء في دعم الأسر الفقيرة واليتامى وذوي الاحتياج بما في ذلك مجال دعم التعليم وإنشاء أو ترميم المدارس أو تغطية النقص من المدرسين بمعلمين متعاقدين على نفقته الخاصة، وكذا تحفيزه لأوائل الطلاب ورعايته لاحتفالات تخرجهم وتكريمهم وغير ذلك من أعمال الخير التي امتدت إلى خارج مسقط راسه يافع، ونذكر له هنا تبرعه السخي بمبلغ 20 مليون ريال يمني دعمًا لجهود إغاثة وإيواء المتضررين جراء كارثة سيول الأمطار الغزيرة في محافظتي حضرموت والمهرة عام 2008م، وغير ذلك الكثير. كما يشمل بدعمه عددًا من المشاريع الخيرية التي تلبي احتياجات المواطنين في مناطق مختلفة، وأسهم ويسهم في دعم وعلاج المرضى، والاهتمام برعاية الطلاب وتأهيلهم في المراحل المختلفة بما في ذلك التعليم الجامعي والتخصصي، وقد تخرج أكثر من 115طالبًا من أبناء مسقط رأسه فقط (الشَّرف) وأضعافهم من مناطق أخرى ممن شملهم بدعمه وباتوا اليوم يتبوّؤون إدارة شركات ومواقع مرموقة في داخل الوطن وخارجه، والبعض منهم استوعبهم ضمن مؤسساته وشركاته.

ويشهد له كل من عرفه أنه مخلصٌ وشهمٌ ومبادرٌ إلى كل خير، ويتميز بتواضعه وطيب سريرته ولا يحب التحدث عما يفعل أو يقدم في أوجه الخير، ويجد سعادته في إدخال السرور على الآخرين. ومن سجاياه المحمودة أنه لا يُقاطعك في أثناء الحديث بل يصيخ السّمع حتى تكمل حديثك، بعدها يتكلَّم معك كما لو أنَّه لم يسمع إلَّا أنت وحدك، ويُشعِرك صادقًا بأنه مهتمٌّ بك وحدك، وهكذا يقول معظم من هم حولَه، صفاتٌ قلَّما أن تجتمع في رجلٍ واحدٍ إلا أنها اجتمعت في شخصه على نُدرتِها، فلا يُعطي

عطاءً إلا وهو مُوقنٌ بالمقولة القائلة: «لا تُعطني سمكةً، بل علِّمني كيف أصطاد»، هكذا يتمثَّل عطاء الرَّجل بأبهى حُللِه، فهو كالمطر أينما حلَّ نفع، لا يعطي من أجل العطاء ذاته، بل يُعطي ليرى أن عطاءه قد أنبت أشجارًا باسقةً تحمل في أغصانها الثمر والطلع النضيد، يعمل الرَّجل بِخِفَّةٍ بالغةٍ لا يعلمُها كثيرٌ من النَّاس، حيث إنه رجلٌ لا يحبُّ الوقوف تحت الأضواء ولا المُجاهرة في العطاء؛ كي يُري الناس حُسن صنيعه، وكأنما قد وعى قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي ذكر فيه السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظِلّ إلا ظلّه: «... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه...»، والرَّجل عليه وقار لا يُنبئ إلا عن بساطةٍ جَمَّة.. جعل من زينته الصمت ومن ديدنه العمل، فهو - ولا شكَّ - رجلٌ عمليٌ بامتياز، إذ إنَّه لا يُحبُّ الكلام كحبِّه للفعل؛ وإلَّا لما أصبح الرَّجل في صيرورته التي هو كائنٌ عليها الآن. ويعدّ «أبومحمد» من أهم أعلام يافع التاريخ والحضارة، يافع الغنية بالعقول والمتثقفين والأدباء والسياسيين والشعراء ورجال الأعمال والمال[1]، وحينها حُقَّ لنا القول للرجل الطيب كما جاء في القرآن الكريم: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾[2].

شخصيًا كنت قد سمعت الكثير عن نجاحاته ونُبل أخلاقه وإنسانيته ويده الممدودة لفعل الخير، قبل أن أتعرف عليه بعد حرب صيف 94م في موسكو بمعية صديقي الدكتور أحمد محمد الصلاحي، رحمه الله، عميد معهد اللغات السابق في جامعة عدن، حينما كنا نواصل دراستنا الأكاديمية، وكان هو في رحلة عمل في طريقه إلى أوربا، عرفناه حينها حلو المعشر، خفيف الظل، بشوش الوجه، حريصًا على إسعاد من حوله. ولم ننسَ له حينها سؤاله عن أوضاع الطلاب الجنوبيين الذين انقطعت على بعضهم المنحة المالية من قبل نظام صنعاء بعد احتلال الجنوب فبادر مشكورًا بتقديم

(1) «قاسم الشَّرفي».. نجمُ يافعَ المُتلألِئ، فراس اليافعي، عدن تايم، الثلاثاء 16 يوليو 2013م.
(2) سورة الرحمن، الآية 60

مساعدة مالية طيبة لهم، وهذا ينم عن طيب معدنه وإحساسه بأوجاع ومعاناة أهله أينما كان في حله وترحاله.

وأثمرت علاقتي به فيما بعد عن دعمه وتشجيعه لجهودي المتواضعة في جمع وتدوين ونشر كنوز الموروث الثقافي والشعري، وأذكر له هنا، بكل امتنان، تبنيه لإصدار أعمال الشاعر الكبير يحيى محمد علوي الفردي، وقد صدر منها ديوانان، الأول «محاصيل القدر» عام 2003م، والثاني «النّبع المتفجر» عام 2008م، وديوان «شاعر يواجه أكثر من مائة شاعر» عام 2009م وكذا دعمه لصدور ديوان يحيى عمر اليافعي «شل العجب..شل الدان» بطبعاته الثلاث، آخرها صدر عام 2012م[1].

كما لا ننسى له رعايته الكريمة لإنجاح انعقاد الندوة العلمية المتميزة (ظاهرة الهجرة اليافعية عبر التاريخ) التي نظمها مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر يوم 24 سبتمبر 2019م.. نذكر هذا بدافع الوفاء والعرفان بالجميل لمعرفتنا أن شخصه الكريم بتواضعه الجم وسمو أخلاقه يزهد في التباهي أو التظاهر بما قدمت يداه...لكن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم علّمنا إِنَّهُ «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» ثم إن التأصيل للخير وأهله أمرٌ يُحفِّز ويدفع الكثيرين للاقتداء بهم ومجاراتهم في فعل الخير والإكثار منه وهذا فعلٌ حميد.

يصفه صديقه الأديب الشاعر فضل النقيب في قصيدة بعثها تحية له من بانكوك إلى أبو ظبي عام 2009 م، يقول فيها:

-أبا محمدٍ- من بانكوك أبعثها	تحية بخطوط الماس والذهب
من أرض (بوذا) التي تهمي سحائبها	تفيض بالخير من حب ومن عنب
«أبا الحضارم[1] قد أعليت منبرهم	ففي السعيدة وأبوظبي لم تغب

(1) نجم من (شرف أوسان).. القرية الأثرية الموغلة في القِدم، د. علي صالح الخلاقي، يافع نيوم 2013/ 6/ 3م

(1) نسبة إلى مكتب الحضارم، أحد مكاتب يافع العشرة، وينتمي إليه الشرف.

كالنجم أيا يكن راءٍ لِلمعته	يراه في الأفق من شرقٍ ومغترب
إذا ذكرناك في أرض مُباعدةٍ	لأرضنا فلأن الضّوء ذا شعب
يا قاسم العزّ دار العزّ سائرةٌ	من حيث سِرت على الأزمان والحقب
وآخر الشعر باقاتٌ معطرةٌ	للأهل والصّحب من ناءٍ ومقترب

صلته بمسقط رأسه:

رغم انتمائه إلى قوم، هم أصحاب مجدٍ وسؤدد في سرو حِميَر، يافع، ولهم تاريخهم الموغل في الحضارة، التي تُمثِّل آثار وحصون قريته (شرف ابن أوسان) أحد شواهدها الباقية؛ فإن (الشرفي) قاسم شُرِّف بهمَّته وقَدْرِهِ في نفسه، وليس لقديم آبائه وأجداده، وكأَّن لسان حاله قول الشاعر العربي:

لسنا وإن كرمت أوائلنا	يوما على الأحساب نتَّكِلُ
نبني كما كانت أوائلنا	تبني ونفعل مثل ما فعلوا

هكذا كان لسان حاله، وهو يشق طريقه في عالم المال والأعمال (واثق الخطوة يمشي ملكًا)..ورغم نجاحاته الكثيرة في الخارج، فإن أصالته وافتخاره بجذوره لم تنسه مسقط رأسه الذي يزوره بين فترة وأخرى، رغم انشغالاته الكثيرة. ومثلما شيد أجداده تلك الحصون المنيعة، فقد أبت نفسه الكريمة إلاَّ أن يبني مثلما بنوا، فشيد حصنًا جميلًا بالنمط المعماري اليافعي المميز، يشمخ بإباء بين حصون وقصور (الشرف) الجديدة، مثلما تشمخ في مناطق أخرى من يافع قصور آل الصلاحي وآل الطف وآل الحريبي وآل الصهيبي وآل العيسائي وآل عَمْر وآل القعيطي وغيرهم كثيرين ممن يستحقون أن نشيد بوعيهم وإدراكهم لأهمية الحفاظ على النمط المعماري اليافعي الأصيل بطابعه المميز الذي لا نظير له على مستوى العالم. وبمثل هذه القصور الضخمة يحق لنا أن نفخر وأن نحيي ونقدر أصحابها ممن حافظوا على العراقة والأصالة دون أن يتخلوا عن ركب التطور ومساره الذي لا يعرف التوقف والجمود..

وبالمقابل نشعر بالأسى والحسرة ونحن نشاهد غزو البنايات الخرسانية الغريبة الخالية من أية لمسات جمالية، بل إنها تشذّ وتتنافر مع محيطها البيئي وتبتعد عن أصولها سواء في المواد المستخدمة أو في الشكل الخارجي.. وهنا لا بد من نشر الوعي بأهمية الحفاظ على النمط المعماري المميز والعدول عن المعمار الدخيل، لأن في ذلك تأكيد للانتماء والهوية وتجسد للارتباط العاطفي بالبيئة المحلية.

ختامًا

نقول عن هذا الرجل العصامي، قول (النابغة) الشهير (نفس عصام سوَّدت عصاما)، مع شيء من التحوير ليكون (نَفْسُ قُسَام سَوّدتْ قُسَامًا).. وهو ما ينطبق على العصامي قاسم (قُسَام – للتفخيم باللهجة)...الذي بدأ عاملًا بسيطًا – سائق شاحنة – حتى أصبح اليوم من أبرز رجال الأعمال في الإمارات العربية المتحدة، وله بصماته الملموسة في نهضة الإمارات المدهشة، وفي كثير من مجالات الخير.. وقد أحسن الشاعر الكبير المرحوم شائف الخالدي، نابغة شعرائنا الشعبيين، في وصف «أبى محمد الشرفي» بقصيدة عصماء، أورد منها كمسك الختام هذه الأبيات المختارة منها:

مَعِي بُو محمد قاسم الشَّهم والأشم	صديق أعرفه والمجتمع يعرفه تمام
مكانه رفيع المستوى بأعلى القمم	هو الرأس والنبراس والقوس والسهام
ومَنْ قيل عنَّه معدن الجُوْد والكَرَمْ	قليلين مثله والقلائل هم الكرام
له الكل شاهد بالشهامه وبالشِّيَمْ	وله من يزكِّي انَّه الظَّهْر والسِّنام
إنَارَهْ لمُعْدَمْ عَاقُه السَّير عالقدم	ومصباح للسَوَّاح في أحلك الظلام
وخدمه لمصلحة الوطن جلّ من خَدَمْ	بَذَلْ كُلّ واجب في عنايه واهتمام
ونفخر بها له من مبادئ ومن قِيَمْ	وضعته ومن حقه بأعلى هرم إمَامْ

الهجرة أو الاغتراب المزدوج
دراسة سوسيوثقافية في سلبيات وإيجابيات الهجرة اليافعية

أ.د. قاسم المحبشي

تمهيد

تعد الهجرة من الظواهر الطبيعية التي تتصل بحياة الكائنات الحية، بوصفها حركة نقلة وانتقال من مكان إلى آخر، إذ تهاجر الطيور والحيوانات البحرية والبرية من مواطنها الأصلية إلى أماكن مختلفة لأسباب ودوافع عدة أيكولوجية تتصل بالمناخ والكوارث الطبيعية، الجدب والخصب والعواصف والفيضانات والزلازل والبراكين وغيرها. غير أن الهجرة بالنسبة للمجتمعات البشرية تكتسب - فضلًا عن ذلك - معاني ودلالات ما بعد طبيعية؛ اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية حقوقية وأخلاقية وسيكولوجية. إلخ. وهي لذلك تعد من الظواهر الاجتماعية الشديدة التركيب والتعقيد بما تنطوي عليه من بنية متعددة العناصر ولأنساق (فاعلون وأفعال ودوافع وعلاقات وقيم ومفاهيم؛ غربة، اغتراب ونزوح وهُوية واندماج وانتماء وذاكرة وحنين.إلخ).

ورغم أن الهجرة من الظواهر التي رافقت حياة الإنسان في كل زمان ومكان منذ أقدم العصور، إلا أنها لم تحظى بما تستحقه من البحث والدراسة المنهجية القادرة على الإحاطة بأبعادها وسبر أغوارها وفهم ثيماتها المتخفية، إذ قلما نجد دراسات وأبحاثًا تخصصية حاولت التصدي لمشكلة الهجرة ومقاربتها علميًّا إلا في العصر الحديث. وربما يعود ذلك في رأينا إلى سببين: الأول؛ هو النظر إلى الهجرة بوصفها ظاهرة طبيعية تتصل بعلم الجغرافيا وحركة السكان، فضلًا عن عدم تحولها إلى مشكلة اجتماعية وسياسية وثقافية عالمية كما باتت عليه الآن. والثاني: تُموضع مشكلة الهجرة على تخوم عدد واسع من العلوم (الجغرافيا، والديموغرافيا وعلم التاريخ والفلسفة

وعلم الاجتماع وعلم الأنثربولوجيا والسياسة والاقتصاد والحقوق والفلسفة وعلم النفس، واللسانيات والبيداغوجيا والدراسات الثقافية وغيرها). وعلى مدى السنوات الماضية آخذت ظاهرة الهجرة تستقطب اهتمام العديد من العلماء والدارسين من مختلف الدوائر الأكاديمية والثقافية والإعلامية والحقوقية، لاسيما بعد التحولات العميقة التي شهدها العالم المعاصر الذي أضحى بفضل العلم والتكنولوجيا وثورة المعلومات والاتصالات شديد التقارب والتداخل والتفاعل والارتباط، بعد انكماش الزمان والمكان وصيرورته قرية كونية صغيرة يتشارك سكانها كل حوادثها وأحداثها وأخبارها وخيراتها وشرورها لحظة بلحظة.

وظاهرة الهجرة في منطقة يافع من الظواهر الاجتماعية والثقافية المثيرة للاهتمام، إذ تعد يافع من المناطق الجنوبية العربية الشهير بهجرة سكانها عبر التاريخ وذلك لأسباب عدة منها: طبيعتها الجبلية الوعرة، وافتقارها إلى مقومات العيش الكافية للسكان الذي يبلغ تعدادهم قرابة نصف مليون نسمة. فعلى مر التاريخ هاجر اليافعيون هجرات داخلية وهجرات خارجية مطّردة، وكانت هجراتهم الداخلية إلى المدن والأقاليم اليمنية المجاورة في الجنوب والشمال، وهناك استقروا وصاروا جزءًا من النسيج الاجتماعي للمجتمعات التي هاجروا إليها، في عدن وأبين والضالع وحضرموت وصنعاء والمهرة وإب وتعز وذمار وفي كل مكان.

وعلى صعيد الهجرات الخارجية يمكن القول إن المهاجرين من يافع ينتشرون في كل بقاع الأرض، وربما يفوق عدد المهاجرين منهم اليوم عدد السكان المستقرين فوق قمم الجبال وبطون الوديان، فهي القبيلة التي لا تغيب عنها الشمس! كما يقال.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية موضوع دراستنا، بما ينطوي عليه من حيوية اجتماعية من جهة، ومن راهنية أبستمولوجية، وقيمة منهجية راهنة بوصفه محاولة لتسليط الضوء على ظاهرة الهجرة في منطقة يافع والإحاطة بأبعادها وسلبياتها وإيجابياتها المحتملة من زاوية

نظر سوسيولوجية ثقافية نقدية، وذلك في إطار الجهود العلمية لبحث ظاهرة الهجرة بوصفها مشكلة عالمية، فضلًا عن كونه يأتي في سياق الجهود البحثية العربية الشحيحة التي تتلمس طريقها لمقاربة مشكلة الهجرة بوصفها ظاهرة اجتماعية تستدعي المزيد من البحث والدراسات العلمية.

منهجية الدراسة:

سوف نقارب موضوعنا من منظور منهجي سوسيوثقافي تاريخي يستلهم أدوات المنهج التاريخ في تتبع الظاهرة ووصفها، ومحاولة فهمها بالاستفادة من منهجية الممارسة الانعكاسية التي تمكننا من إحداث قطيعة فكرية بين عواطفنا ومواقفنا، واتجاهاتنا وانتماءاتنا المهنية وتخصصاتنا الأكاديمية، ورؤيتنا لموضوع بحثنا الذي ليس له من هدف آخر غير معرفة الحقيقة المحتملة على الدوام. في ضوء المفاهيم المفتاحية (الهجرة، المهاجر، الاغتراب، الهوية، الاندماج).

فرضية الدراسة:

تنطلق فرضيتنا الرئيسة من الاعتقاد بأن الهجرة هي اغتراب مزدوج للمهاجرين من مواطنهم الأصلية، وأن للهجرة اليافعية أسبابها ودوافعها فضلًا عن آثارها السلبية الظاهرة والخفية، وإيجابياتها المتعينة القابلة للرؤية والقياس من منظور منهجية العلوم السوسيوثقافية.

فما هي الهجرة؟ ومن هو المهاجر؟ وما الفرق بين الهجرة الداخلية والخارجية؟ وما هي الدوافع والأسباب لهجرة الشباب؟ وما أوجه الشبه والاختلاف بين الهجرة والاغتراب؟ وما هي الآثار الاجتماعية والثقافية للهجرة اليافعية؟ وكيف يمكننا تقييم الآثار السلبية والإيجابية للهجرة اليافعية؟.

في سياق تلك الأسئلة وما يتصل بها سوف نقارب موضوع بحثنا الموسوم ب: (الهجرة أو الاغتراب المزدوج: دراسة سوسيوثقافية في ظاهرة الهجرة اليافعية).

محاور الدراسة:

- تحديد المفاهيم وتعريفها.
- ظاهرة الهجرة من منظور العلوم الاجتماعية.
- الهجرة اليافعية في السياق التاريخي.
- الآثار الإيجابية والسلبية للهجرة في يافع.
- خاتمة واستخلاصات.

الإطار المرجعي:

على مدى السنوات الماضية حظيت مشكلة الهجرة بالعالم عامة وفي الوطن العربي تحديدًا باهتمام مطّرد في مختلف الدوائر الأكاديمية والثقافية والإعلامية من عدد واسع من الباحثين والباحثات، وهذا ما أفضى إلى تراكم تراث زاخر من الدراسات والإصدارات المتنوعة يمكن الإشارة إلى بعضها: كوبات ونوفمان ونووتني، سوسيولوجيا الهجرات: من أجل نموذج تفسيري جديد. آلان كولون، مدرسة شيكاغو في سوسيولوجيا الهجرة، ترجمة مروان بطش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. وبول كولير، الهجرة كيف تؤثر في حياتنا، ترجمة مصطفى ناصر، عالم المعرفة الكويتية2016. عبدالمالك صياد، وكتاب، الغياب المزدوج: من أوهام المهاجر إلى معاناة المغترب، 1999. عبدالله بلعباس، ظاهرة الهجرة عند عبدالمالك صياد، من السياق التاريخي إلى النموذج السوسيولوجي. ونجاح سفر، سيكولوجية المهاجرين 2011. زوزو، عبد الحميد، (1989)، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919 - 1939، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب. وفيوليت داغر، إشكاليات وتحديات الهجرة، فرنسا أنموذجًا. عبد الرحمن المالكي، الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية، 2015. عبدالرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة،2016. سوسيولوجيا

الهجرات في الولايات المتحدة الأمريكية، محمد عبدالقادر بامطرف، الجامع في أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم. عبدالله الجعيدي، رحلات الحضارم إلى إندونيسيا. مسعود عمشوش، الحضارم بالأرخبيل الهندي. سميرة خميس، الآثار الديموغرافية والاجتماعية للهجرة الداخلية في الجمهورية اليمنية من منظور النوع الاجتماعي. عبدالله الناخبي، الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع 1999. نادر حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية 2015. حسن علي باسمير، السلطنة القعيطية في حضرموت2012. سعد عبد الرزاق الخرسان، الهجرة تعريفها وأنواعها ودوافعها. محمد جاسم عبد، أحكام الهجرة في الشريعة الإسلامية. وغير ذلك من الدراسات والأبحاث والمقالات المتصلة بموضوع الهجرة وتفرعاتها.

أولًا: تحديد المفاهيم وتعريفها:

تحديد المفاهيم وتعريفها هو الخطوة المنهجية الأولى في الدراسات الإنسانية والاجتماعية؛ ذلك كون مفاهيمها ملتبسة وغامضة على الدوام، لأن موضوعها ذاته متحرك ومتغير باستمرار، إذ إن المفاهيم لا توجد في فلك الأفكار ومدونات اللغات وحسب، بل هي كائنات تاريخية شديدة الارتباط بسياقاتها الاجتماعية والثقافية المشخصة، ولكل مفهوم مكان وزمان ولادة، وسياق نمو وتجربة وخبرة ممارسة، وعلاقات قوة، ونظام خطاب ومدونة لغة، وفضاء فكر وحساسية ثقافة، وحقل تأويل وشفرة معنى وأفق تلقي.. إلخ. وتعد المفاهيم المتصلة بسوسيوبوجيا الهجرة مفاهيم شديدة الالتباس والغموض، ومن ثم فإن الحاجة إلى إعادة تحديدها وتعريفها تزداد لكل من أراد إنجار رأي علمي فيها، وفي دراستنا هذه يتعين علينا فحص المفاهيم الآتية: (هجرة، هجرة داخلية وهجرة خارجية، نزوح، اغتراب، هوية، اندماج).

أ- مصطلح الهجرة:

لا يوجد تعريف قاطع مانع لمعنى الهجرة، إذ مازالت الكلمة يكتنفها الغموض والالتباس بسبب تقاطعها مع جملة من الكلمات المشابهة؛ كالاغتراب أو الغربة،

والنزوح، والتنقل، والسفر، والسياحة. وهذا ما أوضحه عالم الاجتماع الجزائري، عبدالمالك صياد، الذي حاول التمييز بين مصطلحين هما: émigration و immigration فالمصطلح الأول يمكن ترجمته إلى الهجرة، هو انتقال من البلد الأصلي نحو بلد آخر. أما المصطلح الثاني، والذي يمكن ترجمته إلى مصطلح الغُرْبة، يعني التواجد والعيش في البلد الـمُستقبِل. إذن فالهجرة حسب صياد تكون دائمًا من البلد الأصلي نحو بلد الاستقبال، وتكون غُرْبَةً في بلد مُسْتَقْبِل، فيكون المُنتَقِلُ مهاجرًا من بلده الأصلي ليصبح مُغْتَرِبًا في بلد مُسْتَقْبِلٍ له. (ينظر، عبدالله بلعياش، ظاهرة الهجرة عند عبد المالك صياد: من السياق التاريخي إلى النموذج السوسيولوجي،2017).

وكلمة الهجرة، في اللغة، تفيد معنى الترك والمغادرة. ويقال هجر الشيء إذا تركه. وفي لسان العرب لابن منظور: «أن الهجرة ضد الوصل»، وأنها أيضًا: «الخروج من أرض إلى أرض. قال الأزهري: «أصل المهاجرة عند العرب هي خروج البدوي من باديته إلى المدن». يقال هاجر الرجل إذا فعل ذلك. وكذلك كل مخل بمسكنه ومنتقل إلى قوم آخرين بسكناه، فقد هاجر قومه. وسُمِّي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشؤوا بها لله، ولحقوا لدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة. فكل من فارق بلدة من بدوي أو حضري أو سكن بلدًا آخر فهو مهاجر، والاسم منه الهجرة.

وتعدّ الهجرة أحد أشكال انتقال السكان من أرض تدعى المكان الأصلي أو مكان المغادرة إلى أخرى تدعى مكان الوصول أو المكان المقصود. ويتبع ذلك الانتقال، بطبيعة الحال، تبدل في مكان الإقامة. وعرفت الأمم المتحدة الهجرة القسرية بأنها: «حركة السكان التي يتوفر فيها عنصر الضغط والإجبار، بما في ذلك الخوف من الاضطهاد والخطر على الحياة والرزق سواء كانت بفعل البشر أو بفعل الطبيعة، مثل اللجوء بسبب الكوارث الطبيعية أو الكيميائية أو النووية أو بسبب المجاعة أو المشاريع التنموية». (وسن هادي فيحان، الأبعاد الاقتصادية للهجرة والنزوح، العراق

نموذجًا، المجلة الدولية للدراسات الاقتصادية، العدد السادس مايو 2019 المركز العربي الديمقراطي، برلين).

والهجرة هي أحد أشكال انتقال السكان من أرض تدعى المكان الأصلي أو مكان المغادرة إلى أخرى تدعى مكان الوصول أو المكان المقصود. ويتبع ذلك الانتقال، بطبيعة الحال، تبدل في مكان الإقامة. ويفرق الدارسون في موضوع الهجرة، بين الانتقال المؤقت والانتقال المستقر والانتقال النهائي، وذلك في ضوء الغيبة عن المكان الأصلي، أو مدة الإقامة في المكان المقصود أو المهاجر إليه. والهجرة كذلك ليست نقلة جسدية من موطن لآخر، وإنما هي أيضًا موقف عقلي، واتجاه ذهني، وتوجه نفسي من الشخص ذاته. كما أن قرار الهجرة هو قرار شخصي يعتمد في الأساس على الفرد ذاته الذي يرجع القرار إليه في الانتقال إلى المكان الذي يريد العيش فيه. ومن وجهة نظر التحليل النفسي تعد الهجرة تجربة صادمة، سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، وهي بمثابة المنفى الاختياري في بعض الحالات، والنفي الإجباري في حالات أخرى.

وتختلف معاني الكلمة في الاستخدامات المختلفة بسياقات شتى، من أنواع الهجرات وأهدافها، أذ هناك أنواع متعددة من الهجرات منها: الهجرات الداخلية الهجرات الخارجية، النزوح، الهجرات الجماعية الهجرات الفردية الهجرة بغرض العمل، الهجرة بغرض الإقامة، الهجرة بغرض الدراسة الهجرة بغرض السياحة...إلخ.

ب- مصطلح الغربة أو الاغتراب:

استُخدِم مصطلح «الاغتراب» على مر العصور بمعاني متنوعة ومتناقضة في بعض الأحيان. ففي التاريخ القديم يمكن أن يعني الإحساس الميتافيزيقي بتحقيق حالة أعلى من التأمل. وللكلمة استخدامات ومعاني متعددة، منها: الإغراب عن الذات والاغتراب عن العالم بمعنى عدم القدرة على التكيف، والاغتراب عن الوطن لاغتراب لغةً تعني النزوح عن الوطن، والزواج في غير الأقارب، ولهذه الكلمة معانٍ أخرى منها: النفسيّ،

والدينيّ، والاجتماعيّ، والحقوقيّ، والقانونيّ، ووفق هذه المعاني وتبعًا لمعايير أخرى اتخذ مفهوم الاغتراب عدّة أنماط اختلف الكتّاب في تصنيفها، وعلى وجه الخصوص كتّاب القرنين التاسع عشر والعشرين. فالاغتراب الاجتماعي هو حالة في العلاقات الاجتماعية تنعكس حسب درجة التفاعل أو التكامل الاجتماعي، والقيم، والأخلاق ودرجة المسافة أو العزلة الاجتماعية بين الأفراد، أو بين الفرد ومجموعة من الناس في مجتمع أو بيئة العمل.

ج - مصطلح النزوح:

النزوح هو ترك الشخص منطقته ليستقر في مكان آخر، وهو ذات الهجرة ولكن من منظور بلد المنشأ. وتسمى حركة الإنسان قبل إقامة الحدود السياسية أو داخل دولة واحدة (النزوح)، وعلى مر التاريخ، عاد عدد كبير من النازحين إلى ديارهم بعد أن كسبوا ما يكفيهم من المال في البلاد الأخرى.

د - مفهوم الهوية:

الهوية مفهوم شديد التعقيد والتركيب، إذ ما زال مُحاطًا بظلالٍ كثيفٍ وسوءِ فهمٍ شديد وذلك بسبب الطبيعة الشائكة للظاهرة التي يحاول وصفها، فضلًا عن الخلط في الاستعمالات المختلفة للكلمة التي أخذ الناس يطلقونها على أشياء كثيرة بما تنطوي عليه من عناصر وأنساق وأبعاد متشابكة ومتعددة الصيغ والمستويات والدلالات. وقد عبر كثير من الدارسين عن ذلك بطرائق وصيغ عديدة، فهذا جان فرانسو بيار يرى في كتابه (أوهام الهوية) «أنه ليس هناك من دواعي قلق معاصر إلا وتثيره قضية أوهام الهوية». (جان فرانسوا بايار، أوهام الهوية، حليم طوماس، (مترجم) (القاهرة: دار العالم الثالث 1998 ط1).

ويذهب أمين معلوف في كتابه (الهويات القاتلة) إلى «أن التصدي لمفهوم الهوية يتطلب كفاءة عالية، وجسارة فائقة، وحذر شديد، لما ينطوي عليه من طبيعة زائفة وخادعة، إذ إنه يشبه الأصدقاء المزيفين الذين يبدون، في ظاهر الأمر، أكثر شفافية

وبساطة، بينما هم في الواقع أكثر مكر وخيانة». (أمين معروف، الهويات القاتلة، نبيل محسن (مترجم) (دمشق: دار ورد للطباعة ط1999،1) ص413). وهذا ما سماه الفرنسي كلود دوبار «أزمة الهويات إذ بات مصطلح (هوية) نموذجًا للكلمة المنحوتة التي يعكس عليها كل منا معتقداته ومزاجاته ومواقفه» (كلود دوبار، أزمة الهويات، مجلة إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع7، (بيروت: الجمعية العربية لعلم الاجتماع، رئيس تحريرها، ساري حنفي، صيف 2009) ص36). بينما يذهب دنيس كوش إلى القول: «إذا كانت الهوية عسيرة على الوصف والتعريف فذلك بسبب خاصيتها الدينامية المتعددة الأبعاد، ومرونتها المفرطة بما يجعلها قابلة للتبدل وإعادة الصياغة بل وللتلاعب». (دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، منير السعيداني (مترجم) الطاهر لبيب (مراجع)، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007 ط1 ص55). وهذا ما حدا ببعض الكتاب إلى استعمال اصطلاح (استراتيجيات الهوية) بدلًا من اصطلاح (الهوية) بصيغتها المجردة. ويميز الفيلسوف الفرنسي بول ريكور بين معنيين للهوية: فـ (الهوية) بمعنى الشيء عينه (idem)، والهوية المطابقة (Sameness) بالإنجليزية بمعنى الهوية المتطابقة بإحكام، أو المتماثلة إلى حدِّ التطابق التام أو التشابه المطلق مع الذات في جميع الأزمنة وجميع الأحوال. أما عالم الاجتماع البريطاني انتوني جدنز فيذهب إلى أن الهوية Identity هي: «السمات المميزة لطابع الفرد أو الجماعة المتصلة بماهيتهم وبالمعاني ذات الدلالة العميقة لوجودهم». (انتوني جندز، علم الاجتماع، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية 2005 ط1 ص766). ويذهب مايك كرانج إلى القول: إنه «يمكن تحديد الهوية من نقيض ما نحن عليه بقدر ما يمكننا تحديدها من طريق من نحن... وكثيرًا ما تتدخل الجغرافيا هنا لأن الجماعات في صيغة (نحن ـ هم) هي في أحوال كثيرة محددة إقليميا». (ماكيل كرانغ، الجغرافيا الثقافية: أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية، مجلة عالم المعرفة الكويتية يوليو 2005). ولعل هذا

التعريف يستند إلى الفكرة الفلسفية التي مفادها (أن كل تعريف تحديد وكل تحديد سلب). ويرى روجيس دوبريه أن «هوية الجماعة هي أيديولوجيتها. وحيثما تختلج (نحن) فستكون (أيديولوجيا) وحينما يتعذر قول (نحن) لا تكون (أيديولوجية)... لأن ولادة إيديولوجية معناه ولادة جماعة». (روجيس دوبريه، نقد العقل السياسي، عفيف دمشقية، (مترجم)، (بيروت: دار الآداب، 1986ط1) ص 209) وتلك الصيغة هي التي وجدت رواجها في فكر ما بعد الحداثة الذي ينفي وجود هوية ذات مستقلة قبل وجود محمولها، فلا تتأسس هوية الذات إلا في علاقتها بالآخر وهكذا تتحدد المفاهيم بوساطة ما لا تكونه، بل إن الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي وصفها بـ«النقلة الحاسمة في إعادة تفسير العلاقة بين الذات والموضوع... لا يوجد أساس أو جوهر أو محل وراء الصفات أو المحمولات... بل توجد (الهويات) فقط كما يجري تمثيلها في شكل مادي ملموس».

نخلص مما تقدم إلى أن الهوية الاجتماعية هي بنية ثقافية تاريخية تمنح المنتمين إليها إحساسًا بالتماهي مع ذاتهم الجمعية (نحن) التي تميزهم عن الجماعات الأخرى، فضلًا عن كونها إيديولوجيا كلية تحدد نظرتهم إلى ذاتهم وإلى الآخرين وإلى التاريخ والحياة والعالم. وتعدّ الهوية الاجتماعية والثقافية للمهاجر اليوم من المواضيع التي يهتم بها الباحثون لما تشكل من تداعيات اجتماعية، ولانعكاساتها السلبية والإيجابية، على بنية المجتمعات، وتغيير سياساتها الاجتماعية والقانونية والاقتصادية.

ثانيًا: الهجرة من منظور العلوم الاجتماعية:

رغم أن الهجرة من الظواهر التي رافقت حياة الإنسان في كل زمان ومكان منذ أقدم العصور، إلا أنها لم تحظى بما تستحقه من البحث والدراسة المنهجية العلمية القادرة على الإحاطة بأبعادها وسبر أغوارها وفهم ثيماتها المتخفية. إذ قلما نجد دراسات وأبحاث تخصصية حاولت التصدي لمشكلة الهجرة ومقاربتها منهجيا إلا في العصر الحديث. وربما يعود ذلك في رأينا إلى سببين: الأول؛ هو النظر إلى الهجرة بوصفها

ظاهرة طبيعية تتصل بعلم الجغرافيا وحركة السكان، فضلًا عن تحولها إلى مشكلة اجتماعية وسياسية وثقافية عالمية، كما باتت عليه الآن. ثانيًا: تُموضع مشكلة الهجرة على تخوم عدد واسع من العلوم (الجغرافيا، والديموغرافيا، وعلم التاريخ، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم الأنثربولوجيا، والسياسة، والاقتصاد، والحقوق، وعلم النفس، واللسانيات، والبيداغوجيا، والدراسات الثقافية، والنقد الثقافي، وغيرها). وعلى مدى السنوات الماضية أخذت ظاهرة الهجرة تستقطب اهتمام العديد من العلماء والدارسين من مختلف الدوائر الأكاديمية والثقافية والإعلامية والحقوقية، لاسيما بعد التحولات العميقة التي شهدتها الحضارة الحديثة والمعاصرة في عالم الناس الراهن، الذي أضحى بفضل تكنولوجيا المواصلات وثورة المعلومات والاتصالات شديد التقارب والتداخل والتفاعل، بعد انكماش الزمان والمكان وصيرورة العالم قرية كونية صغيرة يتشارك سكانها كل حوادثها وأحداثها وأخبارها وخيراتها وشرورها لحظة بلحظة. لكن قبل الوقوف عتد المقاربات العلمية لمشكلة الهجرة يجدر بنا الإشارة إلى المراحل التاريخية للهجرات وأنواعها ومميزاتها. فمن الوجهة التاريخية العامة يمكن تتبع تاريخ الهجرة في ثلاث مراحل أساسية على النحو الآتي:

1 - مرحلة الهجرات الجماعية القديمة:

إذ تعد المجتمعات البشرية منذ فجر التاريخ مسرحًا دائمًا لتنقل السكان في ما بينها، وأقدم الهجرات البشرية خرجت من جنوبي غربي آسيا. وكان السبب الرئيس لحدوث تلك الحركات السكانية التي ساعدت على انتشار الجنس البشري يتمثل في التغيرات المناخية التي كان من نتيجتها تكرار فترات الجفاف، أو نقص الغذاء، أو طرد السكان من مناطق استقرارها بتأثير الجماعات الغازية. وما يميز الهجرات القديمة البدائية أنها لم تكن هجرات أفراد كما هو الحال في معظم الهجرات الحديثة، بل هجرات جماعية، تقوم بها جماعات كبيرة أو شعوب وقبائل بأكملها، بصرف النظر عن مستواها الحضاري أو المدة الزمنية التي عاشت فيها. وبذلك يمكننا أن نصنف، ضمن هذه

الهجرات البدائية تحركات جماعات الصيد والقنص، في العصور المبكرة من تاريخ الجنس البشري، ونزوح الجماعات التي تعيش على الزراعة المتنقلة والتي تضطر إلى تغيير مكان إقامتها كل عدة سنوات، بعد أن يتم استنزاف خصوبة الأرض، فتنتقل إلى مناطق جديدة، وهجرة القبائل الجرمانية بين القرنين الرابع والسادس من منطقة بحر البلطيق جنوبًا بحثًا عن الأراضي الزراعية، وهجرات بعض القبائل العربية الشهيرة التي اتجهت نحو شمال إفريقيا وغيرها. والصفة العامة لتلك الهجرات تكمن في كونها ضمت أعدادًا كبيرة من البشر غيروا موطنهم الأصلي نتيجة الظروف والقوى القاهرة. سواء كانت هذه القوى طبيعية أم بشرية.

2 - مرحلة الهجرات الجماعية الحديثة:

تمتد منذ الكشوفات الجغرافية والاستعمار واكتشاف القارة الأمريكية في القرن الرابع عشر الميلادي حتى القرن الثامن عشر، خلال هذه المرحلة شهد العالم أكبر حركة للهجرة والتهجير القسري من أوروبا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتهجير أو قتل سكانها الأصليين من الهنود الحمر. إذ توجه في بداية القرن التاسع عشر ما يقارب 57 مليون مهاجر إلى القارة الأمريكية، منهم زهاء ثلاثين مليونًا توجهوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، تلتها ثاني أكبر هجرة في مدة قصيرة وهي ما بين 1881 و1890، ضمت ما يقارب خمسة ملايين مهاجر. وفي المدة ما بين 1901 و1910، هاجر زهاء تسعة ملايين مهاجر، وكان ما يدنو85 ٪ من هؤلاء قد قدموا من أوروبا. وقد جاءت هذه الهجرات الجماعية نتيجة للفرص الاقتصادية الهائلة في القارة الجديدة، كما شهد العالم في تلك المرحلة حركة التوسع الاستعماري الأوروبي في معظم قارات العالم الستة بفضل الثورة الصناعية التي عمت أوروبا في تلك المرحلة، والتغيرات التكنولوجية، التي أفرزتها هذه الثورة، والتي ساعدت، بشكل فعال، على تقريب المسافات، بسبب تقدم المواصلات، وقد حدثت هذه التغيرات، ولكن في وقت مبكر في كل من بريطانيا ودول غرب أوروبا. ثم عمت تلك الظاهرة سائر أنحاء

العالم، لاسيما في القرن العشرين. وفي العالم العربي تعد دول الخليج العربي أنموذجًا للهجرات الدولية في العصر الحديث، إذ أصبحت محطة الأنظار من قبل المهاجرين، بعد اكتشاف النفط. ولم تقتصر هذه الهجرة على مصدر واحد إنما جاءت من مصادر كبيرة العدد وصلت إلى أكثر من 150 جنسية. وبما أن العمل هو الدافع الرئيس لهذه الهجرة، فقد تفوقت العمالة الوافدة على العمالة الوطنية، إلى أن وصلت هذه الأخيرة، في بعض دول الخليج إلى أقل من 10 ٪، وشكلت في الكويت عام 1985 ما يقارب 22 ٪ من مجموع القوى العاملة فيها، وفي قطر يفوق عدد المهاجرين فيها ثلاث مرات عدد المواطنين الأصليين.

3 – مرحلة الهجرات الفردية المعاصرة:

كتب عالم الاجتماع البريطاني أنطوني غدنز قائلًا: «ليست الهجرة ظاهرة جديدة، غير أنها أخذت بالتسارع المتزايد في العقود الأخيرة لتصبح جزءًا لا يتجزأ من عملية التكامل العالمي. وأصبحت أنماط الهجرة تعبّر عن التغيرات التي طرأت على العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين دول العالم». (غدنز، أنطوني. (2005)، علم الاجتماع، ترجمة، فايز الصباغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية). وتشير بعض التقديرات إلى أن المهاجرين في مختلف أنحاء المعمورة عام 1990 بلغوا نحو ثمانين مليون شخصًا يشملون نحو عشرين مليونًا من اللاجئين. ويُعتقد أن هذه الأعداد ستتزايد في أوائل القرن الحادي والعشرين، بل إن بعض علماء الاجتماع يُطلقون على أيامنا هذه (عصر الهجرة). (عبدالله بالعباس، ظاهرة الهجرة عند عبد المالك صياد: من السياق التاريخي إلى النموذج السوسيولوجي، 2017).

تتميز الهجرات المعاصرة بطابعها الفردي، بعكس الهجرات الجماعية، حيث هجرة أفراد متفردين قريبًا أو بعيدًا من مسكنهم الأصلي، أو هجرة أسرية حيث يصطحب المهاجر أسرته للمهجر حيث يقرر الاستقرار. وتُصنّف الهجرة من حيث النوع إلى نوعين: الأولى عمودية، حيث يسعى المهاجر لتحسين ظروف عيشه مع

اختصاصه بمجال تخصصه في مجال العمل، وهجرة أفقية، حيث يقصد بها تغير مكان الإقامة مع الاحتفاظ بالعمل نفسه. وتُصنّف الهجرة حسب المدة الزمنية التي تستقر فيها إلى: هجرة نهائية أو دائمة، وأخرى مؤقتة. في الواقع ثمة مداخل معرفية منهجية متعددة تطورت في السنوات الماضية في بحث مشكلة الهجرة ودراسة مداراتها المتشعبة منها: المدخل السوسيولوجي أي علم اجتماع الهجرة، ومؤسسه عالم الاجتماع البريطاني جورج رفنستاين، أول من حاول القيام بتحليل علمي للمعطيات الإحصائية المتعلقة بالهجرات، انطلاقًا من حالة إنجلترا. وانتهى في أبحاثه سنة 1885 إلى صياغة مجموعة من النماذج عدَّها آنذاك (قوانين) مفسرة لظاهرة الهجرات. وأهم ما جاء به هو مجموعة من المفاهيم التي لازالت تؤثر اليوم في السوسولوجيا لاسيما مفهوم (الجذب) و (الطرد)، أما باقي الأفكار والآراء الأخرى فلم يعد لها اليوم سوى قيمتها التاريخية التي لا تنكر. (بول كولبير، الهجرة كيف تؤثر في حياتنا، ترجمة مصطفى ناصر، عالم المعرفة الكويتية 2016).

وتعدُّ الولايات المتحدة الأمريكية بلد الهجرة الوافدة بامتياز؛ إذ أغلب سكانه من المهاجرين «حيث إن الاختلافات الاثنية والثقافية والعرقية بين المهاجرين/ المواطنين أفرزت مجموعة من المشاكل والأزمات والاختلال في البنية الاجتماعية، وبناء على ذلك ظهرت مجموعة من الدراسات التي تناولت الموضوع بشكل سوسيولوجي، أهمها الدراسة التي قام بها وليام طوماس وفلوريان زنانيكي رائدا مدرسة شيكاغو من خلال دراسة أعدّاها بعنوان: (الفلاح البولوني المهاجر)، هذا الكتاب حسب قول جون ميشيل برطلو هو «شهادة ميلاد السوسيولوجية الأمريكية الحديثة»، وهو بحث ميداني مكون من خمسة أجزاء يضم وضعية نمط العيش للبولونيين في كل من موطنهم الأصل، وبعد ذلك هجرتهم إلى أمريكا، ويرصد أنماط التفاعل وعلاقاتهم مع باقي المهاجرين القادمين من دول أخرى، ومدى قدرة هؤلاء المهاجرين البولونيين على الاندماج والانصهار، وما هي القيم والمعايير الاجتماعية ومظاهر سوء التنظيم

الاجتماعي وإعادة التنظيم. وقد اعتمد وليام طوماس وزنانيكي في دراستهما لهذه المواضيع على مقاربة تلبي الحاجة لدراسة هذا الواقع، وذلك من خلال منهجين هما: تقنية دراسة الحالة التي تعتمد على المنهج البيوغرافي، وتقنية تحليل المضمون والمعطيات المجمعة، وكانت عبارة عن وثائق ورسائل شخصية متبادلة بين المهاجرين البولونيين وذويهم في الوطن الأم. كما تم الاعتماد على وثائق أخرى، ومنه مقالات الجرائد ولوائح الانتساب لجمعيات المهاجرين، وتقارير من المحاكم، ومراكز الشرطة. أما التقنية الأخرى التي تم الاعتماد عليها فهي السيرورة الذاتية أي البيوغرافيا، فشكلت ما يقارب من ألف وثيقة. شكلت بداية لسوسيولوجيا أمبريقية طبقت المنهج الكيفي وجانبًا مفاهيميًا ونظريًا، شكل هذا الإنجاز دورًا رياديًا في علم الاجتماع الهجرة. وكذلك روبرت بارك ودراسته عن الهجرات الإنسانية والإنسان الهامشي. ولقد تأثر هؤلاء الرواد في دراستهم للهجرات بالأيكولوجيا، وذلك يتضح جليًّا من خلال تركيزهم على مفاهيم مثل: الاستخلاف، التنافس، الصراع، التوازن، التكيف، والعلاقة بين الموارد والسكان، وقوى الجذب والطرد في المجال... ومع رواد هذه المدرسة ومن خلال أبحاثهم ودراساتهم ستظهر أسس سوسيولوجيا الهجرات وملامحها. ورغم ما تراكم من دراسات حول الهجرة إلا أن علماء الاجتماع لازالوا يعترفون بعدم قدرتهم على بناء نسق نظري في سوسيولوجيا الهجرة. وهذا ما أكده الباحثان الأمريكيان؛ كوبات ونوفمان ونووتني في كتابهما (سوسيولوجيا الهجرات - من أجل نموذج تفسيري جديد)، وبعد جردهما لبعض النظريات السوسيولوجيا السائدة في هذا المجال لاحظ الكاتبان (أنه رغم الجهود المبذولة لاقتراح نظريات تفسيرية فإن الحصيلة المتصل إليها لازالت هزيلة ولم توصلنا إلى نتائج تقريبية). (ينظر، بنصر العياشي، سوسيولوجيا الهجرات، 2015). غير أن غياب إمكانية قيام نظرية شاملة للهجرات لم يحول لجوء عالمي الاجتماع إلى أنماط تصنيفية نماذج تفسيرية أو ما أسماه (ميرتون) النظريات المتوسطية. ومن خلال دراساتنا للأدبيات

الغربية المتاحة عن الهجرات الخارجية تبين لنا أن الدارسين قد فسروا الظاهرة من زاوية أحادية الجانب، إذ تم التركيز ليس على المهاجرين ودوافعهم ومعاناتهم في مواطن الاغتراب، بل على الآثار السلبية للمهاجرين في مواطن هجراتهم ومشاكل اندماجهم وهوياتهم. ومن نظريات تفسير الهجرات يمكن الإشارة ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الوضعي؛ الذي أسسه عالم الاجتماع الفرنسي أميل دوركايم، والذي أكد ما للقيم والعادات والتقاليد والثقافة الاجتماعية من سلطة قاهرة وملزمة للأفراد الذين يعيشون في كنفها حيث وصفها بقوله: «إنها عبارة عن نماذج من العمل والتفكير والشعور التي تسود مجتمع من المجتمعات، والتي يجد الأفراد أنفسهم مجبرين على اتّباعها في عملهم وتفكيرهم، بهذا المعنى يمكن النظر إلى الهجرة كفعل يمتثل له الأفراد ويعكسونه في تصرفاتهم امتثالًا للمجتمع. وقد أوضح دوركايم هذه العملية معطيًا مثلًا عن الهجرة القروية، حيث إن هناك تيار لرأي أو قوة جماعية دافعة هي التي تفرض على الأفراد هذه الهجرة، يقول: إننا لا نملك اختيار شكل منازلنا، كما لا نملك اختيار ملابسنا، إن كلاهما مفروض علينا بنفس الشكل؛ إن طرق التنقل تحدد بشكل إجباري الاتجاه الذي تسير فيها لهجرات الداخلية والمبادلات. وحتى حجم هذه المبادلات والهجرات وفي ذات السياق يذهب، هال بفاكس وهو أحد تلاميذ دوركايم في تصوره الفيزيائي لظاهرة الهجرة إذ يعدها مثل «تدفق المياه من حوض لآخر، من منبع النهر إلى اللحظة التي يرتمي فيها في واد آخر، أو في البحر. (نبيل العتاوي وحسن البياضي، الهجرة إشكالية العصر، جوجل).

وخلاصة القول: إن الموقف الوضعي يجعل من الهجرة فعلًا اجتماعيًّا لا يفعله الفرد انطلاقًا من اختياراته وأفكاره، بل هو فعل امتثالي لا يسع الفاعل إلا القيام به. إن تيار الرأي في المجتمع يمارس سلطانه على اختيارات الأفراد وبطريقة أو بأخرى يجرفهم إلى نقطة دون أخرى. هذا المنظور يمكن أن يفسر ظاهرة الهجرة اليافعية.

الاتجاه المادي التاريخي؛ ينطلق هذا الموقف في تفسير عملية الهجرة من خلال مقاربة التوزيع الَّا متكافئ لعوامل الإنتاج، بحيث إن هناك مناطق تعد أكثر غنى من مناطق أخرى، ولذلك تنطلق اليد العاملة تطلعًا للحصول على أجر أحسن. لقد وجه ماركس اهتمامًا بارزًا للمجتمع، يتساءل كيف يوجد قهر وظلم وفقر يجبر الأفراد على ترك مجتمعاتهم والانتقال إلى مجتمعات أخرى، إن الطبيعة الإنسانية هي في الأساس طبيعة خيرة، فالناس ليسوا أشرارًا بطبعتهم، لكن ظروف الحياة السيئة هي التي تجعل منهم أشرارًا، خير دليل على ذلك الحضارة الغربية الصناعية الرأسمالية، هذه الحضارة تمثل تناقضًا مروعًا مع الطبيعة الإنسانية، فهي سبب تفشي الفقر والَّا توازن في توزع الخيرات بين الدول، وتصعيد عمليات الهجرة خارج الوطن، مما يؤدي لا محالة إلى هدر في الموارد البشرية بالنسبة لمجتمعات الانطلاقة واستفادة الدول المستقبلة من سواعد عضلية تزيد من قوة الإنتاج، وتكسر الوعي الطبقي الذي تكونه الطبقة العاملة المنتمية للمجتمع الصناعي.

ثالثًا: الهجرة اليافعية في السياق التاريخي:

تعد منطقة يافع من المناطق الجنوبية العربية الشهير بهجرة سكانها عبر التاريخ وذلك لأسباب عدة منها: طبيعتها الجبلية الوعرة، وافتقارها إلى مقومات العيش الوفير، فضلًا عن كثافة سكانها، وأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية أخرى. وقد تعددت عوامل الهجرة الداخلية والخارجية في يافع، وتنوعت أسبابها ودوافعها. فعلى مر التاريخ هاجر اليافعيون هجرات داخلية وهجرات خارجية جماعية وفردية إلى أماكن كثيرة. فمنذ أقدم العصور كانت هجراتهم الداخلية إلى عدن والضالع وحضرموت والمهرة وتعز وإب وصنعاء، وهناك استقروا وصاروا جزءًا من النسيج الاجتماعي للمجتمعات المحلية الجديدة. أما على صعيد الهجرات الخارجية فتروي الدراسات التاريخية عن الهجرات اليافعية التي شهدتها مراحل الفتوحات الإسلامية وأهمها هجرتهم واستقرارهم في مصر. غير أننا سوف نقتصر في بحثنا على الهجرات الحديثة.

فيمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

بدأت بعد دخول الجنوب العربي تحت هيمنة الاستعمار البريطاني، منذ قرنين من الزمن، إذ هاجر اليافعيون إلى مناطق نفوذ الاستعمار الإنجليزي في الهند وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ودول الخليج العربي والمملكة العربية السعودية، والصومال والحبشة وغيرها.

والمرحلة الثانية:

بعد نيل الجنوب العربي الاستقلال الوطني عام ١٩٦٧م رغم أن عددًا من أبناء يافع الذين هاجروا في زمن الاستعمار الإنجليزي قد عادوا للمشاركة في بناء الدولة الوطنية المستقلة في عدن لاسيما من بعض الدول العربية ومنها: الكويت وقطر والسعودية والصومال، إلّا أن الموجة الثانية من الهجرة اليافعية قد اكتسبت صفة الظاهرة الاجتماعية بعد الاستقلال الوطني. حيث هاجرت الكثير من النخب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلى الخارج بدوافع وأسباب مختلفة أهمها الظروف السياسية التي تلت الاستقلال الوطني. ورغم أن النظام السياسي الاشتراكي في الجنوب قد شدد الإجراءات الرسمية على الراغبين بالهجرة إلا أن إصرار أبناء يافع على الهجرة كان قويًّا، إذ اضطر عشرات من الشباب اليافعيين إلى الهرب عبر الحدود إلى صنعاء، ومن ثم الهجرة إلى دول الخليج العربي وأهمها المملكة العربية السعودية، لاسيما بعد الطفرة الاقتصادية التي شهدتها الدول النفطية منذ سبعينيات القرن الماضي. وبعد أن عاد المهاجرون اليافعيون الأوائل بخيرات هجراتهم الاقتصادية وظهور الفروق الواضحة في المستوى المعيشي بين أسر المهاجرين والمقيمين في المجتمع المحلي؛ إذ تمكن المهاجرون من بناء بيوت جديدة واقتنوا السيارات الفارهة فضلًا عن التفاخر بالأزياء، والتنافس على زواج الفتيات الجميلات غاليات المهور، وغير ذلك من ملامح الإنفاق المعيشي الباذخ بالمقارنة مع مواطنيهم المحليين؛ كان ذلك

حافزًا كبيرًا لدى الشباب على الهجرة. وقد أكدت الدراسات الاجتماعية أن التفاوت في مستوى الدخل الاقتصادي وشروط المعيشة في المجتمعات المحلية تعد واحدة من أهم الدوافع المحفزة لاندفاع الفاعليين الاجتماعيين من الذكور في تقليد السلوك والأفعال ذاتها. وطالما وقد غدا المهاجر والمهجر هو المثل الأعلى لتحسين الظروف المعيشية في يافع فقد اجتذبت الهجرة في بضعة سنوات - لاسيما منذ ثمانينيات القرن الماضي - عشرات الألاف من الشباب اليافعيين الذين فضلوا الهجرة على الاستمرار في التعليم أو الفلاحة بالأرض والمهن الأخرى.

المرحلة الثالثة:

ربما كانت الموجة الثالثة من الهجرة اليافعية هي التي بدأت منذ إعلان الوحدة اليمنية في 22 مايو ١٩٩٠ وما تلاها من أزمة وحرب اجتياح الجنوب الظالمة في صيف ١٩٩٤م. إذ تشير الإحصاءات الأولية إلى أن أكبر عدد من المهاجرين من يافع تم في هذه المرحلة. وتجدر الإشارة إلى أن نظام الاحتلال الداخلي قد سهل إجراءات السفر لأبناء الجنوب ومنهم اليوافع على نحو لم يسبق له مثيل؛ إذ هاجر عشرات الألاف من الكفاءات الجنوبية والشباب والعائلات إلى المملكة العربية السعودية ودول الخليج والصين وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية طلبًا للجوء السياسي والعمل. وفِي دراسة بحثية لقرية فلسان، في مكتب السعدي بيافع أجراها فريق علمي من جامعة عدن عام ١٩٩٨ تبين أن عدد المهاجرين منها قد بلغ ٣٠٠ فردًا وهي نسبة عالية بالقياس إلى عدد سكان القرية البالغ تسعمائة نسمة، حوالي ثلث سكان القرية مهاجرون. وتشير الوقائع المتعينة من يافع إلى أن المهاجرين الذكور في بعض القرى هم أكثر من المقيمين. ولا نبالغ إذ قالنا أن ٩٠٪ من العائلات اليافعية اليوم لديها مهاجر أو عدد من المهاجرين. فما هي الآثار الإيجابية والسلبية للهجرة اليافعية.

رابعًا: الآثار الإيجابية والسلبية للهجرة اليافعية:

إذا ما انطلقنا من اللحظة الراهنة وبالقياس إلى الأوضاع الماضية والحاضرة التي عاشتها ولازالت تعيشها بلادنا في دولة الجنوب سابقًا، مرورًا بمرحلة الوحدة والأزمة

والحرب والجمهورية اليمنية واللحظة الراهنة؛ يمكن القول إن هجرة أبناء يافع إلى دول العالم المختلفة قد كان لها فوائد وإيجابيات كثيرة نذكر منها:

1 - الآثار الإيجابية للهجرة اليافعية:

1) رفد ميزانية الدولة الوطنية التي كانت قائمة في الجنوب بالعملة الصعبة، وبالمثل في دولة الوحدة لما لذلك من أهمية اقتصادية في تنمية الاقتصاد الوطني.

2) تحسين الأحوال المعيشية للمهاجرين وعوائلهم بما كسبوه من أعمالهم في المهجر من نقود أفضل بكثير مما لو أنهم فضلوا البقاء والعمل في بلادهم الفقيرة والمضطربة سياسيًّا.

3) خاض المهاجرون اليافعيون مثلهم مثل غيرهم تجربة الانفتاح والاحتكاك بحضارات ومجتمعات وثقافات عالمية مختلفة، وحققوا نجاحات متميزة في مجالات عدة منها: مجال التجارة والمال والاستثمار في مواطن مهاجرهم، إذ تمكن بعض الأذكياء منهم من تأسيس شركات ومؤسسات تجارية واستثمارية عملاقة في المهجر أمثال المرحوم عمر قاسم العيسائي وإخوانه في المملكة العربية السعودية، وكذلك بن شيهون والصانبي والحريبي والرشيدي وغيرهم كُثر، إذ تشير الإحصاءات إلى وجود أكثر من ثلاثمائة مهاجر يافعي في المملكة العربية السعودية من كبار رجال المال والاستثمار وفي مختلف القطاعات، فضلًا عن أنهم أثبتوا حضورهم الفعَّال وهيمنتهم على بعض قطاعات التجارة والاستثمار، ومنها تجارة الذهب والملابس ومستلزمات السيارات والبناشر وغيرها. وفي مجال التعلم والتعليم الأكاديمي، ومجال الثقافة والأدب والفن، ومجال الرياضة والأنشطة الاجتماعية وغيرها لمعت أسماء كثير من المهاجرين اليافعيين، أطباء وطبيبات ومهندسين ورياضيين وأدباء وفنانين وكتاب وإعلاميين...إلخ.

4) تمكن المهاجرون اليافعيون من إعادة بناء مناطقهم في يافع وتعميرها بتشييد ناطحات السحاب الحجرية بما لم تشهده يافع في تاريخها الطويل، إذ

شهدت يافع في السنوات القليلة الماضية نهضة عمرانية واسعة بما جعلها تبدو وكأنها جديدة النشاءة.

5) بفضل الموارد المكتسبة من جهود المهاجرين اليافعيين شهدت يافع نهضة تنموية في كثير من المجالات الخدمية: الطرق، والتعليم، والخدمات الصحية، والكهرباء، ومشاريع المياه الصحية والصرف الصحي، والأسواق والتجارة. فعلى صعيد التعليم تعد كلية التربية يافع المدعومة من رجل المال والأعمال المرحوم عمر قاسم العيسائي أحد أهم إيجابيات الهجرة اليافعية، فضلًا المدارس الكثيرة التي تم تشييدها بدعم المهاجرين في كثير من المناطق والقرى بيافع. وعلى صعيد تطوير حركة التجارة والتسوق الحديثة، يعد مشروع يافع مول والمحمل في سوق أكتوبر بيافع من أهم الإنجازات التي حققها الرأسمال اليافعي العائد من المهجر. وهما مشروعان بالغا الدلالة والرمزية على إيجابيات الهجرة اليافعية وفوائدها الملموسة اليوم في حياة السكان.

6) تعلم أبناء يافع من مهاجرهم المتعددة الكثير من الدروس والخبرات واللغات والقيم الحضارية والإنسانية في احترام النظام والقانون والتسامح، مع التنوع والاختلاف والاندماج مع والهويات المغايرة، مع الاحتفاظ بهوياتهم الأصلية بفخر واعتزاز وعدم الشعور بالدونية.

7) استطاع أبناء يافع المهاجرون في مختلف مواطن هجرتهم من الحفاظ على موروثهم الثقافي والأدبي والفني وتطويره بما هو متاح من الوسائل الحديثة، بما مكنهم من بثها ونشرها في وسائط الاتصال الاجتماعية (الشيلات، والأغاني، والشعر، والزوامل، والرقص، والبرع، وغيرها من عادات يافع وتقاليدها الثقافية).

8) أسهم مهاجرو يافع إسهامًا فعالًا في دعمهم ومساعدتهم للأسر والعائلات الفقيرة بيافع وفي مختلف مناطق الجنوب واليمن عامة، فضلًا عن دعمهم الَّا محدود لأنشطة المقاومة الجنوبية منذ نشأتها، ودعم جبهات المعارك مع الغزو

الحوثي العفاشي حتى التحرير. فمعظم الجمعيات الخيرية الداعمة في الجنوب اليوم هي بقدرات يافعية مهاجرة.

9) بفضل الرأسمال اليافعي المهاجر فضلًا عن القدرات الرأسمالية الجنوبية في حضرموت ومختلف المحافظات الجنوبية، يمكن للعاصمة عدن استعادة عافيتها ومكانتها التجارية والاستثمارية في بضع سنوات إذا ما انتهت الحرب وحل السلام والاستقرار وأعيد بناء المؤسسات الرسمية وتأهيلها (القانون، والنظام، والأمن، والقضاء، والعدالة، والحريّة، والنماء والتنمية).

2 - الآثار السلبية للهجرة اليافعية:

أما الآثار السلبية للهجرة اليافعية فهي كثيرة وعميقة، وربما غير مرئية ولا يدركها الكثيرون اليوم بحكم الأوضاع الصعبة التي تعيشها بلادنا. نذكر منها:

1) ليس من السهل أن يفارق الإنسان موطنه الأصلي وأهله وذويه ومجتمعه وثقافته بحثًا عن مواطن أخرى يجهلها، فالإنسان أي إنسان يحب العيش والاستقرار في مسقط رأسه ولا يغادره إلّا بدوافع قاهرة جدًّا.

2) الهجرة هي اغتراب المهاجر عن أهله وذويه والعيش بعيدًا عنهم ربما لسنوات طويلة، وهذا من أقسى أنواع الحرمان بالنسبة للمهاجر؛ حرمان مزدوج ؛ حرمان المهاجر الابن من العيش مع والديه وحرمانهم منه، وحرمان المهاجر الزوج من العيش مع شريكة حياته وحرمانها منه، وحرمان المهاجر الأب من رعاية أطفاله وتربيتهم وحرمانهم منه، وحرمان الطالب الذي اضطر للهجرة من مواصلة تعليمه في وطنه وضياع مستقبله وعدم تحقيق أمنياته وطموحاته... إلخ. فكم هم أولئك المهاجرون من يافع الذين قضوا نحبهم في مواطن الاغتراب؟ وكم هم الذين عادوا بعد أن أكلت الغربة زهرة شبابهم؟ وكم هنّ الزوجات اللاتي حرمن من العيش بأحضان أزواجهن لمدد زمنية طويلة، وكم هم أولئك الأطفال الذين حرموا من العيش مع آبائهم وفقدوا حنانهم لفترات طويلة من غيابهم.

3) الهجرة ليست مسألة سهلة بالنسبة لمن جربها، إذ يعاني المهاجر في غربته أقسى أنواع المرارات والحسرات، فلا أحد يرحمه أبدًا، إذ عليه التكيف والعيش في وسط غريب، في مجتمع لا أحد فيه يعرفه أو يشفق أو يحن عليه في لحظات ضعفه أو مرضه. وقد استمعت إلى حكايات من أوائل المغتربين اليافعيين في المملكة العربية السعودية، وكيف عاشوا هناك حياة بالغة القساوة والحرمان.

4) الاغتراب في الدول العربية يعني الحرمان من الحقوق الأساسية للإنسان (حق الكرامة والحريّة والتعبير والعمل والتعليم والتنقل والعلاج والسفر...إلخ)، فالمغترب هناك يتعين عليه نسيان ذاته الإنسانية فهو ليس بأكثر من آلة عمل جسدية، فضلًا عن ما يتعرض له من ضرب وإهانات وظلم وتحقير من أبناء البلد الأصليين أحيانًا ومن الكفيل في معظم الأحيان، فكم هم أولئك المهاجرون اليافعيون الذين تعرضوا للظلم، وتم حرمانهم من حقوق عملهم، بل وتم الزج بهم في غياهب السجون بدعاوى كيدية؟ وهكذا يكون الاغتراب مزدوجًا: اغتراب عن الوطن، واغتراب عن الأهل والأحباب، واغتراب عن الذات. فالعيش مُرّ في بلاد الآخرين وطعم الماء مالح؟ كما قال درويش.

5) هجرة شباب الوطن يعني ضياع الطاقة الحيوية التي كان يمكن الاعتماد عليها في تنمية بلادهم الأصلية، وحينما يغترب مئات الآلاف من الشباب من منطقة يافع فهذا معناه أنهم بذلوا كل طاقاتهم الجسدية والعقلية في تنمية بلاد ليست بلادهم لاسيما وأنهم يدركون أنهم غير مرغوب فيهم رغم كل ما بذلوه من جهد وإخلاص في مهاجرهم، وأن مصيرهم الرحيل منها عاجلًا أو آجلًا، وأن وطنهم الأصلي ينتظرهم كما تركوه.

6) من سلبيات الهجرة اليافعية التقليد والاقتداء بمن سبق من المهاجرين، فإذا كان أوائل المهاجرين من جماعة الوافدين يعملون في التجارة المسلحة أو في بناشر السيارات أو في بيع الأقمشة تجد معظم الشباب المهاجرين الجدد يقبلون على ممارسة ذات المهن بغض النظر عن مؤهلاتهم العلمية وخصائصهم الفردية.

7) من الآثار السلبية للهجرة في البلدان الأجنبية غير العربية عدم القدرة على

التكيف والاندماج الثقافي، والخوف من ضياع الهوية العربية الإسلامية، إذ فضَّل الكثيرون منهم ترك عائلتهم في يافع رغم أن قدرتهم على اصطحابهم معهم والحصول على الجنسية.

8) من الآثار السلبية للهجرة اليافعية الترحيل أو الإفلاس الذي أصاب عددًا كبيرًا من المهاجرين اليافعيين في دول الخليج بسبب الحروب، حرب الخليج الأولى عام 1990، وتداعياتها السياسية على المهاجرين اليمنيين الذين تم ترحيلهم حينها، وقد تضرر الكثير من المهاجرين اليافعيين وعائلاتهم جراء ذلك، كما أن الحرب الأخيرة في منطقة شبه الجزيرة العربية قد تسببت في تدهور الكثير من القطاعات التجارية والاستثمارية في دول الهجرة اليافعية، وهذا ما أفضى إلى إفلاس عدد كبير من المهاجرين الذين فقدوا كل رساميلهم في غمضة عين! وزج ببعضهم في السجون بسبب الديون فضلًا عمن أصابهم الجنون والبعض منهم فضَّل الانتحار.

خامسًا: نتائج واستخلاص:

ليس بخافٍ على أحد الوضع الفاجع الذي وصل إليه حال مجتمعنا الجنوبي من حيث كثافة التهديدات والمخاطر التي يتعرض لها كل يوم، فلم يحدث في تاريخ الجنوب عامة ومنطقة يافع تحديدًا ما تشهده اليوم من تهديدات أمنية ومخاطر محدقة في ظل عجز شامل في القدرة على مواجهتها أو التصدي لها بأي وسيلة ممكنة، بل باتت حياتنا اليوم أشبه بقلعه مهدمة الأسوار، مكشوفة ومنكشفة بلا حماية أو كسفينةٍ تائهةٍ في عرض البحر تتقاذفها الأمواج والعواصف في كل اتجاه، ولا يلوح في الأفق القريب بارقة أمل للإنقاذ.

وهكذا تأتي الأهمية مؤتمر الهجرة في يافع استجابة عملية من وحي تحديات اللحظة الراهنة، ولسنا بحاجة إلى التذكير بما جرى لدولتنا وشعبنا من تدمير وتمزق طوال السنين الماضية، وكان آخرها الغزو الحوثي الإيراني للجنوب العربي الذي نعيش أحداثه اليوم، وكان لأبناء يافع الأبطال الدور الحاسم في مقاومته وهزيمته

وطرده من عدن والجنوب؛ إذ شاركوا بالرجال والمال والإعلام وفي كل الجبهات. وهذا ما جعل من يافع وأبنائها هدفًا دائمًا للعدوان الغاشم الذي مازال يمتلك القدرة على التهديد والانتقام في ظل تخاذل المقاومة الشعبية والجيش الشرعي في الشمال، و«الخير يخص والشر يعم». ومهما بلغت المقدّرات المادية التي قد يمتلكها بعض الأفراد في بيئة غير آمنة فلا يمكن لها أن تحول دون وصول الشر إليهم، والمثل يقول: «قارب الخوف تأمن»، بمعنى أنه يجب علينا جميعًا تنظيم الجهود لمواجهة كل هذه الشرور والإرهاب والعنف والتطرف والانفلات، وكل ما يهدد حياة مجتمعاتنا المحلية من أخطار كارثية، علينا تفعيل دور مجتمعنا المحلي ونخبه الفاعلة وتنظيمها في سبيل الحفاظ على الحد الممكن من الأمن والسلم والتضامن الأهلي؛ كي تستمر الحياة والمقاومة. إنها تحديات وجودية حدية تلك التي تواجهنا اليوم في الجنوب وفي يافع على وجه الخصوص، والأمر مرهون بماذا سنفعله نحن الآن في مواجهة تلك التحديات. فإما أن نكون أو لا نكون! وإذا كان علينا أن نستخلص نتائج هذه الدراسة في بضع فقرات فيمكننا القول:

أولًا: تعد الهجرة من الظواهر الطبيعية التي تتصل بحياة الكائنات الحية، بوصفها حركة نقلة وانتقال من مكان إلى آخر، إذ تهاجر الطيور والحيوانات البحرية والبرية من مواطنها الأصلية إلى أماكن مختلفة لأسباب ودوافع عدة أيكولوجية تتصل بالمناخ والكوارث الطبيعية، الجدب والخصب والعواصف والفيضانات والزلازل والبراكين وغيرها، واجتماعية وسياسية تتصل بالحروب والظلم والاضطهاد والتمييز العنصري وندرة الفرص وغير ذلك.

ثانيًا: بينت الدراسة أن هناك أنواعًا متعددة من الهجرات منها: الهجرات الداخلية، الهجرات الخارجية، النزوح، الهجرات الجماعية، الهجرات الفردية، الهجرة بغرض العمل، الهجرة بغرض الإقامة، الهجرة بغرض الدراسة، الهجرة بغرض السياحة... إلخ.

ثالثًا: تعد الهجرة بالنسبة للمهاجرين عن مواطنهم الأصلية بمثابة اغتراب مزدوج، فهي من جهة اغتراب عن الأهل والوطن المجتمع الحميم، ومن جهة ثانية يعيش المهاجر حالة اغتراب ثقافي واجتماعي ونفسي في بلد الاغتراب الغريب عن ذاته وهمومه وشجونه وحنينه.

رابعًا: الهجرة بالنسبة للإنسان ليست من الأمور المحببة، إذ يحب الناس بشكل عام العيش والاستقرار في مواطنهم الأصلية، غير أن الظروف والعوامل المختلفة هي التي تجبرهم على تركها والبحث عن أماكن بعيدة يهاجرون إليها بدوافع وحوافر متنوعة ومختلفة.

خامسًا: تعد يافع بحكم ظروفها الطبيعية والاجتماعية بيئة طاردة للسكان، وقد كانت منذ أقدم الأزمان ولازالت إلى الآن من أكثر المناطق في جنوب الجزيرة العربية شهرة بالهجرة الداخلية والخارجية، إذ بات أبناؤها ينتشرون في كل بقاع الأرض من المشرق الأقصى إلى الغرب البعيد.

سادسًا: استخلصت الدراسة عددًا من إيجابيات الهجرة اليافعية التي عادت بالنفع والفائدة على سكانها في العصر الراهن.

سابعًا: بينت الدراسة السلبيات الكثيرة للهجرة اليافعية؛ السلبيات الظاهرة والخفية التي سوف تعاني منها يافع على المدى البعيد إذا لم يتم معالجتها والتفكير في بدائل أخرى قابلة للتنمية والاستمرار.

ثامنًا: ربما كان الاهتمام بالتعليم وتشجيع الشباب ذكورًا وإناثًا على الانخراط فيه ودعمهم، أفضل من دفعهم للهجرة وعودتهم بعد أن تنقضي أهم مرحلة في حياتهم أمّيين أو أشباه، حتى وإن كسبوا بعض رؤوس الأموال من هجرتهم، فالعلم والتعليم يبقى في ذواتهم الداخلية، والأموال تذهب من جيوبهم الخارجية.

المراجع

1. أمين معروف، الهويات القاتلة، ترجمة نبيل محسن، دار ورد للطباعة، دمشق، 1999.
2. أنطوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة، فايز الصباغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.
3. بول كولبير، الهجرة كيف تؤثر في حياتنا، ترجمة مصطفى ناصر، عالم المعرفة الكويتية، 2016.
4. بومنجل خالد، النظريات المفسرة للهجرة غير الشرعية، الحوار المتمدن، 2016.
5. جان فرانسوا بايار، أوهام الهوية، ترجمة حليم طوماس، دار العالم الثالث، القاهرة، 1998 ط1.
6. حسن علي باسمير، السلطنة القعيطية في حضرموت، دار الوفاق للدراسات والنشر، 2012.
7. خالد شهبار، سوسيولوجيا الهجرة والتحضر أمام اختبار البراديغيم البنائي، مجلة عمران، الدوحة، قطر، العدد18، خريف 2016.
8. روجيس دوبريه، نقد العقل السياسي، ترجمة، عفيف دمشقية، بيروت، دار الآداب، 1986ط1.
9. سعد عبد الرزاق الخرسان، الهجرة تعريفها وأنواعها ودوافعها.
10. سميرة خميس، الآثار الديموغرافية والاجتماعية للهجرة الداخلية في الجمهورية اليمنية من منظور النوع الاجتماعي، مركز المرأة للنوع الاجتماعي جامعة عدن، 2012.

11. عبدالرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2016.

12. عبدالله الجعيدي، رحلات الحضارم إلى إندونيسيا، دار الوفاق للدراسات والنشر، المكلا، 2013.

13. عبدالله الناخبي الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1999.

14. عبدالله بلعباس، ظاهرة الهجرة عند عبدالمالك صياد، من السياق التاريخي إلى النموذج السوسيولوجي، المجلة الجزائرية في الأنثربولوجيا والعلوم الإنسانية، العدد 101، 2013.

15. عبدالمالك صياد، الغياب المزدوج: من أوهام المهاجر إلى معاناة المغترب، باريس، سايل، 1999.

16. فوزي بوخريص، قراءة في كتاب، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، موقع، مؤمنون بلا حدود، يناير، 2019.

17. فيوليت داغر، إشكاليات وتحديات الهجرة، فرنسا نمودجًا. عبد الرحمن المالكي، الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية، 2015.

18. كلود دوبار، أزمة الهويات، مجلة إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع7، بيروت: الجمعية العربية لعلم الاجتماع، رئيس تحريرها، ساري حنفي، صيف 2009.

19. كوبات ونوفمان ونووتني « سوسيولوجيا الهجرات: من أجل نموذج تفسيري جديد.: آلان كولون، مدرسة شيكاغو في سوسيولوجيا الهجرة، ترجمة مروان بطش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2010.

20. محمد جاسم عبد، أحكام الهجرة في الشريعة الإسلامية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، 2008.

21. محمد عبدالقادر بامطرف، الجامع في أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة،1967.
22. مسعود عمشوش، الحضارم بالأرخبيل الهندي، جامعة عدن، 2010.
23. نادر حلبوب العمري، الموسوعة اليافعية، دار الوفاق للدراسات والنشر، 2015.
24. نبيل العتاوي وحسن البياضي، الهجرة إشكالية العصر، الحوار المتمدن، 2018/ 1/ 10/ جوجل.
25. نجاح سفر، سيكولوجية المهاجرين 2011. زوزو، عبد الحميد، (1989)، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919 - 1939، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
26. وسن هادي فيحان، الأبعاد الاقتصادية للهجرة والنزوح في العراق، مجلة المركز الديمقراطي العربي، برلين، مايو2019.

فهرس المحتويات

ظاهرة الهجرة اليافعية عبر التاريخ

تأتي أهمية موضوع الهجرة اليافعية ليس فقط في بعدها التاريخي، ولا في تأثيرها على الماضي فحسب، بل في تأثيرها على حاضر ومستقبل يافع. فالهجرة في الوقت الحالي تكاد أن تكون أكبر الهجرات التي شهدتها مناطق يافع على مر تاريخها. كما أن تأثيرها يفوق أي تأثير للهجرات التي تمت في الزمن الماضي. وفي الوقت الذي يترتب على عملية الهجرة فوائد ومنافع وعوامل إيجابية كثيرة، فلا شك في أنه يترتب عليها أيضًا عوامل سلبية. ويتضمن هذا الكتاب اثني عشر بحثا هي كالآتي:

1. الظروف الطبيعية ودورها في الهجرة اليافعية.
2. الهجرات اليافعية القديمة إلى حضرموت (يافع التلد).
3. أثر الفتوحات الإسلامية في الهجرة اليافعية في القرن الأول الهجري.
4. أثر هجرة قبائل يافع في عدن أثناء حكم الدولة الرسولية.
5. الدور السياسي لمهاجري يافع في عصر الدولة الطاهرية وأثره في انتشارهم في العصور اللاحقة.
6. الدور العلمي والفكري لمهاجري يافع في مدن اليمن في القرن 10 هجريا.
7. هجرات اليافعيين إلى الهند.
8. الأغنية اليافعية المهاجرة.
9. العوامل المعيشية والعسكرية والمخاطر في هجرة أهل يافع في القرن الثالث عشر (دراسة وثائقية).
10. الهجرة اليافعية ودورها في الدويلات والحاميات اليافعية الحضرمية. امارة عبدالقادر أنموذجا.
11. شخصيات يافعية مهاجري رائدة، آل العيسائي (الشيخان عمر وعلي) والشيخ قاسم الشرفي.
12. الآثار السلبية والإيجابية للهجرة اليافعية - دراسة سوسيو ثقافية.



دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع
واتس آب: 2001008170225+



